

الاء الحمرم
ف
نفس الفلن

مءءوءء البلاءف للءفءف

ءار
أءفاء للءراء العربف
بفوء

البلاءف

الاء الرءمن
ف
نفس القرآن

1

ءار
أءفاء للءراء العربف

الْأَمَامُ الْحَكِيمُ

فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

من فضله جلّت آلاؤه على عبده الضعيف الفقير إلى رحمته وعفوه
محمد جواد البلاغي النجفي اعانه الرحمن بالتوفيق
والتسديد وأنعم عليه بالحسنى والسعادة في
الدنيا والآخرة انه ارحم الراحمين
وخير المسؤولين



الجزء الاول

دار احياء التراث العربي
بيروت - لبنان

آلاء الرحمن

في

تفسير القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وله الحمد وهو المستعان والصلاة والسلام على خيرته من خلقه محمد صلى الله عليه وآله سيد المرسلين وآله الطاهرين المصومين صلوات الله عليهم اجمعين (وبعد) ففي فجر سعادة البشر وتبلغ صبح الهدى ورسائله . اشرق نور القرآن الكريم على العالم من أفق الوحي على الرسول الأمين الصادع بأمر ربه . فكان باعجازه الباهر حجة على وحيه وبفضائله الفائقة دليلا على فضله وبسنائه الوضاح هاديا الى اتباعه . يعرفك في كل باب من ابواب معارفه السامية انه تنزيل من رب العالمين . ولكن اختلاط اللسان واختلاف الزمان وتشعب الالهواء وتضارب الآراء أثارت من دون انواره غباراً وجعلت على البصائر من الجهل غشاوة . وقد اوجب الله على عباده أن ينصروا الحقيقة بالبيان ويحلوا غبار المشكوك بالحجة ويميطوا غشاوة الجهل بيد العلم الشافي . وقد نهض جماعة لتفسيره والارشاد الى منهج فهمه . فأثرت وانا الأقل محمد جواد البلاغي ان أنطلق في هذا الشأن واتقحم في هذا الميدان جاريا على ما تقتضيه أصول العلم متنبها مالا حجة فيه من نقل الأقوال متحرّيا للاختصار مهما أمكن مستعينا بالله ومستندا من فضله وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب . وقد سميت الكتاب (آلاء الرحمن في تفسير القرآن) وجعلت للمقصود مقدمة فيها فصول وخاتمة

الفصل الأول في إعجازه

المعجز هو الذي يأتي به مدعي النبوة بعناية الله الخاصة خارقاً للعادة وخارجاً عن حدود القدرة البشرية وقوانين العلم والتعلم ليكون بذلك دليلاً على صدق النبي وحبته في دعواه النبوة ودعوته

وجه شهادة المعجز

ودلالته على صدق النبي في دعواه ودعوته ليس إلا أن مدعي النبوة إذا كان ظاهر الصلاح موصوفاً بالأمانة معروفاً بصدق اللهجة والاستقامة لا يخالف العقل في دعونه وأساسياتها لم يجز عقلاً اظهار المعجز على يده إلا إذا كان صادقاً في دعوى النبوة ودعوته. الا ترى انه لو كان مع صفاته المذكورة كاذباً في دعواه لكان اظهار المعجز على يده وتخصيص الله له بالمنايا اغراء للناس بالجهل وتوريطاً لهم في متاهات الضلال وهذا قبيح ممتنع على جلال الله وقده

توضيح ذلك

هو أن الناس بحسب فطرتهم التي لا تدنسها رذائل الأهواء والعصبية إذا ظهر لهم صلاح الشخص وصدقه وامانته واستقامته فيما يعرفونه من احواله وأطواره توسموا بباطنه الخير وأن باطنه موافق لظاهره في الصلاح . وكلما زادت خبرتهم بصلاح ظاهره زاد وثوقهم بصلاح باطنه . إلا انه مهما يكن من ذلك فإنه لا يبلغ بهم مرتبة العلم وثبات الاطمئنان بعصمته عن الكذب في دعواه وتبليغات دعوته فلا ينتظم تصديقهم له ولا بدوم انقيادهم إلى تبليغاته في دعوته . بل لا يزال اختلاج الشكوك يميل بهم يمينا وشمالا . لكن إذا خصته العناية الإلهية بكرامة المعجز وخارق العادة حصل العلم الثابت واطمئنت النفوس السليمة بصدقه وعصمته في دعواه وما يأتي به في دعوته . وبثبت اليقين وينتظم امره بالنظر إلى أنه يتمتع على جلالة الله وقده في مثل هذه المزلقة ان يظهر المعجز وعنايته الخاصة على يد الكاذب المدلس بصلاح ظاهره . فإن اظهار المعجز حينئذ يكون مساعدة للمدلس على تدليسه ومشاركة له في اغوائه واغراء للناس في الجهل الضار المهلك . وذلك لما ذكرناه من مقتضى فطرة الناس السليمة . فالمعجز الشاهد بصدق النبي في دعواه ودعوته هو ما يقوم بما ذكرناه من الفائدة في مثل ما ذكرناه من المقام والوجه

﴿ حكمة تنوع المعجز ﴾

ولا يخفى أن حصول الفائدة المذكورة من تنوع المعجز المذكور يختلف كثيرا بسبب اختلاف الناس في أطوارهم ومعارفهم ومألوفاتهم . فرب خارق للعادة يعرف بعض الشعوب انه خارق للعادة لا يكون إلا بإرادة إلهية خاصة ويكون في بعض الشعوب معروضا للشك او الجحود لا إعجازه وخرقه للعادة

كان في عصر موسى النبي (ع) من الراجح بين المصريين صناعة السحر المبتنية على قوانين عادية يجري عليها التعليم والتعلم . فكانوا يعرفون ما هو جار على نواميس هذه الصناعة وما هو خارج عنها وعن حدود القدرة البشرية . ولأجل ذلك اقتضت الحكمة ان يحتج عليهم بمعجزة العصا التي القاها موسى (ع) أمام أعينهم فصارت ثعبانا تلقف ما يأفكون ويسحرون به الناس من الحبال والعصي ثم رجعت بعد ذلك عصا كحالتها الأولى ولم يبق لحبالهم وعصيتهم عين ولا اثر فانهم بسبب معرفتهم لحدود السحر عرفوا أن امر العصا خارج عن صناعة السحر وعن حدود القدرة البشرية ولذا آمن السحرة بأن أمرها من الله تعالى

وكانت فلسطين وسوريا في عصر المسيح مستعمرة لليونان وفيها منهم نزلاء كثيرون . فكان للطب فيها رواج ظاهر وكان في الفصل الثالث عشر والرابع عشر من سفر اللاويين من التوراة الرائجة تعليم طويل في تطهير القرع والبرص والقوبا بنحو يختص بروحانية الكهنوت ويوهم انه من بركات الكهنة والآثار الروحانية وإن كان من نحو الحجر الصحي فلاجل ذلك . كانت معجزات المسيح بشفاء الأبرص والاعشى والأكمه مما يعرفون انه خارج عن حدود الطب ومراغم الكهنة وقدرة البشر ومن خارق للعادة التي لا يكون إلا بقدرة الله تعالى

﴿ حكمة كون المعجز للعرب هو القرآن ﴾

وأما العرب الذين ابتدأت بهم دعوة الإسلام في حكمة سيرها في الإصلاح فقد كانت معارفهم نوعاً منحصرة بالأدب العربي وكانوا خالين من سائر العلوم والصنائع الخاضعة للعلم والتعلم . فلم يكونوا يميزون حدودها العادية بحسب موازين العلم والتعلم وأسرار الطبيعيات المنقادة بقوانينها للباحث والممارس والمتعلم والمجرب والمكتشف والداخلية تحت سيطرة العلم والتعلم . فلا يعرفون من الأعمال ما هو خارج عن هذه الحدود وخارق للعادة ولا يكون

إلا بأعجاز إلهي*. فكل عمل معجز من غير الأدب العربي بمجرد مشاهدتهم له أو سماعهم به يسبق إلى اذهانهم ويستحكم في حسابهم أنه من السحر أو من مهارة أهل البلاد الأجنبية في الصنائع وتقدمهم في العلوم وأسرار الطبيعيات وقوانينها. ولا يذعنون بأنه معجز إلهي بل يسوقهم شك الجهل إلى الجحود خصوصاً إذا كان ذلك يحتاج به النبي على دعوى ودعوة ثقيلتين على ضلالتهم باهظتين لمعادتهم الوحشية واهواء الجمل

نعم برعوا بالأدب العربي وبلاغة الكلام التي تقدموا فيها تقدماً باهراً حتى قد زهى في عصر الدعوة روضه الخيل واينت حدائقه وفاق بحمدته وقرروا له المواسم وعقدوا المحافل للمفاخرة بالرفق فيه. فرقت بينهم صناعته إلى أوج مجدها وزهرت بأجل مظاهرها واحاطوا باطرافها وحدها. وقدورها. فعاد المرء منهم جدياً خبيراً بما هو داخل في حدود القدرة البشرية وما هو خارج عنها ولا يصدر على لسان بشر ابتداءً إلا بعناية إلهية خاصة خارقة للعادة البشرية لحكمة إلهية شريفة

ولذا اقتضت الحكمة الإلهية «ولله الحكمة البالغة» أن يكون القرآن الكريم هو المعجز المعنون والذي عليه المدار في الحجة لرسالة خاتم النبيين وصفوة المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين. فإنه يكون حجة على العرب بأعجازه ببلاغته وبمعجزهم عن الاتيان بمثله أو بسورة من مثله. وبخضوعهم لأعجازه وهم الخبراء في ذلك يكون أيضاً حجة على غيرهم في ذلك. وأنه هو الذي يدخل في حكمة المعجز والأعجاز في شمول الدعوة للعرب وابتدائها بهم بحسب سيرها الطبيعي على الحكمة وبه تتم فائدة المعجز على وجهها

✦ امتياز عن غيره من المعجزات ✦

مضافاً إلى أنه امتاز عن غيره من المعجزات وفاق عليها بأكثر الأمور الجوهرية في شؤون النبوة والرسالة ودعوتها «فمن ذلك» أنه باق مدى السنين يمثل بصورته ومادته لكل من يريد أن يطلع عليه ويمارس أمره وينظر في أمره ويعرف كنهه وحقيقته. فهو بادٍ في كل آن ومكان لكل من يطلب الحجة على النبوة والرسالة ويريد النظر في حقيقة معجزها الشاهد لصدقها. ماثلاً لكل من يريد النظر في الحقائق ولا يحتاج معرفة حقيقته ووجه أعجازه إلى أساطير النقل ومماراة قال أو قيل. فلا يحتمل أمره. إنه دبرت دعواه بديل. ولا يستراب من أمره باحتمال التمويه

بل يتنادي هو بنفسه في كل زمان ومكان (هذا جنائي وخياره فيه) وكله خيار فائق متفوق « ومن ذلك » انه بنفسه ولسانه وصريح بيانه قد تكفل بالاثبات لجميع المقدمات التي تنتظم منها الحجة على الرسالة الخاصة وشهادة اعجازه لها . ولم يؤكل أمر ذلك الى غيره مما يختلج فيه الرهب وتعرض فيه الشبهات وتطول فيه مسافة الاحتجاج وتكثر صعوباته : فالتفت واعرف ذلك من أمور

(الأول) انه تكفل ببيان دعوى النبي للنبوّة والرّسالة في سائر النبوءات

(الثاني) انه تكفل في صراحة بيانه بالشهادة للنبوّة والرّسالة فلم تبقى حاجة لدلالة العقل

ودفع الشبهات عنها

(الثالث) انه تكفل في صراحته المتكررة ببيانه لكمالات مدعي رسالته وأطرى بصلاحه

وأخلاقه الفائقة كما هو معروف . فهدد المقدمات اللازمة في البيان وصورة الاحتجاج بانه لو

كان كاذبا لكان ظهور المعجزة له من الاغراء بالجهل القبيح الممتنع لقبحه على جلال الله وقده

تعالى شأنه . واليك فاسمع بعض ما جاء في القرآن في بيان هذه الأمور الثلاثة . ففي سورة

الاعراف « ١٥٧ : قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا » وسورة النجم المكية من الآية

الثانية الى الخامسة « ما ضلّ صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي

يوحى » وفي سورة الفتح « ٢٩ : محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار » وفي

سورة الأحزاب « ٤٠ : ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين »

وفي اوائل سورة القلم المكية « ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لا جراً غير ممنون وانك لعلی

خلق عظیم الى قوله تعالى ان ربك هو اعلم بن ضلّ عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وقوله تعالى ودّ والوتدھن

فيدھنون » وفي سورة الاعراف « ١٥٦ : بأمرهم بالمعروف ونہامهم عن المنکر » وفي سورة الأحزاب

« ٤٤ : ٤٥ يا ايها النبي انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً »

(الأمر الرابع) انه تكفل بنفسه دفع الموانع عن الرسالة والنبوّة اذ بين مواد الدعوة

وأساسياتها ومعارفها وقوانينها الجارية بأجمعها على المعقول من عرفانها وأخلاقها واجتماعها وسياسيتها

فلا يوجد فيها ما يخالف المعقول ليكون مانعاً عن النبوّة وفي سورة الاسراء المكية « ٩ : ان هذا

القرآن يهدي للتي هي أقوم » ودونك القرآن الكريم وحقق وتبصر وتنوّر فيما تضمنه من هذه

المواد الشريفة « ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم »

(الأمر الخامس) انه زاد على كونه معجزاً بنفسه بأن كرّر النداء والمصارحة في الاحتجاج باعجازه وتحدي الناس واعلن بالحجة وهتف بهم هتافاً مكرراً مؤكداً بأن يمارضوه لو لم يكن معجزاً ويأتوا بمثله أو بعشر سور أو سورة واحدة من مثله ان كان مما تناله قدرة البشر المحدودة وقد نادى بقرار الإنصاف والمأشاة وجعل لهم ان أتوا بعشر سور أو سورة من مثله أن تسقط عنهم هذه الدعوى ويستريحوا من ثقلها الباهظ لضلالهم ويدعوا من يستطيعون عقلاً ان يدعوه من دون الله لو استطاعوا أو وجدوا إلى ذلك من المعقول سبيلاً . جعل لهم ذلك من باب المأشاة والمجاراة في الحجة تعليقاً على المستحيل ولهم في ذلك المهلة والأناة ليعدوا عدتهم في المظاهرة والنعاون ففي سورة هود المكية « ١٦ : أم يقولون افتراء قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين ١٧ : فإن لم يستجيبوا فاعلموا انما أنزل بعلم الله » وفي سورة يونس المكية « ٣٩ : أم يقولون افتراء قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين » وفي سورة البقرة « ٢١ : وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهدائكم من دون الله ان كنتم صادقين » فيما تدعونهم وتصفونهم به « ٣٢ » فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي « وفي سورة الاسراء المكية « ٩٠ : قل لأن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » هذا وقد مضت لهم عدة اعوام ودعوة الرسالة والاعذار والابتناء والاحتجاج باعجاز القرآن دائمة عليهم وهم في أشد الضجر من ذلك والكراهية له والخوف من عاقبته . وفي أشد التألم من آثار الدعوة وتقذمها وظهورها . وفي اشد الرغبة في اهوائهم وعاداتهم الوحشية ورئاساتهم والعكوف على معبوداتهم ومع ذلك لم يستطيعوا أن يمارضوا شيئاً من القرآن الكريم ولو بأن يأتوا بسورة من مثله لكي تظهر حججهم وتسقط عنهم حجة الرسول ويستريحوا من غناهم وقلقهم وآلامهم من دعوته التي شتت جامعتهم الأولى وثانية وهددت رئاساتهم الوحشية وتشريعاتهم الأهوائية وفترت بين الأب منهم وبنه والأخ وأخيه والزوج وزوجه والقريب وقريبه وكذرت صفائهم وناشرت بين عواطفهم . وقد ساءهم في دعوته اصلاحاً وخضوعاً لم يكونوا يحتسبونه ولم يجدوا لذلك حيلة إلا الجحود السخيف والعناد الشديد وقساوة الاضطهاد والاستشفاع بأبي طالب في ترك الرسول لدعوته أو تمردهم بالثأيرة الوحشية فاقبحوا فيها الأهوال وتجشموا المصاعب وقنال الأقارب والاخوان ومقاساة الشدائد وذلة المغلوبية . فلماذا

لم يتظاهروا بأجمعهم عشر سنوات أو أكثر ويأتوا بشيء من مثل القرآن الكريم ولو سورة واحدة ويفاخروا الرسول (ص) ويحاكموه في المواسم والمحافل التي أعدوها لمثل ذلك فتكون لهم الحجة والانتصار في الحكومة وقرار النصفة وينادوا بالغلبة ويستريحوا من عناء هذه الدعوة وتهديدها لضالاهم . فلم إذا لم يفعلوا ذلك والقرآن والرسول قد دعواهم إلى ذلك تعجيزاً وهم هم وينابيع فصاحتهم وبلاغتهم غزيرة . وغرائزهم في الأدب العربي متدقة . وقراءتهم سيالة ومواد القرآن في مفرداته وتراكيبه من لغتهم . وأسلوبه من نحو صناعتهم التي لم فيها الممارسة النامة والمهارة الفائقة والرقي المعروف والله الحجة البالغة

ولو كان هناك أقل قليل من المعارضة والاعتيان بسورة واحدة من مثل القرآن لرفعه الضلال ناراً على علم . وانحفلت فيه ألوف الألوف من اضداد الإسلام والقرآن . ولسجلته دواوينهم في أقطار الأرض وأجيال الأمم . وتلقوه بأحسن ابتهاج . وصالوا به أكبر صولة لأنه الفصل السلمي والحجة الأدبية التي ما فوقها حجة لهم في الجدل والبرهان . ولكن هل سمعت أن أحداً نبس في ذلك بينت شفة أو أجري فيه قلم . وإن أمر ذلك بمزمل عن داخلية الإسلام لكي يقال انه أخفته شوكة المسلمين أو دسائس تواطئهم . بل إن بذرتة ومفرسه وسوره وحفظه وحياطته ترجع إلى ألوف الألوف في كل جبل من انصاره اضداد الإسلام والقرآن سواء كان ذلك قبل الهجرة أو بعدها أو بعد زمان الرسول (ص) . ألا ترى انه بعد أن ضرب الإسلام بجرأته في جزيرة العرب بقي في اليمن وسوريا والعراق كثير من اليهود والنصارى وأمثالهم وهم الألوف أو ألوف الألوف من العرب أو من يعرف اللغة العربية ويتكلم بها ويتأدب بأدابها . وأضف إلى ذلك المناقنين الذين كانوا يكيدون الإسلام جهود وسعهم في عصر الرسول وبعده . فهل يخفى على هؤلاء ما هوضاً لتهم المنشودة . وسلاح سطوتهم . وعدة صولتهم وأقطع حجة لهم وأكبر مدافع عن أديانهم . فإنه لا عطر بعد عرس ولكن ماذا يصنعون بالعدم . وعدم القدرة من المتأخر على الاختلاق

وما يشهد لما ذكرناه ويجلو تمثيله لبدهة الاعتبار أن اليد الأثيمة غلبت بسنوح الفرصة حتى على المحدثين والمفسرين فددست في كثير من كتب التفسير خرافة الفرائق وخرافة سبب النزول في آية التمني من سورة الحج كما نجده في أكثر التفاسير . فلوئت قدس رسول الله (ص) بما شاءت وسنحت به لها الفرصة . وكذا قدس جميع الأنبياء والمرسلين في

حديثهم . وتلاوتهم بمحبت لا يبقى بهم ادنى وثوق في ذلك (١) هذا في وجهة الإعجاز الذي تقوم به الحجة على العرب . وان للقرآن المجيد ايضاً وجوهاً من الإعجاز مما يشترك في معرفتها كل بشر ذي رشد اذا اطلع عليها . وهي عديدة نشير إلى بعض منها في هذا المختصر

﴿ اعجازه من وجهة التاريخ ﴾

لا نقول بذلك بمحض اخباره عن الحوادث الماضية والأُمم الخالية وإن كان رسول الله الذي جاء به لا يقرأ ولا يكتب ولم يدخل مدرسة ولم يمارس تعليماً . كما هو المعلوم من تاريخ حياته (ص) . فإنه يمكن ان يقال ان هذا الإخبار المذكور ممكن في العادة لنوع البشر وان كان معرضاً للعثرات التي لا تقال . بل نقول ان القرآن الكريم اشترك في تاريخه في بعض القصص مع التوراة الرائجة التي اتفق اليهود والنصارى على انها كتاب الله المنزل على رسوله موسى فأوردت هذه التوراة تلك القصص وهي مملوءة من الخرافات أو الكفر أو عدم الانظام الذي تشابه فيه كلام المبطل بالبرسام : فمن ذلك قصة آدم في نهي الله له عن الأكل من الشجرة وما فيها من الخرافات والكفر بنسبة الكذب والخداع إلى الله جلّ وعلا وسائر شؤن القصة على ما جاء في الفصل الثالث من سفر التكوين : ومن ذلك ما جاء في الفصل الخامس عشر منه من شك ابراهيم في وعد الله له بأعطائه الأرض في سوريا ومن ذكر العلامة في ذلك : ومن ذلك ما جاء في الفصل الثامن عشر والتاسع عشر في مجيء الملائكة إلى ابراهيم بالبشرى باسحق واخباره بأمر هلاك قوم لوط ومن حكاية ذهابهم إلى لوط وخطابهم معه . ومن ذلك ما جاء في الفصل الثالث من سفر الخروج في خطاب الله لموسى من الشجرة وفي أواخره ما حاصله ان الله جلّ شأنه افتتح الرسالة لموسى بالتعليم بالكذب : ومن ذلك ما جاء في الفصل الثاني والثلاثين في سفر الخروج في ان هارون هو الذي عمل العجل ليكون إلهاً لبني اسرائيل ودعى لعبادته وبني له رسوم العبادة فانظر إلى هذه القصص في مواردها المذكورة من التوراة الرائجة — والقرآن الكريم اورد القصة الأولى في سورتي الاعراف وطه — والثانية في أواخر سورة البقرة — والثالثة في سورتي هود والذاريات — والرابعة في سور طه والنمل والقصص —

(١) فانظر في الجزء الأول من كتاب الهدى في صفحة ١٢٣ = ١٢٨ والجزء الاول من الرحلة المدرسية

والخامسة في سورتي طه والأعراف فجاءت هذه القصص بكرامة الوحي الإلهي منزّهة عن كل خرافة وكفر وعن كل ما ينافي قدس الله وقدس أنبيائه . جارية على المعقول . منتظمة الحجة . شريفة البيان . وذلك مما يقيم الحجة ويوجب اليقين بأنه لا يكون إلا من وحي الله ولا يكون من بشر بما هو بشر مثل رسول الله الذي لم يمارس تعلماً في المعارف الإلهية ولم يتخرج عن مدرسة ولم ينرب إلا بين اعراب وحشيين وثنيين على أوحش جانب من الوحشية والوثنية . بل لو مارس جميع التعاليم وتخرج من جميع الكليات لما أمكنه ان ينزّه وينزه معارفه وكلامه من أمثال هذه الخرافات الكفربية

لم يكن في ذلك العصر وما قبله إلا تعاليم اليهود والنصارى . وأساسها في الديانة مبني على ما أشرنا اليه من خرافات التوراة الرائجة فهم عكوف عليها في عبادتهم ومواسمهم وتعاليمهم ومدارسهم . أو تعاليم الوثنيين ومنهم قومه . تلك التعاليم الجبلية الخاسئة . أو تعاليم المجوس المتشعبة من كلا التعليمين المذكورين فإنه صلوات الله عليه لو كان اخذ القصص المذكورة من ذات التوراة الرائجة بالاتقان أو من الروحانيين المسيطرين على تعليمها وأراد أن يتقوّل بها على الوحي نزلاً أو مخادعة لهم ليستجيبوا إلى اتباع دعوته لآثى بها على ما في التوراة من الخرافة والكفر . ولو كان أخذها سطحياً من افواه الرجال كما يأخذ الأثمي من ألسن العامة لزاد عليها أضعاف خرافاتها وكفرها كما تستلزمه وتوجه اميته وتربيته وجهل قومه وبلاده ووحشيتهم ووثنيّتهم لكن (إن هو إلا وحي يوحى) إلى رسول لا تأخذه في تبليغ الحقائق لومة لائم أو مخالفة أم . فانظر إلى تفصيل ذلك في الجزء الأول من الرحلة المدرسية (١) وعلى هذا النحو يجري الكلام فيما ذكر في العهد القديم الذي يعدّه أهل الكتاب من الوحي الصادق حيث نسب إلى ايوب أشنع الاعتراض على الله والجزع من قضائه ونسبة الظلم اليه جلّ وعلا وطلب المحاكمة معه حتى انه صار يوبخ واعظيه والناهين له عن هذه الجرأة ويسفه رأيهم . ونسب الزنا إلى داود بأشنع وجه . ونسب إلى سليمان انه تمادى في تأييد الشرك بالله والعبادة الأوثنية وكثر منه بناء المباني لعبادة الأوثان . وقد كثرت مصائب الأنجيل في القديح بقدس المسيح مع صغر حجمها وقلة مكتوبها فنسبت الى قدسه شرب الخمر وتكرّر الكذب والأحوال المنافية للعفة وانتهازه لوالدته وقده في قداستها والقول بتعدد

الآلهة والأرباب وغير ذلك مما سنشير اليه . وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله بوحى قرآنه منزهاً لهؤلاء الأنبياء ومبرئاً لهم عن هذه الوصمات الشنيعة فانظر إلى تفصيل ذلك في الجزء الأول من كتاب الهدى (١) وعلى هذا النحو يجري الكلام أيضاً فيما ذكر في التوراة والعهد القديم من القصص الخرافية المنافية لجلال الله وقداًس انبيائه وشرفهم وعائلاتهم كما في خرافات اختباء آدم عن الله . وبرج بابل . وشأن لوط مع الخمر وابنتيه والمصارعة مع يعقوب ومخادعة يعقوب لأبيه وتكرار كذبه عليه . وقصة يهوذا مع كته ثامار وولادة سبط يهوذا الذي منهم داود وسليمان وكثير من الأنبياء . وقصة امنون بن داود وابن عمه مع اخته ثامار وملعب شمشون . ومشورة الله جل شأنه مع جند السبا في اغواء آخاب ملك اسرائيل (٢) وكثير من ذلك

ولأجل ان القرآن الكريم كلام الله القدوس ووحيه لم يذكر شيئاً من ذلك ولو كان من اختلاف رسول الله (ص) كما يزعم الظالمون لامتنع في العادة على البشرية واغراضها وتزلفاتها أن لا يذكر شيئاً من ذلك مع ما فيها من القمقة التاريخية . وان البشر الذي يتطلب قصص العهدين ويذكرها في كلامه واغراضه لا يفوته ما أشرنا إليه

اعجازه في وجهة الاحتجاج

نهض رسول الله صلى الله عليه وآله لتعليم البشر وتنوير بصائرهم في عصر الظلمات والجهل والعمى . ولا يرشدهم الى حقائق المعارف التي حجبها ظلمات الضلال المتراكمة في تلك العصور المظلمة تلك الظلمات التي استولت على ارجاء العالم بحيث لم تدع أن ينقذ من نور الحق للعقول المغلوبة أقل بصيص فجاء (ص) في قرآنه بكثير غزير من الحجج الساطعة على أهم المعارف واشرفها . تلك الحجج الجارية على أحسن نهج وأعمه نفعا في الاحتجاج والتعليم . جاء بها على ارقى نحو يستألف العاوي الى نور الغريزة الفطرية فيمثله لشعوره . والى سناء البديهيّات فيجلبوه لا دراكه . ويجري بمؤدى تلك الحجج مع الفيلاسوف في قوانين المنطق وتنظيم قياساته على أساسيات المعقول . فأحتج على وجود الآله ولو ازم إلهيته . وعلمه وقدرته . وتوحيده .

(١) صفحة ١٠٠ = ١١٢ و ١١٦ = ٢٢٢ و ٢٣٢

(٢) انظر إلى ذلك في سفر التكوين في الاصحاح الثالث . والحادي عشر . والتاسع عشر . والتاسع والعشرين . والثامن والثلاثين . وفي الثالث عشر من صموئيل الثاني . والرابع عشر إلى السابع عشر من سفر القضاة . والثاني والعشرين من الملوك الأول . والثامن عشر من الأيام الثاني

وعلى المعاد الجسماني . وعلى ان القرآن وحي إلهي . وعلى صدق الرسول في دعوته فلا يكاد يوجد في شيء من هذه الحجج خلل عرفاني او وهن أدبي او شائبة اختلاف او شائبة من تناقض . فإذا فرضت أي بشر يكون في ذلك العصر المظلم ومثلت نشأته وتربيته بين الأعراب الوحشين الوثنيين في تلك البلاد الماحلة من كل تعليم والقاحلة من كل فضيلة في المعارف وانه لم يعماط لعلما ولا تأدباً على معلم ولا قراءة مكتوب ولا دراسة كتاب علمت انه يتمتع عليه في العادة بما هو بشر وبلا وحي إلهي اله أن يأتي ببيان المعارف الصحيحة والمناقضة للجهل العام في عصره وبيئته وقومه ويحتج عليها بتلك الحجج النيرة القيسة على ذلك المنهاج الممتاز بفضيلته وإن شئت أن تزداد بصيرة فيما ذكرناه فانظر الى ما في الأناجيل مما نسبته الى احتجاجات المسيح وحاشا قدسه منه ومما ذكرته من الحجج الساقطة الفاسدة على أمور أكثرها ضلال او غلط كالاتحاد على تعدد الآلهة وعلى تعدد الأرباب . وعلى المنع من الطلاق . وانظر الى ما اشتملت عليه من الغلط والتحريف . نعم ذكرت الاحتجاج على القيامة من الأموات ولكن ماذا جاءت به من الغلط والخلط في الحجة واحوال القيامة . وإن شئت الاطلاع على شيء من ذلك فانظر في الجزء الأول من كتاب الهدى صفحة ١١٢ - ١١٦ و ١٩٧ و ٢٠٥ والجزء الأول من الرحلة المدرسية صفحة ٧٣ و ٣٢ - ٣٩

عجازه من وجهة الاستقامة والسلامة من الاختلاف والتناقض

قد خاض القرآن الكريم في فنون المعارف والإصلاح مما يتخصص فيه الممتازون بالرقى في ابواب الفلسفة والسياسة والخطابة والإصلاح من علم اللاهوت او الأخلاق او التشريع المدني والتنظيم الإداري والفن الحربي . والبشري والترغيب بالجزاء او الانذار والتهديد بالنكال . او الحجج والأمثال . او تذكرة المواعظ والعبر . وجرى من ذلك في الميادين الشريفة بأحسن اسلوب واقوم منهج وبلغ في جميع ذلك أكرم الغايات وأعلاها في الرقي وهو يكرر بحسب الحكمة كثيراً من قصصه ومقاصده وفي جميع ذلك لم تشه زلة اختلاف ولا عثرة تناقض ولا وهن اضطراب ولا ستوط حجة ولا فساد مضمون ولا سخافة بيان . وها هو بارز في جميع العالم لكل من يريد الهدى والفحص والتدبر ينادي بابهة الافتخار وجمال السداد وشوكة الاستظهار « إن هذا القرآن يهدي التي هي اقوم » (١) أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله

لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً» (١) منتشر في ابوابه ومقاصده . فهل يمكن في العادة أن يكون كل هذا من بشر قد ذكرنا لك عصره ونشأته وتربيته وبلاده وقومه وجهلهم الوحشي الوثني ولك العبرة بكتب المهدين وهي التي منذ قرون عديدة يصفق لاستحسانها أكثر العالم المفتخر بالعلم والتمدن وينسبونها بكل الاحتفال الى كرامة الوحي — فكم وكم يوجد فيها من الوهن والسقوط والاختلاف والتناقض وقد ذكر شيء من ذلك في كتب اظهار الحق والهدى . والرحلة المدرسية . واعتبر ايضا بأن كل واحد من الأنجيل لا يزيد على صحيفة اسبوعية وقد كثر فيها الخبط والتناقض والاختلاف الى حد مهول مدهش وقد ذكر شيء منه في الجزء الاول من كتاب الهدى صفحة ١٩٦ — ٢٣٤ وايضا ان الأنجيل وكتب العهد الجديد مؤسسة على ان كتب المهدين الرائجة هي كتب وحي إلهي صحيحة . إذن فاعتبر بأنه كم وقع الاختلاف والتناقض بين الأنجيل والعهد الجديد وبين العهد القديم وقد ذكر شيء مما ذكرنا في الجزء الأول من الرحلة المدرسية صفحة ١٣٢ — ١٨٤

عجازه في وجهة التشريع العادل ونظام المدنية

قدّر رسول الله (ص) بشراً عادياً في مثل ما ذكرناه مراراً في عصره ونشأته وتربيته وبلاده وقومه وجهلهم وعاداتهم الوحشية . ثم انظر هل يمكن في العادة لمثل هذا البشر إذا لم يكن موحى اليه ان يأتي من عنده ومن بشريته بمثل ما أتى به في القرآن الكريم من الشريعة الحقوقية العادلة والقوانين القيمة والأنظمة المعقولة الجارية بأجمعها على ما هو الصالح للبشر في المدنية والاجتماع والسياسة والحرب ومقدماتها ونتائجها . وجرت في عنايتها بالاصلاح من ادارة جميع العالم الى الإدارة العائلية والبيتية والزوجية بل وإلى شؤون الكاتب والشاهد كما في سورة البقرة آية ٢٨٢ فمنعت فيها من حضارة الكاتب والشاهد ونهت عن ان يحمل من أجل الكتابة والشهادة وادائها ضرر المشقة والعناء وتضييع وقت أكثر من الوقت الطبيعي لمحض الاداء . وفي ذلك عبرة لأولي الألباب . واليك فانظر ما في القرآن الكريم من الشرائع والقوانين العامة والخاصة واعتبر بكرامتها ومجدها في التشريع الفائق والاصلاح الحميد . ولا تحتاج معرفة مجدها وكرامتها الى المقايسة والاعتبار بشرائع قطره وقومه تلك الشرائع الجائرة الوحشية الوثنية . نعم تزداد بصيرة إذا نظرت إلى شرائع التوراة الرائجة التي يعتبرها اليهود

والنصارى في احيائهم في اكثر من خمسة وعشرين قرناً ويمدون كتاب وحي إلهي مقدس فانظر فيما فيها من شريعة تقديس هارون وبنيه وتفصيل ثيابهم وأوضاعها . وشريعة امرأة الأخ الميت . وتفليتها وولدها البكر من الأخ الثاني . وشريعة من ادعى زوجها انه لم يجد لها عذرة . وشريعة قتل الأطفال والنساء من البلاد المفتوحة بالحرب فإنك تعرف ان هذه الشرائع لا تكون إلا من بشر سخيف قاسٍ وتزداد بصيرة بمجد القرآن الشريف في تشريعه وإنه لا يكون الا من وحي إلهي وقد اشير الى شيء مما ذكرنا في أواخر الجزء الثاني من كتاب الهدى صفحة ٢٨٠ - ٢٩٢ والجزء الأول من الرحلة المدرسية صفحة ٢٩ و٧٩ - ٨٢ وانظر إلى العهد الجديد والغائه لنظام المدنية والأخذ أمام الظلم والعدوان بحيث ترك العالم بلا نظام رادع ولا شريعة تأديب عادلة فإنك تزداد بصيرة بأن المتقول على الوحي في أمر التشريع لا بد له من ان يسقط سقطته تشوه التاريخ وتأن منها الحقائق جزعاً . فاعرف اذن اعجاز القرآن في تشريعه الممتاز بفضيلة الوحي الإلهي

﴿ اعجازه من وجهة الأخلاق ﴾

وإذا نظرت إلى ظلمات العصر والقطر والثرية وشيوع الجهل في الأمة وسوء الأعمال وعدم الدراسة في العلم أو التخرج في الفضيلة على الحكماء الصالحين فإنك ترى هذه الأمور لها اثر كبير في الجهل بالأخلاق الفاضلة والانحراف عن جادتها والخطب في معرفتها وتمييز حدودها . فلا ترد البشر إلى الاستقامة في ذلك تكلفات الفكر المحاط بالجهل العام والجلل المظلم والقطر الوبيء من نزغات الأهواء . ولئن حاول الرجل المرید للصالح حينئذ شيئاً من تهذيب الاخلاق لم يهتد السبيل في قوله وعمله إلا إلى شيء يشير اليه التداول بين جملة من الناس ولئن تكلف المتفلسف شيئاً من التعليم بالأخلاق خبط فيها خبطاً غلب فيه الجهل والزلل وتتابعت فيه العثرات

ومن بين تلك الظلمات المذكورة بزغ القرآن الكريم بأنواره وأتى بما لا تسمح به العادة بأن يأتي به في تلك الظلمات بشر من عند نفسه وتقولاً على الوحي فجاء في اجماله وتفصيله مستقصياً للأخلاق الفاضلة على حدودها بالحث على التزين بها بما توجبه الحكمة من البهث والترغيب . ومحسباً للأخلاق الرذيلة بالزجر عن التلوث بها بما يوجب الإصلاح من الارهاب والتنفير . واقام لذلك في العالم اشرف مدرسة زاهرة واعلا فلسفة مرشدة وابلغ خطابة واعظة

واليك بعضا من جوامعه في ذلك كقوله تعالى في سورة النحل: ٩٢ «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر يحفظكم لعلمكم تذكرون». ومن سورة الفرقان ما في الآية الرابعة والستين الى الخامسة والسبعين. ومن سورة المعارج ما في الآية الثالثة والعشرين الى الثالثة والثلاثين. ومن سورة الحجرات ما في الآية العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة. وغير ذلك مما لا يكاد أن تخلو منه سورة او يتخطاه تعليم او يحابي به قوم دون قوم او يتجاوز بالا فراط الى التفريط والاخلال بنظام المدنية وراحة الاجتماع ولك العبرة بأن التوراة الرائجة فيها وشل من تعاليم التوراة الحقيقية ولكن لأنها تلفيق واختلاق بشري كدثرت ما فيها من ذلك الوشل وذهبت بصفاء التعليم الإلهي. فأمرت بني اسرائيل بالحكم بالعدل لقريبهم ونهت عن الحقد على ابناء شعبهم وعن السعي بالوشاية وعن شهادة الزور على قريبهم وأن يغدر احدهم بصاحبه. ويا للأسف على شرف هذا الأمر والنهي إذ شوّهت جماله بتخصيص تعليمها لبني اسرائيل وبتخصيص الأمور به والمنهي عنه بالقرب والشعب والصاحب

ولك العبرة ايضا بأن الأناجيل الرائجة قد افراطت بتصوفها البارد فنهت عن ردع الظالمين بالانتصاف من الظالم وقطع مادة الفساد بالحدود الشرعية ودفاع الظالمين بل علمت بأن من لطمك على خدك الأيمن فأدر له الآخر ايضا ومن اراد أن يخاصمك يأخذ ثوبك فاترك له الرداء ايضا ومن اخذ الذي لك فلا تطالبه

فلوئث بافراطها البشري قدس تعاليم المسيح المتلقاة من الوحي الإلهي

❦ اعجازه في وجهة علم الغيب ❦

وقد تكرر في القرآن معجزه في اخباره بالغيب اخبارا يقتضي التكهّن والفراصة خلافا من حيث النظر الى الحال الحاضر وطغيان الشرك وضعف الدعوة الإسلامية وما يجري من النكال والتشريد والجفاء على ملبيها. فمن ذلك قوله في سورة الحجر المكية في الأمر لرسول الله (ص) بالاعلان بالدعوة والبشرى بنجاحها وارغام معانديها ومعارضتها وكان ذلك عند طغيان الشرك واستفحال وهيجان المشركين على رسول الله «٩٤ فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين : ٩٥ انا كفيناك المستهزئين : ٩٦ الذين يمجّلون مع الله آلها آخر فسوف يعلمون» وقد كفاه الله اشرف كفاية لم تكن تعلق بها الآمال بحسب العادة . وقد بان للمشركين وعلموا

ما في قوله تعالى في آخر الآية فسوف يعلمون . وقوله في سورة الصف المكية في الحال الذي وصفناه من طغيان الشرك والمشركين « ٩ هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » فأظهره على الدين أعز اظهر ارغمت به آناف المشركين . ومن الاخبار بالغيب قوله تعالى في سورة الروم « غلبت الروم » في ادنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلون ٣ في بضع سنين » فغلبت الروم فارس ودخلت مملكتها قبل مضي عشر سنين وقوله تعالى في سورة تبت في شأن ابي لهب وامراته « سيصلى نارا ذات لهب وامراته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد » وهو اخبار بأنها يموتان على الكفر ولا يحظيان بسعادة الاسلام الذي يكفر عنهما آثام الشرك ويحط اوزاره فماتتا على الكفر كما اخبر به اخبارا حتميا ولك العبرة في ذلك بأن انجيل متى ذكر اخباراً واحداً غيبياً للمسيح وهوانه يبقى مدفونا في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ . ولكن ما برح انجيل متى أن كذب في أواخره هذا الاخبار فوافق الانجيل الثلاثة الأخر على ان المسيح في مساء ليلة السبت . طلب بعض الناس جثته من بيلاطس فأنزلها عن الصليب وكفنها ودفنها وقبل الفجر من يوم الأحد قام المسيح من الموت وخرج عن قبره . وعلى ذلك لا يكون المسيح بقي في القبر الا ليلة السبت ونهاره وليلة الأحد وذلك نهار وليلتان

هذا وإني عند مقايستي للقرآن الكريم بما ينسب إلى الوحي الإلهي من كتب الأمم المندنية ومنهم البراهمة والبوذيون وغيرهم لم يحضر عندي الا كتب المهدين فلا ينبغي ان يجعل مقايستي بها تحاملا على خصوص اليهود والنصارى . ولي العذر في ذلك فإنه لا يصح للإنسان ان تأخذه في خدمة الحق وابطاح الحقيقة وتأيدها لومة لائم او يصدده عدل عاذل . فإن خدمة الحق نصرة للبشر جميعا والله المستعان

هذا شيء قليل من البيان في الوجاهات المذكورة إذ لا يسع هذا المختصر اكثر من ذلك . وهب ان الوسواس تنفع على الحقائق وتغالط الاذهان بواهيات الشكوك في الاعجاز ببعض آحادها ولكن هل يمكن ذلك بالنظر إلى مجموعها . وهل يسوغ لذي الشعور ان يحتاج في ذهنه الشك في اعجاز الكتاب الجامع بفضيلته لهذه الكرامات الباهرة وخروجه عن طوق البشر مطلقا وخصوصاً في ذلك العصر وتلك الأحوال وهل يسمح عقله الا بأن يقول (ان هو الا وحي يوحى)

﴿ الفصل الثاني في جمعه في مصحف واحد ﴾

لم ينزل القرآن الكريم بحسب حكمة الوحي والتشريع والمصالح والمتنصيات المنجددة آنآ فآنآ يتدرج في نزوله نجوما (١) الآية والآيتان والأكثر والسورة . وكأما نزل شيء هفت اليه قلوب المسلمين وانشرت له صدورهم وهبوا الى حفظه بأحسن الرغبة والشوق وأكمل الاقبال وأشد الارتياح . فتلقوه بالابتهاج وتلقوه بالاغتنام من تلاوة الرسول العظيم الصادع بأمر الله والمسارع إلى التبليغ والدعوة إلى الله وقرآنه . وتناوله حفظهم بما امتازت به العرب وعرفوا به من قوة الحافظة الفطرية واثبتوه في قلوبهم كالنقش في الحجر . وكان شعارالإسلام وسمه المسلم حينئذ هو التجميل والتكمل بحفظ ما ينزل من القرآن الكريم . لكي يتبصر بحججه وينور بمعارفه وشرائمه وأخلاقه الفاضلة وتاريخه المجيد وحكمته الباهرة وأدبه العربي الفائق المعجز . فاتخذ المسلمون تلاوته لهم حجة الدعوة . ومعجز البلاغة . ولسان العبادة لله . ولهجة ذكره . وترجمان مناجاته . وانيس الخلوة . وترويح النفس . ودرسا للكمال . وتقربنا في التهذيب . وسعلا للترقي . وتدربا في التمدن . وآية الموعظة . وشعارالإسلام . ووسام الإيمان والتقدم في الفضيلة . واستمر المسلمون على ذلك حتى صاروا في زمان الرسول يعدون بالآلوف وعشراتا ومئاتها . وكلهم من حملة القرآن وحفاظه (٢) وإن تفاوتوا في ذلك بحسب

(١) ولا بد من أن تكون كتب الوحي والدعوة والتشريع جارية في كمالها على منهاج هذه الحكمة . وما يشير إلى ذلك ان التوراة الرائجة تذكر ان نزول التوراة على موسى عليه السلام كان من زمان تكليمه من الشجرة متدرجا بحسب الأزمان والحوادث والتاريخ والحكم في التشريع إلى حين وفاته بعد التيه عند عبر الأردن ومتراخيا في أكثر من أربعين سنة . فانظر في شرح هذا المجلد إلى المقدمة الثانية من الجزء الأول من كتاب الهدى صحيفة ٩ إلى ١٢

(٢) اخرج ابن سعد وابن عساكر عن محمد بن كعب القرظي قال جمع القرآن اي حفظا في زمان النبي (ص) خمسة من الانصار معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وابي بن كعب وابو ايوب الانصاري وابو الدرداء . واخرج ابن سعد ويعقوب بن سفيان والطبراني وابن عساكر عن الشعبي قال جمع القرآن على عهد رسول الله (ص) ستة من الانصار ابي بن كعب وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل وابو الدرداء وسعد بن عبيد وابوزيد وكان مجمع ابن جارية قد أخذه كله إلا سورتين أو ثلاثة . واخرج ابن عساكر عن محمد بن كعب القرظي قال كان ممن ختم القرآن ورسول الله (ص) عثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب وعبد الله بن مسعود . واخرج عن انس قرأ القرآن على عهد رسول الله (ص) معاذ بن ابي وسعد وابوزيد . واخرج الحاكم في الصحيح على شرط البخاري ومسلم عن زيد بن ثابت قال كنا عند رسول الله (ص) نؤلف القرآن من الرقاق . وفي رواية حول رسول الله (ص) نؤلف القرآن « فانظر إلى كثرة العمال ومنخبه اقلا » ولم اذكر هذه الروايات اعتجاجا بها للحقيقة المعلومة ولكن لتجبه بالمعارضة بعض الروايات الشاذة الواردة في خلاف ما ذكرناه من حفظ المسلمين في عصر النبي وبعده للقرآن الكريم

(١) وما يشهد لما ذكرناه ما عن أبي عبيد في فضائله وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه مستداعن عمر بن عامر الأنصاري أن عمر بن الخطاب قرأ « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوم باحسان » فرفع الأنصار ولم يدخل واو الطف على « الذين » فقال له زيد بن ثابت « والذين اتبعوم باحسان » فقال عمر « الذين اتبعوم باحسان » فقال زيد أمير المؤمنين اعلم فقال عمر ابنتوني بأبي بن كعب فسأله عن ذلك فقال « والذين اتبعوم باحسان » فجعل كل واحد منهما يشير إلى أنف صاحبه بأصبعه فقال أبي والله اقرأنيها رسول الله (ص) وانت تتبع الخط فقال عمر فنعم إذن فنعم إذن . وأخرج أبو عبيد في فضائله وسنيد وابن جرير وأبو الشيخ عن محمد بن كعب القرظي . وأخرج أبو الشيخ في تفسيره والحاكم في المستدرک مصححا على شرط البخاري ومسلم عن أسامة ومحمد بن إبراهيم التيمي أنه جرى بين عمر وأبي بن كعب في هذه الآية نحو ذلك فانظر في كثر الأعمال ومنهجي

(٢) نعم من المعلوم عند الشيعة ان عليا امير المؤمنين (ع) بعد وفاة رسول الله (ص) لم يرتد برداء
إلا للصلاة حتى جمع القرآن على ترتيب نزوله وتقدم منسوخه على ناسخه . واخرج ابن سعد وابن عسك
البر في الاستيعاب عن محمد بن سيرين قال نبئت ان عليا ابطأ عن بيعة ابي بكر فقال اكرهت امارتي فقال
آليت يميني ان لا ارتدي برداء إلا للصلاة حتى اجمع القرآن قال فزعموا انه كتبه على تنزيله قال محمد
فلما أصبت ذلك الكتاب كان فيه علم قال ابن عوف فسألت عكرمة عن ذلك الكتاب فلم يعرفه

من الوهن . وما الصقته بكرامة القرآن مما ليس له شبه به واستمع من ذلك لأمر

❦ اضطراب الروايات في جمع القرآن ❦

(الأمر الأول) جاء فيها ان ابا بكر هو الذي أدى رأيه أولاً الى جمع القرآن وهو الذي طلب من زيد بن ثابت جمعه فنقل ذلك عليه فلم يزل ابو بكر يراجعهم حتى قبل . وجاء فيها ايضا ان زيدا هو الذي أدى رأيه أولاً الى جمع القرآن وعزم عليه وكلم في ذلك عمر فكلّم فيه عمر ابا بكر فاستشار ابو بكر في ذلك المسلمين . وجاء فيها ايضا ان ابا بكر هو الذي جمع القرآن . وجاء فيها ان عمر قتل ولم يجمع القرآن . وجاء فيها ان عثمان هو الذي جمع القرآن في ايامه بأمره . وجاء فيها ان عمر هو الذي أمر زيد بن ثابت وسعيد بن العاص لما أراد جمع القرآن أن يمي زيد ويكتب سعيد . وجاء فيها ان ذلك كان من عثمان في ايامه وبعد قتل عمر . وجاء في ذلك ايضا ان الذي يمي ابي بن كعب وزيد يكتبه وسعيد يعربه . وفي رواية أخرى ان سعيداً وعبد الله بن الحارث يعربانه : هذا بعض حال هذه الروايات في تعارضها واضطراباتها ، ومن جملة ما جاء فيها ما مضمونه ان براءة آخر ما نزل من القرآن فما ترى لهذه الرواية من القيمة التاريخية . فانظر الى الجزء الأول من كنز العمال ومنخبة اقلا

❦ بعض ما الصق بكرامة القرآن الكريم ❦

(الثاني) في الجزء الخامس من مسند احمد عن أبي بن كعب قال ان رسول الله (ص) قال ان الله أمرني ان اقرأ عليك القرآن قال فقرأ « لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب » فقرأ فيها « لو ان ابن آدم سأل وادياً من مال فاعطيه لسأل ثانياً فلو سأل ثانياً فاعطيه لسأل ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويَتُوبُ الله على من تاب وان ذلك الدين القيم عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ومن يعمل خيراً فلن يكفره » . وفي رواية الحاكم في المستدرک ورواية غيره ايضا « ان ذات الدين عند الله الحنيفية لا المشركة » وفي رواية « غير المشركة » الى آخره وعن جامع الأصول لابن الأثير الجزري « ان الدين عند الله الحنيفية المسلمة لا اليهودية ولا النصرانية ولا المجوسية » وذكر في المسند ايضا بعد هذه الرواية عن أبي قال قال لي رسول الله (ص) ان الله أمرني ان اقرأ عليك فقرأ علي « لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركون منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا

مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جائتهم البينة إن الدين عند الله الحنيفية لا المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ومن يفعل خيرا فلن يكفره» قال شعبة ثم قرأ آيات بعدها ثم قرأ «لو أن لابن آدم واديين من مال لستل واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب» . قال ثم ختمها بما بقي منها انتهى . وهذه الروايات رواها أيضا ابو داود الطيالسي وسعيد بن منصور في سننه والحاكم في مستدركه كما في كنز العمال . وذكر في المسند أيضا عن ابي واقد الليثي قال كنا نأتي النبي (ص) إذا انزل عليه فيحدثنا فقال لنا ذات يوم ان الله عز وجل قال «إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد لأحب أن يكون له ثان ولو كان له واديان لأحب أن يكون لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ثم يتوب الله على من تاب انتهى . هب ان المعرفة والصدق لا يطالبان المحدثين «ولا تقول القصاص» ولا يستلناهم عن هذا الاضطراب الفاحش فيما يزعمون انه من القرآن ولا يسألناهم عن التمييز بين بلاغة القرآن وعلو شأنه فيها وبين انحطاط هذه الفقرات . ولكن أليس للمعرفة أن تسألهم عن الغلط في قولهم «لا المشركة» فهل يوصف الدين بأنه مشركة . وفي قولهم «الحنيفية المسلمة» وهل يوصف الدين او الحنيفية بأنه مسلمة وقولهم «ان ذات الدين» وفي قولهم «إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة» ما معنى انزال المال . وما معنى كونه لإقام الصلاة . هذا واستمع لما يأتي في الجزء السادس من مسند احمد مسندا عن مسروق قال قلت لعائشة هل كان رسول الله يقول شيئا إذا دخل البيت قالت كان إذا دخل البيت تمثل لو كان لابن آدم واديان من مال لابتنى واديا ثالثا ولا يملأ فمه إلا التراب وما جعلنا المال إلا لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ويثوب الله على من تاب . وفي الجزء السادس في اسناده عن جابر قال قال رسول الله (ص) لو أن لابن آدم واديا من مال لتمنى واديين ولو أن له واديين لتمنى ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب . وباسناده أيضا قال سئل جابر هل قال رسول الله لو كان لابن آدم واد من نخل تمنى مثله حتى يتمنى أودية ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب انتهى . وهل تجد من الغريب او الممتنع في العادة ان يكون لابن آدم واد من مال أو من نخل . او ليس في بني آدم في كل زمان من ملك واديا من ذلك بل واديان . اذن فكيف يصح في الكلام المستقيم أن يقال لو كان لابن آدم . لو أن لابن آدم . او لبست لولا الامتناع . بالهعجب من الرواة لهذه الروايات ألم يكونوا عربا أولهم المام باللغة العربية . نعم يرتفع هذا الاعتراض

بما رواه أحمد في مسند ابن عباس لو كان لابن آدم واديان من ذهب وكذا ما يأتي من رواية الترمذي عن أنس . وايضا إن تمنى الوادي والوادين والثلاث ليس بذنب يحتاج إلى التوبة إذن فما هو وجه المناسبة بتعقيب ذلك بجملة « ويتوب الله على من تاب » وإن شئت أن تستزيد مما في هذه الرواية من التدافع والاضطراب فاستمع إلى ما رواه الحاكم في المستدرک ان ابا موسى الأشعري قال كنا نقرأ سورة نשבها بالطول والشدة براءة فأنسيتها غير أني حفظت منها لو كان لابن آدم واديان من مال لا يتغى ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب . وذكر في الدر المنثور انه أخرجه جماعة عن ابي موسى . وأضف إلى ذلك في التدافع والتناقض ما اسنده في الاتقان عن ابي موسى ايضا قال نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها ان الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ولو ان لابن آدم واديان لتمنى إلى آخره . واسند الترمذي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص) لو كان لابن آدم واديان من ذهب لأحب أن يكون له ثمان ولا يملأ فاه إلا التراب ويتوب الله على من تاب . وها أنت ترى روايات عائشة وجابر وأنس وابن عباس تجعل حديث الوادي والوادين من قول رسول الله وتمثله . فهي بسوقها تنفي كونه من القرآن الكريم . ومع ذلك فقد نسبت إلى كلام الرسول (ص) ما يأتي فيه بعض من الاعتراضات المتقدمة مما يجب أن ينزه عنه ودع عنك الاضطراب الذي يدع الرواية مهزلة

(الأمر الثالث) . وما الصقوه بكرامة القرآن المجيد قولهم في الرواية عن زيد بن ثابت كنا نقرأ آية الرجم « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة » وفي الرواية عن ذر عن أبي أن سورة الأحزاب كانت تضاهي سورة البقرة او هي أطول منها وإن فيها أو في أواخرها آية الرجم وهي « الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم » وفي رواية السيارية من الشيعة عن أبي عبد الله بزيادة قوله بما قضيا من الشهوة . وفي رواية الموطأ والمستدرک ومسدد وابن سعد عن عمر كما سيأتي « الشيخ والشيخة فارجموهما البتة » وفي رواية أبي امامة ابن سهل ان خالته قالت لقد أقرنا رسول الله (ص) آية الرجم « الشيخ والشيخة فارجموهما البتة بما قضيا من اللذة » ونحو ذلك رواية سعد بن عبد الله وسليمان بن خالد من الشيعة عن أبي عبد الله (ع) . ويا للعجب كيف رضي هؤلاء المحدثون لمجد القرآن وكرامته ان يلقي هذا الحكم الشديد على الشيخ والشيخة بدون ان يذكر السبب وهو زناهما اقلاً فضلاً عن شرط

الاحصان . وان قضاء الشهوة أعم من الجماع والجماع أعم من الزنا والزنا يكون كثيراً مع عدم الاحصان . سألنا من يزعم ان قضاء الشهوة كناية عن الزنا بل زد عليه كونه مع الاحصان ولكننا نقول ماوجه دخول الفاء في قوله « فارجموها » وليس هناك ما يصحح دخوله من شرط أو نحوه لا ظاهر ولا على وجه يصح تقديره وإنما دخلت الفاء على الخبر في قوله تعالى في سورة النور « والزانية والزاني فاجلدوا » لأن كلمة اجدلوا بمنزلة الجزاء لصفة الزنا في المبتدأ . والزنا بمنزلة الشرط . وليس الرجم جزاء للشيخوخة ولا الشيخوخة سبب له . نعم الوجه في دخول الفاء هو الدلالة على كذب الرواية . ولعل في رواية سليمان بن خالد سقطاً بأن تكون صورة سؤاله هل يقولون في القرآن رجم . وكيف يرضى لمجده وكرامته في هذا الحكم الشديد ان يقيد الأمر بالشيخ والشيخة مع اجاع الأمة على عمومها لكل زان محصن بالغ الرشد من ذكر أو أنثى . وان يطلق الحكم بالرجم مع اجماع الأمة على اشتراط الاحصان فيه . وفوق ذلك يؤكّد الاطلائق ويجعله كالنص على العموم بواسطة التعليل بقضاء اللذة والشهوة الذي يشترك فيه المحصن وغير المحصن . فتبصر بما سمعته من التدافع والتهاوت والخلل في رواية هذه المهرلة . واضف إلى ذلك ما رواه في الموطأ والمستدرک ومسدد وابن سعد من ان عمر قال قبل موته بأقل من عشرين يوماً فيما يزعمونه من آية الرجم لولا ان يقول الناس زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله لكتبها « الشيخ والشيخة فارجمهما البتة » واخرج الحاكم وابن جرير وصححه ايضاً ان عمر قال لما نزلت آيت رسول الله (ص) فقلت اكتبها « وفي نسخة كنز العمال » اكتبنيها فكأنه كره ذلك . وقال عمر ألا ترى ان الشيخ إذا زنى ولم يحصن جلد وان الشاب إذا زنا وقد احصن رجم . فالمحدثون يروون ان عمر يذكر ان رسول الله كره ان تكتب آية منزلة وعمر يذكر وجه الخلل فيها . فيا للعجب منهم . وفي الاتفاق اخرج النسائي ان مروان قال لزيد بن ثابت ألا تكتبها في المصحف قال ألا ترى ان الشابين الثيين يرجان وقد ذكرنا ذلك لعمر فقال أنا اكتبها يا رسول الله اكتب لي آية الرجم قال لا تستطيع انتهى . فزيد بن ثابت يعترض عليها . ولما رأوا التدافع بين قول عمر اكتبها لي وبين قول النبي لا تستطيع قالوا أراد عمر بقوله ذلك اذن لي بكتابتها وكانهم لا يعلمون ان عمر عربي لا يعبر عن قوله اذن لي بكتابتها بقوله اكتبها لي ومع ذلك لم يستطيعوا ان يذكروا وجهها مقبولا لقوله (ص) لا تستطيع . وفي رواية في كنز العمال عن ابن الضريس عن عمر قلت لرسول الله اكتبها يا رسول

الله قال لا استطيع . واخرج ابن الضريس عن زهد بن اسلم ان عمر خطب الناس فقال لا تشكوا في الرجم فإنه حق ولقد هممت ان اكتبه في المصحف فسألت ابي بن كعب فقال اليس اتبني وانا استقرئها رسول الله فدفت في صدري وقلت كيف يستقرئ آية الرجم وهم يتسافدون تسافد الحمر انتهى . فهذه الرواية تقول ان عمر لم يرض بانزال شي في الرجم . وليت المحدثون يفسرون حاصل الجواب من ابي لعمر وحاصل منع عمر لابي عن استقرائها ، واخرج الثرمذي عن سعد بن المسيب عن عمر قال رجم رسول الله (ص) ورجم ابو بكر ورجعت ولولا اني اكره ان ازهد في كتاب الله لكنته في المصحف . نعم يقول ان كتابة الرجم في المصحف زهادة في كتاب الله وهو يكرهها — فقابل هذه الروايات الأربعة احداهن بالأخرى واعرف ماجناه المولعون بكثرة الرواية من المحدثين . وإذا نظرت إلى الجزء الثالث من كنز العمال صحيفة : ٩٠ و ٩١ فانك تزداد بصيرة في الاضطراب والخلل

هذا وما يصادم هذه الروايات ويكافحها ماروي من أن علياً (ع) لما جلد شراحة الهمدانية يوم الخميس ورجعها يوم الجمعة قال اجلدها بكتاب الله وارجمها بسنة رسونه كما رواه احمد والبخاري والنسائي وعبد الرزاق في الجامع والطحاوي والحاكم في مستدركه وغيرهم . ورواه الشيعة عن علي (ع) مرسلأ فعلي (ع) يشهد بأن الرجم من السنة لا من الكتاب

الأمـر الرابع

مما الصقوه بكرامة القرآن المجيد ما رواه في الاتقان والدر المشور انه اخرج الطبراني والبيهقي وابن الضريس ان من القرآن سورتين «وقد سماها الراغب في المحاضرات سورتي القنوت» ونسبوهما الى تعليم علي (ع) وقنوت عمر ومصحفي ابن عباس وزيد بن ثابت وقراءة أبي وابي موسى (والأولى منهما) بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك الخير ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك انتهى . لا نقول لهذا الراوي ان هذا الكلام لا يشبه بلاغة القرآن ولا سوقه فانا نسامحه في معرفة ذلك ولكننا نقول له كيف يصح قوله يفجرك وكيف تعدى كلمة يفجر وايضا ان الخلع يناسب الأوثان إذن فماذا يكون المعنى وبماذا يرتفع الفاظ (والثانية منها) بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك الجذ ان عذابك بالكافرين ملحق انتهى ولنسامح الراوي ايضا فيما ساعناه فيه في الرواية الأولى

ولكننا نقول له ما معنى الجدة هنا أهو العظمة او الغنى او ضد الهزل او هو حاجة السجع نعم في رواية عبيد نخشى نعمتك وفي رواية عبد الله نخشى عذابك وما هي النكتة في التعبير بقوله ملحق . وما هو وجه المناسبة وصحة التعليل لخوف المؤمن من عذاب الله بأن عذاب الله بالكافرين ملحق بل ان هذه العبارة تناسب التعليل لأن لا يخاف المؤمن من عذاب الله لأن عذابه بالكافرين ملحق

❦ الأمر الخامس ❦

ومما الصقوه بالقرآن المجيد ما نقله في فصل الخطاب عن كتاب دبستان المذاهب انه نسب الى الشيعة انهم يقولون ان احراق المصاحف سبب اتلاف سور من القرآن نزلت في فضل علي (ع) واهل بيته (ع) «منها» هذه السورة وذكر كلاما يضاهاى خمسا وعشرين آية في الفواصل قد لفق من فقرات القرآن الكريم على اسلوب آياته . فاسمع ما في ذلك من الغلط فضلا عن ركافة اسلوبه الملقق فمن الغلط « واصطفى من الملائكة وجمل من المؤمنين أو لك في خلقه » ماذا اصطفى من الملائكة وماذا جمل من المؤمنين وما معنى أو لك في خلقه . ومنه « مثل الذين يوفون بعدك اني جزيتهم جنات النعيم » ليت شعري ما هو مثلهم . ومنه « ولقد ارسلنا موسى وهارون بما استخلف فبقوا هارون فصبر جميل » ما معنى هذه الدمدمة وما معنى بما استخلف وما معنى فبقوا هارون ولمن يعود الضمير في بقوا ولمن الأمر بالصبر الجميل . ومن ذلك « ولقد اتينا بك الحكم كالذي من قبلك من المرسلين وجعلنا لك منهم وصيا لعلمهم يرجعون » ما معنى اتينا بك الحكم ولمن يرجع الضمير الذي في منهم ولعلمهم . هل المرجع للضمير هو في قلب الشاعر . وما هو وجه المناسبة في لعلمهم يرجعون . ومن ذلك « وان عليا قانت في الليل ساجد يحذر الآخرة ويرجو ثواب ربه قل هل يستوي الذين ظلموا وهم بعداي يعلمون » قل ما محل قوله هل يستوي الذين ظلموا وما هي المناسبة له في قوله وهم بعداي يعلمون . ولعل هذا الملقق لخنلج في ذهنه الآيتان الحادية عشرة والثانية عشرة من سورة الزمر وفي آخرها « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » فأراد الملقق أن يلفق منهما شيئا بعدم معرفته فقال في آخر ما لفق هل يستوي الذين ظلموا ولم يفهم انه جيء بالاستفهام الانكاري في الآيتين لأنه ذكر فيهما الذي جعل الله اندادا ليضل عن سبيله والقانت آناء الليل يرجو رحمة ربه فهما لا يستويان ولا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون . هذا بعض الكلام في هذه المهزلة .

وان صاحب فصل الخطاب من المحدثين المكثرين المجدين في التبع للشواذ وانه ليعدّ امثال هذا المنقول في دبستان المذاهب ضالته المنشودة ومع ذلك قال انه لم يجد لهذا المنقول أثر في كتب الشيعة . فيا للعجب من صاحب دبستان المذاهب من اين جاء بنسبة هذه الدعوة إلى الشيعة . وفي أي كتاب لهم وجدها أفهكذا يكون النقل في الكتب ولكن لا عجب (شنشنة أعرفها من أخزم) فكم نقلوا عن الشيعة مثل هذا النقل الكاذب كما في كتاب الملل للشهرستاني ومقدمة ابن خلدون وغير ذلك مما كتبه بعض الناس في هذه السنين والله المستعان

﴿ قول الإمامية بعدم النقيصة في القرآن ﴾

ولا يخفى ان شيخ المحدثين والمعروف بالاعتناء بما يروى وهو الصدوق طاب ثراه قال في كتاب الاعتقاد . اعتقادنا ان القرآن الذي انزله الله على نبيه (ص) هو ما بين الدفتين وليس بأكثر من ذلك ومن نسب اليانا نقول انه اكثر من ذلك فهو كاذب انتهى . وحمل الروايات الواردة في النقصان على وجوه آخر . وفي أواخر فصل الخطاب من كتاب المقالات للشيخ المفيد قدس سره انه قال جماعة من أهل الإمامة انه (أي القرآن) لم ينقص من كلمة ولا من آية ولا من سورة ولكن حذف ما كان مثبتاً في مصحف امير المؤمنين (ع) من تأويله وتفسير معانيه على حقيقة تنزيهه . وعن السيد المرتضى قدس سره قوله بعدم النقيصة وان من خالف في ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتد بخلافهم فإن الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من اصحاب الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها . وفي اول التبيان للشيخ الطوسي (قده) أما الكلام في زيادته ونقصه فما لا يليق به أيضاً لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها . والنقصان فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا وهو الذي نصره المرتضى وهو الظاهر في الروايات غير انه رويت روايات كثيرة من جهة الخاصة والعامة بنقصان كثير من آي القرآن ونقل شيء منه من موضع إلى موضع طريقها الآحاد التي لا توجب علماً ولا عملاً والأولى الاعراض عنها انتهى . وتبعه على ذلك في مجمع البيان وفي كشف الغطاء في كتاب القرآن المبحث الثامن في نقصه لا ريب انه محفوظ من النقصان بحفظ الملك الديان كما دل عليه صريح القرآن واجماع العلماء في كل زمان ولا عبرة بالنادر وما ورد من اخبار النقص تمنع البديهة من العمل بظاهرها إلى ان قال فلا بد من تأويلها بأحد وجوه . وعن السيد القاضي نور الله في كتابه مصائب النواصب ما نسب إلى الشيعة الإمامية من

وقوع التغيير في القرآن ليس مما قال به جمهور الإمامية إنما قال به شرذمة قليلة منهم لا اعتداد بهم فيما بينهم . وعن الشيخ الهائي وايضا اختلفوا في وقوع الزيادة والنقصان فيه والصحيح ان القرآن العظيم محفوظ عن ذلك زيادة كان أو نقصانا وبطل عليه قوله تعالى «واتاله الحافظون» وما اشتهر بين الناس من اسقاط اسم امير المؤمنين عليه السلام منه في بعض المواضع مثل قوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك في علي وغير ذلك فهو غير معتبر عند العلماء . وعن المقدس البغدادي في شرح الوافية وانما الكلام في النقيصة والمعروف بين اصحابنا حتى حكى عليه الاجماع عدم النقيصة ايضا . وعنه ايضا عن الشيخ علي بن عبد العالي انه صنف في نفي النقيصة رسالة مستقلة وذكر كلام الصدوق المتقدم ثم اعترض بما يدل على النقيصة من الأحاديث وأجاب بأن الحديث إذا جاء على خلاف الدليل من الكتاب والسنة الماثورة أو الاجماع ولم يمكن تأويله ولا حمله على بعض الوجوه وجب طرحه . . هذا وان المحدث المعاصر جهد في كتاب فصل الخطاب في جميع الروايات التي استدلت بها على النقيصة وكثر أعداد مسانيدنا بأعداد المراسيل عن الأئمة عليهم السلام في الكتب كراسيل العياشي وقرات وغيرها مع ان المتبع المحقق يجزم بأن هذه المراسيل مأخوذة من تلك المسانيد . وفي جملة ما اورده من الروايات ما لا يتيسر احتمال صدقها . ومنها ما هو مختلف باختلاف يؤل به إلى التناقض والتعارض وهذا المختصر لا يسع بيان النحويين الأخيرين . هذا مع ان القسم الوافر من الروايات ترجع اسانيدنا إلى بضعة انفار وقد وصف علماء الرجال كلاً منهم اما بأنه ضعيف الحديث فاسد المذهب مجفوف الرواية . واما بأنه مضطرب الحديث والمذهب يعرف حديثه وينكر ويروي عن الضعفاء . واما بأنه كذاب متهم لا أستحل ان اروى من تفسيره حديثاً واحداً وانه معروف بالوقف وأشد الناس عداوة لرضا عليه السلام . واما بأنه كان غالباً كذاباً . واما بأنه ضعيف لا يلتفت اليه ولا يعول عليه ومن الكذابين . واما بأنه فاسد الرواية يرمى بالقول . ومن الواضح ان امثال هؤلاء لا تجدي كثيرهم شيئاً . ولو تسامحنا بالاعتناء برواياتهم في مثل هذا المقام الكبير لوجب من دلالة الروايات المتعددة ان ننزلها على ان مضامينها تفسير للآيات أو تأويل أو بيان لما يعلم يقيناً شمول عمومائها له لأنه أظهر الافراد وأحقها بحكم العام . أو ما كان مراداً بخصوصه وبالتص عليه في ضمن العموم عند التنزيل . أو ما كان هو المورد للنزول . أو ما كان هو المراد من اللفظ المبهم . وعلى احد الوجوه الثلاثة الأخيرة يحتمل ماورد

فيها انه تنزيل وانه نزل به جبريل كما يشهد به نفس الجمع بين الروايات . كما يحمل التحريف فيها على تحريف المعنى ويشهد لذلك مكاتبة ابي جعفر عليه السلام لسعد الخير كما في روضة الكافي ففيها وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرفوا حدوده . وكما يحمل ما فيها من انه كان في مصحف امير المؤمنين عليه السلام او ابن مسعود وينزل على انه كان فيه بعنوان التفسير والتأويل . ومما يشهد لذلك قول امير المؤمنين (ع) للزنديق كما في نهج البلاغة وغيره ولقد جئتهم بالكتاب كلاًّ مشتملاً على التنزيل والتأويل . ومما أشرنا اليه من الروايات ان المحدث المعاصر أورد في روايات سورة المعارج اربع روايات ذكرت ان كلمة (بولاية علي) مثبتة في مصحف فاطمة وهكذا هي في مصحف فاطمة (ع) ولا يخفى ان مصحفها عليها السلام انما هو كتاب تحديث بأسرار العلم كما يعرف ذلك من عدة روايات في اصول الكافي في باب الصحيفة والمصحف والجامعة وفيها قول الصادق (ع) ما فيه من قرآنكم حرف واحد . وما زعم ان فيه قرآنا كما في الصحيح والحسن (ومنها) ما في الكافي في باب ان الأئمة عليهم السلام شهداء على الناس في صحيفة بريد عن ابي جعفر (ع) وروايته عن أبي عبد الله (ع) من قولها (ع) في قوله تعالى « وجعلناكم امة وسطا » نحن الأئمة الوسطى . وفي شرحه عن امير المؤمنين عليه السلام ونحن الذين قال الله « وجعلناكم امة وسطا » . اذن فما روي مرسل في تفسيره النعمان وسعد من ان الأئمة « ائمة وسطا » لا بد من حمله على التفسير وان التحريف انما هو للمعنى (ومنها) كما رواه في الكافي في باب ان الأئمة هم الهداة عن الفضل سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله تعالى « ولكل قوم هاد » فقال كل إمام هو هادٍ للقرن الذي هو فيه . ورواية بريد عن ابي جعفر (ع) في قوله تعالى انما انت منذر ولكل قوم هاد فقال رسول الله (ص) المنذر ولكل زمان منا هاد يهديهم إلى ما جاء به النبي (ص) والهداة من بعده علي (ع) ثم الأوصياء واحداً بعد واحد . ونحوها رواية ابي بصير عن ابي عبد الله (ع) ورواية عبد الرحيم القصير عن ابي جعفر عليه السلام ان رسول الله (ص) المنذر وعلي الهادي وبمضمونها جاءت روايات الجمهور مسندة عن طريق ابي هريرة وابي برزة وابن عباس وطريق امير المؤمنين (ع) وصححه الحاكم في مستدركه . واذا احطت خبرا بهذا فهل يروق لك التجاء فصل الخطاب في تليفه وتكثيره إلى النقل عن بعض التفاسير المتأخرة وعن الداماد في حاشية القبسات من قوله ان الأحاديث من طرقنا وطرقهم متضاربة بأنه كان التنزيل انما أنت منذر العباد وعلي

لكل قوم هاد انتهى . هذا الشعر الذي ينشده المداحون ولا يرضى العارف باللغة العربية ان ينسب اليه نظمه ولا اظنك تجد من طرقنا وطرق اهل السنة غير ما سمعته اولاً وهو غير ما نقله فاعتبر (ومنها) رواية الكافي عن ابي حمزة عن ابي جعفر عليه السلام قال قوله عز وجل ربنا ما كنا مشركين يعنون بولاية علي (ع) وهذا صريح في كونه تفسيراً فهي حكمة بيانها على ضعيفتي ابي بصير في ظهورها بأن لفظ « بولاية علي » محذوف من الآية وبسري البيان من رواية ابي حمزة الى أمثال ذلك (ومنها) رواية عمر بن حنظلة عن ابي عبد الله (ع) في قوله تعالى في سورة البقرة متساعاً الى الحول غير اخراج . مخرجات . ولا اظن إلا انك تقول ان الحاق الامام (ع) لكلمة مخرجات إنما هو تفسير للمراد من كلمة . اخراج . لا يان للنقيصة من القرآن الكريم ولكن فصل الخطاب اورد بعنوان البيان للنقيصة فاعتبر (ومنها) صحيحة محمد بن مسلم عن ابي عبد الله (ع) كما في الكافي في اول باب منع الزكاة وفيها ثم قال (ع) هو قول الله عز وجل سيطوون ما بخلوا به يوم القيامة يعني ما بخلوا به من الزكاة فالرواية كالصريحة بأن لفظ « من الزكاة » إنما هو تفسير من الامام لا من القرآن فهي حكمة بيانها على رسالة ابن ابي عمير عن ذكره عن ابي عبد الله (ع) في قول الله عز وجل سيطوون ما بخلوا به . من الزكاة يوم القيامة وصارفة لها عن كونها بياناً للنقيصة . (ومنها) صحيحة ابي بصير عن ابي عبد الله (ع) كما في الكافي في باب نص الله ورسوله على الأئمة واحداً بعد واحد . وفيها : فقلت له ان الناس يقولون فما له لم يسم علياً (ع) وأهل بيته في كتاب الله قال يقولوا لهم ان رسول الله نزلت عليه الصلاة ولم يسم الله لهم ثلاثاً ولا اربعا حتى كان رسول الله (ص) هو الذي فسر لهم ذلك . وكذا قال (ع) في الزكاة والحج . ومقتضى الرواية تصديق الامام (ع) لقول الناس ان الله لم يسم علياً في القرآن وإب التسمية كانت من تفسير رسول الله (ص) في حديث من كنت مولاه وحديث الثقلين . ويشهد لك ما رواه في الكافي ايضاً في هذا الباب بعد ذلك بيسير في صحيحة الفضلاء عن ابي جعفر عليه السلام ورواية ابي الجارود عنه (ع) ايضاً ورواية ابي الديلم عن ابي عبد الله (ع) انها تلاوا في مقام الاحتجاج وعدم التقية قوله تعالى « يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته » ولم يذكر في تلاوة الآية كلمة « في علي » وهذا يدل على ان ما روي في ذكر اسم علي (ع) في هذا المقام بل وفي غيره إنما هو تفسير وبيان للمراد في وحي القرآن بكون التفسير والبيان جاء به

جبرائيل من عند الله بعنوان الوحي المطلق لا القرآن وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى (ومنها) رواية الفضيل عن ابي الحسن الماضي (ع) في باب النكت من التنزيل في الولاية من الكافي قال قلت هذا الذي كنتم به تكذبون قال بعني امير المؤمنين (ع) قلت تنزيل قال (ع) نعم فإنه (ع) ذكر امير المؤمنين (ع) بقوله يعني بعنوان التفسير وبيان المراد والمشار اليه في قوله تعالى هذا فقوله في الجواب «نعم» دليل على ان ما كان مراداً بعينه في وحي القرآن يسمونه عليهم السلام تنزيلاً . فتكون هذه الرواية وأمثالها قاطعة لشبثات فصل الخطاب بما حشده من الروايات التي عرفت حالها اجالاً وإلى ما ذكرناه وغيره يشير ما نقلناه من كلمات العلماء الأعلام قدست اسرارهم . فإن قيل ان هذه الرواية ضعيفة وكذا جملة من الروايات المتقدمة قلنا ان جل ما حشده فصل الخطاب من الروايات هو مثل هذه الرواية واشد منها ضعفاً كما أشرنا اليه في وصف روايتها على ان ما ذكرناه من الصحاح فيه كفاية لأولي الأبواب

— الفصل الثالث في قراءته —

ومن أجل تواتر القرآن الكريم بين عامة المسلمين جيلاً بعد جيل استمرت مادته وصورته وقراءته المتداولة على نحو واحد فلم يؤثر شيئاً على مادته وصورته ما يروى عن بعض الناس من الخلاف في قراءته من القراء السبع المعروفين وغيرهم فلم تسيطر على صورته قراءة احدى اتباعه ولو في بعض النسخ ولم يسيطر عليه ايضاً ما روي من كثرة القراءات المخالفة له مما انتشرت روايته في الكتب كجامع البخاري ومستدرک الحاكم مسندة عن النبي (ص) وعلي (ع) وابن عباس وعمر وأبي وابن مسعود وابن عمر وعائشة وابو الدرداء وابن الزبير وانظر اقلاً الى الجزء الأول من كنز العمال صفحة ٢٨٤ — ٢٨٩ نعم ربما اتبع مصحف عثمان على ما في مجرد رسم الكتابة في بعض المصاحف في كلمات معدودة كزيادة الألف بين الشين والياء من قوله تعالى لشيء من سورة الكهف وزيادتها ايضاً في لا ذبحنه من سورة النمل ونحو ذلك في قليل من الكلمات . وان القراءات السبع فضلاً عن العشر إنما هي في صورة بعض الكلمات لا بزيادة كلمة او نقصها ومع ذلك ما هي الا روايات آحاد عن آحاد لا توجب اطمئناناً ولا وثوقاً . فضلاً عن وهنها بالتعارض ومخالفتها للرسم المتداول المتواتر بين عامة المسلمين في السنين المتطاولة . وان كلا من القراء هو واحد لم تثبت عدالته ولا ثقته يروي عن آحاد حال غالبهم مثل حاله ويروي عنه آحاد مثله . وكثيراً ما يختلفون في الرواية عنه . فكم اختلف حفص وشعبة في الرواية

عن عاصم . وكذا قالون وورش في الرواية عن نافع . وكذا قنبل والبزي في روايتها عن اصحابهما عن ابن كثير . وكذا رواية ابي عمر وابي شعيب في روايتهما عن اليزيدي عن ابي عمر . وكذا رواية ابن ذكوان وهشام عن اصحابهما عن ابن عامر . وكذا رواية خلف وخلاد عن سليم عن حمزة . وكذا رواية ابي عمر وابي الحارث عن الكسائي . مع ان اسانيد هذه القراءات الأحادية لا يتصف واحد منها بالصحة في مصطلح اهل السنة في الاسناد فضلا عن الإمامية كما لا يخفى ذلك على من جاس خلال الديار . فيا للعجب ممن يصف هذه القراءات السبع بأنها متواترة . هذا وكل واحد من هؤلاء القراء يوافق بقراءته في الغالب ما هو المرسوم المتداول بين المسلمين وربما يشذ عنه عاصم في رواية شعبة . اذن فلا يحسن أن يعدل في القراءة عما هو المتداول في الرسم والمعمول عليه بين عامة المسلمين في اجيالهم الى خصوصيات هذه القراءات . مضافا الى اننا معاشر الشيعة الإمامية قد أمرنا بأن نقرأ كما يقرأ الناس أي نوع المسلمين وعامتهم

والعلماء يقول ان غالب القراءات السبع او العشر ناش من سعة اللغة العربية في وضع الكلمة وهيئتها نحو عليهم واليهم ولديهم بكسر الهاء أو ضمها مع سكون الميم أو ضمهما . ونحو تظاهرون بفتح الظاء أو تشديدها . فعلى أي قراءة قرئت اكون قارئاً على العربية . ولكن كيف يخفى عليك ان تلاوة القرآن وقراءته يجب فيها وفي تحققها ان تتبع ما أوحى الى الرسول وخطب به عند نزوله عليه وهو واحد فعليك أن تتحرر بما يثبت به . وليست قراءة القرآن عبارة عن درس معاجم اللغة

ولا تشبث لذلك بما روي من ان القرآن نزل على سبعة احرف فإنه تشبث واهن . اما اولاً فقد قال في الاتقان في المسألة الثانية من النوع السادس عشر اختلاف في معنى السبعة احرف على اربعين قولاً وذكر منها عن ابن حيان خمسة وثلاثين . وما ذاك إلا لو هن روايتها واضطرابها لفظاً ومعنى . وفي الاتقان ايضا في اواخر النوع السادس عشر وقد ظن كثير من العوام ان المراد بها القراءات السبعة وهو جهل قبيح (واما ثانياً) فقد روى الحاكم في مستدركه بسند صحيح على شرط البخاري ومسلم عن ابن مسعود عن النبي (ص) نزل القرآن من سبعة ابواب على سبعة احرف زاجراً وآمراً وحلالاً وحراماً ومحكماً ومتشابهاً وامثالاً فأحلوا حلاله . وروى ابن جرير مرسلًا عن ابي قلابة عن النبي صلى الله عليه وآله انزل القرآن على سبعة

احرف آمر وزاجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل . وروى ابن جرير والسنجري وابن المنذر وابن الأنباري عن ابن عباس عنه (ص) ان القرآن على اربعة احرف حلال وحرام الحديث . واسند السنجري في الابانة . عن علي (ع) انزل القرآن على عشرة احرف بشير ونذير وناسخ ومنسوخ وعظة ومثل ومحكم ومتشابه وحلال وحرام (واما ثالثا) فقد جاء في روايات السبعة احرف بأسانيد جياذ في مصطلحهم ما يعرفك وهنا والحاكما بالخرافة ففي رواية احمد من حديث ابي بكر ان النبي (ص) استزاد من جبرئيل في احرف القراءة حتى بلغ سبعة احرف قال يعني جبرئيل كما شاف كاف ما لم تختتم آية عذاب برحة وآية رحمة بعذاب . وزاد في حديث آخر نحو قولك تعال واقبل وهلم واذهب واسرع واعجل . ونحوه في رواية الطبراني عن ابي بكرة . وفي الاتقان اخرج نحوه احمد والطبراني عن ابن مسعود واخرج ابو داود في سننه عن ابي عن رسول الله (ص) الى قوله حتى بلغ سبعة احرف ثم قال ليس منها الا شاف كاف ان قلت سميعا عليا عزيزا حكيم ما لم تختتم آية عذاب برحة او آية رحمة بعذاب . وفي كنز العمال فيما اخرجه احمد وابن منيع والفساني وابن ابي منصور وابو يعلى عن أبي عن النبي (ص) ان قلت غفورا رحما او قلت سميعا عليا او عليا سميعا فالله كذلك ما لم تختتم آية عذاب برحة او رحمة بعذاب . واخرج ابن جرير عن ابي هريرة عنه (ص) ان هذا القرآن نزل على سبعة احرف فاقرأوا ولا حرج ولكن لا تجمعوا ذكر رحمة بعذاب ولا ذكر عذاب برحة . واخرج احمد من حديث عمر القرآن كله صواب ما لم تجعل مغفرة عذابا او عذابا مغفرة . فانظر الى هذه الروايات المفسرة للسبعة احرف كيف قد رخصت في التلاعب في تلاوة القرآن الكريم حسبما يشتهي التالين ما لم يختم آية الرحمة بالعذاب وبالعكس (واما رابعا) ففي الروايات ما يقطع سند القراءات السبع فمن ابن الأنباري في المصاحف مسندا عن عبد الرحمن السلمي قال كانت قراءة ابي بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت والمهاجرين والأنصار واحدة . وعن ابن أبي داود مسندا عن أنس قال صليت خلف النبي (ص) وابي بكر وعمر وعثمان وعلي وكاهم كان يقرأ مالك يوم الدين . وروى ايضا ان أول من قرأ مالك يوم الدين هو مروان ابن الحكم (واما خامسا) وهو فصل الخطاب فقد روى من طرق الشيعة في الكافي مسندا عن أبي جعفر الباقر (ع) ان القرآن واحد نزل من عند واحد ولكن الاختلاف يبيح من قبل الروايات . وارسل الصدوق نحوه في اعتقاداته عن الصادق (ع) وفي الكافي ايضا في الصحيح

عن الفضيل بن يسار قال قلت لأبي عبد الله (ع) ان الناس يقولون ان القرآن نزل على سبعة احرف فقال (ع) كذبوا . ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد . وبؤيد ما ذكرناه رواية السباري له ايضا عن الباقر والصادق (ع)

— الفصل الرابع في تفسيره —

وللحاجة اليه مقامات (الأول) في مفردات الفاظه وبيان معناها في العربية — قد أنزل القرآن الكريم على افصح لغات العرب واكثرها تداولاً ومألوفيةً لنوع العرب فلا تخفى معاني مفرداته على العرب إلا نادراً لبعض الجهات التي لا ينفك عنها نوع الانسان كما يروى في الأب والقضب في قوله تعالى في سورة عبس « وفاكة وأباً وعباً وقضباً » . ولكن لما تشرفت الأمم من غير العرب بالإسلام وتطورت اللغة العربية بسبب الاختلاط ومرور الزمان عرض لبعض الألفاظ التي كانت متداولة مأنوسة معروفة المعاني في عصر النزول ان صارت غريبة بعد ذلك في استعمال العامة بعيدة عن فهمهم لمعانيها . ولا زال ذلك يزداد يوماً فيوماً حتى سرى دأؤه إلى بعض الخواص . ولا استراحتهم في ذلك الى الاتباع والتقليد أثر غير هين إذ ن فیر جمع في التفسير لمفردات الفاظه الشريفة الى ما يحصل به الاطمئنان والثوق من مزاولة علم اللغة العربية والتدبر في موارد استعمالها مما يعرف انه من كلام العرب ولغتهم . وان للتدبر في اسلوب القرآن الكريم وموارد استعماله وقراءتها دخلاً كبيراً في ذلك . واما محض الركون الى آحاد اللغويين تعبدًا بكلامهم وتقليدًا لأرائهم فذاك مما لا مساغ له . فان الأغلب أو الغالب بما يستندون اليه في اقوالهم ما هو إلا الاعتماد على ما يحصونه بحسب افهامهم وتتبعهم لموارد الاستعمال مع الخلط للحقيقة بالمجاز وعدم التثبت بالقرآن ومزايا الاستعمال . ألا ترى كم يشهد بعضهم على بعض بالخطأ والوهم

ومن شواهد ما ذكرناه ما وقع في تفسير اللبس واللبس من الاضطراب والخط . ففي النهاية مسست الشيء إذا لمسته بيدك . وفي القاموس لمسه مسه بيده ومسسته أي لمسته . وفي المصباح مسسته افضيت اليه بيدي من دون حائل هكذا قيده وقال قبل ذلك لمسه افضى اليه باليد . هكذا فسروه . وقال ابن دريد اصل اللبس باليد ليعرف مس الشيء وقال لمست مسست وكل ماس لاس . وقال الفارابي اللبس اللبس . وفي التهذيب عن ابن الاعرابي اللبس يكون مس الشيء وقال في باب الميم اللبس مسك الشيء بيدك . وقال الجوهري اللبس

المس ثم قال في المصباح وإذا كان المس هو المس فكيف يفرق الفقهاء بينهما انتهى . ولعلك تدعن بأن الفقهاء اختلف في استفادة المعنى من تتبع موارد الاستعمال وذلك لما اعتادوه وشحذوا به أذهانهم من بذل الجهد بالبحث والتحقيق فإن الفرق بين معنيي المس والمس واضح بحكم التبادر والتتبع لموارد الاستعمال . وغير خفي أن المعروف والمتبادر تبادراً يجزم معه بعدم النقل عن المعنى اللغوي الأصلي هو أن المس هو الإصابة بما به الإحساس من البدن بقصد الإحساس للمموس لا خصوص المس باليد ولا مطلق المس نعم كثير من موارد المس ما يكون باليد باعتبار أنها آلة عادية وأقوى احساساً . كما أن المس هو مطلق الإصابة لا بقصد الإحساس وقد صرح جماعة من أساطين علمائنا بأن معنى المس لغقب وعرفاً هو ما ذكرناه كما في المعنبر والمنتهى وروض الجنان والحدائق بل والمهذب البارع وأظن أن الذي يحقق في مراجعة العرف والتبادر وتتبع موارد الاستعمال قديماً وحديثاً لا يشك في أن معنى اللمس هو ما ذكرناه أولاً

ومن شواهد ما ذكرناه هو الاضطراب في معنى التوفي وما استعمل في لفظه المتكرر في القرآن الكريم . فاللغويون جعلوا المائة في معنى التوفي . والكثير من المفسرين في تفسير قوله تعالى في سورة آل عمران « ٤٨ يا عيسى اني متوفيك ورافعك إلي » قالوا أي مميتك . وقال بعض مميتك حتف انفك . وقال بعض مميتك في وقتك بعد النزول من السماء وكأنهم لم ينعموا الالتفات إلى مادة التوفي واشتقاقه ومحاورات القرآن الكريم والقدر الجامع بينهما . وإلى استقامة التفسير لهذه الآية الكريمة واعتقاد المسلمين بأن عيسى لم يميت ولم يقتل قبل الرفع إلى السماء كما صرح به القرآن . وإلى أن القرآن يذكر فيما مضى قبل نزوله أن المسيح قال لله « فلما توفيتني » ومن كل ذلك لم يفتنوا أن معنى التوفي والقدر الجامع المستقيم في محاورات القرآن فيه وفي مشتقاته إنما هو الأخذ والاستيفاء وهو يتحقق بالمائة والنوم وبالأخذ من الأرض وعالم البشر إلى عالم السماء . وإن محاورات القرآن الكريم بنفسها كافية في بيان ذلك كما في قوله تعالى في سورة الزمر « ٤٣ : الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى » ألا ترى أنه لا يستقيم الكلام إذا قيل الله يميت الأنفس حين موتها وكيف يصح أن التي لم تمت يميتها في منامها . وكما في قوله تعالى في سورة الانعام « ٦٠ : وهو الذي يتوفىكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه

ليقتضى أجل مسمى ثم اليه مرجعكم» فإن توفي الناس بالليل إنما يكون بأخذهم بالنوم ثم يبعثهم الله باليقظة في النهار ليقضوا بذلك آجالهم المسماة ثم إلى الله مرجعهم بالموت والمعاد . وكما في قوله تعالى في سورة النساء « ١٩ : حتى يتوفيهن الموت » فإنه لا يستقيم الكلام إذا قيل يميتهن الموت وحاصل الكلام ان معنى التوفي في موارد استعماله في القرآن وغيره إنما هو أخذ الشيء وافيًا أي تامًا كما يقال درهم وافر وهذا المعنى ذكره اللغويون للتوفي في معاجمهم وقالوا ان توفاه واستوفاه بمعنى واحد وأنشدوا له قول الشاعر

ان بني الادرد ليسوا لأحد ولا توفاهم قريش في العدد

أي لا تتوفاهم وتأخذهم تمامًا (قلت) لكن بين الاستيفاء والتوفي فرقاً واضحاً من جهة اثر الاشتقاق فإن الاستيفاء استعمال كالاستخراج يشير إلى طلب الآخذ واستدعائه ومعالجته والتوفي يشير إلى القدرة على الآخذ بدون حاجة إلى استدعاء وطلب ومعالجة ولذا اختص القرآن الكريم بلفظ التوفي وعدل عن الآخذ لعدم دلالة على التمام والوفاء كالتوفي الدال على تمام القدرة على نحو المعنى في إن الله وإنا إليه راجعون . ولك العبرة فيما قلناه بقوله تعالى « الله يتوفي الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها » فإنك إن جعلت قوله تعالى « والتي لم تمت » معطوفاً على الأنفس لم تقدر أن تقول أن معنى يتوفي يميت . وإن قلت ان التوفي في المنام امارة مجازية قلنا كيف يكون معنى اللفظ الواحد معنيين معنى حقيقياً ومعنى مجازياً ويتعلق باعتبار كل معنى بمفعول وبمطف احد المفعولين على الآخر مع اختلاف المعنى العامل به . وهل يكون اللفظ الواحد مرآة لكل من المعنيين المستقلين كلا لا يكون . وإن جعلت قوله تعالى « والتي لم تمت » مفعولاً لكلمة « يتوفي » مقدرة يدل عليها قوله تعالى « يتوفي الأنفس » قلنا ان دلالة الموجود على المحذوف إنما هي بمناء كما لا يخفى على من له معرفة بمحاورات الكلام في كل لغة فكيف يجعل التوفي بمعنى الموت دليلاً على توف محذوف هو بمعنى آخر . . إذن فليس الا أن التوفي بمعنى واحد وهو الآخذ تماماً وافيًا . إما من عالم الحياة . وإما من عالم اليقظة . وإما من عالم الأرض والاختلاط بالبشر إلى العالم السماوي كتوفي المسيح وأخذه ومن الغريب ما قاله بعض من أن رفع المسيح إلى السماء غير مشتمل على أخذ الشيء تاماً انتهى وليت شعري ماذا بقي من المسيح في الأرض وماذا تعاصى منه على قدرة الله في أخذه فلا يكون رفعه مشتملاً على أخذ الشيء تاماً . هذا ولا يخفى ان القرآن ناطق بأن المسيح ما قتله

وما صلبوه ولكن شبه لهم ورفعهم الله اليه وإن عقيدة المسلمين مستمرة كاجماعهم على انه لم يمت بل رفع إلى السماء إلى ان ينزل في آخر الزمان فلاجل ذلك التجأ بعض من يفسر التوفي بالإماتة إلى ان يفسر قوله تعالى « يا عيسى إني متوفيك » أي مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ولكني لا أدري ماذا يصنع بحكاية القرآن لما سبق على نزوله في قوله في اواخر سورة المائدة « ١١٦ و ١١٧ : وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك — ما قلت لهم إلا ما أمرتني به — فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم » فهل يسوغ ان تفسر هذه الآية بالوفاة بعد النزول وهل يصح القياس في ذلك على قوله تعالى « ونفخ في الصور » وهل يخفى ان مقتضى كلام المسيح في الآيتين هو انه بعد ان توفاه الله وانقطعت تبليغاته في دعوة رسالته وكونه شهيداً على امته تمحض الأمر ورجع إلى ان الله هو الرقيب عليهم . وان سوق الكلام واتساقه ليدل على اتصال الحالين . وان الرقيب كيفما فسرته إنما يكون قريباً في وجود تلك الأمة في الدنيا دار التكليف لا الآخرة التي هي دار جزاء وانتقام . ولا تصح الطفرة في المقام من أهام دعوة المسيح لأمة في رسالته وكونه شهيداً عليهم إلى ما بعد نزوله من السماء في آخر الزمان حيث يكون وزيراً في الدعوة الإسلامية لا صاحب دعوة . ومن الواضح أن المراد في الآيتين من الناس الذين جرى الكلام في شأنهم إنما هم الذين كانوا أمة المسيح وفي عصر رسالته ونوبة دعوته وتبليغه وأما صرف وجهة الكلام إلى الناس الذين هم في أيام نزوله من السماء فما هو إلا مجازفة فيها ما فيها وتحريف للكلم وأما قوله تعالى « ونفخ في الصور » فلم يكن اخباراً ابتدائياً يكون وقوع الفعل الماضي فيه باعتبار حال المتكلم كما في الآيتين بل جاء في سياق قوله تعالى « ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم » في حوادث زمان البعث والقيامة ومقدماتها فهو في سياقه ناظر إلى ذلك الحين وسياق الكلام يجعله بدلالته في قوة قوله ونفخ حينئذ في الصور فهو على حقيقة الفعل الماضي وباعتبار ذلك الحين كما في قوله « وجي يومئذ بجهنم » . هذا وبعض المفسرين لقوله تعالى « يا عيسى إني متوفيك » قال أي مميتك حتف انفك . واقول ان اراد الإمامة بعد نزول المسيح من السماء شارك ما سبق من التفسير وورد الاعتراض عليه وان اراد اماتته قبل ذلك وقبل نزول القرآن خالف المعروف من عقيدة المسلمين واجماعهم في احيائهم وبرد عليه السؤال ايضاً بأنه من أين جاء بالإماتة حتف انفه وماذا يصنع بما جاء في القرآن

كثيراً مما ينافي اختصاص التوفي بالموت حنف الأنف بل المراد منه الأخذ بالموت وإن كان بالقتل كقوله في سورة الحج ٥ والمؤمن ٦٩ في أطوار خلق الإنسان من التراب والنفطة إلى الهرم . « ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر » لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل » وفي سورة البقرة ٢٣٤ و٢٤١ « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً » ويونس ١٠٤ « ولكن أعبد الله الذي يتوفيك » والنحل ٧٢ « والله الذي خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر » والسجدة ١١ « قل يتوفاكم ملك الموت » والاعراف ٣٥ « حتى إذا جاءهم رسلنا يتوفونهم » والنساء ٩٩ « وتوفاهم الملائكة » والنحل ٣٠-٣٣ « تنوفاهم الملائكة » والانعام ٦١ « توفته رسلنا » ومحمد (ص) ٣٩ « فكيف ذاتوفهم الملائكة » والانفال ٥٢ « ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة » والزمر ٤٣ « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها » وإنك لا تكاد تجد في القرآن المجيد لفظ التوفي مستعملاً فيما يراد منه إلا مائة حنف الأنف إذن فمن أين جيء بذلك في قوله تعالى « إني مبتوك » نعم ابتلى لفظ التوفي ومشتقاته بالأخذ بمعناه بمنة وبسرة حتى ان العامة حسبوها مرادفة للموت حتى انهم يقولون في الذي مات توفى بفتح التاء والواو والغاء بالبناء للفاعل ويقولون في الميت متوفى بكسر الغاء وصيغة اسم الفاعل بل يحكى ان أمير المؤمنين علياً (ع) كان يمشي خلف جنازة في الكوفة فسمع رجلاً يسأل عن الميت ويقول من المتوفى بكسر الغاء.

وأما ما نسب إلى ابن عباس من ان معنى قوله تعالى « يا عيسى إني متوفيك » إني ميمتك فما أراه إلا كما نسب إلى ابن عباس في مسائل نافع بن الأزرق كما ذكر في الفصل الثاني من النوع السادس والثلاثين من اتقان السيوطي من ان نافعاً سأله عن قول الله « ما ان مفاتيحه لتنوء بالعصبة أولي القوة » أي بما يرجع إلى معنى تبهظهم وتثقل عليهم كما قال عمر ابن كثوم في معلقته . (ومتني لدنة سمقت وطالت روادفها تنوء بما ولينا)

وكما انشده الغويون . (إلا عصا اردن طالت برايتها تنوء ضربتها بالكف والعضد) فذكر ان ابن عباس قال له في الجواب لتثقل أو ما سمعت قول الشاعر

تمشي فتثقلها عجيزتها مشي الضعيف ينوء بالوسق

أي ينهض بالوسق بتكلف وجهه على عكس المعنى المذكور في القرآن . أفهل ترى ابن عباس يفسر تنوء في الآية بغير معناها كما ثار من هذا الاستشهاد المنسوب إليه اعتراض

النصارى بأن القرآن جاء بلفظة « لتنوء » في غير محلها . وهل ترى ابن عباس لا يعرف ان معنى ينوء بالوسق ليس يشغل بل ينهض به بتكلف . وهل ترى ابن عباس لا بدري بيت المعلقة ليستشهد به استشهاداً صحيحاً مطابقاً منتظماً . كيف وإن المعلقات كانت للشعر في ذلك العصر كبيت القصيد ولكن « حنّ قدح ليس منها » وقد خرجنا عما نؤثره من الاختصار ولكننا ما خرجنا عن المقصود الاصيل من الكلام في تفسير القرآن الكريم بل سارعنا إلى شيء من الخير والله المسدد الموفق

المقام الثاني

لا يخفى ان القرآن الكريم مبني على ارقى انحاء البلاغة العربية وتغنيتها بمحاسن المجاز والاستعارة والكناهة والاشارة والتلميح وغير ذلك من مزايا الكلام الراقي ببلاغته بما كان مأنوس الفهم في عصر النزول ورواج الأدب العربي وقيام سوقه . وكان بحيث يفهم المراد منه ومزايده بأنس الطبع ومركز الغريزة كل سامع عربي . ولكن بعد اشتراك الأمم في بركة الاسلام وامتلأ جزيرة العرب من الأمم وتفرق العرب بالتجنيد في غير البلاد العربية تغير اسلوب الكلام العربي في عامة الناس وتبدت مزايا الكلام واساليب المحاورات فساد ذلك المأنوس غريباً في العامة وذلك الطبعي الغريزي يحتاج في معرفته إلى ممارسة التطبيع وكلفة التعلم والتدرب في اللغة العربية وأدبها على النهج السوي . من دون تقليد معرقل ولا وقوف عند الأساء ولا جمود على قشور القواعد التي مهدها المتدربون في العربية من الخواص اقتباساً بقدر الوسع من ذلك الأدب القديم . فدونوا من مبتدأ شيناً وفاتهم من أسرارها وحقائقها الشيء الكثير . وربما أدت بهم وعورة البحث والجمود على التقليد إلى عثرات الوهم وأحجام الشكوك انظر إلى ان جماعة من النحويين كالشراح لألفية ابن مالك وغيرهم قالوا في قول الراجز « جاؤوا بمذق هل رأيت الذئب قط » ان التقدير بمذق مقول فيه هل رأيت الخ ولا يخفى ان الراجز يريد وصف المذق بما يبين حاله وتبدل كونه بكثرة الماء وماذا يجدي إلى ذلك كونه مقولاً فيه هل رأيت الذئب قط ولم يفتنوا إلى ان الصفة التي يريد بها الراجز كما يقتضيه المقام قد اشار إليها باستفهامه الذي هو بمنزلة التمثيل الحي لها . فكأنه قد جاؤوا بمذق لونه كالون الذئب هل رأيت الذئب يوماً من الأيام فإن لون المذق كلونه فاعرف كيف كان . ومن شواهد ذلك ان صاحب الكشف مع تضلعه من الأدب العربي ومعرفته بالكتاتيب الكلام

اضطرب كلامه وتفسيره في كلمة واحدة تكررت في القرآن الكريم على نحو واحد وهو قوله تعالى «لا أقسم» ففي سورة الواقعة في قوله تعالى «لا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم» قال فأقسم وإن «لا» مزيدة مثلها في قوله لئلا يعلم أهل الكتاب وفي قوله تعالى «لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة» قال ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم وأشعارهم قال امرؤ القيس . (ولا وأبيك ابنة العاصري لا يدعي القوم اني افر) وقال غوية بن سلمة . (ألا نادى امامة باحتيال لتحزني فلا بك لا ابالي)

وفائدتها تؤكد القسم وقالوا انها صلة اي زائدة مثلها في لئلا يعلم أهل الكتاب وقال في ذلك كلاماً فيه ما فيه وقال والوجه ان يقال هو للنفي والمعنى في ذلك انه لا يقسم بالشيء اعظاماً له بذلك عليه قوله تعالى «فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم» فكأنه بادخال حرف النفي يقول ان اعظامي له باقسامي به كلا اعظام يعني ان يستأهل فوق ذلك انتهى . ومقتضى بيانه هذا ان يقول اعظاماً للمقسم به فإنه أوضح للبيان من مثله . وليته لم يخلط بين دخول «لا» على فعل القسم كما في الآيتين وبين دخولها على حرف القسم كما في بيتي امرؤ القيس وغوية وغيرهما مما لا يقع جوابه إلا منفيًا فإنه واضح الظهور في ان «لا» فيه نافية موطئة لنفي الجواب لتأكيد وسبيلها سبيل قوله تعالى في سورة النساء «٦٨ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك» . وفي سورة الحاقة في قوله تعالى «فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون» قال اقسام بالأشياء كلها . وفي سورة البلد في قوله تعالى «لا أقسم بهذا البلد» قال اقسام بالبلد الحرام ولم يقل شيئاً في قوله تعالى (لا أقسم) في سورة المعارج والتكوير والانشقاق . ومن شواهد ذلك ما سمعته هنا عن صاحب الكشف في قوله تعالى «لئلا يعلم أهل الكتاب» ومن ان «لا» في لئلا مزيدة وصرح ايضاً بذلك في تفسير سورة الحديد حيث قال لئلا يعلم ليعلم - ووافقه على ذلك جماعة فانغم اعداء القرآن الكريم من ذلك فرصة فاعترضوا على القرآن بأنه مشتمل على الزيادة اللغوية ولكن الجزء الأول من كتاب الهدى صفحة ٣٥٠ و ٣٥٥ اوضح البطلان في زعم الزيادة كما عليه جماعة من ان المعنى . ان الله وعد الذين آمنوا وابتغوا الله ويؤمنون برسوله ان يؤتيهم كفلين من رحمته ويجعل لهم نوراً يمشون به ويفقر لهم ومن فوائد ذلك وغاياته ان لا يعلم أهل الكتاب ان الذين آمنوا لا يقدر على شيء من فضل الله ولأن الفضل بيد الله الآية وليت شعري لماذا لا تنزه جلاله القرآن المجيد وبراعته عن لغوية هذه

الزيادة التي لا غاية فيها إلا الإيهام

وفي تفسير قوله تعالى في سورة الاعراف « ١١ قال ما منعك ان لا تسجد إذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين » قال في الكشف أيضا « لا » في ان لا تسجد صلة « أي زائدة » بدليل قوله تعالى أي في سورة (ص) « ٧٥ ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي » ومثلها لئلا يعلم أهل الكتاب بمعنى ليعلم انتهى . اقول وإن التدبر في آيات الاعراف . و(ص) يشهد بأن « لا » غير زائدة بل جبي بها في الاعراف للإشارة إلى أمر قد صرح به في آيات (ص) وذلك ان الفعل قد يكون له مانع من ضد أو عذر أو غفلة أو عجز أو كسل وقد يكون له سبب داع وحامل على تركه ومخالفته الأمر به فسأل الله انكاراً أو توبيخاً في سورة (ص) عن المانع بقوله تعالى « ما منعك ان تسجد وعن السبب والحامل على المخالفة بقوله تعالى استكبرت ام كنت من العالين » وأشار جل شأنه في سورة الاعراف بوجود (لا) إلى السؤال عن السبب الحامل على المعصية بعد السؤال عن المانع فكأنه قال ما منعك من ان تسجد وما حملك على ان لا تسجد ولذا وقع الجواب من ابليس في كلا المقامين بيان السبب الحامل له على ان لا يسجد لا التعليل بالمانع فقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وكذا الكلام في قوله تعالى في سورة طه « ٩٤ قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ان لا تتبعني أف عصيت أمري » فإن التفريع في قوله أف عصيت أمري يدل على انه قد سبق السؤال عن المانع عن الاتباع وعن السبب الحامل على المعصية بتركه واشير اليه بادخال « لا » ولكن قال في الكشف لا مزيدة والمعنى ما منعك ان تتبعني . وقال الله في سورة الانبياء « ٩٥ وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون » وفي الكشف فسر الاهلاك بالعزم عليه وفسر الرجوع بالرجوع من الكفر إلى الاسلام وهذا مختاره على الظاهر من الوجوه الثلاثة ثم قال فيه و« لا » صلة مزيدة انتهت وليته أبقى الاهلاك على ظاهره وفسر الرجوع بالرجوع إلى الإيمان والتوبة عند مشاهدة آيات الهلاك وأحوال الموت كإيمان فرعون عند الفرق كما في سورة يونس ٩٠ . أو كالذين « إذا حضر احدهم الموت قال إني تبت الآن » وكما في سورة النساء ٢٢ . وكما ذكره الله في سورة المؤمنين في حال المشركين والظالمين « ١٠١ حتى إذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعوني لعلي أعمل صالحاً فيما تركت » فإن قولهم هذا رجوع إلى التوبة ولكنها لا تقبل كما قال الله في الموارد الثلاثة ويكون معنى الآية الكريمة هو ان أهل القرى

التي أهلكها الله حرام عليهم بسبب مشاهدتهم لآيات الإهلاك وحضور الموت ومنتهى في العادة ومنفي بالمرة كونهم لا يرجعون إلى التوبة والإيمان بحسب الفطرة وإن كان لا ينفعهم ويستمرّون على ما هم فيه حتى إذا جاءت الساعة وصار يوم القيامة وعانوا ما كانوا يوعدون قالوا يا ويلنا قد كنا في غفلة عن هذا

وقال الله تعالى في سورة آل عمران « ٧٣ ما كان لبشر أن يوّثيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربّانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ٧٤ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً » ولا يخفى أن قوله تعالى ولا يأمركم معطوف على يقول المعطوف بثم على المنفي بقوله تعالى ما كان أي ليس له وإن (لا) هنا نافية يوّثي بها لتثبيت النفي في الأمرين والجمع بين القيام والأكل كما قال في الكشف في ثاني وجهيه في الآية . وقال في الكشف أن في الآية وجهين أحدهما أن نجعل «لا» مزيدة والمعنى ثم يأمر الناس بأن يكونوا عباداً له ويأمركم أن تتخذوا النبيين والثاني أن نجعل «لا» نافية غير مزيدة والمعنى ما كان لبشر يستنبه الله أن يأمر الناس بعبادته وإنما كم عن عبادة الملائكة أي ما كان له أن يجمع بين الأمر والنهي . وبالله العجب ممن سوغ لنفسه في مثل بلاغة القرآن المجيد أن يفسر لا يأمركم بقوله إنما كم ولو فسر بذلك كلام واحد من الناس لا وسعه من الملام ما أوسعه — ولم ينفرد الزمخشري بدعوى زيادة (لا) في هذه الموارد بل ادعى ذلك جماعة من المفسرين والنحويين كما ذكر ابن هشام في المعنى في كلمة «لا» ولو أن زيادة «لا» محققة في كلام العرب متداولة في شعرهم ونثرهم لما ساغ لهؤلاء أن يقولوا بذلك في مثل بلاغة القرآن الكريم ومجدها وفي خصوص الموارد التي ادعوا فيها الزيادة فإن البلاغة بل استقامة الكلام تقتضي تثبيت إثباتها ورفع أوهام النفي عنها لو كانت مثبتة ذن فكيف يلقى مضمونها الشريف بما يوهم النفي ويشوش الكلام . وإن المخبر الذي يعرف كيف يتكلم لا يدخل على خبره ما يوهم تقيضه هذا مع أني لم أجد شاهداً ذكره من الكلام على زيادة «لا» إلا قوله : (وتلحيتني في الله أن لا أحبه للهو داع دائب غير غافل)

ولو كان هذا من شعر العرب وكان المراد منه ما فهموه لجاز أن يضم فيه وتأمّرني بأن لا أحبه أو وتدعيني إلى أن لا أحبه . ومن غرائبهم استشهاد بعضهم أيضاً بقول الشاعر

ابى جوده لا البخل واستعجلت به نعم من فتى لا يمنع الجود قاتله
نعم لم يوافقهم الزمخشري على زعهم لزيادة (لا) في قوله تعالى في سورة الانعام « ١٠٩
وما يشعر كم انها اذا جاءت لا يؤمنون » وقوله تعالى فيها « ١٥٢ قل تعالوا ائمل ما حرم ربكم عليكم
ان لا تشرکوا » . ومن شواهد ذلك انك سمعت كلام الكشاف في دخول لا النافية على القسم
واستفاضته في كلامهم وأشعارهم وما ذكره من الشواهد في الشعر ومع ذلك قال في تفسير
سورة النساء في قوله تعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك » معناه فوربك كقوله تعالى
« فوربك لنسألنهم » و « لا » مزيدة لتأكيد معنى القسم كما زيدت في ثلثا يعلم لتوكيد وجوب
العلم انتهى . . فانظر فيه واعتبر وقل أين ما ذكرته من الاستفاضة وابن معنى الاستشهاد
بالشعر . ولولا الحمل على التحامل لذكرنا عن الكشاف وغيره أكثر من ذلك وفي ذلك كفاية
لأولي الأبواب : ومن ذلك ما نقله السيد الرضي في حقائق التأويل من قول بعضهم بزيادة
الواو في قوله تعالى في سورة آل عمران ٨٥ ولو افتدى به . و ابراهيم ٥٢ ولينذروا به .
والزمر ٧٣ وفتحت ابوابها . أقول ولمثل هذه الواو في القرآن موارد وهي فيما كمالها والعطف
على محذوف يدل عليه سياق القرآن بكرامة نهجه وبراعة اسلوبه في مناحي البلاغة ويجلوه
المقام بأشراق تلك البراعة بأجلى المظاهر كما سيأتي التنبيه عليه في موارد ان شاء الله . ومن
شواهد ذلك مما جناه القصور ان جماعة وقفوا عن الوصول في بعض ما في القرآن الكريم من
فرائد البراعة وفوائد البلاغة حتى صار يلوح من ترددهم ان ذلك مخالف لقواعد العربية
فاغتنم اعداء القرآن من ذلك فرصة الاعتراض وقد ساعد التوفيق على التعرض لتلك الاعتراضات
وبيان خطأها بإيضاح براعة القرآن الكريم في موارد أسرار البلاغة ولباب الأدب العربي
وبواهر أساليبه وقد كتب شي من ذلك في الجزء الأول من كتاب الهدى وفي خصوص
المقدمة الثالثة عشرة من صفحة ٣٢١ حتى آخره . . ومن شواهد ذلك ان كثيرا من مجازات
القرآن الكريم واستعاراته الواضحة العلاقة والفائقة في لحاظ التشبيه ومرمى الإشارة والمؤيدة
بأحكام العقل ومحكمات الكتاب هذه الاستعارات التي كانت من ازهار الأدب العربي الغريزي
حين ما كان روضه زاهيا زاهراً عادت بعد ما ذوى خميله معركة للآراء وهدفاً للبحود
وإن حامت عنها محكمات الكتاب ونصرتها البراهين العقلية في تقديس الله وتفرد بالكمال .
فمن ذلك ما في القرآن من نسبة الاضلال إلى الله جل اسمه في عدة آيات منها السابعة والعشرون

من سورة الرعد والثانية والثلاثون من سورة ابراهيم ونحوها . فإن التعبير في ذلك بالاضلال مجاز فائق في الحسن يمثل ببراعته حاجة الإنسان مع نفسه الأمانة إلى لطف الله به وعنايته في توفيقه ويشير الى ما في اللطف والتوفيق من الأثر الشريف الكبير في النعمة على الإنسان وبنه إلى ان خذلان الله للإنسان المتمرد يرفع العناية في التوفيق وإيكاله إلى نفسه شبيه باضلاله في قوة الأثر . كل ذلك لأجل التنويه والامتنان بنعمة الله في توفيقه لعباده ولأجل هذه المزايا الفاتكة استعير الاضلال لخذلان الله لعبده المتمرد وإيكاله إلى نفسه والعياذ بالله

ولقد كان يكفي في القرينة على التجوز في لفظ الاضلال هنا وصرفه عن مقتضى وضعه ما في القرآن من المحكمات مثل قوله تعالى في سورة الاعراف « ٢٧ إن الله لا يأمر بالفحشاء » وفي سورة النحل « ٩٢ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » فإن تعبد الله بذلك كافٍ في كونه قرينة على ان الاضلال المنسوب لله تعالى شأنه إنما هو مجاز . وإن مجده والطاقة جلت آلاؤه بعين المراد منه وهو ما ذكرناه . وكيف يكون الاضلال المنسوب إلى الله على حقيقته مع أن الله يذم الضالين ويمدبهم على ضلالهم ويوبخهم بقوله تعالى « كيف تكفرون بالله . لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق . لم تصدون عن سبيل الله . فالكف كيف تحكمون . فإلهم لا يؤمنون . فإلهم عن التذكرة معرضين . وما ذا عليهم لو آمنوا » وتقام الكلام في الكتب الكلامية . وقد ذكر شيء منه في الجزء الثالث من الرحلة المدرسية صفحة ٢٩ إلى ٤٢ : ومن ذلك ان الفرقة الظاهرية لم تلتفت إلى المجاز ووجه الواضح في قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » ولم يصرفهم عن المعاني الحقيقية لهذه الألفاظ ضرورة العلم من القرآن والبراهين القطعية في ان الله منزّه عن الجسم والأين والمكان لكي يعرفوا ان المراد بالعرش هنا هو شأن القدرة والجلال واستيلاء السلطان على الملكوت في الأزل والأبد . ولأجل احضار هذا الشأن العظيم في اذهاننا القاصرة وملأ قلوبنا بعظمته مثل القرآن لتصورنا المحدود بتشبيهه بما نعرفه ونعرف آثاره من العرش الجسائي للملك الأرضي الذي بالصعود عليه صعوداً زمنيّاً ينفذ سلطانه وتعم قدرته ومن آثار الظاهريين العجيبة ما اخرج ابن مردويه والخطيب في تاريخه وابن منصور في سننه من مسند عمر عن النبي (ص) في قوله تعالى على العرش استوى قال حتى يسمع له اطيع الرجل . وانظر إلى كنز العمال الجزء الأول صفحة ٢٢٦ وكذا منتخب الكنز واطيط

الرحل والقتب صوته أي صوت أخشابه من ضغط ثقل الراكب والحمل وسيأتي شبيه ذلك في تفسير آية الكرسي . وفي ميزان الذهبى من انكر ما جاء عن مجاهد في التفسير في قوله « عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً » قال يجلسه معه على العرش . وفي شواهد الحق كتاب الشيخ يوسف النبهاني صفحة ١٣٠ قال ومن كتب ابن تيمية كتاب العرش قال في كشف الظنون ذكر فيه إن الله يجلس على العرش وقد أدخل فيه مكاناً يقعد معه فيه رسول الله (ص) كما ذكر ذلك أبو حيان في قوله تعالى وسع كرسيه السماوات والأرض وقال يعني أبا حيان قرأت في كتاب العرش لأحمد بن تيمية بخطه ما صورته ما ذكرناه ونقلها كشف الظنون من طريق آخر عن السبكي انتهى . وعلى هذا الوتر ضرب محمد بن عبد الوهاب في رسالته المطبوعة في مجموعة فيها عدة من الرسالة طبعت في مكة فانظر إلى صفحة ١٥٥ و١٥٦ من المجموعة . هذا عبد الرحمن بن حسن الوهابي في صفحة ٣٦ من المجموعة المذكورة .

المقام الثالث

جاء في القرآن شيء كثير من الألفاظ العامة التي يراد بها الخاص أو التي هي نص في خاص باعتبار نزولها في شأنه وغير ذلك مما كان معروفاً في عصر نزوله ثم صارت اسباب الخفاء تختلسه شيئاً فشيئاً وتجعل ضده كما في خرافة الفرائق وآية التمني

والمفزع في تفسير ذلك هو ما يحصل به العلم من اجماع المسلمين أو اتفاقهم في الرواية للتفسير . أو في الرواية عن الرسول (ص) في الدلالة على من يفزع إليه بعده في تفسير كتاب الله وذلك كحديث الثقلين المتواتر القطعي الذي ذكره اخواننا من أهل السنة في كتبهم وأوردوا من روايته عن الصحابة الذين سمعوه من رسول الله (ص) أكثر من ثلاثين صحابياً وبقي على ذلك متواتراً في كل عصر إلى العصر الحاضر وهو قوله (ص) « إني تارك فيكم الثقلين أو الخليفين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً فإنها لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض » وإن لفظ العترة والأحاديث الكثيرة الصحيحة الواردة في تعيين أهل البيت يعينان المراد من أهل البيت فضلاً عن دلالة العرف والمحاورات . وقوله (ص) ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً مع قوله (ص) فإنها لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض يعينان الأئمة الاثني عشر المعصومين من عترة الرسول وذريته . ومن دلائل ذلك اجماع المسلمين على أن من عدا هؤلاء ليس معصوماً ولا يتصف بأنه مثل كتاب الله لا يضل من تمسك به

وهاك أسماء الصحابة السامعين لهذا الحديث عن رسول الله (١) علي (ع) أمير المؤمنين (٢) عبد الله بن عباس (٣) أبو ذر الغفاري (٤) جابر الأنصاري (٥) عبد الله بن عمر (٦) حذيفة بن أسيد (٧) زيد بن أرقم (٨) عبد الرحمن بن عوف (٩) ضميرة الأسلمي (١٠) عاصم ابن ليلي (١١) أبو رافع (١٢) أبو هريرة (١٣) عبد الله بن حنطب (١٤) زيد بن ثابت (١٥) أم سلمة (١٦) أم هاني أخت أمير المؤمنين علي (ع) (١٧) خزيمه بن ثابت (١٨) سهل بن سعد (١٩) عدي بن حاتم (٢٠) عتبة بن عامر (٢١) أبو أيوب الأنصاري (٢٢) أبو سعيد الخدري (٢٣) أبو شريح الخزاعي (٢٤) أبو قدامة الأنصاري (٢٥) أبو ليلى (٢٦) أبو الهيثم بن التيهان . وهوؤلاء الذين ذكرنا أسماءهم من بعد أم هاني قد رواه كل منهم منفرداً كمن تقدمه وقاموا في رحبة الكوفة مع سبعة من قريش فشهدوا أنهم سمعوه من رسول الله فهوؤلاء ثلاثة وثلاثون . ورواه أبو نعيم الأصبهاني في كتاب منقبة المطهرين مسنداً عن جبير بن مطعم وأسندته أيضاً عن أنس بن مالك وأسندته عن البراء بن عازب ورواه موفق بن أحمد أخطب خوارزم عن عمرو بن العاص . وقل ما يخلو عن رواية هذا الحديث مسنداً أو جامعاً أو كتاباً في الفضائل لأهل السنة من أول ما أخرج الحديث من الحفظ وصدور الحفاظ إلى صحف المحدثين ولا زال يروى فيها عن صحابي واحد أو أكثر وربما روي في واحد منها عن أكثر من عشرين صحابياً أما مجملاً كما في الصواعق وأما مسنداً مفصلاً كما في كتب السخاوي والسيوطي والسمهودي وغيرهم ومن أراد الاطلاع فليرجع إلى الجزأين المكتوبين في أسانيد هذا الحديث من كتاب العبادات

ورواه الإمامية في كتبهم بأسانيدهم المتكررة عن الباقر (ع) والرضا (ع) والكاظم (ع) والصادق (ع) عن آبائهم (ع) عن رسول الله (ص) . وبالأسانيد الأخرى عن أمير المؤمنين (ع) وعمر وابي ذر وجابر وابي سعيد وزيد بن أرقم وزيد بن ثابت وحذيفة بن أسيد وابي هريرة وغيرهم عن رسول الله (ص) كما في غاية المرام وتفسير البرهان للسيد هاشم البحراني طاب ثراه وغير ذلك

ولعلك تقول ان البخاري لم يذكر هذا الحديث في جامعهم فاعرف إذ ذاك ان المحدثين لا يلتفتون إلى استفاضة الحديث وتواتره وافادته للعلم من هذه الجهة كما هو شأن العالم المحقق في حجته وبجته عن الحقائق . وإنما المهم للمحدث والموضوع في فنه هو الحديث الأحادي

الذي يأخذه بما عندهم في طرق الأخذ من رجل عن آخر على شروط يقررهما في السند فكأن البخاري لم يحصل شرطه في سند من أسانيد الحديث الأحادية ولكن الحاكم في مستدركه استدرك عليه وعلى مسلم حديث زيد بن أرقم من طريق حبيب عن أبي الطفيل قال لما رجع رسول الله (ص) عن حجة الوداع ونزل غدیر خم أمر بدوحات فقممن فقال (ص) إني قد دعيت فأجبت إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي فانظروا كيف تخلصوني فيها فإنها إن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ثم قال إن الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن ثم أخذ بيد عليّ فقال من كنت مولاه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله . ومن طريق مسلم بن صبيح عنه قال قال رسول الله (ص) إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي وإنهما لم يفترقا حتى يردا عليّ الحوض . وقال الحاكم أيضاً هذا صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه قلت ولم أجد من تعقب الحاكم على استدراكه بهذين الحديثين فيكون ذلك موافقة ممن عاصر الحاكم ومن بعده على الاستدراك وصحة الحديثين على شرط البخاري ومسلم . ومن طريق سلمة بن كهيل عن أبي الطفيل أنه سمع زيد بن أرقم يقول وساق نحو الحديث الأول وفيه إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتموها كتاب الله وأهل بيتي عترتي الحديث وتعقبه الذهبي بأن في طريقه محمد بن سلمة وقدواه السعدي وذكره ابن عدي أحاديث منكورة . ومراده من السعدي هو إبراهيم بن يعقوب السعدي الجوزجاني كما ذكره في ترجمة محمد بن سلمة . قلت وما أدراك ما السعدي فإنه معروف بالنصب وفي الميزان عن ابن عدي كان شديد الميل إلى مذهب أهل دمشق في التحامل على علي (ع) وقد قال في إسماعيل ابن إبان الوراق شيخ البخاري أنه كان مانئاً عن الحق قال ابن عدي ولم يكن يكذب الجوزجاني يربدهما عليه الكوفيون من التشيع إذ ذن فاعرف السبب في تحامل الجوزجاني وابن عدي على محمد بن سلمة . ولعمري العلم الحق أن الحديث بتواتره في غنى عن التعرض له في جامع البخاري — هذا وأما الرجوع في التفسير وأسباب النزول إلى أمثال عكرمة ومجاهد وعطاء وضحاك كما ملئت كتب التفسير بأقوالهم المرسله فهو مما لا يعذر فيه المسلم في أمر دينه فيما بينه وبين الله ولا تقوم به الحجة . لأن تلك الأقوال إن كانت روايات فهي مراسيل مقطوعة ولا يكون حجة من المسانيد إلا ما ابتنى على قواعد العلم الديني الرصينة ولو لم يكن

من الصوارف عنهم إلا ما ذكر في كتب الرجال لأهل السنة لكفى . وإن الجرح مقدم على التعديل إذا تعارضاً . أما عكرمة فقد كثر فيه الطعن بأنه كذاب غير ثقة ويرى رأي الخوارج وغير ذلك . وقيل للأعمش ما بال تفسير مجاهد مخالف أو شيء نحوه قال أخذه من أهل الكتاب ومما جاء عن مجاهد من المنكرات في قوله تعالى « عسى أن يعثبك ربك مقاماً محموداً » قال يجلسه معه على العرش . وأما عطا فقد قال أحمد ليس في المراسيل أضعف من مراسيل الحسن وعطا كانا يأخذان عن كل أحد وقال يحيى بن القطان مراسلات مجاهد أحب إلي من مراسلات عطا بكثير كان عطا يأخذ من كل ضرب وروي أنه تركه ابن جريح وقيس بن سعد . وأما الحسن البصري فقد قيل أنه بدلس وسمعت كلام أحمد فيه وفي عطا . وأما الضحاك ابن مزاحم المفسر فمن يحيى بن سعيد قوله الضحاك ضعيف عندنا وكان يروي عن ابن عباس وأنكر ملاقاته له حتى قيل أنه ما رآه قط . وأما قتادة فقد ذكروا أنه مدلس . وأما مقاتل بن سليمان فقد قال فيه وكيع كان كذوباً . وقال النسائي كان مقاتل يكذب وعن يحيى قال حديثه ليس بشيء وقال ابن حبان كان يأخذ من اليهود والنصارى من علم القرآن الذي يوافق كتبهم . وأما مقاتل بن حيان فمن وكيع أنه ينسب إلى الكذب وعن ابن معين ضعيف وعن أحمد بن حنبل لا يعبأ بمقاتل بن حيان ولا بابن سليمان فانظر إلى ميزان الذهب من كتب الرجال اقلا ودع عنك أن أصول العلم عندنا تأبى من الركون إلى روايتهم فضلاً عن اقوالهم إلا في مقام الجدل أو التأييد أو حصول الاستفاضة والتوافق في الحديث

هذا وإن كثيراً من كتب التفسير قد لهج بكذوبة شنيعة وهي ما زعموا من أن الرسول (ص) قرأ سورة النجم في مكة في محفل من المشركين حتى إذا قرأ قوله تعالى « أفراهم اللات والعزى ومنات الثالثة الأخرى » قال (ص) في تمجيد هذه الأوثان وحاشا قدسه « تلك الفرائق الأولى منها الشفاعة ترتجى » فأخبره جبرائيل بما قال فاغتم لذلك فنزل عليه في تلك الليلة آية تسلية ولكن بماذا تسليه بزعمهم تسليه بما يسلب الثقة من كل نبي وكل رسول في قراءته وتبليغه . والآية هي قوله تعالى في سورة الحج « ٥١ وما أرسلنا من قبلك من نبي ولا رسول إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته » فقالوا معنى ذلك إذا تكلم أو حدث أو تلا وقرأ ادخل الشيطان ضلاله في ذلك

إذن فما حال الأمم المساكين وما حال هدام مع هذا الادخال الذي لم يسلم بزعمهم

منه نبي أو رسول ولم يسلم منه شيء من كلامهم أو حديثهم أو تلاوتهم على ما يزعمون «ما هكذا
تورد يا سعد الابل» أفلا صدهم من ذلك اقلا ان سورة الحج مدنية امر فيها بالاذان بالحج
٢٧ واذن فيها بالقتال ٤٠ وأمر فيها بالجهاد ٧٧ ولم يكن هذا الأمر وهذا الاذن إلا بعد الهجرة
بأعوام ٠ وإن الذي بين ذلك وبين الوقت الذي يجعلونه لخراقة الغرائق وخراقة نزول
الآية هذه في ليلتها يكون أكثر من عشرة اعوام وقد ذكر شي من الكلام في ذلك في
الجزء الأول من كتاب الهدى صفحة ١٢٣ - ١٢٩ فلا بأس بمراجعته

ومن ذلك ان جملة من المفسرين والقراء يترددون في الوقف على بعض الكلمات لترددهم
في ارتباطها بما بعدها أو بما قبلها ٠ فلم يراعوا في ذلك مناسبات الكلام وجودته والحاجة إلى
التقدير أو حسنه ٠ ومن ذلك كلمة «فيه» من قوله تعالى في أول سورة البقرة «ذاك الكتاب
لا ريب فيه» زعموا منهم انها تكون خبراً مقدماً لقوله تعالى هدى للمتقين ويقدرُونَ مثلها
لقوله تعالى لا ريب مع ان الوقف على لا ريب يجعل الكلام قلقة مبتوراً بنحو لا يجدي فيه
التقدير ٠ ومع انه لا حاجة لجعل الظرف خبراً مقدماً لهدى وجملته تكون خبراً ثانياً لذلك
الكتاب ٠ فإن كلمة هدى هي بنفسها تكون خبراً ٠ وهذا هو الأنسب بكرامة الكتاب المجيد
فقد قال الله انه هدى ورحمة كما في الأعراف ٥٠ والنحل ٦٦ و ٩١ وغير ذلك وإن القرآن
هدى وبشرى للمؤمنين وهدى للناس وهدى ورحمة للمؤمنين ولذین آمنوا هدى وشفاء
كما في سورة البقرة ٩١ و ١٨١ والنمل ٢٩ وحم السجدة ٤٤

ومن ذلك كلمة «هذا» من قوله تعالى في سورة (يس) من بعثنا من مرقدا هذا
ما وعد الرحمن ٠ فكأنهم لا يلتفتون إلى أن المقام غني عن وصف المرقد باسم الإشارة حتى
للإيضاح لأنهم يقولون ذلك عند خروجهم من الأجداث ومراقد القبور ٠ وان اخراج اسم
الإشارة عن كونه مبتدأً وما وعدنا خبره ليخرج الكلام عن الانتظام ويجعل صورته الحسنى
مشوشة هي للنفي اقرب منها للاثبات وهو ضد المعنى الذي سيق ليبيانه الآية ٠ هذا وأما
الذين تهاجوا بأرائهم على تفسير القرآن بما يسمونه تفسير الباطن ركوناً بأرائهم إلى مزاعم
المكاشفة والوصول ونزعات التفلسف أو التجدد أو حب الانفراد والشهرة بالقول الجديد
وإن كان فيها ما فيها فقد آثروا متاهة الرأي على النهج السوي عن أصول العلم وفارقه
من اول خطوة

المقام الرابع

ان القرآن الكريم كثيراً ما ينسب التعقل والادراك والاهتداء ونحو ذلك إلى القلب والمتجددون ينسبون الادراك وآثاره إلى الدماغ ويعتمدون في حدسهم في ذلك على أنهم رأوا تلافيف الدماغ أي عقده في الإنسان أكثر منها في سائر الحيوانات وان الأعصاب الجمعية المتصلة بظاهر الدماغ والمنتشرة أليافها في باطنه مرتبطة بأعصاب آلات الحس كالأذن والعين وغيرهما : ولكن مباحث التشريح تقف دون حدسهم هذا . وإن المجموع العصبي والنخاع الممتد إلى الفقرة القطنية الأولى التي هي تحت الفقرة الثانية عشرة من الظهر هذه كلها كخ الدماغ في كونها مكونة من الجوهر السنجابي والجوهر الأبيض فلاميزة لتكوين الدماغ لكي يحدس امتيازه عنها بكونه كرسى الادراك والتعقل دونها . وإن الأعصاب كما ترتبط بالآلات الحس ترتبط أيضاً بالقلب والكبد والمعدة بل حتى الأسنان وأعضاء البدن إلى أنامل اليدين والرجلين . وأما ما يترأى من أن صغر الدماغ يقارن ضعف الادراك والتعقل إلى أن يصل الحال إلى البله فلا يدل على مدعاهم بل يجوز أن يكون خروجه عن المقدار الطبيعي للإنسان ككثير من العوارض البدنية موجباً لضعف الجزء الآخر العاقل في أداء وظيفته . وأما التفاوت بين أدمغة الرجال وبين أدمغة النساء فهو جارٍ في قلوب الصنفين أيضاً . هذا مع أن الدماغ يزيد نموه في زمان قلة القوة العاقلة إلى السنة السابعة ثم ينمو ببطئاً إلى الرابعة عشرة ويثقف نموه إلى العشرين ومنها إلى الثلاثين ويقف عند الأربعين ثم ينقص وزنه في كل عشر سنين نحو اوقية مع أن الإنسان من العشرين فما زاد يزداد في قوة التعقل ويترقى في كونه أقوى وأحسن تعقلاً وإدراكاً . والقلب لا يزال يأخذ بالنمو والزيادة إلى الأبدان الأخيرة من الحياة ولا سيما في الذكور . وهذا أنسب بأزمة حسن التعقل وجودة الادراك . مضافاً إلى أن القلب هو مبدء الحركة الحيوية المديرة للدورة الدموية وأسباب الحياة والنمو وتوزيع القوى على جميع أجزاء البدن فهو أنسب من غيره بأن تستخدمه الروح الحيوانية في أعمالها العقلية . وأيضاً أن بناء القلب مؤلف من حلقات ليفية عضلية وكأها على نوع مدحش من التغمم والتصالب والتشبيك بحيث يقال إن البناء العضلي للقلب لم يعرف كما ينبغي إلى الآن . وإن بناء القلب وأليافه العضلية أكثر وأكثر تغمماً وتصالباً وتشبكاً من البناء الذي امتازت به عضلات الحياة الحيوانية الحساسة للإرادة التي هي من أعمال النفس والمثلة في أعمالها لأمرها . وهذا كله يشير إلى

أنَّ لعضاية القلب وميزة بنائه عمل نفسي كبير فائق يفوق ما ذكر لعضلات الحياة الحيوانية وأنسب ما يكون بذلك هو الإدراك والتعقل . نعم يمكن ان يكون الدماغ محفظة لصور المدركات التي يستودعها القلب إياه

وخلاصة الحجة في ذلك هو ان وجوه الإعجاز في القرآن الكريم حجة على انه منزل من الله خالق القلب والدماغ بعلمه وحكمته . وقد اخبر بأن محل الإدراك والتعقل وآثاره هو القلب

❖ خاتمة ❖ من جملة ما يحضرني عند كتابتي لهذا التفسير من كتب الشيعة من كتب التفسير وانقل عنه تفسير القمي علي بن ابراهيم . والجزء الخامس من كتاب حقائق التأويل في متشابهات النزول السيد الرضي طاب ثراه وهذا هو المقدار الموجود منه وابشداؤه من الآية الخامسة من سورة آل عمران إلى نهاية تأويل الحادية والخمسين عن سورة النساء . وكتاب مختصر التبيان للشيخ الطوسي . وهو قليل النسخة جداً وفيه احالات على كتابيه الخلاف وشرح جبل العلم . وكتاب مجمع البيان للطبرسي . وكتاب البرهان للسيد هاشم البحريني وهو تفسير بالحديث وهو مع الوسائل واسطتي إلى تفسير العياشي . واما التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري (ع) فقد اوضحنا في رسالة منفردة في شأنه أنه مكذوب موضوع وما يدل على ذلك نفس ما في التفسير من التناقض والتهاافت في كلام الراويين وما يزعمان انه رواية وما فيه من مخالفة الكتاب المجيد ومعلوم التاريخ كما اشار اليه العلامة في الخلاصة وغيره . ومن كتب آيات الأحكام كنز العرفان للمقداد . وزبدة البيان للأردبيلي . والقلائد للجزائري . ومن كتب الحديث . الكافي . والفقيه . والتهذيبان . والوسائل . وعدة من كتب الصدوق وغيرها ومن كتب اهل السنة من كتب التفسير تفسير الطبري . والكشاف . والدر المنثور في تفسير المأثور للسيوطي . ومن كتب الحديث جوامعهم الستة . وموطأ مالك . ومسنند احمد . ومستدرك الحاكم . وكنز العمال . ومختصره . وان الدر المنثور اجمع من غيره للمأثور في التفسير باعتبار الأحاديث ورواياتها ومخرجها في كتبهم فلذا كانت احوالي في الغالب عليه وان اخرج الحديث عن صحاحهم التي هي اعلامه سمعة . وقد اقل عنها ما لم يذكره . وإنما اذكر عنه ما اسنده عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم . او عن الصحابة الكرام رضي الله عنهم . واما ما يرويه موقوفاً على التابعين ومن بعدهم فلا حاجة لي فيه والله الموفق والمعين ولنشرع بعون الله وتوفيقه في المقصود

﴿ فاتحة الكتاب ﴾

(١) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣) الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ (٤) مَا لَكَ يَوْمَ الدِّينِ (٥) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٦) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٧) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

﴿ تسميتها ﴾

تواترت تسميتها بفاتحة الكتاب ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب ونحو ذلك . وتكاثرت روايات الفريقين من الشيعة وأهل السنة عن رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع) والصادق (ع) في تسميتها بأُم الكتاب . وأُم القرآن . والسبع المثاني . والقرآن العظيم . وعن أبي عبد الله الصادق (ع) إنما سميت المثاني لأنها تثنى في الركعتين

﴿ بركتها ﴾

واستفاضت الرواية من الفريقين عن رسول الله (ص) والباقر (ع) والصادق (ع) بل كادت أن تكون متواترة المعنى أن في قراءتها شفاء من الداء

﴿ محل نزولها ﴾

ذكر الواحدي في أسباب النزول وعن الثعلبي في تفسيره عن علي* (ع) قد نزلت فاتحة الكتاب بمكة الحديث . وروي عن عمرو بن شرحبيل ما حاصله أن نزولها كان في أول الرسالة ونزول جبرائيل بالوحي . ولكن في مضامين الرواية ما فيها . وعن رجل من بني سلمة ما يقضي بأنها كانت تلى قبل الهجرة . وقال الله تعالى في سورة الحجر « ٨٧ ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم » وإذا كانت سورة الحجر كلها مكية قبل الهجرة ففي ذلك بضميمة ما ذكره في تسميتها دلالة على أنها نزلت في مكة قبل الهجرة ولكن مرسوم في عناوين المصاحف أنها مدنية وقيل أنها مكية مدنية وهي سبع آيات باتفاق المسلمين وتضافر الأحاديث زيادة على أحاديث السبع المثاني بل الأحاديث في روايات الفريقين متواترة في ذلك

﴿ بسملتها ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم جزء من السورة باتفاق الإمامية والشافعية وإجماع أهل البيت

والروايات المتكاثرة عنهم (ع) وباتفاق المسلمين على رسمها في المصاحف من اول الأمر إلى الآن . والأخبار من طرق اهل السنة عن رسول الله وفيها الصحاح والحسان باصطلاحهم متكاثرة في ذلك كما في احاديث علي (ع) وام سلمة وعمار وجابر وبريدة وطلحة بن عبيد الله وابن عمر وابي هريرة وانس والنعمان ابن بشير كما روي ايضا عن علي (ع) وابن عباس ومحمد بن كعب القرظي

✽ الجهر بالبسمة ✽

يجهر بها باتفاق الإمامية واجماع اهل البيت وعلمهم وحديثهم وحديث اهل السنة عن رسول الله (ص) من طريق علي (ع) وعمار وعائشة والحكم بن عمير وابن عمر وانس وابي هريرة والنعمان بن بشير : وان تفسير البرهان السيد هاشم البحريني من الإمامية وتفسير الدر المنثور للسيوطي من اهل السنة قد ذكر فيها الكثير مما اشرفنا إليه من الاحاديث فليرجع اليها من اراد الاطلاع على التفصيل

✽ اعراب البسمة ✽

(بسم الله) يتعلق بمحذوف يشير اليه ظاهر المقام . وقيل تقديره ابدأوا او اقرأوا . او قولوا . قلت على تقدير اقرأوا او قولوا تكون الباء بمعنى الاستعانة باسم الله كما يقال اكتبوا بالقلم وذلك لجلالة اسم الله وبركته بجلال المسمى جل وعلا وبركته . ويكون المقروء والمقول هو ما بعد البسمة من السورة (ويرد) على هذا النحو من التقدير اولاً انه مناف لجزئية البسمة من السورة ومساواتها لسائر آياتها في حكم القراءة . وان التخلص يجعل البسمة معمولة ايضا لاقرأوا او مقولة لقولوا يستلزم تقدير عامل آخر تتعلق به الباء ومجرورها فما هو اذن . كما يرد ايضا ما ذكرنا على تقدير الكشف اقرأوا اتلوا من كلام القاري والثالي ويكون المقروء والمتلو هو ما بعد البسمة : ويرد الجميع ثانياً حتى ابدأوا للأمر انه لا يتجه اطراد هذه التقادير في السورة المصدرة بخطاب النبي (ص) نحو يا أيها النبي . يا أيها المرتل . قل أوحى بل وسائر السور المصدرة بكلمة (قل) وما اشبه ذلك من السور . وكذا السور المصدرة بخطاب غير النبي نحو يا أيها الناس . يا أيها الذين آمنوا فإن أمر الله للعباد بالقراءة أو القول بخبر جماع كونه في أول نزولها خطاباً إنشائياً من الله لرسوله أو للناس أو للذين آمنوا . وكذا إذا كان المقدر اقرأوا أو اتلوا بصيغة المضارع . مضافاً إلى أن كلمة اقرأوا أو اتلوا لا يصح ان تكون

من الله لأنه جل شأنه هو المتكلم بالقرآن والمنشئ له فكيف تنسب اليه القراءة والتلاوة : فإن قلت انا في السور المشار اليها نجعل المقدّر ما لا ينافي خطابها وفي غيرها نجعل المقدّر كلمة أقرأ أو اتلو بصيغة المضارع من قول الناس . قلنا أولاً ماذا تصنع بما أوردناه أولاً (وثانياً) ما هو الذي تقدّره في السور المشار اليها بحيث لا ينافي مقام خطابها وإنشاءه فإنه ينبغي بيانه (وثالثاً) يلزم من ذلك أن تفكك بين سياق البسملات التي في القرآن بلا دليل ولا حاجة ملزمة . مع أن الظاهر كونها في جميع السور على سياق واحد متسق كما أن الظاهر أن المقدّر في تلك السور وغيرها في حال النزول ووحى الله وفي حال تلاوة الناس وقراءتهم هو واحد . كما أن الظاهر أن التالي يتلو البسملة على ما تعلقت به حال النزول وإن ما تعلقت به هو من القرآن المنزل الذي أمر الناس بتلاوته وإن كان مقدراً

فالظاهر أن البسملة في جميع السور متعلقة بكلمة « ابدء » للمتكلم من قول الله جل اسمه تنوياً بجلال اسمه الكريم وبركاته وتعظيماً لجلال المسمى وعظمته جل شأنه وله الأسماء الحسنى كما أمر في القرآن بذكر اسمه وتسميته كما في سورة المائدة والحج والمزمل والذهر والأعلى . فينتظم المقدّر في جميع السور وجميع الأحوال بنظام واحد على نسق واحد . ولا يعتريه ما استظهرناه غرابة ولا إشكال وكيف يعثر به ذلك وقد نسب الله الابتداء لذاته المقدسة في خلقه كما في قوله جل اسمه « وبدأ خلق الإنسان من طين . كما بدأنا أول خلق » وقد أقسم جل اسمه بمخلوقاته كالشمس والقمر والنفس وغيرها تعظيماً لها لأنها مظاهر قدرته وآيات حكمته

﴿ خلق القرآن ﴾

وإن لوحى الله بالسور إلى رسوله بداية ونهاية كما للسور كما قال الله تعالى في سورة الاحقاف في شأن القرآن « ومن قبله كتاب موسى » ودع عنك أن القرآن الكريم كلام مؤلف من الحروف والكلمات ولا بد من أن يكون لها ولتأليفها بداية ونهاية ولا بد من أن يكون له علة في ايجاده ووجوده لأنه ليس بواجب الوجود فإن واجب الوجود واحد هو الله . وليست علة وجود الموحى منه إلا خلق الله خالق كل شيء قال الله في سورة الزخرف « إنا جعلناه قرآناً عربياً » والجميل هو الخلق وكل مجعول ومخلوق له بداية.

(الله) علم لواجب الوجود إلى له العالمين جات اسماؤه وعظمت آلاؤه . وتفخيم لأمه بعد الفتح والضم (الرحمن) لا اظنك تشك في أن معنى الرحمة تتلقاه افهام الناس من لفظه

في المحاورات على حدوده ومزايه وتناوله غرائزهم في اللغة على خصائصه وتميز في كل مقام ما يراد منه . بيد ان مقام التفسير قد يشوش الذهن لعدم اللفظ المرادف وعدم الاستقصاء في البيان لمزايا المعنى وحدوده . وقد فسرت الرحمة بالعطف والحنو . او الرأفة والحنان . أو الرقة والتمطف . وكل هذه التفسيرات إنما تحوم حول المعنى وتشير إلى شيء منه من بعيد . ألا ترى ان كلامنا من التفسيرات الثلاثة تختلف كامتائه في المعنى وإن هذه المذكورات قاصرة مع ان الرحمة تتعدى إلى المفعول . وان الأساس لمعنى الرحمة ودعامه ان تتعلق بالمحتاج إلى ما لا يقدر عليه من نيل الخير ودفع الأذى والضرر . ويكون الداعي الراحم هو احتياج ذلك المحتاج والرغبة في إسعافه وإعانتته فيه من دون أن يرجع إلى أغراض الراحم من نحو حاجة أو محبة أو ارتباط خاص به . ويعرف من تعديتها إلى المفعول انها ليست عبارة عن الانفصال النفسي بل هي تستعمل في حالة نفسية تتعلق بالمحتاج على الوجه المذكور وبالنسبة لله جل شأنه نحو من كماله الذاتي يتعلق بالمحتاجين على الوجه المذكور . ولأن جل قصور البشر نوعاً على فهم صفات الله جل اسمه على ما هي عليه جرى القرآن الكريم على التعبير عنها بما يعبر به عما يناسبها في الشبه بالآثار والمزايا من صفات البشر الحميدة وجرى على ذلك في المبدأ والاشتقاق . وتستعمل الرحمة ايضاً بنفس الاسعاف او بنفس المسعف به . ومن الثالث بحسب الظاهر قوله تعالى في سورة آل عمران « وهب لنا من لدنك رحمة » وفي سورة الكهف « ربنا آتنا من لدنك رحمة » وغير ذلك . وفي القرآن ايضاً ما يصلح انطباقه على المعنى الأول والثاني . فالرحمن فعلان لذي الصفة الفعلية البينة ذات الأثر الظاهر ولها بقاء واستمرار كغضبان ووربان وفرحان . فيدل على فعلية الراحمة البينة واستمرارها . وان افعال المتعلقة مع اشتقاقها من المتعدي ليدل على عموم هذه الراحمة ذات الأثر الظاهر وشمولها لكل محتاج اليها وكل محتاج اليها . ومن ذا الذي يكون راحمته او رحمته بمعنى اسعافه فعلية بينة ظاهرة الأثر مستمرة شاملة مطلقة ومن ذا الذي يقدر على هذا الاسعاف غير الله جل آلاؤه ولا جل ذلك اختص هذا الاسم الكريم بالله جل شأنه (الرحيم) صفة مشبهة تؤخذ بهذه الصيغة من المعاني الثابتة كالجبايا والأخلاق فتدل على ثبوت الرحمة ودوامها لله كدوام السجايا والأخلاق للبشر ولزومها وبهذه الدلالة وهذه المزية كانت ابلغ في المدح وبهذه الجهة صح الترقي إليها بالمجد والمدح ولا يمتنع اخذ الصفة المشبهة بهذه الصيغة من الوصف المتعدي بحسب وضعه لأنه قد يجعل لازماً بتضمينه معنى السجبة

والخلق فيقول إلهي معنى فعل بضم العين كقوله تعالى في سورة المؤمن « ١٥ رفيع الدرجات ذو العرش » أي رفيعة درجاته فأضيفت الصفة إلى فاعلها كحسن الوجه على ما هو من خصائص الصفة المشبهة كما قال الشريف في حاشية الكشف وحكاة عن صرف المفتاح وفائق الزمخشري وما يشهد بأن لفظ الرحيم ضمن معنى غير المتعدي هو أنه حيث ذكر في القرآن متعلقاً بمعمول ذكر متعلقاً بواسطة الباء على سنة غير المتعدي دون لام التقوية كما في سورة البقرة « ١٣٨ إن الله بالناس لرؤوف رحيم » وفي سورة الحج ١٦٤ ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بأذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم » وفي سورة الحديد « ٨ وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم - ٩ وإن الله بكم لرؤوف رحيم » وفي سورة بني إسرائيل « ٦٨ ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيمًا ٦٩ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر اعرضتموكم كان الإنسان كفورًا ٧٠ أفأمتهم أن - ٧١ أم أمتهم أن يعبدكم - فبغركم بما كفرتهم » وفي سورة التوبة « إنه بهم رؤوف رحيم . بالمؤمنين رؤوف رحيم » وفي سورة النساء « إن الله كان بكم رحيمًا » وفي سورة الأحزاب « وكان بالمؤمنين رحيمًا » وهذه الصفة غير مختصة بالله فقد جاء في سورة التوبة في وصف الرسول (ص) « ١٢٩ بالمؤمنين رؤوف رحيم »

وقد عرفت مما ذكرناه من سورة البقرة والحج وبني إسرائيل والحديد ما ينبغي أن تطرح الرواية التي تذكر أن الرحمن بجميع خلقه والرحيم بالمؤمنين خاصة ومما ذكرناه من سورتي بني إسرائيل والحج ينبغي أن تطرح أيضا الرواية التي تذكر أن الرحمن رحمان الدنيا والآخرة والرحيم رحيم الآخرة كما أمرنا بذلك في عرض الحديث على كتاب الله

(الحمد لله) الحمد ثناء بالخير معروف يضعه المتكلم بحسب مرتكزاته في اللغة مواضعه ويعرف معناه بجزاياه ويفرق بينه وبين ما يقارنه في الاستعمال والفهم . ولكن الاضطراب ينبغي من ناحية التفسير فمن قائل أنه أخو المدح أي مرادفه . ومنهم من فسره بالشكر مستشهداً بقوله الحمد لله شكراً جاعلاً قولهم شكراً مفعولاً مطلقاً لمفعولاً لأجله . ومنهم من قال إن الحمد والمدح والشكر متقاربة . ومنهم من جعله على صفات المحمود الذاتية وعلى عطائه . ومنهم من خصه بالثناء على الفعل الجميل الاختياري . والظاهر من التدبر في موارد الاستعمال والتبادر

ان الحمد هو الثناء باللفظ بالخير على فعل الجليل الاختياري إذا كان للجميل نحو ماس بالحمد
والإلا فهو مدح . وأما الشكر فهو مقابلة الإحسان بنوع إحسان يتضمن الاعتراف سواء كان
عملاً أو قولاً ولو بنحو من الاعتراف بذلك الإحسان وفضله لا مجرد الاعتراف بذات الفعل
لا من حيث انه إحسان وتفضل . ولا أظن قولهم الحمد لله شكراً إلا ان شكراً مفعول لأجله
نحو سبخته تعظيماً . وإن فاعل الجليل من الناس إنما يستحق الحمد إذا فعله لحسنه أو لوجه
الله وهو روح الاثيان بالفعل لحسنه « وقليل ما هم » بل لا يستحقه حتى في الظاهر إذا عرف
انه لم يفعله الله ولا لحسنه وذلك القليل لا يستحق الحمد إلا من حيث مباشرته لفعل الجليل
واختياره له . فإن القوى التي فعل بها والإدراك الذي عرف به حسنه والإرشاد إلى فعل
الجميل والأعيان التي تكون محققة لاسداء الجليل هي كلها لله ومن الله جلت آلاؤه ولذا كان
الحمد كله وبجقيقته لله الغني المطلق جليل النعم التي لا تحصى نعمائه ولا يتخاو من عظمائها إنسان
في حال من الأحوال . وجملة الحمد لله خبرية ان كانت من كلام الله في تمجيدته لذاته
وتنويهه بجلاله جل شأنه ولكن روى الصدوق في الفقيه من كتاب العال للفضل بن شاذان
عن الرضا (ع) ليس شيء من القرآن والكلام جمع فيه من جوامع الخير والحكمة ما جمع في سورة
الحمد وذلك ان قوله عز وجل الحمد لله إنما هو أداء لما أوجب الله عز وجل من الشكر وشكر
لما وفق له عبده من الخير رب العالمين توحيد له وتحميد واقرار بأنه هو الخالق المالك لا غيره
الرحمن الرحيم استعطاف وذكر لا لآلته ونعمائه على جميع خلقه مالك يوم الدين اقرار ته بالبعث
والحساب والمجازاة الحديث . إذن فجملة الحمد لله إلى آخره إنما هي عن لسان العباد وتعليم
لهم كيف يحمدون ويوحدون ويقرون فهي خبرية تتضمن انشاء الحمد بانه كله وبجقيقته لله
(رب العالمين) الرب المالك المدير أو المربي والعالمين جمع عالم (الرحمن الرحيم) تقدم تفسيره
(مالك يوم الدين) مالك يوم القيامة ويده أمره يتصرف فيه بعبده أو برحمته كيف يشاء وفي
التبيان والكشاف ومجمع البيان أن إضافة مالك إلى يوم الدين من إضافة اسم الفاعل إلى
الظرف نحو قولهم « يا سارق الليلة أهل الدار » . ولا أرى حاجة ماسة إلى ما ذكره .
وروي في التبيان ومجمع البيان مرسلًا عن الباقر (ع) والقمي مسندًا عن أبي عبد الله (ع)
واخرج ابن جرير والحاكم وصححه مسندًا عن ابن مسعود وناس من الصحابة ان يوم الدين
يوم الحساب وأظن ذلك لبيان انه يوم القيامة . وفي التبيان والبيان الدين الحساب والجزاء وفي

الكشاف الجزاء واستشهدوا بذلك بقولهم كما تدين تدان وبيت الحماسة المنسوب لشهل بن ربيعة صفحناعن بني ذهل وقلنا القوم اخوان | عسى الأيام ان ير جعن قومًا كالذي كانوا ولما صرح الشر وأمسى وهو غريان | ولم يبق سوى العدو ان دنأهم كما دانوا على معنى كما تجازي غيرك إذا أساء فإنك تجازي أيضا إذا أسأت وإنا جازيننا بني ذهل على عدوانهم كما جازوا غيرنا فإن ظاهر الشعر ان قوم شهل كانوا قد صفحوا عن بني ذهل ولم يسبق منهم ما يكون به اعتداء بني ذهل عليهم مجازاةً ولعل من معنى الدين المذكور في قول الأعشى «هو دان الرباب أذكر هو الدين دراكا بغزوة وصيال» ولعل من هذا الباب الديان من أسماء الله له الأسماء الحسنى وديان يوم الدين وقول الأعشى مخاطباً لرسول الله (ص) «يا سيد الناس وديان العرب» والحديث كما ذكره في النهاية كان على ديان هذه الأمة . والأمر في تفسير الدين في الآية سهل فإنه يتراوح بين هذه المعاني وما يقرب منها . ولا غرو إذا تشابهت علينا هاهنا حقيقة معنى الدين بمجودودها بواسطة التوسع في الاستعمال . ولا ينبغي أن يخفى أن قوله عز وجل رب العالمين الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . هو بمنزلة الحجة على ان الحمد له جلت آلاؤه وبمنزلة الحجة على انحصار العبادة والاستعانة به في قوله جلت عظمته (إياك نعبد وإياك نستعين) وهل يعبد أو يستعان به بما هو رب العالمين غير رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين . وهل يصح في الشعور ان يرغب عن عبادته اولا تفتنم الاستعانة به . وقد كررت كلمة (إياك) لوجهين الأول للتصريح والنص على انحصار كل من العبادة والاستعانة به . ولو قيل إياك نعبد ونستعين لأوهمت صورة اللفظ ان المنحصر هو مجموع الأمرين من العبادة والاستعانة لا كل واحد منهما والثاني لأن الحصر فيهما مختلف فإنه بالنسبة للعبادة حصر لجميع أفرادها وبالنسبة للاستعانة حصر باعتبار بعض أفرادها كما سيأتي إن شاء الله . وهذا الأسلوب في الآية الكريمة من قسم الالتفات من الغيبة إلى الخطاب . والالتفات في كلام العرب وشعرهم كثير وهم يعدونه من محاسن الكلام ومزاياه في البلاغة وهو متفاوت في الحسن ولكنه مهما بلغ فإنه لا يكاد ان يبلغ ما بلغه هذا الالتفات من الحسن الباهر والجودة الفائقة وأعلى درجات البلاغة . فإنه يمثل العبد شاخص البصر إلى جلال مولاه ومتوجها إلى حضرته بالاعتراف بأنه لا معبود سواه ولا مستعان إلا هو ومتضرع بخطاب العبودية والمسكنة ومناجاة الرهبة والرغبة خاضعاً لربوبيته ماداً إلى رحمته يد الانقطاع في المسألة والاستعانة

العبادة

لا يزال العوام والخواص يستعماون لفظ العبادة على رسالهم ومجرى مرتكزاتهم على طرز واحد كما يفهمون ذلك المعنى بالتبادر ويعرفون بذوقهم مجازة ووجه التجوز فيه . وإن المحور الذي يدور عليه استعمالهم وتبادرهم هو ان العبادة ما يرونه مشعراً بالخضوع لمن يتخذة الخاضع إلهاً ليوفيه بذلك ما يراه له من حق الامتياز بالآلهية . او بعنوان انه رمز او مجسمة لمن يزعمونه إلهاً تعالى الله عما يشركون . ولكن الخطأ والشرك . أو البهتان والزور . أو الخطب في التفسير وقع هنا في مقامات ثلاثة (الأول) الايتان بما تتحقق به حقيقة العبادة لما ليس أهلاً لذلك بل هو مخلوق لله كعبادة الأوثان مثلاً (الثاني) مقام البهتان والافتراء وخدمة الأغراض الفاسدة لترويج التحزبات الاثيمة فيقولون لمن يوفي النبي أو الإمام شيئاً من الاحترام بعنوان انه عبد مخلوق لله مقرب عنده لأنه عبده وأطاعه ويرمونه بأنه عبد ذلك المحترم وأشرك بالله في عبادته . ألا تدري لمن يبهتون بذلك يبهتون من يحترم النبي أو الإمام تقرباً إلى الله لأنه اختاره وأكرمه بمقام الرسالة أو الإمامة التي هي يجمل الله وعده كما وعد الله بذلك ابراهيم في قوله تعالى في سورة البقرة « وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمنَّ قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين » وهذا الاحترام المعقول المشروع لا يقل عنه ولا يخرج من نوعه ما هو المعلوم والمشاهد من احترام هؤلاء المنحزين للموكلهم وزعمائهم وحكامهم وخضوعهم لهم بالقول والعمل مما بلغوا من النخوة الاعرابية . ولقد سرت هذه البادرة السيئة موروثة من ضلال الخوارج في تحزبهم إذ نسبوا الشرك والكفر لأئمة المؤمنين عليه السلام إذ ألجأوه عند رفع المصاحف إلى السكوت عن تحكيم رجلين يعملان بما يوجبه القرآن في شقاق معاوية في حربه . كما ألجأوه إلى كون الحكيمين أبا موسى وابن العاص . وكما نسبوا الشرك ثانياً إلى ولده الحسن السبط عليه السلام لما ناقق قومه وزعماء جنده وانحاز بعضهم إلى معاوية وكاتبه آخرون وواعدوه تسليم الحسن له قبض اليد فخطب الحسن (ع) في معسكره المحشو بالنفاق مستشيراً ومقياً للحجة ومختبراً لهم لكي يعرف الناس نفاقهم فيكونوا على بصيرة من أمرهم في الحرب او الهدنة

وهذه المباهنة الوخيمة والدسيسة الربيئة في التحزب الاثيم صارت في العصور المتأخرة وسيلة للتهاجم على ما حرم الله من دماء المسلمين واموالهم واعراضهم وعلى حرمت الرسول والأئمة

عليهم السلام وجرى من جرأ ذلك ما تقشعر منه الجلود . ولولا أن ملكهم قمع طغيانهم لجرى من عدوانهم والدفاع لهم حوادث في المسلمين مرعبة والله المستعان اللهم إياك نعبد وإياك نستعين (المقام الثالث) كثيرا ما فسرت العبادة بأنها ضرب من الشكر مع ضرب من الخضوع . او الطاعة . وهل يخفى عليك أن هذه التفسير مبنية على التساهل بخصوصيات الاستعمال أو الارتباك في مقام التفسير وهل يخفى أن أغلب الافراد من كل واحد مما ذكره لا يراه الناس عبادة ويفاطون من يسميها او بعضها عبادة الا على سبيل المجاز . وإن لفظ العبادة وما يشق منه كعبد ويعبد لا تجدها مستعملة على وجه الحقيقة الا فيما ذكرناه من معاملة الإنسان إن يتخذها إياها معاملة الإله المستحق لذلك بمقامه في الآية . ولم أجدها في القرآن الكريم مستعملة في غير ذلك الا في ثلاثة موارد ولكنها لم تخرج عن النظر إلى مناسبة المعنى الحقيقي المذكور والتجوز بلفظه . وهي قوله تعالى في سورة مريم «٤٥ يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا» وفي سورة يس «٦٠ ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان» . فاستمير اسم العبادة للطاعة العمياء للشيطان على الدوام كما ياتي المؤمنون بقياد طاعتهم لله على بصيرة من امرهم لأنه إلههم على نحو التجوز الواقع في قوله تعالى في سورة الفرقان «٤٥ أرايت من اتخذ إلهه هواه . والجاثية ٢٢ أرايت من اتخذ إلهه هواه» فإنهم لم يكونوا يعبدون الشيطان ولم يتخذوا هواهم إلهها على سبيل الحقيقة . وثالثها قوله تعالى في سورة المؤمنون «٤٩ قالوا (اي فرعون وملائه) أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون» اي دائبون على العمل في تسخيرنا كما يدأب المؤمن في طاعة الله وعبادته . او باعتبار ان فرعون كان يدعي الألوهية فجعلاوا بالتشبيه والنمويه خضوع بني اسرائيل بالقهر والغلبة عبادة لفرعون هذا وان الشيخ محمد عبده خاض في هذا المقام في البحث على ما حكاه عنه تلميذه في تفسيره لسورة الفاتحة وقارب الغرض في كلامه ولما يقرطس . قال ما ملخصه مها غالى العاشق في تعظيم معشوقه والخضوع له وتغاني في هواه وارادته . أو بالغ بعض الناس في تعظيم الملوك والزعماء فترى من خضوعهم لهم ما لا تراه من خضوع القانتين لله فإن العرب لم يكونوا يسمون شيئا من هذا الخضوع عبادة فما هي العبادة اذن . وقال: تدل الأساليب الصحيحة والاستعمال العربي الصراح أن العبادة ضرب من الخضوع بالغ حد النهاية ناشئ عن استشعار القلب عظمة المعبود لا يعرف منشأها واعتقاده بساطة لا يدرك كنهها وماهيتها وقصارى ما يعرفه منها انها محبطة به

ولكنها فوق ادراكه انتهى كلامه ولو انه صرح بجامع كلامه وملاك صحته واستقامته « وهو ما قدمنا من تقييد العبادة بالتعلق بن يراه العابد إلهاً » لما عادت جملة فلا متدافعةً يشلها الانتقاد وان اعتصم بعد ذلك بصائب قوله « للعبادة صور كثيرة في كل دين شرعت لتذكير الإنسان بذلك الشعور بالسلطان الإلهي الأعلى » فإنه لا يتسق قوله هذا الا أن يعتبر في معنى العبادة كونها ناظرة الى توفية من يتخذها إلهاً حقه من التعظيم والخضوع واي شعور مذكر فيها لولا ذلك الاعتبار . وان لم يعتبر ما ذكرناه فلا مفر من جملة المتقدمة عن النقد . فإن صور كثير من العبادات لا تبلغ حد النهاية من الخضوع ولا تقاربه كما ذكر في عبادة المتحشّنين القاننين بالنسبة لخضوع ذلك العاشق لمعشوقه وخضوع أولئك في تعظيم الملوك والزعماء . وأيضا ان عابد الله يعلم أن منشأ العظمة وملاكها هي السلطة الإلهية ولئن كانت فوق ادراكه فباعتبار عمومها لا يعدّ ولا يحُدّ من الممكنات لا بما هي سلطة إلهية عظيمة يمكن عرفانها ونيلها بالادراك من هذه الوجهة . وفي مقام الفرق بين العبادة والعبودية قال ومن هنا قال بعض العلماء أن العبادة لا تكون في اللغة الا لله تعالى « أقول » يريد ان العبادة من حيث ان معناها الحقيقي في اللغة مأخوذ فيه التعلق بالإلهية والإله لا يصح تعلقها إلا بالله الذي لا إله الا هو ولا يربد أنها لم تنسب في اللغة الا لله . وكيف يخفى عليه أنها جاءت في نفس محاورات القرآن منسوبة لغیر الله في أكثر من سبعين مورداً . فالظاهر أنه لا وقع لاعتراضه عليه بقوله ولكن استعمال القرآن يخالفه . نعم يرد على من قال ان لفظ العباد مأخوذ من العبادة انه غفل عن قوله تعالى في سورة النور « ٣٢ وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم »

حصر الاستعانة بالله جل اسمه

قال الله تعالى في سورة المائدة « ٣ تعاونوا على البر والتقوى » واما المعاونة في المباحات فهي إحسان أمر الله به أيضاً في كتابه بقوله تعالى في سورة النحل « ٩٢ ان الله يأمر بالعدل والإحسان وفي سورة البقرة ٩١ وآل عمران ١٢٨ والمائدة ١٥ ان الله يحب المحسنين » . والمعروف بالضرورة من سيرة النبي (ص) وأصحابه والأئمة والمسلمين انهم يستعينون في غالب أمورهم بالمباحة بالآلات والدابة والخدام والزوجة والصاحب والرسول والأجراء وغيرهم وفي سورة البقرة « ٤٢ و ١٢٨ استعينوا بالصبر والصلاة » وفي سورة النساء « ٦٧ ولو انهم إذ ظلموا انفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً » فقد لا مهم الله على

عدم مجيئهم للاستعانة على المغفرة باستغفار الرسول . وهذا يكفي في الحجة والدلالة على ان الإعانة ليست بجميع أقسامها منحصرة بالله . وعلى انه لا يلزمنا أن نقصر استعانتنا بول مطلق على الله . وتفصيل ذلك هو انا ننظر إلى استعانات البشر قولاً وعملاً فتراها تكون على نحوين (النحو الأول) هو الاستعانة بالوسائل المجعولة من الله لنيل المقصود التي هي وما فيها من التسبب من جعل الله وخلقه . (والنحو الثاني) هو الاستعانة بالألـه بما هو إله معين بإلهيته وقدرته الذاتية المطلقة الفائقة . ولا ريب في ان النحو الثاني من الاستعانة هو المتيقن في قصره على الله . لأن الاستعانة بهذا النحو إذا كانت بغير الله كانت تأليهاً لذلك الغير واشراكاً بالله . ومما ذكرنا من الآية والسيرة واقتران إياك نعبد وإياك نستعين في سياق توحيد الله وتمجيده بالمجد الإلهي تقوم الحجة وتتضح الدلالة على ان هذا النحو من الاستعانة هو تمام المقصود على الله دون النحو الأول

❦ الاستشفاع إلى الله ❦

ولا ريب في أن الاستشفاع إلى الله في دعائه والتوسل إليه بالنبي (ص) والأئمة والأولياء في الحوائج إنما هو من الاستعانة بالنحو الأول . وإنك إذا سألت حتى من الهمج عما يفعلون في توسلهم بالنبي (ص) والأئمة والأولياء قالوا انا نستشفع بهم إلى الله ونقدمهم أمام تضرعاتنا إليه لكرامتهم عليه ووجاهتهم عنده لأنهم من عباده المكرمين . فإن قلت لهم انكم ربما تخاطبونهم بالتضرع والتمجيد وطلب الحاجة منهم فما هذا . قالوا لك تخاطبهم بالضراعة ليشفعوا وبالتمجيد بما هم أهل له احتراماً لمقامهم عند الله وبطلب الحاجة منهم إلحاحاً عليهم وتأكيذاً في الاستشفاع . ولياناً لأن شفاعتهم وسيلة ناجحة كما تقول لمقرّب الملك فيما يرجع أمره إلى الملك أريد هذا الأمر منك . فإن قلت لهم هلا تسألون طلباتكم منهم . قالوا لك كيف وإنهم بشر لا يقدرّون على ما يختص الله بالقدرّة عليه من حيث الإلهية ولا إله إلا الله : فإن قبل ان الله ارحم الراحمين فما هي الحاجة إلى الاستشفاع . قلنا شرع الاستشفاع لأجل الحكمة التي شرع لأجلها الدعاء كما قال الله وهو ارحم الراحمين عالم الغيب والشهادة في سورة المؤمن « ٦٢ » أدعوني استجب لكم — ٦٧ فادعوه مخلصين له الدين « وفي سورة الاعراف « ٢٨ » وادعوه مخلصين له الدين — ٥٤ وادعوه خوفاً وطمئناً « فإن دعاء الله تمرين على عبادته والانجاء إليه والفرع إلى إلهيته وقدرته فإن قيل أين شرع الاستشفاع . قلنا يكفي في الدلالة

على مشروعيته من الكتاب المجيد ما ذكرنا من الآية السابعة والستين من سورة النساء في لومهم على عدم مجيئهم ليقتنموا شفاعَةَ الرسول باستغفاره لهم • وإن العدول والالتفات من خطاب الله لرسوله في الآية المشار إليها إلى قوله واستغفر لهم الرسول إنما هو للإشارة إلى أن الحكمة في ذلك هو ترمينهم على الانقياد إلى الرسول ومقام الرسالة بالمجيء إلى حضرته والخضوع لكرامته بالاحتياج وطلب الاستغفار وشفاعته لهم • كل ذلك لكي يتقادوا مستوثقين إلى طاعته في أمور الدين والإيمان • وهذه المشروعة يجري وجهها وحكمتها وعلتها في شفاعَةِ الأئمة والأولياء ولينبذ المستشفع من استشفاعه إلى كرامة المطيع لله لطاعته فيحرر كذا ذلك إلى الرغبة في الطاعة • وهذا أمر معروف المشروعية معمول عليه في الأديان الحقّة كما حكى القرآن الكريم أن أولاد يعقوب نبي الله استشفعوا بأبيهم إلى الله وطلبوا استغفاره لهم فوعدهم يعقوب بذلك كما في سورة يوسف « ٩٨ يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا — ٩٩ قال سوف أستغفر لكم ربي »

❦ الاستشفاع بالمقربين من الأموات ❦

وما ذكرناه من الحكمة يجري أيضاً على رسله في الاستشفاع بهم بعد وفاتهم لكي يحفظ انقياد الناس إليهم فيما علموه وأمرؤا به وارشدوا إليه من أمر الدين وصلاح الدارين • ولتنبه أيضاً إلى كرامة الطاعة لله • فإن قال قائل كيف يستشفع بالأموات وأين هم بعد موتهم من مقام الشفاعَةِ

❦ بقاء النفس بعد الموت ❦

قلنا قد عرفنا الله في كتابه المجيد أن النفوس تبقى بعد الموت على ما هي عليه من المقام النفساني امامتمعة بمقام الكرامة وأما مبتلاة بالهوان والسخط • وقرب لأفهامنا القاصرة حالة النفس بعد الموت وبقائها بمقارنته حالتيها في الموت والنوم • فقال جل اسمه في سورة الزمر « ٤٣ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » وفي سورة البقرة « ١٥٤ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون » وآل عمران « ١٧٠ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ١٧١ فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم إن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ١٧٢ يستبشرون بنعمة من الله وفضل وإن الله لا يضيع أجر المؤمنين » • وإن قوله تعالى إن الله لا يضيع أجر

المؤمنين دون ان يقول لا يضع اجر المجاهدين في سبيله ليدل على ان ذلك من آثار الايمان الجارية لكل مؤمن لا آثار خصوص القتل في سبيل الله ومن خواصه . وقال جل اسمه في سورة المؤمن « ٤٨ فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب ٤٩ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة » فانظم البيان لبقاء النفوس بعد الموت هذه على كرامتها وهذه في هوانها

الشفاعة

فإن قال قائل إن الله قد نفى الشفاعة في القرآن الكريم ففي سورة البقرة « ٢٥٥ من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة » والسجدة « ٤ ما لكم من دونه الله من ولي ولا شفيع » إلى غير ذلك من الآيات « قلنا » ان الشفاعة قد نفاهما القرآن من جهة وهي الشفاعة للمشركون أو الشفاعة التي يزعمها المشركون للذين يتخذونهم آلهة مع الله بزعمهم انهم آلهة قادرون بالهيتهم بحيث تنفذ شفاعتهم طبعاً وحتماً . أو شفاعة الشافع الذي يطاع حتماً كما في سورة يس ٢٦ والمؤمن ٩ والزمر ٤٤ والمدثر ٤٨ وأثبتهما من جهة أخرى بالاستثناء بل بالاستدراك الدافع لابهام نفى المطلق عن كل احد فقال تعالى . إلا بالذن . إلا من بعد الذن . إلا من اتخذ عند الله عهداً . إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً . إلا لمن ارتضى . إلا لمن أذن له . إلا من شهد بالحق . إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى . كما في سورة البقرة ٢٥٦ ويونس ٣ ومريم ٩٠ وطه ١٠٨ والأنبياء ٢٩ وسبا ٢٢ والزخرف ٨٦ والنجم ٢٧ . وإن الشفاعة المستثناة والمستدركة في آيات البقرة . ويونس . وسبا . مطلقة غير مختصة بيوم القيامة ولا بما قبل وفاة الشافع في الدنيا . ولكن لو اعطي القرآن حقه من التدبر وسلت النفوس من وباء الأهواء والتحزب وبوادر التعصب والنصب لما ثار الهياج من بعض الناس على استشفاع المسلمين بالرسول والأنمة والأولياء لأنهم عباد مكرمون وأولى عباد الله بأن نعتد اذنه جلت آلاؤه لهم بالشفاعة إكراماً لهم لأجل الحكمة التي ذكرناها . وقد اكتفينا ها هنا بدلالة الكتاب المجيد عن الإشارة إلى ما تواتر معناه من احاديث المسلمين في هذه الشؤون . وفي كتبهم في الحديث من ذلك شيء كثير والأمر فيه جلي ولكن « لأمر ما جدع قصير أنفه » والشيخ محمد عبده على ما حكاها تلميذه في سورة الفاتحة صفحة ٤٦ و ٤٧ من الطبعة الثالثة كلام القاه على عواهنه في زوبعة الهياج المذكور وهو غريب من تحريه تهذيب كلامه وتذبر القرآن الكريم وتفسيره والتحرز

من عبودية الأهواء ولم يحضرني كتاب تفسيره لأرى ما فيه في هذا المقام (اهدنا الصراط المستقيم) الهداية تستعمل في الإرشاد إلى الطريق والدلالة على الخير كقوله تعالى في سورتي فصلت «٦» وأما ثمود فهديناهم فاستجبوا لعمى» والشورى «٥٢» وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم» وتستعمل في الإيصال بالتوفيق والتسديد كقوله تعالى في سورة القصص «٥٠» إن الله لا يهدي القوم الظالمين — ٥٦» إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء» والنساء «٧٠» وهديناهم صراطا مستقيما» والأنعام بعد ذكر عدة من الأنبياء «٨٧» وهديناهم إلى صراط مستقيم» وهذا المعنى هو الظاهر والمراد من الآية حتى إذا كانت سورة الفاتحة أول ما نزل من القرآن الكريم • والهداية تنعدي إلى المهدي إليه بنفسها وإلى • والصراط هو الطريق والمستقيم ما لا انحراف فيه ولا اعوجاج وهو أقرب نهج موصل إلى المقصود • ويكون سالكه أبعد من الضلال وخوفه • وعلى بصيرة من أمره من أول سلوكه اذ يتضح منه منار الحق وبشائر الوصول من أول الاقبال إليه • وفي حديث الجمهور كما في الدر المنثور انه في الآية كتاب الله • أو لا سلام أو رسول الله وصاحبه بعده • وفي تفسير البرهان عن تفسير وكيع بن الجراح مسندا عن ابن عباس في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم قل قولوا يا معاشرة العباد ارشدنا إلى حب محمد واهل بيته • وعن تفسير الثعلبي مسندا عن أبي بردة قال صراط محمد (ص) واهل بيته • وفي روايات الإمامية انه أمير المؤمنين • او انه الأئمة • وكلما صح من ذلك فهو من باب النص على أحد المصاديق أو اظهرها (صراط الذين انعمت عليهم) بالتوفيق والسداد فنعموا بالوصول وفازوا بالزلفى (غير المغضوب عليهم) لأنهم عاندوا الحق بعدما استنار صبح الارشاد ووضحت الدلالة وقامت الحجة فاستوجبوا بذلك غضب الله • وكلمة غير مجرورة على انها صفة للذين • وفي الحديث والروايات ان المغضوب عليهم هم اليهود أو النواصب • وما صح من ذلك فهو من باب النص على بعض المصاديق (ولا الضالين) بجعلهم وتقديرهم عن طلب الحق ومعرفة مع وضوح الدلالة وقيام الحجة وجبى بكلمة «لا» مع الضالين لأجل الاستقصاء في التعوذ من الفريقين المغضوب عليهم والضالين

سورة البقرة

﴿ مدينة وهي مائتان وست وثمانون آية ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَلَمْ * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ *
الَّذِينَ يُؤْتُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ *

(بسم الله الرحمن الرحيم) مرّة تفسيراها في سورة الفاتحة

(١ أَلَمْ) عِلْمُ معناها عند الله ورسوله ومستودعي علمه وأمنائه على وحيه . ولا غرو في ان يكون في القرآن ما هو محاورته بأسرار خاصة مع الرسول وامناء الوحي «ذلك الكتاب» القرآن أشير اليه بأشارة البعيد لرفعة مقامه وعلو شأنه وذلك متعارف عند العرب في الاشارة الى العظيم الرفيع الشأن (لا ريب فيه) ليس فيه محل للريب ولا ينبغي الريب في أمره . وليس فيه شيء مربب بل هو (هدى) بالفعل وموصل الى حقيقة الدين وشرعة الحق وأركان الإيمان (للمتقين) الله الذين من تقواهم يقبلون على القرآن ويتبعونه حق الاتباع ويأترون بأوامره وينتهون بنواهيه ويتأدبون بآدابه ويسترشدون بعارفه . والاتقاء مأخوذ من الوقاية يقال اتقى السيف بالدركة أي اتقى ما يخاف منه وفي الآية الثانية والعشرين « فاتقوا النار » و٤٦ « واتقوا يوما لا تجزي » وتقوى الله عبارة عن اتقاء ما يخاف منه كغضبه وعذابه فبتقى ذلك بطلب رضاه وطاعته في أوامره ونواهيه . واطلاق التقوى في وصفهم يدل على انها صفة عامة ثابتة لهم ومملكة راسخة كالعالم والفقير . والذين في الآية الآتية وكذا التي بعدها ليست مبنداً وخبره جملة أو لكلك على هدى كما احتمل في بعض التفاسير بل هي صفة للمتقين (٢ الذين) من قوتهم في التقوى والإيمان بالحق واتباع الدليل والهداية (يؤمنون بالغيب) بما لم يروه ولم يحسوا به بل يحصل لهم يقين الإيمان بالحجة من كتاب الله وقول من قامت الحجة على عصمته وذلك كالبعث والنشور والوعد والوعيد والجنة والنار واحوال القيامة والنعيم والعذاب . ومن مصاديق المؤمنين بالغيب والمؤمنون بقيام المهدي المنتظر عجل الله فرجه كما في الرواية عن اهل البيت (ع) (ويقومون الصلاة) يواظبون عليها في أوقاتها قائمة على حدودها وشروطها وخالصا في العبادة والرغبة الى الله في مناجاته والمثول في طاعته بحضرته (ومما رزقناهم) من مال بل وعلم كما في رواية أهل البيت (ينفقون) كما فرضه الله عليهم أو ندهبهم اليه من البر والاحسان بالتعليم والبيان . وينفقونه على حين معرفة منهم واعتراف بأنه رزق الله ونعمته عليهم فيكون انفاقهم أدخل في الطاعة المقرونة بالشكر وأقرب الى المعرفة والاحسان والدوام (٣ والذين) صفة أخرى

(٤) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْآخِرَةَ
هُمْ يُوقِنُونَ * (٥) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

للمتقين وحي، وبواو العطف استغنانا الى فضيلة هذه الصفة فإن التعدد بالعطف يمثل للذهن كلا من الصفات مستقلة بمزاياها لا كما اذا طردت من غير عطف . ألا ترى ان الذهن يجد من الرونق للصفات في قولهم جاء الرجل العالم والصالح والكريم والشجاع ما لا يجده في قولهم جاء الرجل العالم الصالح الكريم الشجاع (يؤمنون بما انزل اليك) من الوحي من الكتاب وغيره ويدعون بأنه منزل من الله على رسوله رحمة للعباد ولطفاً منه فيظهر عليهم بذلك شعار الايمان به (وما انزل من قبلك) على الرسل والانبياء حسب ما يحصل لهم من اسباب العلم بانزاله . واطهر الاسباب في ذلك اخبار القرآن الكريم والرسول المصطفى به . وذلك من الايمان بالغيب لأنهم لم يشاهدوا آية ومعجزة من أولئك الانبياء الماضين (وبالأخرة) التي ذكرها القرآن وما فيها وعرفهم انت بذلك في بشرائك واندارك (هم يوقنون) ويرونها بإيمانهم بالغيب حق اليقين كان ذلك رأي العين . وصيغة المضارع في يوقنون تدل على ثبات اليقين ودوامه وهو الذي تظهر سياؤه في دوام الطاعة والرهبة من سخط الله وعقابه والرغبة في رضا الله وثوابه الذي أعدّه في الآخرة للصالحين . وهو لا المتصفون بهذه الصفات بالآخرة هم يوقنون لا من يكذبها باعتقاده وقوله . او بصورها بتكاف اعتقاده بها على خلاف ما جاءت به رسل الله وكتبه . او من كانت سيرته في أعماله السيئة وتفريطه في الطاعات تمثل ضعف إيمانه بالآخرة وإن غفلاته عنها في أعماله وتروكه تكاد أن تأتي على ما يتكلفه من الاعتقاد بها والعباد بالله . وبعد التنويه بصفات المتقين المهندين بالكتاب جاءت البشارة بكرامة مقامهم وربح تجارتهم فقال الله في شأنهم (ه أُولَئِكَ) مستقرون (على هدى من ربهم) وتوفيق وتسديد اذ كانوا بإيمانهم وإقبالهم على الطاعة أهلاً لذلك (وأُولَئِكَ هم المفلحون) دون غيرهم أما في الدنيا فبإحاطة ما استشعروه من القناعة وتقدير النعم وشكرها وفضيلة الرضا بأمر الله والتسليم لحكمته وراحة الهدوء والصلاح وحسن الأخلاق . وأما في الآخرة فبفلاح النعيم المقيم . وبمناسبة حال الكتاب في هداه مع المتقين الموصوفين وما لهم من الاهتداء والفلاح ذكر الله لرسوله حال بعض الكافرين بأنهم في تماديهم بالنفي على الكفر والتعرد لا يجدي معهم اندارك ولا يؤمنون

(٦) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ *
(٧) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

بالله ورسوله وكتابه . هذا ما يقتضيه سياق القرآن الكريم خصوصاً مع ابتداء الإخبار عن الذين كفروا بدون عطف بالواو (٦ إن الذين كفروا) يعني قسماً خاصاً ممن يستحل الكفر والمهمودين عند الرسول أو هم مطلق الطواغيت الذين يعلم الله أنهم من تمردهم يموتون على التماذي على ضلال الشرك والكفر بالله ورسوله وكتابه وما جاء به في دعوة الحق مع الحجج القيمة والدلالة الواضحة . هؤلاء (سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) ولا يختارون الإيمان لأنهم بطغيانهم وانهاهم بضلال الكفر قد ارتجوا قلوبهم وأساعهم وأحكموا سدا عن ان يلجها شيء من دعوة الإيمان ودلائل آياتها ولا شيء من نور الحق وشافي البيان فاستحقوا بذلك حرمانهم من توفيق الله وتسديده لهم . وإن توفيقه وتسديده جلت آلاؤه من أقوى ما يعين العبد في اختياره للطاعة والإيمان إذ يرفع عنه من طريقهما ما يمرقه ويزل أقدامه من نزغات الشيطان وهفوات الهوى وطموح النفس الأمارة إلى شهواتها ونزغاتها الرديئة ومألوفاتها . فكان حرمان المتمردين من التوفيق والتسديد بمنزلة الختم على ما سدوه بسوء اختيارهم وطفيلانهم . ولأجل ان ذلك الحرمان من الله لخروجهم عن الأهلية نسب الختم الذي سمي به إلى الله عز وجل لأن الله هو الذي بيده أمر التوفيق منحة وحرماناً . وعلى هذا قال جل اسمه (٧ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم . وعلى ابصارهم غشاة) من التمرد حيث استحبوا العمى على الهدى فلا يبصرون انوار الحق والعرفان مع اشراقها كالشمس راد الضحى (ولهم) بما جنوه من التمرد في الكفر والطفيان ومحادة الله ورسوله (عذاب عظيم) وغير خفي ان مذهب العدلية من الإمامية والمعتزلة هو انه يتمتع على جلال الله القدوس الكامل الغني أن يمنع الإنسان بالإلحاح عن قبول الإيمان أو ياجئه إلى الكفر أو يكون هو الخالق للكفر فيه فضلاً عن ان يلومه ويعاقبه مع ذلك عليه . فإن ذلك كله قبيح عقلاً كما هو من البدهيات الفطرية . ومن البديهي ان القبيح ممتنع الصدور من الله الغني القدوس . وقد ذكرنا في أخريات شواهد المقام الثاني من الفصل الرابع في المقدمة ان الله عز وجل قد مجد قدسه في القرآن الكريم بالنزاهة عما هو دون ذلك في القبح ووبخ الناس على أعمال السوء . ولكن ابن المنير

في تعليقته على الكشف تحامل على الرمخشري في هذا المقام واورد لمذهبه وجوهاً طالما لهج بها الأشاعرة «أولها» ان مذهب العدلية في المسألة مخالف لدليل العقل على وحدانية الله فإن مقتضاه ان لا حادث إلا بقدره الله «ويدفعه» ان مسألة القدرة غير مسألة التوحيد وغاية ما يقال في قدرة الله انها لا تقصر ولا تضعف عن الممكن وإن صار لقبه ممتنع الصدور منه لجلال شأنه وقده وكأله وغناه . وليس مقتضى دليل العقل على الوحدانية ان يكون الزنا واللواط والكفر ومنع الكافرين عن الإيمان وأمثالها من القبائح تقع بفعل الله وخلقه وقدرته . وأما قولهم ان نسبة الفاعلية للناس وإيجادهم لأفعالهم وخلقهم لها يقضي بالشرك والاشراك مع الله في صفته وهو خلاف الوحدانية والتوحيد . فهو مردود بأن التوحيد الواجب في الإيمان هو توحيد الله ونفي الشريك له في الآلهية وما يعود اليها . وأما في غير ذلك فإن القرآن الكريم نفسه قد شرك بين الله وعباده في نوع صفة الحياة والعلم والرحمة والرأفة والخلق وغير ذلك وإن كانت صفات الله متميزة عن نوعها بكأله ومميزاتها «ثانيها» دليل النقل كقوله تعالى خالق كل شيء . وهل من خالق غير الله . ويرده ان ابن المنير ومن يحتاج بهذا كأنهم لم يقرأوا ولم يسمعو من سورة العنكبوت قول ابراهيم خليل الله لقومه ١٦ أتخلقون افكا . وقول الله ليسى كما في سورة المائدة ١١٠ وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير . وقول عيسى رسول الله كما في سورة آل عمران ٤٣ إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير . وقوله تعالى من هذا الباب في سورة المؤمنون ١٦ فتبارك الله أحسن الخالقين . ولماذا لم يلتفتوا من ذلك إلى أن الخلق المقصور على الله إنما هو خلق الآله وإيجاده مما هو من أعمال الآلهية . وعلى ذلك جاء قوله تعالى في سورة الرعد ١٧ ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء «ثالثها» انه وان قبح صدور بعض الأفعال من الناس بحسب الشاهد لكن الحكم بقبح صدورها من الله قياس للغائب على الشاهد وهو باطل . ويردهم أولاً انه ما اسمج التعبير عن الله وشؤونه بالغائب . وهو على كل شيء شهيد . وهو أقرب اليكم من جبل الوريد «وثانيها» ان الحكم على بعض افعال الناس بالقبح ليس من الحواس الخمس لكي يقال ان الحواس لا تدرك الله . وان الناس ليعلمون ان العدلية يعنونون هذه المسألة ومحل نزاعها بالحسن والقبح العقليين وينادون بأن الحاكم بالحسن أو القبح إنما هو العقل بنفسه وادراكه من دون مداخله للحس أو وجود الفعل في الخارج . وليت شعري هل عند العقل شاهد وغائب «وثالثا» ان حكم

العقل الفطري بقبح صدور القبيح من فاعله انما هو بالنظر الى عقل الفاعل وجهته كماله وعلمه بالفعل وبجهة قبحه ولذا لا يحكم بالقبح الفاعلي على الفاعل من الاطفال والمجانين الذين لا يميزون ولا على الغافل عن الفعل اوجهة قبحه . وان الله هو الكامل العليم الخبير فهو جل قدسه اول من ينظر العقل الى فعله ويحكم بامتناع صدور القبيح منه جل شأنه « رابعها » انه يقبح من الانسان أن يمكن عبده من القبائح والفواحش بمرأى منه ومسمع ثم يعاقبه على ذلك مع أن القدرة التي يفعل بها الناس الفواحش هي من الله على علم منه بمن سيفعل الفواحش منهم « ويردهم » ان التمكين القبيح هو ما كان مختصاً بفعل الفواحش ولكن الله عز وجل أعطى القوى للانسان لئلا يمنع بها في المباح والراجع نعمة منه لا بقاء نوعه وانتظام اجتماعه . غاية الامر ان الانسان يتمكن من أن يعملها في المحرم الذي أرشده الى تركه بالعقل وزجر الانبياء ونواهيهم في وحيه وانذارهم لهم بالوعيد . فهذه القوى نعمة مسددة لا مساس لها بما ذكروه من المثال . ولم يخلق الله قوة مختصة بأعمال الشر لكي تكون نقضاً على ما نقول به من مسألة القبح « خامسها » أن ما يكون ظلاً قبيحاً انما هو التصرف في ملك الغير بغير إذنه والله مالك العباد وكل شيء . فكل ما يفعله بالعباد ليس بظلم . ويرده أولاً ان العقل لا يتوقف في احكامه وموضوعاته على ما يذكر في بعض المتون الفقهية أو معاجم اللغة في معنى الظلم تاهلاً أو قصوراً أو اقتصاراً على محل الحاجة في البيان . فإن كل ذي شعور اذا رأى مالك العبد قد ساء فيه ومنعه بالقهر عن شرب الماء واستمر على المنع وهو يقول له اشرب الماء اشرب حتى اذا أضرب به العطش وهو ممنوع عن الشرب استشاط مالكة غضباً عليه وصار يعنفه وينكل به لأنه لم يشرب الماء . وكذا لو فعل مثل ذلك فيما يملكه من الحيوان . فإن الرائي لذلك الحال وكل من علم به يحكم بالبداة ان العبد والحيوان المذكورين مظلومان . وإن المالك المذكور ظالم قد فعل قبيحاً . وثانياً . ان مقتضى ما زعموه ان الانبياء والرسل الذين افنوا أعمارهم في طاعة الله وعبادته والدعوة اليه وصبروا في ذلك على الشدائد هؤلاء الكرام يجوز أن يعذبهم الله يوم القيامة في جهنم خالدين فيها بعذاب ابليس وفرعون بزعمهم وإنه ليس بظلم ولا قبيح فإنهم عبيد الله وملكه « سادسها » أنه يجوز ان تكون هناك حكمة تدعو ان يلجئ الله عباده على الكفر وأعمال الشر ثم يعاقبهم على ذلك فلا سبيل للعقل مع هذا الجواز الى حكمة بقبح هذا الاجراء وهذا العقاب « ويردهم » ان الفصل يحكم بالقبح والامتناع في هذا وأمثاله لأنه يجد ان لا حكمة ترفع قبحه وامتناعه من الله ولا يصلح

(٨) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ *

لأن ترفع حكمه قبحه . ولو حاول أحد أن يسد على العقل باب هذا الوجدان كان ذلك منه سفسطة سخيفة تسد على العقل باب احكامه وذلك باطل بالضرورة . على ان هذا الاحتمال والتجوز للحكمة يرد عليهم بنحو لا مخلص لهم منه أبداً فانهم بإنكارهم للقبح العقلي وامتناع صدور القبيح من الله قد سدوا على أنفسهم باب العلم بصدق النبوات وبأن الله لا يظهر المعجز على يد الكاذب وبصدق الكتب الإلهية وما فيها من تقديس الله وأمر القيامة والنعيم والعذاب والجنة والنار فإن قالوا إنا نعرف من عادة الله أنه لا يكذب جل وعلا ولا يظهر المعجز على يد الكاذب . قلنا عليهم أولاً لماذا لا تجوزون ان تكون هناك حكمة تسوغ مخالفة العادة وإذ قد عزلتم العقل في هذا المقام لم يكن لكم أن تقولوا ان العقل يجد أن لا حكمة تجوز مخالفة العادة . مع ان مخالفة العادة ليس فيها محذور لا تعارضه حكمة بخلاف القبيح كما قلناه « وثانياً » ان دعوى العلم بعادة الله لا تليق إلا من قديم أزلي مطلع على جميع أعمال الله منذ الأزل نفيًا وثبوتًا لكي يعرف ما صار عادة لله وما لم يصر . ومن ذا الذي يزعم انه ذلك الأزلي المطلع على جميع أعمال الله منذ الأزل . وما هو المانع من مخالفة العادة حتى مع عدم الحكمة . سبحانه اللهم ما أجلى قدسك وكماك للعقول التي وهبتها لعبادك وأقمت باحكامها عليهم الحجة (٨ ومن الناس) أي قوم منهم وهم المنافقون (من يقول) افرد الضمير باعتبار لفظ « من » (آمنا بالله وباليوم الآخر) والظاهر كما حكى عليه الاتفاق ان المراد منهم الذين يظهرون الايمان ويبطنون النفاق ومن الشواهد لذلك قوله تعالى فيما بعد وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا الى شياطينهم . ذكروا إيمانهم بالله واليوم الآخر جمعاً لأطراف الايمان لأن ايمانهم باليوم الآخر متفرع على الايمان بالرسول والقرآن . ولأجل أن يظهروا في مخادعتهم أنهم يخافون الله وعذاب الآخرة ويرجون نعيم الثواب فهم ملازمون للتقوى من أجل ذلك . ومرادهم من قواهم آمنا انهم ثبتت لهم صفة الايمان فهم من زمرة المؤمنين ولا يريدون الاخبار بمجرد صدور الايمان منهم في الماضي والذي يجتمع مع الثبات عليه ومع الارتداد والنفاق بعده ولذا قال الله جل شأنه (وما هم بمؤمنين) بل منافقون (٩ يخادعون الله والذين آمنوا) والمخادعة هو ما يسبب الخديعة ويولدها من قول او فعل والخديعة هو ما يسبب ويتولد من

(٩) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ *
(١٠) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَأَهُمُ عَذَابُ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ *

ذلك إذا لم يمنع منه علم من طلبت خديعته أو تسديده من الله أو حذره . والمفاعلة قد تجيء من طرف واحد كما في عافاه الله وعاقب المجرم وعابنت الشيء وحاولت الأمر وزاولته . ولكن مخادعتهم هذه لا تسبب ولا يتولد منها خديعة إلا لهم (وما يخدعون) بها (إلا أنفسهم) لما يعود عليهم في الدنيا والآخرة من وبال مخادعتهم هذه ونفاقهم (وما يشعرون) فإن قبل ان هؤلاء المنافقين ان كانوا في الحقيقة دهرين ينكرون وجود الإله فكيف يتوجهون اليه بالمخادعة . وإن كانوا وثنيين يعترفون بالله وإلهيته وعلمه ولكنهم يشركون الأوثان معه في الإلهية فكيف يتصور اقدمهم على مخادعته فيحاولون منه الغرأة والانخداع . قلنا إذا لم يتصور ذلك في تذبذبهم في النفاق وخطهم في ضلالات الأهواء والكفر فقد قال بعض المفسرين ان المخادعة جاءت هنا على نحو التجوز والاستعارة باعتبار ان قولهم ذلك يشبه المخادعة وان لم يريدوها . ولكن الذي يظهر من المقام انهم بقولهم ذلك يخادعون الرسول والذين آمنوا على حقيقة المخادعة . ولا يجوز استعمال اللفظ في المعنى الحقيقي والمعنى المجازي معاً . ولذا أبقي المخادعة بعضهم على حقيقتها وقال ان التجوز إنما هو بإضافتها الى الله دون إضافتها الى الذين آمنوا والتجوز باعتبار ان الجرأة على مخادعة الرسول في مقدمة الذين آمنوا من حيث انه رسول الله بمنزلة الجرأة على مخادعة الله فأضيفت المخادعة الى الله على النهج الذي جاء عليه قوله تعالى في سورة الفتح « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله » وهذا أظهر القولين (١٠) في قلوبهم مرض (مرض النفاق والتلون واستعير اسم المرض هنا لأن فيه خروجاً عن الصحة العادية والنفاق خروج عن الاستقامة الفطرية للبشر وجربهم على ما توضحه الدلائل البينة . ولاجل تمردهم في نفاقهم خرجوا عن أهلية التوفيق للاستقامة فأعرض الله بوجهه الكريم عنهم وحرهم الله بركات لطفه (فزادهم الله) بجرمانهم التوفيق (مرضاً) على وتيرة من تمرد بالطغيان فوكله الله الى نفسه المنهمكة بالقبح منذ اسلست قيادها للهوى والشيطان . وقبل المرض هو غم الحسد والعداوة للمؤمنين وبجرمان الله لهم من توفيقه زاد مرضهم وبهذا الاعتبار نسبت الزيادة الى الله وقيل ان فزادهم دعاء عليهم ولكن الفاء لا تناسبه . وقيل غير ذلك (ولهم

(١١) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ *
 (١٢) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ * (١٣) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا
 كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ
 لَا يَعْلَمُونَ * (١٤) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ
 قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ

عذاب أليم (شديد الألم) بما كانوا يكذبون) في نفاقهم ومخادعتهم وقولهم آمنا وما هم بمؤمنين .
 وما ظنك بعذابهم على كفرهم وسوء أعمالهم وفسادهم (١١) واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض
 بنفاقكم وسوء أعمالكم (قالوا إنما نحن مصلحون) وما أ كذبهم من قول بقوله مريض القلب والمتحكم
 بجهالة او نفاقه على الحقائق والدين وشؤون الناس . فيسميه اذنا به بالمصلح الكبير (١٢) الا انهم
 هم المفسدون ولكن لا يشعرون) بنقصهم وبما يلحقهم من ذلك من وصمة الضلال وظهور
 الحال ووخامة السمعة (١٣) واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس) بالاياناف اليهود وثبتوا على
 حقيقة الايمان ونعاليمه الصالحة وأخلاقه الفاضلة والطاعة في نصرهم لدين الحق (قالوا) من
 غيهم (أنؤمن كما آمن السفهاء) الذين آمنوا وخضعوا للإسلام واحكام دينه والجهاد في سبيل
 الله وإظهار الحق (ألا انهم) وهم المنافقون (هم السفهاء) الذين هم اختاروا سفاهة النفاق
 ورذيلته وأضاعوا رشدهم في المعارف ودين الحق وسعادة الدارين والعاقبة الحسنى (ولكن)
 لأجل تماديهم في الغي (لا يعلمون) بما يكون العلم به فضيلة للإنسان ووسيلة لسلامته من
 خسة السفاهة الموبقة . وهؤلاء المنافقون زيادة على ما ذكر لهم من قبائح الكفر والأقوال
 والأفعال مذبذبين ذوي لسانين ووجهين (١٤) واذا لقوا الذين آمنوا) بحقيقة الايمان الثابت
 عن بصيرة (قالوا) بتزويرهم (آمنا) ونحن الآن من زمرة المؤمنين (واذا خلوا الى شياطينهم)
 الذين يغرونهم بالكفر ومحادة الله ورسوله (قالوا) لهم في خلوتهم بهم (انا معكم) على ما انتم
 عليه ومن زمرتكم (انما نحن) في حالنا مع المؤمنين واطهارنا لهم انا منهم (مستهزون) بهم .
 فتعصا لا راء المنافقين (١٥) الله يستهز بهم) بأن يهلمهم ويخونهم من حطام الدنيا وحياتها شيئا
 ومصيرهم في عاقبة ذلك الى احسن الهوان واشد العذاب فاستعير لذلك لفظ الاستهزاء لمشاابته
 له في ابتهاجهم بظاهر الامهال والتحويل مع انه مقرون بالاستهانة بهم واعداد العذاب الأليم .

(١٥) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * (١٦) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَّحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ * (١٧) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِينَ اسْتَوْقَدُوا نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ

ويزداد حسن هذه الاستعارة في مقابلة قولهم انما نحن مستهزون . واين عنها قول عمر بن كلثوم في معلقته :
 ألا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
 (ويمدحهم في طغيانهم) يملي لهم ويمهلهم في تماديهم على طغيانهم مع حرمانهم التوفيق وهذا بمنزلة التفسير لما استعير له لفظ الاستهزاء (يعمهُون) العمه هو العمى في الرأي والبصيرة والتردد في الضلال (١٥) أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) اذ كانوا ممن هيا الله بألطفاهم اسباب الاهتداء وجعل بلادهم محط بركة الهجرة ومشرق انوار الوحي ومنار الدلائل والحجج قد أحاطت الألفاف بهم وتوارد عليهم الارشاد في مصبحهم ومساءهم واجابوا دعوة الاسلام بلا اكراه حرب ولا ارهاب سيف . ولكن هذا الهدى الذي سعدوا بالتقرب من موارده العذبة وثماره الحنية قد اشتروا به الضلالة . وان كل مشتر من العقلاء لا بد من ان يراعي منفعته بما اشتراه وغبطته بتجارته وهذا أول ما يطلب من الربح فيها . والربح نقيض الخسران ومن لم يربح في تجارته ولم يكن لما اشتراه منفعة فهو خاسر ويكفي هؤلاء من السفه انهم اشتروا وتاجروا (فما ربحت تجارتهم) ولا نفع لهم فيما اشتروه فضلاً عن وبال في الدنيا والآخرة (وما كانوا مهتدين) من أول الأمر لأنهم لم يظهروا الاسلام عن بصيرة وإيمان وإنما أظهروه لأغراض أخرى . وقيل وما كانوا مهتدين في تجارتهم والأول أظهر وأوفق بمقتضى الحال (١٧) مثاهم) في حالهم (كمثل الذي استوقد ناراً) وطلب وقودها لحاجته إلى الضياء (فلما أضاءت ما حوله) من النواحي وحان انتفاعه بنورها فيما يعنيه من أمور ذهاب ذلك النور وعاد هذا المستوقد في ظلام دامس لا يبصر فيه شيئاً وخبط عشواء لا يهتدي فيه سبيلاً . وهؤلاء المنافقون المذكورون كانوا يتشرفون بحضرة الرسول (ص) ويستمعون إلى كلامه وحججه في بيانه ودلائله في ارشاده وتلاوته لكتاب الله فهم بذلك كمن استوقد ناراً لهدى فلما أضاءت لهم للطف الله مناهج الرشد ومغاني الحق تمرّدوا على الله بنفاقهم فخرجوا عن كونهم أهلاً

(١٨) صَمُّ بَيْكُم عَمِي

للتوفيق والتسديد ووكلمهم الله الى انفسهم الأمانة وأهوائهم الخبيثة . فأسدلا عليهم ظلمات الضلال بسوء اختيارهم . ولاجل ان ينوء الله بما للتوفيق والتسديد من الأثر الشريف في تأييد العقل على مكافحته لوساوس الشيطان ونزغات النفس الأمارة وأهوائها عبر عن حالهم في غيهم على سبيل المجاز واستعارة التشبيه بأنهم حينئذ (ذهب الله بنورهم) وأشار إلى معنى ذلك بقوله تعالى (وتركهم في ظلمات لا يبصرون) أي خلى الله بينهم وبين أهوائهم وسوء اختيارهم وصاروا يخطون في ظلمات الضلال لا يبصرون فيها طريق الهدى والرشاد . وقد سلك القرآن الكريم أحسن منهج البلاغة في بيان مثلهم ونتيجتهم السيئة فذكر مجرى المثل ومغزاه واكتفى بذكر نتيجته بدلالة النتيجة السيئة لحال الذين ضرب المثل في شأنهم فناول السامع تمة المثل ونتيجة حال المنافقين بأوجز بيان مفهم كما اكتفى بمدمات المثل عن ذكر المنافقين في استيقادهم لنار الهدى واضاءتها لما حولهم كما ذكرناه وربما تصوره جودة الفهم أحسن مما ذكرناه . ولو بسط القرآن الكلام كما شرحناه لزم التطويل . ولو أهمل ما ذكره لحال المنافقين لما تمتث من ضرب المثل فائدة لها قيمة بل لو ذكر قبلها نتيجة المستوقد المذكور لأنس الذهن بها ولم يرعه ما ذكر من نتيجة المنافقين السيئة المهولة وذلك خلاف المقصود وحسن البيان

(وما ينبغي التنبيه عليه) هو ان بعض التفاسير المعروفة بالفضيلة ذكرت تفسير الآية على غير ما ذكرناه فنشأ من ذلك أمور « احدها » جراءة غير المسلمين على الاعتراض على القرآن الكريم « ثانيها » التجاؤء إلى ان يجمل « الذي » بمعنى « الدين » وهذا مع وهنه مناف لافراد الضمير في « استوقد » و « ما حوله » « ثالثها » استشاده بقوله تعالى في سورة النوبة « ٧٠ » وخضتم كالذي خاضوا » مع ان كلمة « الذي » في الآية للمفرد لا بمعنى الذين « رابعها » عدم ذكر النتيجة السيئة لحال المنافقين وفي ذلك ما فيه . مع ان قوله تعالى صم بكم عمي إنما هي من صفات المنافقين لا من تمة المثل وعلى ما ذكره يستلزم ربطها بالمنافقين طفرة كبيرة وفصلاً بالأجنبي الطويل وهو لاء المنافقون الذين ذهب الله بنورهم على ما ذكرناه هم في ضلالهم (١٨ صم) جمع أصم وهو الفاقد لحاسة السمع وقيل هو من ولد كذلك (بكم) جمع ابكم قيل هو الآخرس وقيل من ولد كذلك وقيل هو الآخرس مع عي وبله (عمي)

فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ * (١٩) أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ
وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ

جمع اعمى شبهوا بذلك لأنهم بإصرارهم على النفي قد أخرجوا انفسهم عن الانتفاع والاهتداء بما يسمعون من الدلائل والوعظ والإنذار والتعليم وعن الاهتداء بسواهم عن الحق ومكالتهم في ذلك وعن الانتفاع بما يشاهدونه مما يوضح لهم سبيل الرشدهم (فهم لا يرجعون) إلى حقيقة الايمان إذ قد استحوذ عليهم الشيطان (١٩ أو كصيب من السماء) عطف بأول أجل التنبيه بالترديد بين المثليين على اختلاف مجراها ومغزائها . فكأنه قيل ان شئت ضرب المثل لحال المنافقين مع الاسلام وهده بالذي استوقد ناراً إلى آخره . وان شئت ضرب المثل لشأن الاسلام مع المنافقين فإن مثله كمثل صيب من السماء وحذف لفظ المثل لدلالة ما سبق وسياق الكلام عليه . والصيب هو المذهل النازل من العلو والسماء جهة العلو فوق الأرض فالمراد من الصيب هو المطر الغزير المنصب والذي تحيي به الأرض وتزهر نباتها وينمو به الزرع والضرع وهو قوام المعيشة للناس وخصوص العرب وأهل البوادي والأنعام ولكنه مع ذلك لا يخلو من ان تقارنه ظلمات تتابع كلما كفه السحاب الهاطل وادلمت به الآفاق خصوصاً إذا كان بالليل . ولذا وصف المطر الصيب بالتوسع في الظرفية بأنه (فيه ظلمات ورعد وبرق) إذ لا ينفك عن الرعد والبرق والصواعق وهي الرعود القاصفة المخيفة بصوتها وهي المرادة في الآية وان كانت الصاعقة ايضاً اسماً للنار النازلة مع ذلك الرعد المخيف . فالاسلام للناس ونظام اجتماعهم كالمطر الصيب فيه حياتهم وسعادتهم في الدارين وزهرة الأرض بالعدل والصلاح والأمن وحسن الاجتماع ولكن معاندة المعاندين للحق وأهله جعلت الاسلام كالمطر لا يخنو من ظلمات شدائد وحروب ومعاندة من المشركين ورعود قتل وقتال وتهديدات مزعجات لغير الصابرين من ذوي البصائر والذين ارضخوا نفوسهم في سبيل الله ونيل السعادة . وفيه بروق من النصر وآمال الظفر واغتنام الفنائم وعز الانتصار والمنعة والهيبة . فهم إذا سمعوا صواعق الحرب أخذهم الهلع والحذر من القتل وشبهت حالهم في ذلك بأنهم (يجلعون أصابعهم في آذانهم من) أجل (الصواعق حذر الموت) وخوفاً من أن تُخلع قلوبهم من هول أصواتها . وسفهاً لعقولهم اين يفرون عن الموت وماذا يجديهم حذرهم (والله محيط

بِالْكَافِرِينَ * (٢٠) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * (٢١) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * (٢٢) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

بالكافرين (المنافقين لا مفر لهم من قضائه . اينما تكونوا يدركم الموت . ولو كنتم في بيوتكم ابرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم . وان المراد ما هذا الخوف والهلع والتحذروا الحال ان الله محيط بالكافرين المحاربين للاسلام وخاذلهم ومهلكهم وقد ظهرت آيات ذلك في غزوة بدر وما قبلها (٢٠ يكاد البرق) اي ما ذكرناه من برق الاسلام وانوار عزمه وسعاده . (يخطف ابصارهم) بشدة انواره فهم (كلما اضاء لهم) وارتاحوا بالبهجته وعلقت آمالهم بمساعدة الدنيا (مشوا فيه) وجاروا المسلمين واطهروا موافقتهم (واذا اظلم عليهم) بأن انقطع عنهم ضوء الامل لما يرونه أحيانا من ظلمات الشدائد (قاموا) ووقفوا في مكانهم في النفاق وثبتوا على حيرة ضلالهم (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم) فلا يسمعون بما حصل من المبشرات في الاسلام ولا بما يرد أحيانا على المسلمين من الشدائد ولا يبصرون ذلك فلا يترددون في ضلال النفاق (ان الله على كل شيء قدير) (٢١ يا ايها الناس اعبدوا) الله (ربكم) واخضعوا له حق الخضوع للإله واطيعوه فإنه هو ربكم ومالككم ومدبركم ومربيكم (الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) لم تبحي لعل للترجي بل لبيان انه لا يلزم من عبادتهم لله انهم يتقونه حق تقاته بل يجوز أن تقع منهم التقوى المذكورة بحسن اختيارهم ويجوز ان لا تقع لسوء اختيارهم . ولاجل الاحتجاج بالآلاء الربوبية وآثار القدرة ذكر من صفات الرب ايضا انه (٢٢ الذي جعل لكم الارض فراشا) ممهداً ييسر لكم الانتفاع بها في السكنى ونحوها والزرع والفرس (والسما بناء) لا تخشون سقوط اجرامها عليكم . وليس في ذلك صراحة بموافقة الهيئة القديمة ولا صراحة بمخالفة الهيئة الجديدة فإن حقيقة الأمر لا يعلمها إلا الله وان الأوضاع المذكورة في الهيئتين لا مبنى لها إلا الحدس الذي تدافعه الشكوك والردود . والمحسوس إنما هي حركات الكواكب (وانزل من السماء) أي من جهتها وان المراد من السماء هنا جهة العلو (ماء) وهو المطر الذي يحيي به

فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلّٰهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * (٢٣) وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ

الارض بعد موتها (فأخرج به) بما خلقه فيه وقدره من الخواص (من الثمرات) يجوز ان يراد بها ما يعم الحبوب والاطعمة (رزقا لكم) وهل يكون ذلك من غير الاِله القادر العليم الحكيم . وانكم لتعرفون بالاِله وان هذا كله من خلقه وانعامه فما بالكم تجعلون معه آلهة ولو بزعم انها من تنزلات الالهية . او انها منبثقة من الاِله . او انها مظاهره . او بناء على مزاعم العقول العشرة وانه لا يمكن أن يصدر من الله إلا العقل الأول تعالى الله عما يصفون (فلا تجعلوا لله اندادا) جمع نذ بكسر النون . قبل ان النذ المثل وقيل الضد . وفي النهاية هو مثل الشيء الذي يضاده في أمورهِ ويناديه أي يخالفه . وفي المصباح لا يكون النذ إلا مخالفا . وفي التبيان ومجمع البيان في الآية المثة والستين وأصل النذ المثل المناوي . وفي الكشاف في هذه الآية ولا يقال إلا للمثل المخالف المناوي ومثله في جمع الجوامع . وفي المصباح ناويته عاديته او فعلت مثل فعله بماثلة . وفي القاموس فاخره وعاداه ونحوه في النهاية . والمشركون يعملون لا وثانهم وما يؤهلونه صفة الالهية واعمالها وبذلك يعملون كلا بما يشرون به نذاً لله ومثلا معارضا له في اِلهيته واعمالها (وأنتم تعلمون) ان الاِله الخالق المعبود والمطاع هو الله فما هذه المزاعم وما هذا الشرك المناقض لعلمكم ومعرفتكم ولو تدبرتم الحجج الساطعة لعرفتم كيف لبست عليكم الأوهام ودلست على عقولكم الالهواء . فوجدوا الله ايها الناس كما هو حقه وآمنوا بعبد الله رسوله الذي جاء بالحجج الباهرة وأنزل عليه القرآن العظيم (٢٣) وإن كنتم في ريب مما نزلنا من القرآن (على عبدنا) وشككنتم في انه كلام الله ووحيه المنزل من عنده وجوزتم أن يأتي به بشر من عند نفسه بلا وحي من الله (فأتوا بسورة من مثله) أي مثل القرآن فإنه نزل بلسانكم العربي وانتم اهل الفصاحة والبلاغة . وقد بلغت أوج الرقي في الأدب العربي بما تناله القدرة البشرية ولكم المهلة والأناة (وادعوا شهدائكم من دون الله) الذين ينصرونكم ويشهدون لكم لكي تستظفروا بشهادتهم فإن الله لا يشهد لكم فإنه يعلم انكم لا تقدرون على ذلك . او وادعوا رجالا بلاغتم الذين يشهدون المواسم واسواق العرب

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * (٢٤) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي
وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ * (٢٥) وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

لأجل المفاخرة في البلاغة والمسابقة في ميادينها فاستعينوا بهم على ذلك من دون الله . فإن
الاستعانة بالله على ذلك ودعاء يجعل الاتيان بالسورة والاكثر ممكنا بواسطة اعانة الله ووجه
كامكانه لرسول الله (إن كنتم صادقين) في زعمكم ان القرآن يمكن للانسان بقدرته البشرية
أن يأتي به او بمثله او بسورة من مثله . وهو لا . وإن كان صدقهم في ذلك ممتنعاً يناسب ان
يقال فيه لو كنتم صادقين لكن قيل « إن كنتم » مجازاة لهم وملاينة في الخطاب واما قوله
تعالى « وان كنتم في ريب » مع ان ظاهرهم الجحود لكون القرآن منزلاً من الله فيجوز أن يكون
لأجل علمه جل شأنه بأن منهم من تأثر قليلاً بكثرة الشواهد على الرسالة وانزال القرآن من الله
فيرجع أمره من الجحود الى الشك والريب في ذلك فاحتج الله عليهم بالحجة القاطعة لوساوس
الشك وعناد الجحود . او انه جل شأنه احتج على ادنى معارض للايمان وهو الريب بالحجة
الجارية فيه وفي الجحود (٢٤ فإن لم تفعلوا) ولم تأتوا بسورة من مثله لعجزكم وقصور القدرة
البشرية عن ذلك (ولن تفعلوا) اخبار لهم بأنهم لا يفعلون ذلك لخروجه عن القدرة البشرية
مما برعوا وتقدموا في الفصاحة والبلاغة ومما تعاونوا واستعانوا بالبشر (فاتقوا النار) أي فإن
عجزتم ولم تفعلوا لزمكم ان تعرفوا ان القرآن منزل من الله على رسوله ولزمكم الايمان بالكتاب
وبالرسول وان لم يدعكم الى الايمان شرف الانسانية والعقل والرغبة في السعادة على نهج ايمان
الأحرار فلا أقل من ان يدعوكم الخوف كما في طاعة العبيد فإن من ورائكم النار التي أنذركم
بها القرآن (التي وقودها الناس والحجارة) الوقود بفتح الواو ما توقد به النار فما ظنكم بناريكون
وقودها الناس بلحومهم ودمائهم ووقودها مطلق الحجارة فانقوها بايمانكم وطاعتكم
لله ورسوله (أعدت) وهيئت (للكافرين) الذين يموتون على الكفر . ثم قرن جل شأنه وعيده
للكافرين بيشراهم للمؤمنين بقوله جل اسمه (٢٥) وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم
جناناً (ينعمون بها ومن كمال بهجتها وروحها وجمال منظرها انها) تجري من تحتها الانهار (على
عادة الجنان ذوات البهجة والرونق من ان الماء لا ينقطع عنها ولا يعلوها فتكون كالمستنقعات

كَلَّمَا رَزَقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * (٢٦) إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ أَنْ يُضْرَبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا

بل تكون مجاري مياهها اوطأ من ارضها يتنعمون بثمارها و(كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا) رأوا ذلك من جنس ثمار الدنيا و(قالوا) عند ذلك (هذا الذي رزقنا من قبل) في الدنيا والحكمة في كون ثمار الجنة من جنس ثمار الدنيا هو ان ذلك ادعى للرغبة الى نعيم الجنة واحسن وقعا في البشرى فإن النفوس تهش الى مآلوفاتها ولو ذكر للناس ما لم يروا له نموذجا في الدنيا لما رغبوا فيه رغبتهم فيما يعرفونه (وأتوا به) الظاهر انه رزق الجنة (متشابهاً) فيما بينه في الحسن والجودة لم يختلط مع جیده ردي (ولهم فيها) في الجنة (أزواج مطهرة) طهرهن الله في خلقه لهن وناهيك بذلك وصفا ثابتا ومقتضى اطلاق التطهير انهن منزّهات من كل ما يستقذر في خلقهن واخلقهن (وهم فيها) في الجنة (خالدون) مدى الأبد (٢٦ ان الله لا يستجيب أن يضرب مثلاً ما) أي مثل يكون بحسب المناسبة في المثل سواء كان بالحقير او بالخطير والاية تشعر بأنها توبيخ لمن استنكر ضرب الله للأمثال ويجوز ان يكون لمنع الاعتراض على ضرب الله للمثلين المتقدمين وغيرهما وان لم يسبق من احد اعتراض . ورويت في نزولها اسباب ولم تصح ولا تسلم من وجوه الشك والخذشة . ولا يخفى ان في ضرب المثل فوائد كبيرة في التلقين والفهم لا تحصل بدونه . فإنه بتمثله بالمحسوسات والمعهودات والمألوفات يشتد تأثير النفس بها ويستلقت الذهن الى الاقبال على فهم الأمر الممثل له فبستحكم تأثير النفس به . ومعنى أن الله لا يستجيب هو ان ضرب المثل مع ما فيه من الحكمة والالطف في البيان لا يتركه الله لأجل حقارة المثل به او ان المثل له اعظم منه بكثير . وقد افنضت المناسبة والنشبيه ان يستعار للترك المذكور لفظ الاستحياء الذي هو انفعال في النفس وخجل يمنع عن ابداء الشيء وان تعلق به غرض (بعوضة) من هذا البعوض المستحق لصغره (فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم) والجاري على الحكمة في بيان الحقيقة (واما الذين كفروا فيقولون) على سبيل الاستنكار والاستخفاف (ماذا أراد الله بهذا مثلاً) والظاهر انهم يقولون «أراد الله» على

يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ * (٢٧) الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ *

سبيل الاستهزاء بدعوى الرسول ان المثل وحي منزل من الله فإن الكافرين بل والمنافقين ينكرون الوحي المذكور ولو اعترفوا به لما قالوا قولهم هذا . وقد اعرض الله عن بيان ما أراد بالمثل فإن بيانه مقرون به وعن ذكر فائدته فإن حكمته ومغزاه ونتيجته واضحة لا يتجاهل فيها إلا السفية المعاند ولكنه جل شأنه أجابهم بعاقبته السيئة بالنسبة اليهم فيما هم عليه من العناد وبأثره الحيد بالنسبة للمؤمنين فقال جل اسمه (يضل به كثيرا) من الناس المنكرين على المثل او المستهزئين أي تكون عاقبتهم في ذلك الضلال وان اراد الله به تفهيمهم وهدايتهم . وذلك كما قيل فلان قتل فلانا بجملة فإنه لم يرد بجملة إلا لفضيلته ولكن صارت عاقبته ان فلان الآخر اغتر بجملة واجترأ على آخر فقتله فنسب القتل الى فلان الأول باعتبار ان حمله كانت عاقبته قتل ذلك المغتر يسوء اختياره (ويهدي به كثيرا) وهم المؤمنون إذ يتدبرونه ويهتدون بمفاده ويعرفون حكمته (وما يضل به) بالمعنى المذكور (إلا الفاسقين) وهم الكافرون والمنافقون الهاتكون للحجاب فإن الفسق في اللغة هو خروج الشيء من حجابة يقال فسقت التمرة إذا خرجت من قشرها . ولا يضر بعمومه للكافرين والمنافقين كونه في الإصلاح المتأخر مخصصا بالمسلم العامل بالمعاصي (٢٧ الذين) الأظهر ان ذلك بيان لصفات مطلق الفاسقين لا خصوص من يضلهم ضرب المثل (ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) نقض البناء هدمه ونقض الحبل حل فذله فهو ضد ابرامه . والعهد يستعمل في الوصية نحو قوله تعالى ألم أعهد اليكم يا بني آدم . وفي الوعد المقرون بإظهار الالتزام به . والميثاق مصدر من الوثوق مثل الميعاد من الوعد والميلاد من الولادة أي ينقضون وصية الله لهم أو ما أعطوه لله من العهد مع توثيقه بالمؤكدات . وشبه عهد الله في توثيقه وربطه ما بين العبد وربّه بالحبل وابرامه فاستعير لمخالفته لفظ النقض . والأظهر ان المراد ما عهده الله إلى الناس ووثقه سواء كان بدلالة العقل أم بتبليغ الرسل والكتب المنزلة وسواء كان في التوحيد والمعرفة أم في النبوة أم في الإمامة أم في الدين والشريعة (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) ومن ذلك صلة الأرحام وصلة الرسول والإمام بالطاعة كما أمر

٨٠ البقرة: ٢٨ من الحجج الإلهية بالاحياء . والاياته و ٢٩ في الاحتجاج بخلق الأرض وما فيها

(٢٨) كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْواتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ *

الله . وصلة قربي الرسول بالمودة ونحوها (ويفسدون في الأرض أو أنك هم الخاسرون) في فسقهم وما ذكر من سوء اعمالهم (٢٨ كيف تكفرون بالله) يجوز أن يكون الخطاب المتكرر في الآية للكافرين وتكون « كيف » لتوبيخهم على كفرهم مع ما يذكر من الحجة . ويجوز أن يكون ذلك خطاباً لجميع الناس وبياناً لأنه لا يليق أن يختار الكفر انسان له شعور مع قيام الحجج في نفس وجوده وأحواله على حقيقة العرفان لله افكفر بالله (وكنتم أمواتاً فأحياكم) الواو حالية ولا حاجة إلى اضمار « قد » بل لا يصح لأنه يستلزم أن تكون الحال جملة « وكنتم أمواتاً » وليس كذلك لأنها لا تفي بالحجة بل الجملة الحالية بمجموع وكنتم أمواتاً فأحياكم أو هو وما بعده ولا ينتظم ذلك بمعنى واحد يكون حالاً إلا إذا جعل الجميع خبراً لأنتم محذوفة أي وانتم تعتور عليكم هذه الأمور الكافية في الدلالة على وجود الإله الواحد القهار . والمراد من كونهم أمواتاً أنهم كانوا أشياء فاقدة للحياة ومن اقرب عهودهم بذلك أنهم كانوا نطفاً في الأصلاب أو كانوا في الأرحام علقَةً أو مضغة أو عظاماً ولحماً ولا حياة في شيء من ذلك فجعل فيهم الحياة ولا يكون ذلك بلا مؤثر ولا من لا شيء ولا من فاقد العلم والحكمة والإرادة . فليعتبر الإنسان بما في تركيب بدنه وأجزائه وأوضاعها وأسباب حياته من بواهر الحكم وعجائب الصنع ثم ليعتبر بما وهب له من الحياة والحواس والإدراك وقد أوضح وجه الاعتبار بذلك بالنحو العرفي والعقلي في رسالة البلاغ المبين (ثم يميتكم) في آجالكم (ثم يحييكم) ان كان هذا من تنمة الاحتجاج فلا بد من أن يحمل على أمر معلوم محسوس لجميع الناس ومعناه حينئذ انه يحيي نوعكم بأحياء أمثالكم من الناس وفي هذه القدرة التامة الدائمة عبرة وحجة لأولي الأبواب . وإن لم يكن من تنمة الاحتجاج كما هو المناسب لقوله تعالى ثم إليه ترجعون بل كان اخباراً بمواقع قدرته وآثار حكمته فإنه يكون المراد يحييكم في القبر . ويجوز أن يكون المراد يحيي بعضكم في الرجعة التي يقول بها الإمامية ونسبت الحياة إلى النوع تجوزاً (ثم إليه ترجعون) يوم القيامة وليس رجوعهم بعد غيبتهم أو انفصالهم عنه جل وعلا بل كما تقول الحاضر عندك إلي مرجعك أي لا مهرب لك ولا بد من أن أنفذ فيك حكمي وعدلي وإن

البقرة : ٢٩ في الاحتجاج بخلق ما في الارض وفي التنبيه على ان الحذف في العربية من وجود البلاغة ٨١

(٢٩) هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *

أمهلنك زماناً . ومن تأكيد الاحتجاج المسوق بسباق الامتنان والله الشكر قوله تعالى (٢٩ هو الذي خلق لكم) لمنافعكم التي تعرفونها والتي لا تعرفونها ومن منافعكم اعتباركم بخلقها (ما في الأرض جميعاً) من نبات ومياه وحيوان ومعادن فتبصروا واعتبروا وانفتخوا إلى ما في الأرض والبحار والنبات والحيوان من مظاهر قدرة الإله وإرادته وحكمته ورحمته (ثم استوى إلى السماء) أي جهة العلو . والتعبير بالاستواء مجاز باعتبار توجه إرادته وحكمته إلى خلق السماوات في العلو بعد أن خلق الأرض وقد رُفِيها أقواتها في أربعة أيام (فسوَّاهن) وفسر ابهام الضمير بقوله تعالى (سبع سماوات وهو بكل شيء) مما خلفه (عليم) كما يظهر على المخوقات دلائل علمه وخلقها بالإرادة على مقتضى حكمته . وذكر جل اسمه من السماوات سبعاً باعتبار ما يروونه ويؤمنونه في تلك العصور من السيارات السبع وكشف بعضها البعض وإن كانت السماوات في الهيئة القديمة تسعاً لأن فلك الثوابت والأطلس كما يزعمون سماءً أيضاً . وفي الهيئة الجديدة باعتبار المدارات للسيارات أكثر من ذلك « وهو بكل شيء عليم »

﴿ تنبيه ﴾

لا يخفى ان الحذف لما يدل على المقام وبرشد وجه الكلام إلى حذفه باب من أبواب البلاغة عند العرب وهو في نثرهم وشعرهم كثير . ولذا ذكر له شيئاً من شعرهم لمناسبة المقام وتوطئة لما يأتي في بلاغة القرآن الكريم من نوع الحذف . قال لبيد بن ربيعة العامري

قالت غداة انتجينا عند جارتها انت الذي كنت لولا الشيب والكبر

فحذف خبر « كنت » أي جيلاً ونحو ذلك وغيرك الشيب والكبر . وقال مساور بن هند بن قيس

زعمتم أن اخوتكم قريش لهم الف وليس لكم آلاف

أو لك أو منوا خوفاً وجوعاً وقد خافت بنوا سعد وجاعوا

فحذف تكذيبهم لدلالة حجتهم على ذلك . وقال عبد مناف الهذلي في آخر قصيدته

حتى إذا سلوكهم في قنائة شلاً كما تطرد الجمالة الشردا

فحذف جواب إذ أو عاملها لدلالة المقام وقوله « شلاً » وقال الحارث بن حنظلة الشكري في معلقته

(٣٠) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً

لا تخلنا على غراتك انا قبل ما قد وشى بنا الاعداء
 فحذف المفعول الثاني وهونهاب الملك أو نبالي به ونحو ذلك . أو حذف خبر «إنا» بهذا
 المعنى . أو كليهما فحذف المفعول الثاني بالمعنى المتقدم وخبر «إنا» بما يريد ان يتصوره
 السامع من التهويل بالتحمس . وقال آخر
 إذا قيل سيروا ان ليلى لعاما جرى دون لبلى مائل القرن أعقب
 فحذف خبر «لعل» لنكتة أثرها فيما يتمناه من ليلى . وقال عبيد بن الأبرص يخاطب
 امرء القيس نحن الأولى فاجمع جموعك ثم وجههم النينا
 فحذف الصلة ليحضر في ذهن السامع ما يريده الشاعر من وجوه الحماسة والتهويل .
 وقد جمعنا في هذه المقدمة بعض الشواهد للحذف وأغراضه السامية لتحليل عليه في الاستشهاد
 لما يأتي من فرائد القرآن الكريم في وجوه البلاغة وبراعة البيان : هذا وقد استفاضت الرواية عن
 أهل البيت عليهم السلام في انه كان قبل آدم في الأرض نوع من الخلق قد أفسدوا وأهلكوا
 كما في رواية علي بن ابراهيم في تفسيره في الصحيح عن ابي عبد الله عليه السلام والقوي عن
 الباقر (ع) عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام ورواه الصدوق أيضاً في العال . ورواية
 تفسير البرهان عن العياشي عن هشام بن سالم عن ابي عبد الله (ع) والعياشي عن علي بن
 الحسين وعن عيسى بن حمزة عن ابي عبد الله . وروى ذلك الحاكم في مستدركه من طريق
 الجمهور وصححه عن ابن عباس . وأخرجه الطبري في تفسيره أيضاً ولما ذكر الله خلقه للأرض
 وما فيها ليستفيع الإنسان بذلك وذكر خلق السماوات ذكر ابتداء خلقه للإنسان وما جرى في
 ذلك من الشؤون وما في خلق الإنسان من الحكمة والكرامة لبعض أفراد ذوي الفضل
 فقال عز وجل (٣٠) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً («إِذْ» ظرف
 وعامله محذوف بفسره قوله تعالى « قالوا » إلى آخر القصص كما يأتي ان شاء الله . وجاعل خالق
 من أجملة خليفته . والخليفة من يخلف غيره ويجوز أن يكون المراد من يخلف الخلق السابق
 المذكور في الروايات المشار إليها . وقيل ان «إِذْ» مفعول به أي اذكر في القرآن ذلك الحين
 للناس كقوله تعالى واذا ذكر في الكتاب مرهم اذا انتبذت ولكن يلزم من هذا القول ان يكون

قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ
لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ *

الذكر مختصاً بقول الله تعالى للملائكة « اني جاعل في الارض خليفة » ويكون ما بعده
أجنبياً لأنه لم يفرغ عليه ليكون مرتبطاً به كالارتباط الذي في قوله تعالى فأجاءها المخاض
إلى آخره فالمناسب إذن هو أن تكون « إذ » ظرفاً متعلقاً بمحذوف يدل عليه سوق الكلام
الذي يفسره وذلك بأن يكون التقدير وحين قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة
جرت في ذلك محاورات وشؤون يفسرها قوله تعالى (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدماء) قالوا ذلك حيث قد رأوا الخلق السابق وافسادهم وسفكهم للدماء كما دلت عليه
الروايات المشار اليها وروى العياشي بسنده عن هشام بن سالم عن ابي عبد الله عليه السلام
ما علم الملائكة بقولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء لولا انه قد رأوا فيها من
يفسد فيها ويسفك الدماء . ولا يلزم أن يكون قولهم هذا اعتراضاً وذنباً منهم . بل قالوا
ذلك لأن الله أخبرهم في هذا الخطاب بأن الخليفة هو بشر من طين كما في قوله تعالى
في سورة ص المكية « ٧١ إذ قال ربك للملائكة اني خالق بشراً من طين » فعرفوا من بشرية
انه ذو شهوة وغضب وقد عهدوا من حال السابقين ان الشهوة والغضب ينشأ منهما الفساد وسفك
الدماء . ولأجل بغضهم للفساد ومعصية الله سألوا عن الحكمة في خلق هذا الخليفة مع انه
في الشهوة والغضب مثل السابقين الذين طهرت الأرض من فسادهم (ونحن) من لطفك في
خلقنا بلا شهوة ولا غضب إنا دائماً (نسبح) والتسبيح (بحمدك ونقدس) والتقديس (لك) فإن
شئت عمران الأرض بصلاح عبادتك فاجعلنا فيها . ولكن مع ذلك كان الأولى بهم أن
لا يصدر منهم هذا السؤال في هذا المقام وإن كان سؤالهم للتعليم بل يفوضوا الأمر إلى الله
وحكمته وعلمه بما هو الصالح (قال) الله لهم (اني أعلم ما لا تعلمون) فإن في ذلك حكمة
شريفة ولطفاً خفياً إذ يكون من البشر انبياء ورسلاً وأئمة فيهم شهوة وغضب وهم مع ذلك
في أعلى درجات الطهارة والعصمة الاختيارية والطاعة والعبادة لله والتفاني في هداية الناس
واصلاحهم . وفيما أشرنا إليه في تفسير القمي وعلل الصدوق عن أمير المؤمنين عليه السلام
جاعل في الأرض خليفة تكون حجة لي على خلقي . وفيه ايضاً . اجعل من ذريته انبياء وعباداً

(٣١) وَنَامَ آدَمُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ . إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * (٣٢) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * (٣٣) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ *

صالحين وائمة مهديين وأجماهم خلفاء الحديث . (٣١ وعلم آدم الأسماء كلها) أي اسماء هؤلاء الهداة . روي الصدوق بسندين معتبرين عن الصادق (ع) ان الله تبارك وتعالى علم آدم اسماء حججه كلها ثم عرضهم وهم ارواح على الملائكة فقال انبؤوني بأسماء هؤلاء (ثم عرضهم) وهم ارواح طاهرة وانوار قدسية تضيء بالهدى والطهارة والعصمة الاختيارية (على الملائكة) ليعرفوا فضلهم الفائق ويظهر لهم شيء من وجه الحكمة في خلق الله للبشر وعلمه بالذين تشرق الأرض بنورهم وتقوم بهم الحجة على الملائكة (فقال) الله بعد ان عرضهم وعرف الملائكة حالهم من الفضل (انبؤوني بأسماء هؤلاء) الذين عرفتم فضلهم (ان كنتم صادقين) في دعوى العلم حتى قلتم قولكم ذلك (٣٢ قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم) في أعمالك (٣٣ قال يا آدم انبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال) الله للملائكة (ألم أقل لكم) فيما علمتكم من جلال الإلهية أو في معنى القول السابق إني أعلم ما لا تعلمون (إني أعلم غيب السماوات والأرض) وفوق ذلك إني أعلم ما في الضمائر (وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) يدل قوله تعالى وما كنتم تكتمون ان هناك شيئاً كنتمتمه الملائكة . . هذا وقيل في هذه الآيات ان الله علم آدم اسم الصفحة والقدر وكل شيء حتى البعير والبقر والشاة . وقيل اسماء الأدوية والنبات والشجر والجبال ونحو ذاك . ولكن هذا كله ليس فيه مناسبة لسؤال الملائكة ولا للاحتجاج عليهم بالعلم بمواقع الحكمة في خلق الخليقة . بل ليس فيه جواب لسؤال أصلاً . مع ان ذاك لا يناسب قوله تعالى . عرضهم . هؤلاء . بأسمائهم فإن الإشارة وهذه الضمائر مختصة بمن يعقل . ودعوى ان الله غلب من يعقل على سائر الأشياء ما هي إلا مجازفة . مضاعفاً إلى ان الله قال الأسماء كلها ليظهر فضل العلم بهذا العموم خصوصاً على ما قيل فلا يناسب ان يؤتى بلفظ مختص في اللغة بالعاملين على خلاف

البقرة : ٣٤ و ٣٥ امر الملائكة بالسجود واسكان آدم الجنة ونهيه عن الأكل من الشجرة ٨٥

(٣٤) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ
وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * (٣٥) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا
مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ

العموم لما ذكره ولا ينطبق على ما يدعى من العموم لكل الأشياء إلا بعد التي والتمتيا
دعوى التغليب الذي لا قرينة عليه في اللفظ ولا في سياق الكلام وليس هو كالتغليب في قوله
تعالى خلق كل دابة من ماء فمنهم من الآية (٣٤) وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم (الظاهر
ان «إذ» هنا كسابقتها في المعنى والعامل وان قوله تعالى فسجدوا إلى قوله تعالى يا بني اسرائيل
يكون تفريعاً وتفسيراً لما حدث في ذلك الحين . والأمر للملائكة بالسجود شامل لابليس
لاندماجه حينئذ في زمرةهم وان كان في الأصل من الجن وقد علم ابليس بشمول الأمر
له ولذا لم يعتذر بأن الأمر لم يكن شاملاً له بل التجأ في استكباره إلى القياس . . والسجود
يجوز ان يكون لآدم ابتداء بعنوان التكريم لا العبادة . فإن السجود الذي يختص بالله ويمنع
العقل والشرع ان يوثق به لغيره إنما هو ما كان بعنوان العبادة والخضوع بعنوان الإلهية . ويجوز
ان يكون لله شكراً على خلقه لآدم وما له ولبعض ذريته من الفضل ومن ذلك يحصل لآدم
نوع من التكريم والتعظيم وبهذا الاعتبار قال الله اسجدوا لآدم والوجه الأول أظهر من
اللفظ . وإن ثبت في شرعنا تحريم مطاق السجود لغير الله فلم يثبت المنع منه حتى في ذلك
الحين (فسجدوا إلا ابليس أبي) عن السجود (واستكبر وكان من الكافرين ٣٥) وقلنا يا آدم
اسكن أنت وزوجك الجنة) يقال لامرأة الرجل زوج وزوجة والأول هو اللغة العالية وبها جاء
القرآن . والجنة اسم للبستان وروى الكليني وابن بابويه مسنداً والقمي مرفوعاً عن ابي عبد الله
(ع) ان جنة آدم من جنات الدنيا تطلع فيها الشمس والقمر ولو كانت من جنات الآخرة او الخلد
لما أخرج منها انتهى . وهذا لا يستلزم كونها في الأرض (وكلا منها رغداً حيث شئتما) الأمر
بالأكل كالأمر بالسكنى في الجنة إنما هو للإباحة والآنعام . والرغد صفة للمصدر أي اكلا
رغداً رافها ليس فيه عناء وكلا من أي مكان شئتما مما يؤكل منه بلا حرج ولا نهي ارشادي
(ولا تقربا هذه الشجرة) لا يخفى من دلالة المقام والنظائر ورواية العياشي عن الباقر (ع)
ان المراد هنا هو عدم الأكل منها لا مطلق القرب ولكن صدر النهي بصورة النهي عن

٨٦ البقرة : ٣٥ معنى النهي لآدم ومعنى الظلم ٣٦ اغواء الشيطان لآدم . اخراجه وحراً من الجنة

فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * (٣٦) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ

القرب لأجل بيان التحذر من الأكل منها كقوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم . ولا تقربوا الصلاة وانتم سكارى . ولم يصح ما روي في حقيقة الشجرة . والنهي هاهنا للإرشاد . لا للتحريم بدليل قوله تعالى في بيان الحال في سورة طه المكية « ١١٥ - ١١٨ انه عدو لكم فلا يخرجكم من الجنة فتشقى » اي تقع في شقاء العيش ومشقته ويؤكد دلالة السياق على ذلك انه نسب الشقاء إلى آدم دون زوجته نظراً إلى ما جرت به العادة في الأرض في ان الرجل هو الذي يتعب في تحصيل المعيشة والمرأة عيال عليه « ان لك ان لا تجوع فيها » اي في الجنة « ولا تعرى وانك لا تظلم فيها ولا تضحى » ولا تحتاج لأن تتعب ففكرت وبدنك في تحصيل الماء كالمبوس والمشروب والشيء الذي يظلك من حرارة الشمس . فلم يرتب على اخراج ابليس لها اثم معصية وفسق خروج عن الطاعة ولا حذر من ذاك كما يقتضيه اللطف فالنهي لمحض الارشاد إلى ان لا يقع في ورطة الأكل المستتبع بحسب الحكمة للخروج من نعيم الجنة إلى شقاء عيش الأرض وتعبه . وإن مخالفة النهي الإرشادي تسمى ايضاً معصية وما كل معصية تساوي الذنب والاثم (فتكونا من الظالمين) لأنفسكما بالخروج من النعيم إلى التعب . ومثل هذا الظلم لا يستوجب دماً ولا يعد ذنباً . والظلم في اللغة يساوق وضع الشيء في غير محله . وضد الانصاف او العدول ومنه الحديث لزموا الطريق فلم يظلموه اي لم يعدلوا عنه . ولقد اغرب من قال ان الظلم اسم ذم لا يجوز ان يطلق على غير المستحق للعن لقوله تعالى الالعة الله على الظالمين . أفلا يدري ان الآية المذكورة وردت في سورة الاعراف ٤٢ وسورة هود ٢١ في الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة كافرون (٣٦) فأزلهما الشيطان عنها) زلت قدمه ورجله لم تثبت في مكانها وتحوات عنه وكذا الانسان وأزله حمله او ألجأه إلى الزلة والزلال فأزلهما الشيطان بوسوسته وغوايته ومخادعته باليمين الكاذبة عن الوصية المدلول عليها بقوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة . ولا يخرجكم من الجنة فتشقى . او أزلهما عن الجنة ولم يتركهما ثابتين فيها . وقد رويت في كيفية وصوله اليها بالوسوسة والمخاطبة بالاغواء روايات لم تصح (فأخرجهما) صار باغوائه لها سبباً لخروجها من حيث تبدل المصلحة في اسكانها الجنة فنسب الاخراج اليه على سبيل المجاز في الاسناد (مما كانا فيه) من النعيم

البقرة : ٣٧ الكلمات التي تلقاها آدم محمد وآله (ص) ٣٨ هابط آدم من الجنة ٨٧

وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ *
(٣٧) فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * (٣٨) قُلْنَا
اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى

واللباس والعيش الرغيد (وقلنا اهبطوا) الخطاب لآدم وحواء وإبليس . وإذا كان إبليس هابطا الى الارض قبل ذلك جاز هذا الخطاب بمعنى تساوا في الهبوط منها (بعضكم) إبليس وآدم وحواء وذريتهما (لبعض عدو) وعداوة البشر لإبليس باعتبار النوع وإن أطاعه بعض الناس (ولكم في الارض مستقر) اسم مكان أي موضع استقرار ومصدر والاستقرار معروف (ومتاع) اسم لما ينتفع به (الى حين) محدود لكل بموته حتى إبليس عند الصعقة الأخيرة قريب القيامة والبعث (٣٧ فتلقى آدم من ربه كلمات) التلقي هنا اخذ آدم للكلمات من الله باستقبال وقبول وتعلم وعمل . ومقتضى السياق هو ان آدم ندم على مخالفة الله في أمره الارشادي وأراد التوبة والرجوع الى مقام الأولياء المتبعين لارشاد الله في العمل والترك وصار يحاول الوسائل التي يتوب الله بها عليه فيعلمه الله كلمات توقفه في مقام المنيبين وتعرفه فضيلة ذويه الفضل . وقد روي من طرق الفريقين انه نحو من الدعاء وفي الدر المنثور مما أخرجه الديلمي في الفردوس مسنداً عن علي عليه السلام دعاء فيه اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد مكرراً .
ومما أخرجه ابن النجار والبيهقي مسنداً عن ابن عباس عن رسول الله «ص» سألته عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه قال سئل بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فتاب عليه وروي من طريق الإمامية نحو ذلك كما رواه الكليني والصدوق عن ابن عباس ومرفوعاً والعياشي نحوه عن عبد الرحمن بن كثير عن الصادق عليه السلام وعنه أيضاً مرسلاً . ولا منافاة بين روايات الدعاء وروايات الاستشفاع بأهل البيت لجواز الجمع بينهما (فتاب عليه) فرجع عليه بالرحمة ولطف الارشاد وقرب المنزلة والزلفى (انه هو التواب الرحيم) ولأجل الاختصار لم تذكر هنا توبة حواء ولأنها معلومة مذكورة في سورة الاعراف المكية ٢٢ (٣٨ قلنا اهبطوا منها جميعاً) كرر ذكر الأمر بالهبوط لأجل ان يذكر ما كان مرتبطاً به من الكلام كما تدل على ذلك سورة طه المكية ١٢١ و١٢٢ فقد جمع فيها ما بعد الأمرين بالهبوط هنا بعد امر واحد .
وجميعاً يراد منه ايضاً ذرية آدم باعتبار هبوط ابويهم (فإمّا يأتينكم مني هدى) امسا شرطية

فَمَنْ تَبِعْهُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٤٠) يَا بَنِي إِسْرَٰئِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ

والهدى الرسالة والآيات ودلائل الحق (فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) في الآخرة وهذه الجملة جواب للشرط في اما يأتينكم (٣٩ والذين) لا يتبعون الهدى بل (كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك اصحاب النارهم فيها خالدون) (٤٠ يا بني اسرائيل) خطاب للوجودين منهم عند النزول . واسرائيل لقب يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل معرب يسرئيل في العبرانية . وروي ان معناه عبد الله او قوة الله (اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) فيما خص الله به آباءهم من التوفيق للتوحيد الموروث من ابراهيم وارساله موسى والأنبياء منهم ونجاتهم من فرعون وقومه وظهور الآيات لهم وانزال المن والسلوى عليهم وتوريتهم الارض المقدسة واهلاك اعدائهم وغير ذلك . وهذا النهج متعارف في الخطاب بأن يخاطب الموجودين من القبيلة والأمة بأمور اسلافهم لاسيما ما يعود أمره في الفخر والوبال على الموجودين . وشواهد في النثر والنظم من العرب وغيرهم كثيرة جداً (وأوفوا بعهدي) قد قطع الله العهد مع بني اسرائيل على العمل بما في التوراة من توحيده وعبادته واتباع دين الحق والعمل بالشرعة واتباع النبي الذي يقبمه الله لهم من اخوتهم بني اسماعيل ويحمل كلامه في فمه وان يسمعوا له ويطيعوا . ومما حرّفت التوراة فقد بقي هذا العهد فيها . وان قراءة اليهود لها والالتزام بها في جميع اجيالهم التزام بهذا العهد وكذا المخاطبين بالآية من اليهود المعاصرين لرسول الله «ص» (أوف بعهدكم) من اللطف والتوفيق والتسديد وثواب الآخرة . ويؤخذ من الآية قاعدة كلية وهي ان من لم يف بعهد الله فيما أخذه من الدين والشرعة فهو بنفسه قد نقض عهد الله معه وخرج عن كونه اهلاً لما وعد به من اللطف والرحمة واستجابة الدعاء وعلى ذلك جاءت صحيحة القمي عن جميل عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام في استجابة الدعاء . ومن عهود الله ومصاديق هذه القاعدة كما في الكافي في موثقة ساعة عن الصادق عليه السلام ورواية ابن بابويه عن ابن عباس هو ما عقد رسول الله «ص» لأمير المؤمنين «ع» في غدير خم كما تواتر به الحديث بين المسلمين (وإياي فارهبون) الرهبة الخوف والتقدير وإياي ارهبوا أي ولتكن رهبتكم منحصرة

(٤١) وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكْفُرُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ * (٤٢) وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * (٤٣) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاٰكِعِينَ *

بي ولا يحملكم على نقض عهدي رهبة من شيء فارهبوني ولا تنقضوا عهدي وحذفت كلمة ارهبوا لدلالة «فارهبون» (٤١ وآمنوا بما أنزلت) أي القرآن الذي أنزلته على رسولي محمد (ص) وهو النبي الذي وعدكم به الله وموسى وأخذ الله عهدكم باتباعه (مصدقاً لما معكم) وبقي عندكم حتى في توراتكم المحرقة وهو أن الله يحمل كلامه في فم ذلك النبي . وقد دلكم اعجاز القرآن على أنه كلام الله . ومصدقاً لما معكم من الإيمان بالله واسم توحده والاعتقاد بالنبوات ورسالة موسى وآياته . ولا يصح أن يقال أنه مصدق لما معهم من التوراة محرف بأشد التحريف المشتمل على الكفر والخرافات . والقرآن صريح في مخالفتها في ذلك وقد اشرنا إلى شيء من ذلك في الفصل الأول من المقدمة في اعجاز القرآن في وجهة التاريخ (ولا) تكفروا به (تكونوا) مع عهد توراتكم بالنبي وجعل الله كلامه في فمه ومع دلالة الوجوه المتعددة في اعجاز القرآن (أول كافر به) أول من يعد من الكافرين به . وذلك لنفاش كفركم بعد قيام الحجة عليكم من وجوه عديدة . يقال لكثير الكذب وشديد الفسق أول كاذب وأول فاسق أي أول من يعد من الكافرين ومن الفاسقين (ولا تشتروا آياتي) مع وضوح الحجة عليكم (ثمناً قليلاً) الثمن يشتريه الإنسان في معاملته كما أن الآخر يشتري السلعة واستعير لاستبدالهم آيات الله بأهوائهم لفظ الشراء لما فيه من استبدال شيء بشيء كما قال أبو ذؤيب الهذلي

وان تزعميني كنت اجهل فيكم فإني شريت الحلم بعدك بالجهل

والثمن القليل الحقير هو خوفهم من اكابرهم او حرصهم على جامعتهم الاسرائيلية او حسدهم للرسول (ص) وغير ذلك من اباطيل الأهواء (وايائي) اتقوا او احذروا نكالي وعذابي للكافرين المعاندين للحق باهوائهم (فاتقون ٤٢ ولا تلبسوا الحق بالباطل) ولا تجعلوا على الحق المعروف لباس الباطل ترويحاً لباطلكم (وتكتموا الحق وانتم تعلمون) به . فأسلوا وفاء بعهدهم الله وعماله بالحق الذي تعلمون به (٤٣ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين) من المسلمين

(٤٤) أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * (٤٥) وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ * (٤٦) الَّذِينَ

(٤٤) تأمرون الناس بالبر (من الصدق واتباع الحق وطاعة الله) وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب) فإن فيه بقية من وصايا التوراة الحقيقة في الإرشاد والتعليم باتباع الحق والعمل بالعلم (أفلا تعقلون) كيف لا يقبح من الانسان ان يترك عمل البر الذي يعلم به (٤٥) واستعينوا على ما يراد منكم مما فيه سعادتكم في الدين والدنيا وتوصلوا اليه بالأسباب المروضة للنفس والموجهة لكم الى الله في استعانته وطلب توفيقه وتسديده (بالصبر) على الوفاء بعهد الله والايمان برسوله محمد (ص) وما أنزل اليه وعلى طاعة الله في أوامره ونواهيه وعلى مخالفة النفس الأمارة وعلى مكافحة الكفر والضلال بنصر الدين ونشر الهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى نوائب الدنيا بالتسليم لأمر الله . فإن الصبر في الآية الكريمة مطلق وأثره في جميع ما ذكرناه جلي محمود كما يدل عليه ما جاء في الكتاب والسنة في فضل الصبر وفي بعض رواياتنا المعتبرة تفسير الصبر بالصوم وذلك باعتبار كونه احد المصاديق وله الأثر الكبير في ترويض النفس وتمريضها على الصبر وتصفيتها وتوجيهها الى الله (والصلاة) فإن اقوالها واحوالها تعلم بكل وجه من تهذيب الأخلاق . وان الاتيان بها بحمقتهما والتدبر لمضامين آياتها واذكارها يهدي الى كل خير وهي باب الله في مناجاته والاستعانة به (وانها لكبيرة) على نوع الناس يرونها حملا كبيرا يشغل عليهم فيقوم اليها من يقوم على كسل وثاقل (إلا على الخاشعين) الخشوع فوق الخشوع لا يقبل التصنع فيه نوع من الانكسار يظهر على الانسان وعلى القلب وعلى البصر وعلى الصوت كما جاء في القرآآن الكريم أي إلا على الذين شعارهم الخشوع من خوف الله كأنهم اشرقوا على الموت والمعاد والحساب فخشعوا لذلك واستعدوا للزاد وطلب المغفرة ومناجاة الحق رغبة ورهبة ودعاء وثناء لم يغلبهم طول الأمل ليروا الموت بعيداً فيطمئنوا بالحياة ويسوفوا الأعمال الصالحة والاستعداد للآخرة بل غلبوا الأمل وقرَّبوا الموت الى ظنهم كما قال امير المؤمنين لهام في صفة المتقي يراه قريباً أجله أي يرى آثار ذلك عليه . وحالهم كما قال الحسن (ع) في وصيته لجنادة واعمل لا آخرتك كأنك تموت غداً (٤٦ الذين) نظروا الى الدنيا

البقرة : ٤٦ يظنون انهم ملاقرار بهم و٤٨ واتقوا يوما لا تجزي وفيه معنى الشفاعة ٤٩ واذ نجيناكم ٩١

يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * (٤٧) يَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ
اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنتِي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * (٤٨) وَاتَّقُوا
يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا
عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * (٤٩) وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ
سُوءَ الْعَذَابِ

وفنائهم بعين البصيرة واشتاقوا الى نعيم الآخرة فهم (يظنون انهم ملاقرار بهم) ومستوفو
آجالهم في ساعتهم وما يقرب منها (وانهم) عن قريب (اليه راجعون) رجوع جزاء واستسلام
(٤٧ يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) وقد مرّ شي من بيان ذلك في الآية
الثامنة والثلاثين وكرر هنا تأكيداً في استلفاتهم الى النعم واقامة للحجة بها عليهم (و) اذكروا
(اني فضلتكم) بها (على العالمين) في زمان اسلافكم (٤٨ واتقوا) يوم القيامة يوم الحساب
والنكال (يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئاً) أي لا تقضي ولا تؤدّي عما عليها شيئاً من
جزى الدين إذا قضاه (ولا يقبل منها) من النفس الأولى (شفاعاة) من حيث انها نفس
لها نحو صلاة بالمشفوع له . وقد تقدم في تفسير سورة الفاتحة ما يدل من القرآن الكريم على
تحقق الشفاعة بإذن الله ورضاه واجمع المسلمون على ان لرسول الله (ص) شفاعاة مقبولة وان
جازفت المعتزلة بدعوى اختصاصها بمنافع المؤمنين . واجمعت الإمامية على ثبوت الشفاعة للنبي
الكريم وأهل بيته الطاهرين واصحابه المنتجبين وصالحى المؤمنين وبذلك جاءت احاديث الفريقين
(ولا يؤخذ منها) من النفس الثانية (عدل) الشيء بالفتح ما يقوم مقامه من غير جنسه
بمعنى ولا يقبل منها فداء معادل . واحتمل عود الضمير هنا الى النفس الأولى ايضاً بمعنى
لا تقبل شفاعتها ولا يؤخذ منها فداء للنفس الثانية والأول اظهر وأنسب بالاستقصاء وأبعد
عما يعود الى التكرار لمعنى لا تجزي (ولا هم ينصرون) أي اهل ذلك اليوم المدلول عليه بتعدد
النفوس ليس لهم ناصر على الله وحسابه وعذابه وناهيك بالتهديد بذلك اليوم ما ذكر فيه فليته
ذوو الشعور (٤٩ و) اذكروا يا بني اسرائيل (اذ نجيناكم من آل فرعون) حال كونهم
(يسومونكم) قريب من معنى يولونكم (سوء العذاب) قال عمر بن كلثوم في معلقته
إذا ما الملك سام الناس خسفاً
أبينان يقر الخسف فينا

يَذَبْحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَآئِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ *
(٥٠) وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنْظُرُونَ *
(٥١) وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ

(يذبحون أبناءكم) أي يكثر ويعم ذبحهم لهم (ويستحيون نساءكم) أي البنات اللاتي يولدن لكم ولا يذبحونهن كالأبناء . فكأنهم يتركون طلبواحياتهن وسميت نساء باعتبار بقائهن نوعاً إلى زمان الكبر (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) نسب البلاء إلى الله باعتبار قدره وقدرته على رفعه واملائه لآل فرعون (٥٠ و) اذكروا (اذ فرقنا بكم البحر) فصلنا البحر بعضه من بعض . ومن قوله تعالى في سورة الشعراء « فكان كل فرق كالطود العظيم » يعرف ان افراقه كانت متعددة وطرف بني اسرائيل فيما بينها متعددة . فرقنا بكم أي انتم الفاصل والفارق ما بين اجزائه في عبوركم فيه على اليابسة وهذا أوضح في المعجز وأوضح في خرق العادة (فأنجيناكم) من مضايقة فرعون وجنوده ومن البحر (وأغرقنا آل فرعون) حين اتبعوكم في البحر (وأنتم) خارج البحر (تنظرون) إلى غرقهم . والبحر هو خليج السويس من البحر الأحمر وعرضه بحسب اختلاف مواقعه من نحو عشرة أميال إلى نحو عشرين ميلا واقتصر هنا في ذكر الفرق على آل فرعون باعتبار الامتنان بالنجاة من جيشهم بفرقه . وفي ذكر فرعون وعتوه والانتقام منه قال الله في سورة الاسراء ١٠٥ فأغرقناه ومن معه جميعاً (٥١ واذ واعدنا موسى أربعين ليلة) باعتبار مجموع الوعدين الوعد الأول وهو ثلاثون ليلة والثاني وهو اتمامها بعشر كما في سورة الاعراف ١٣٨ (ثم اتخذتم العجل) أي كما في سورة طه المكية ٩٠ « فقالوا هذا إلهكم وإله موسى » ولم نجد صراحة يعول عليها في ان الذين عبدوا العجل هم كل بني اسرائيل الموجودين حينئذ ما عدا هارون أو بعضهم . لأن سوق الخطاب هنا وفي سورة النساء إنما هو باعتبار البعض من بني اسرائيل فيجوز ان يكون باعتبار البعض من جيش موسى نعم في سورتي الاعراف وطه نسب اتخاذ العجل واضلال السامري إلى قوم موسى ولكن يجوز ان يكون ذلك باعتبار البعض الكثير . نعم ربما يستظهر انهم البعض من قول هارون كما في سورة طه « إني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل » ولكن تراحم الاحتمالات في مراده من التفريق يزاحم ذلك الاستظهار . وغرض القرآن الكريم من قصصه

مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ * (٥٢) ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَأَمْلَكُمْ تَشْكُرُونَ * (٥٣) وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَأَمْلَكُمْ تَهْتَدُونَ * (٥٤) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ

إِنَّمَا هُوَ التذكير والموعظة ولا يهمله تاريخيتها لكي ينص على الكل أو البعض (من بعده) من بعد ان غاب عنكم موسى في ميعاد ربه (وانتم ظالمون) لأنفسكم ولعقولكم ولحقايق (٥٢) ثم عفونا عنكم من بعد ذلك (أي من بعد ما وقعت عبادة العجل . والسياق في خطاب بني اسرائيل بأحوال بعضهم لا يترك في الآية ظهوراً في الغفر عن عبد العجل ويجوز ان يكون حينئذ من لم يعبد العجل ولكنهم تخاذلوا ولم ينصروا هارون بالنهي عن هذا المنكر العظيم فعفا عنهم بتوبتهم كما في الآية الآتية (لعلكم تشكرون) جيئ بلعل عوضاً عن لام الغاية لوجه الذي سنده ان شاء الله في الآية الحادية والثمانين بعد المائة (٥٣) وإذ آتيناهم موسى الكتاب والفرقان (ترتيب القصة يقضي انها الألواح التي جاء فيها في سورة الاعراف ١٤٢ « وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء » ١٥٣ : أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة » فتكون بهذاها فارقة بين الحق والباطل فسميت فرقاناً ويجوز ان يراد بالكتاب والفرقان التوراة (لعلكم تهتدون) أي لغاية ان تهتدوا وحيئ بلعل لما اشرنا اليه (٥٤) وإذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل (إلهكم) فتوبوا إلى بارئكم (الله الذي خلقكم وبرأكم بعد عدمكم . وما ذكرناه من سياق الآيات في خطاب القبيلة بفعل بعضها لا يترك في الآية ظهوراً بأنهم كلهم عبدوا العجل . وإن اردتم التوبة الصادقة التي تمحو ما وقع فيكم من الشرك بالله بعبادة العجل (فاقتلوا انفسكم) الجملة بدل من « فتوبوا » لبيان أن الذي تتحقق به توبتكم هو ان تقدموا على قتل بعضكم بعضاً فكان ذلك نفس التوبة هنا والظاهر انه ليس المراد ان ينتحروا ويقتل كل انسان نفسه بل قتل النفوس المضافة اليهم بالقرابة والرحم الماسة فقد كانوا عبارة عن آباء وأبناء وإخوان واعمام وبني اعمام وكلهم مرتبطون بولاء القبيلة والقومية والجماعة الاسرائيلية (ذلكم) اي توبتكم بقتلكم نفوسكم واقدامكم على ذلك طاعة لله وتكفيراً لما وقع من الشرك وردعا عن مثله (خير لكم عند بارئكم) وفي التعبير بقوله تعالى « بارئكم » في

٩٤ البقرة : ٥٥ طلبهم بجهلهم رؤية الله . اخذ الصاعقة لهم ٥٦ بعثهم بعد موتهم ٥٧ تظليل الغمام وانزال المني

فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٥٥) وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ
لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٦) ثُمَّ بَعَثْنَاكَ
مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ أَنْتُمْ تُشْكِرُونَ (٥٧) وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ
الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلًّا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا

الآية إشارة إلى أن الله هو بارئكم والمنعم بخلقكم فما اهون نفوس المشركين وقتلهم في
جنب الحماية لتوحيده وقمع ضلال الاشرار به وفي جنب رضاه وتوبته عليكم . ففعلوا شيئا من
ذلك كما يدل عليه السياق مع قوله تعالى (فتاب عليكم) وهو خطاب لبني اسرائيل الموجودين
في عصر الرسول بالنهج المتقدم من خطاب بعض القبيلة بأعمال بعضها وباعتبار ان التوبة على
قوم موسى في تلك الواقعة يعود نفعها على المخاطبين وعلى كل بني اسرائيل في جميع أجيالهم
ببقاء جامعهم القومية وصورة الدين والتوحيد (انه هو التواب الرحيم ٥٥ واذا قلتم) خوطبوا
بذلك باعتبار قول الأسلاف من قبيلتهم (يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم
الصاعقة) الصوت الشديد وأخذها واستيلاؤها عليهم والمراد امانتها لهم (وانتم تنظرون) توها
منكم انكم ترون الله تعالى شأنه . روى ابن بابويه في العيون عن الرضا عليه السلام ما ملخصه :
ان بني اسرائيل قالوا لموسى ان نؤمن لك بأن الله أرسلك وكلمك حتى نسمع كلام الله فاختار
منهم سبعين رجلاً فلما سمعوا كلام الله من الجهات الست قالوا لن نؤمن بأنه كلام الله حتى
نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة فماتوا (٥٦ ثم بعثناكم من بعد موتكم) كل الخطاب باعتبار
أحوال الساف (لعلمكم تشكرون) أي لغاية ان تشكروا الله على الاحياء بعد الموت (٥٧ وظللنا
عليكم الغمام) الظاهر من الامتنان بالتظليل انه غير السحاب الذي للمطر (وانزلنا عليكم المني)
ويسمى بذلك أيضا في التوراة العبرانية الدارجة او يسمى مان بفتحته مشالة إلى الألف . وقال
بعض المفسرين انه الترنجبين وليس له مستند يؤول عليه (والسلوى) وتسمى في التوراة
العبرانية ايضا سلو . او سلاو . وفي السبعينية تقرأ سليو وفي كتب اللغة انه طائر او نحو الحمامة
(كلوا من طيبات ما رزقناكم) حكاية لخطاب القدماء في عصر موسى (وما ظلمونا) بما صدر
منهم من المعاصي وكفران النعم وعبادة العجل وقولهم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله
جهرة فإن الله غني عن طاعتهم ولا تضره معصيتهم . بل هم الذين تنفعهم الطاعة وتضرهم

وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٥٨) وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا
 حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ
 وَسَنُزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٩) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ

المعصية (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بمصاصيهم (٥٨) وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية (لا اعرف
 قرية في زمان موسى (ع) أمروا بدخولها ودخول بابها سجداً على ما هو مذكور في الآية في
 نسق هذه القصص ومن البعيد جداً أن يراد بها الخيمة التي نصبها موسى في البروقدسها للعبادة (١)
 إذ لا يناسبها اسم القرية ولا قوله تعالى (وكلا منها حيث شئتم رغداً) نعم يناسبها ان تكون
 قرية بيت المقدس الذي بناه سليمان وكان بنو اسرائيل يأتونها في مواسمهم للعبادة ويتمتعون
 فيها بالرغد والأمن • ويمكن أن يكون هذا القول من الله قد جاء في الوحي إلى موسى (ع)
 فإن التوراة الرائجة تذكر ان موسى (ع) كان يذكر لهم من وحي الله احكام مجيئهم إلى المكان
 الذي يختاره الله بعد الخيمة كما في سفر التثنية متفرقاً من الفصل الثاني عشر إلى الحادي والثلاثين .
 ولا بعد في ان يوجد في هذه التوراة المحرفة شيء من انقاس التوراة الحقيقية والله العالم بحقائق
 الأمور (وادخلوا الباب سجداً) جمع ساجد ولعل المراد باب بيت المقدس والمعنى ان دخولكم
 يكون للسجود والعبادة والاستغفار كما هو شأن المساجد (وقولوا حطة) بالرفع خبر لمحذوف
 اي سجدونا وعبادتنا حطة لذنوبنا والجملة خبرية يراد بها الدعاء أي اجعل سجدونا وعبادتنا
 سبباً لحط ذنوبنا عنا يقال حط الجمل من الدابة أي ازاله وانزله عنها (نغفر لكم خطاياكم وسنزيد
 المحسنين) بأعمالهم على المغفرة بالثواب (٥٩) فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم (وقالوا
 ما لا يرجع إلى الاستغفار وطلب الحط لأنقال ذنوبهم عنهم • ولعل من مصداق ذلك انهم
 حذفوا الأمر بالعبادة والاستغفار ودوام السجود في بيت المقدس وبدلوه بأن الله امرهم في
 التوراة بأنهم إذا لم يقدرُوا ان يحملوا زكواتهم ان يسعوا بفضة وينفقوها في بلد بيت المقدس

(١) ذكرت في دعاء السمات بعنوان قبة الزمان بالزاي المعجمة وإن كان الناس يقرأونها قبة الزمان
 بالراء المعجمة وهذا ترجمة حرفية لاسمها في التوراة العبرانية الرائجة « اهل موعد » اهل . قبة . وموعد .
 الزمان . والمترجمون للتوراة يترجمونها تحريفاً بخيعة الاجتماع إلا طبعة قديمة يروتية ترجعتها في بعض
 الموارد قبة الزمان

فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٦٠) وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * (٦١) وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَنَائِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومَهَا

بما تشتهي نفوسهم في البقر والغنم والخمر والمسكر (١) كما في الفصل الرابع عشر من سفر التثنية وهل يقبل ذو شعور ان الله يأمر بانفاق الزكاة بشرب الخمر والمسكر في بيت عبادته (فأنزّلنا على الذين ظلموا) كمر ذكر الظالمين اما لتخصيص الرجز بالظالمين أو تسجيلاً لقيسح ظلمهم وبياناً لأن ظلمهم هو السبب في انزال الرجز عليهم (رجزاً) أي عذاباً (من السماء بما) أي بسبب ما (كانوا يفسقون) ولم يستغفروا وطلبوا حط ذنوبهم عنهم بل بدلوا ما قيل لهم (٦٠) وإذ استسقى موسى) طلب من الله السقيا (لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر) فضرب به وحذف ذلك لأن دلالة المقام عليه واضحة (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) يشربون من مائها (قد علم كل اناس مشربهم) وإن عدد العيون وامنياز الاناس بعضهم من بعض بالمشرب ليستفاد منه ان كل عين كانت مشرباً لسبط من اسباط بني اسرائيل الاثني عشر (كلوا واشربوا من رزق الله) الذي رزقكم إياه على سبيل المعجز و خارق العادة بدون شائبة من سعي أو تسبب منكم وذلك هو المن والسلوى وهذا الماء المنفجر من الحجر فاشكروا الله واطلبوا رحمته وأطيعوه وتوكلوا عليه (ولا تعثوا) معناه قريب من لا تطفوا ونحوه (في الأرض مفسدين) حال من الضمير في لا تعثوا (٦١) وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد) لانجد له بديلا في بعض الأيام وهو المن والسلوى (فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها) وهو النبات الذي تخضر به الأرض ومنه النعم والكراث والكرفس ونحوها مما يأكله الانسان (وقثائها) وهو الخيار الطويل الأخضر (وفومها) روى في مجمع البيان مرسلًا عن الباقر «ع» ان الفوم الحنطة ورواه ابن جرير في تفسيره والسيوطي في الدر المنثور عن ابن عباس مستشهداً بقول

(١) ذكروا ذلك بنحو لا يقبل التأويل ففي الأصل العبراني « ويابين » وهو اسم الخمر الصريح « وبسكار » وهو اسم صريح في المسكر

وَعَدَسَهَا وَبَصَلَهَا قَالَ أَلَسْتَبْدُلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهَبَطُوا
مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاؤُوا بِغَضَبِ اللَّهِ
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ
بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * (٦٢) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا

ابي محجن النفثي أو احيحة بن الجلاح « ورد المدينة عن زراعة قوم » وروي في الدر المنثور
عن ابن عباس ايضا انه الثوم وانه استشهد له بشعر امية بن الصلت ولا شهادة فيه وكلام المغوين
غير كاف في البيان (وعدسها وبصلها قال استبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) منه
(اهبطوا مصرًا) بالتنوين يحتمل ان يراد بها مصر المعروفة ونوت لجواز صرفها بسبب سكن
وسطها كهند واعد وان ذكرت في غير هذا الموضع اربع مرات غير منصرفة . أو اهبطوا مصرًا
من الأمصار كما هو انصب بالتنوين والأمر بالهبوط على كلا الوجهين إنما هو للتعجيز لأن مصر
هي بلاد عبوديتهم وذلهم وجمع عدوهم المنكوب مضافاً إلى انهم كتب عليهم التيه فكيف
يستطيعون الهبوط إلى مصر (فإن لكم) هناك إن قدرتم واني (ما سألتهم وضربت عليهم
الذلة) الظاهر ان الضمير لا يختص بالذين طلبوا البصل وما ذكر . فإنهم لم يعهد منهم قتل
النبيين . بل يعود الضمير على نوع بني اسرائيل إذ ضربت عليهم الذلة (والمسكنة) كما يعرف
ذلك جلياً بعد انحلال مملكتهم في السامرة وتم ذلك بسبي بابل (وبأوا) يقارب معنى رجعوا
(بغضب من الله . ذلك) أي ضرب الذلة والمسكنة ولزوم غضب الله عليهم (بأنهم كانوا يكفرون
بآيات الله ويقتلون النبيين) والصفة اللازمة لقتل النبيين كونه (بغير الحق) كقوله تعالى لا برهان
له به في قوله جل شأنه في سورة المؤمنون ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه
عند ربه (ذلك) يحتمل أن يكون تأكيداً للإشارة الأولى ويحتمل قريباً انه إشارة إلى قتلهم
النبيين (بما عصوا) أي بمعصيتهم الذي اعتادوه (وكانوا يعتدون) بحيث صار لهم الاعتداء
عادة (٦٢ إن الذين آمنوا) أي اظهروا الإيمان من المسلمين (والذين هادوا) أي انتحلوا
اليهودية . يقال في التاريخ ان بني اسرائيل من بعد سليمان ارتد أكثر اسباطهم إلى الشرك
وعباداة الأوثان وعجلى الذهب للذين عملها ملكهم ثم بادوا من بعد ذلك بالقتل والأسر ولم
يبق لهم اسم ولا رسم قومي في الاسرائيلية . والذين بقوا على صورة التوحيد والشرعة على

وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرٌ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ *

تقلب في الوثنية والإيمان بحسب الأزمنة والملوك وبقي اسمهم وعنوان الموسوية واحترام بيت المقدس في أكثر الأزمنة فيهم إلى اليوم إنما هم سبط يهودا ومن تبعهم كسبط بنيامين . فصار العنوان لمن ينتمي إلى الملة الموسوية هم الذين هادوا . وذكر لهذه الصفة وجوه آخر والله العالم (والنصارى) وهم المتمدون إلى اتباع الرسول عيسى . قيل مفردة نصران ونصرانة واستشهدوا له بقول الشاعر « وهو نصران شامس » وقول الآخر « كما سجدت نصرانة لم تحنف » وقبل في وجه التسمية أنه من النصرة لقول المسيح من انصاري إلى الله قال الحواريون نحن انصار الله كما في سورتي آل عمران والصف . وقبل نسبة إلى الناصرة قرية من بلاد الجليل في فلسطين نشأ فيها المسيح وكان يسمى الناصري فلحق المتدين إلى اتباعه هذا لقب والله العالم (والصابئين) قيل فيهم أقوال كثيرة والظاهر أن منهم الصابئة الموجودين فيما بين البصرة وبغداد ولعلمهم شعبة من اليهود امتازوا بديانة سرية وربما عرف من بعضهم أنهم يتبعون إلى اتباع يحيى بن زكريا . ولهم في ديانتهم ولم شديد بالماء وعناية بأمره (من آمن) من هؤلاء (بالله) بحقيقة الإيمان به في الإخلاص بتوحيده في الإلهية وما له جل شأنه من صفات الجلال والجمال (واليوم الآخر) على حقيقة الإيمان بالمعاد الجسماني والجنة والنار والحساب والجزاء وما ذكر في القرآن الكريم في شأن اليوم الآخر . ومن كان كذلك لم يتردد على آيات الله ودلائله ولم تأخذه نخوة القومية بل يتفانى في طلب الحق ولا تأخذه فيه لومة لائم أو نزعة أهواء (وعمل صالحا) على حقيقة الشريعة المقدسة ولا يخفى أن الإيمان برسول الله محمد (ص) وبما جاء به لازم لحقيقة الإيمان المذكور والعمل الصالح . ألا ترى أقل أن حقيقة الإيمان بالمعاد واليوم الآخر على ما جاء في القرآن الكريم لا توجد عند فرقة من الفرق فضلا عن الإيمان بالله وما له من الجلال والقدس والوحدانية حق الإيمان (فلم أجزم) وجزاؤهم معدة (عند ربهم ولا خوف عليهم) في الآخرة (ولا هم يحزنون) وخبر « أن » أما جملة من آمن مع جزائها وأما جملة فلا خوف . ويكون من آمن بدلا من اسم أن والمعطوف عليه ودخلت الفاء على الخبر لأجل تضمن « من » معنى الشرط ولعل الأول أظهر . وقد روعي في « من » لفظها في آمن . وعمل . ومعناها في « لهم »

البقرة : ٦٣ اخذ الميثاق . رفع الطور ٦٤-٦٦ اعتداء اليهود في السبت ومسحهم قردة ٩٩

(٦٣) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * (٦٤) ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ * (٦٥) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ * (٦٦) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ *

وما بعدها (٦٣ وإذ) واذكروا يا بني اسرائيل إذ (أخذنا ميثاقكم) وهو العهد الموثق الذي أشير اليه في الآيه الثامنة والثلاثين (ورفعنا فوقكم الطور) جبل سينا او قطعة منه وقد قيل في رفعه وتسميته ما لا يصلح حجة والله العالم (خذوا ما آتيناكم) وهو التوراة (بقوة) وفي موثقة البرقي سئل ابو عبد الله الصادق (ع) أقوة الأبدان او قوة القلب قال فيها جميعا وعن العياشي عن الصادق (ع) نحو ذلك أي لا تهنوا في ابدانكم وقلوبكم عن أخذ ما في التوراة (واذكروا ما فيه) أي في التوراة ولا تنسوه ومن ذلك وصف النبي الذي يقيمه الله لهم من اخوتهم ولد اسماعيل لا منهم ويحمل كلامه وهو القرآن الكريم في فمه (لعلكم تتقون) أي لأجل أن تتقوا الله وحي بلعل في مقام الغاية لأن حصول التقوى منهم غير لازم بل هو راجع الى حسن اختيارهم (٦٤ ثم توليتم) التولي بمعنى الاستدبار واستعمل هنا كناية عن الاعراض عما أخذ عليهم من الميثاق (من بعد ذلك) الأخذ للميثاق (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) بقبول التوبة (لكنتم من الخاسرين) الذين ذهب رأس ما لم كني بالخسران عن هلكتهم بالضلال (٦٥ ولقد علمتم) شأن (الذين اعتدوا منكم في السبت) بعد ان نهاهم الله عن الصيد فيه وهم أهل القرية التي كانت حاضرة البحر كما ذكرت قصتها قبل هذا في سورة الاعراف المكية من الآيه الثالثة والستين بعد المائة الى السابعة والستين (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) على نحو قوله تعالى إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (٦٦ فجعلناها) أي حادثة المسخ ولعل الأقراب انها القرية المدلول عليها في سورة الاعراف (نكالا) النكال اسم العقوبة الظاهرة أو الباقية الأثر او لنفس الأثر والمصدر هو التشكيل (لما بين يديها وما خلفها) أي ظاهر لما بين يديها من القرى والأمكنة باعتبار أهلها كما يقال أثر للناظرين (وموعظة للمتقين) أي وتزيد بالنسبة للمتقين ان تكون لهم موعظة تزيدهم بصيرة في الإيمان والمعرفة وتسددهم للثبات على التقوى وهناك احتمالات أخر والله العالم

(٦٧) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتُمْ تَخَذُونَ هُزُوءًا قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فافعلوا مَا تَوْحَرُونَ * (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْ هِيَ بَقَرَةٌ لَفُتِنَ بِنُحُولِهَا وَلَوْ هِيَ بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقْتَعُ لَوْ هِيَ تَسْرُ النَّازِلِينَ * (٦٩) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ * (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ

(٦٧) واذا قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة (وملخص القصة مما رواه القمي بسند معتبر عن الصادق عليه السلام وابن بابويه في العيون في الصحيح عن الرضا عليه السلام ان رجلا من بني اسرائيل قتل ابن عمه غيلة واتهم بقتله بني اسرائيل فصاروا يتدارون ويدفعون عن انفسهم هذه التهمة فرجموا في امرهم الى موسى فشاء الله ان يظهر حقيقة الامر بنحو المعجز فقال لهم موسى ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة فاستغربوا الحال و(قالوا) يجلبهم (أنتخذنا هزواً قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) وفي الصحيح عن الرضا عليه السلام لو انهم عمدوا الى اي بقرة لا جزأتهم ولكن شدوا فشد الله عليهم . وروي ذلك في الدر المنثور من طرق متعددة عن النبي (ص) وابن عباس . وفي رواية القمي ان الله اشار باوصاف البقرة الى بقرة رجل بارٍ بابيه جزاء لبره ليشتروها بالثمن الغالي ولا تنافي بين الروايتين لجواز ان يكون ذلك نتيجة علم الله بتشديدهم على انفسهم (قال انه يقول انها بقرة لا فارض) لاسننة (ولا بكر) فنية في اوائل سنه بل هي (عوان) ومتوسطة في منتصف عمرها (بين ذلك) اي ما ذكر من الوصفين (فافعلوا ما توحرون ٦٨ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لو انها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها) اي شديد الصفرة وخالصها (تسر الناظرين ٦٩ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا) بهذه الصفات (وانا ان شاء الله لمهتدون ٧٠ قال انه يقول انها بقرة لا ذلول) الذلول السهلة المتقادة بالتذليل والتعليم للاعمال التي تراد من نوعها وهذه لا تنقاد لكل اعمال البقر وبين ذلك بانها (تثير الارض)

وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَامَةً ۖ لَا شَيْءَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا
وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ * (٧١) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ
تَكْتُمُونَ * (٧٢) فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * (٧٣) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ

وتنقاد لكرابها (و) لكنها (لا تسقي الحرث) اي الارض المزروعة او الزرع ولا تطاوع لأن
بدل عليها من الآبار والآنهار (مسلمة) من العيوب (لاشية فيها) ليس فيها لون يخالف معظم
لونها (قالو الآن جئت بالحق) اي بحق الوصف المبين والمعين (فذبحوها وما كادوا يفعلون)
إِما لغلاء ثمنها كما يروى واما لغير ذلك من الاسباب (٧١ واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها) اي
قتلها بعض منكم فسرت فيكم التهمة والخصومة فصار كل منكم يريد ان يدفعها ويدراها عنه (والله
مخرج) بقدرته من سر الخفاء الى العلم والظهور (ما كنتم تكتمون) اي يكتمه القاتل منكم
من القتل وسببه • وقد كان الأمر بذبح البقرة وتعتهم في السؤال عنها وتناقلمهم عن ذبحها من
متعلقات القتل واتهام بعضهم بعضا وتدارثهم لها فيما بينهم ولكن افرد الله تلك الأمور بالذكر
تذكيرا لبني اسرائيل بتباطي اسلافهم عن امتثال امر الله • ونسبة موسى الى الاستهزاء لما بلغهم
امر الله بما يزيح عنهم • وشقاقهم بكثرة السؤال حتى انهم ما كادوا يفعلون • وامتناناً عليهم بالمجازاة
لهم في شقاقهم وتباطيهم عن اوامره لكي يرفع تحاصصهم وينجي البري ويظهر البراءة بعلم اليقين •
ثم شرع في تذكيرهم بمنته عليهم واظهار الحق وفصل الخصومة بالنحو المعجز الذي يوضح
لهم قدرة الله وربط اطراف القصة بقوله جلت آلاؤه (٧٢ فقلنا اضربوه) اي المقتول المذكور
في الآية السابقة (ببعضها) اي تلك البقرة التي امروا بذبحها فذبحوها • فضربوه ببعضها ورجع حيا
واخبر بقاتله وظهر امر القتل بالمعجز حق اليقين وارتفعت الخصومة وقد دل على هذا كله
سياق الكلام والتذكير بما فيه من المنية عليهم مع قوله جلت قدرته (كذلك يحيي الله الموتى
ويريكم آياته لعلكم تعقلون) بالتدبر والاعتبار بآيات الله وقدرته واحيائه الميت ورحمته لكم
لكي تعرفوا رشدكم وتهتدوا الى سواء السبيل وان تعقلهم احد الغايات وان كان اشرفها واكثرها
لهم نفعاً • وجيء بلبل لأن تعقلهم غير لازم بل هو راجع الى حسن اختيارهم في التفكير وحسن
الاعتبار والتبصر وعدم الناسي والانتقاد الى وساوس الاهواء وضلالها (٧٣ ثم قست قلوبكم)

مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ
الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ
اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * (٧٤) أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ
فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ
(٧٥) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِمَعْشُرٍ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا
أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ

فراغت عن الاعتبار بآيات الله والتعقل لدلائل الرشد (من بعد ذلك) أي من بعد كل ما ذكر
من الآيات وافرد كاف الخطاب في «ذلك» باعتبار الجمع أو القوم لا الجماعة (فهي كالحجارة)
في قسوتها وناهيك بها قسوة (أو أشد قسوة) أي وان شئت ان تصفها باعتبار الآثار فهي أشد
قسوة من الحجارة (وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار) ومن ذلك العيون الجارية من الجبال
الصخرية (وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء) ومن ذلك ما يحدث عند الزلازل من الانشقاق
والانفجار (وان منها لما يهبط من خشية الله) وقد حدث هذا كله لبني اسرائيل وشاهدوه رأي
العين في الحجر الذي انفجرت منه العيون والجبل الذي تجلّى له الله فجعله دكا . واما انتم
يا بني اسرائيل فلا تتأثر قلوبكم بالآيات ودلائل الحق بل تعملون بما يغريكم به الهوى المردى
والشيطان المضل ويحكمكم عليه العناد للحق والتنادي على الطغيان (وما الله بغافل عما تعملون)
بل يهلمكم ويملّي لكم ثم اليه ترجعون (٧٤) افتطمعون خطاب لرسول الله (ص) والمؤمنين
(ان يؤمنوا لكم) بالله ورسوله وقرآنه ويحييوا دعوتكم لهم الى حقيقة الايمان وهم اهل العناد
والاصرار على الضلال على عمد (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله) عند خطابه لموسى .
او من موسى والانبياء مع اعترافهم بنبوتهم زيادة على دلالة المعجزات على ذلك (ثم يحرفونه)
يغيرونه ويدلونه لا عن جهل بل عن عمد وضلال (من بعد ما عقلوه) وفهموه حق الفهم
(وهم يعلمون) انهم محرفون كاذبون على الله . هذا حال سلفهم في الغي . واما هؤلاء الذين اطعمون
ان يؤمنوا لكم بالحق فهم كما في هذه الآية (٧٥) واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا
بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم (من علم التوراة وتخبرونهم بما فيها من
صفة محمد (ص) ورسالته والامر باتباعه (ليحاجوكم به) فتكون الغاية من ذلك ان تقوم به

عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * (٧٦) أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ * (٧٧) وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ فَوَلِّ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ يَأْيِدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ رُؤَايَا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَلِّ لَهُمْ مَا كَتَبْتَ أَيْدِيهِمْ وَوَلِّ لَهُمْ مَا يَكْسِبُونَ (٧٨) وَقَالُوا كُنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ اتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * (٧٩) بَلَى

الحجة عليكم فيحاجوكم به (عند ربكم افلا تعقلون) ما يترتب على ذلك من الغايات . وفي تبیان الشيخ الطوسي (قد ه) وروي عن ابي جعفر عليه السلام انه قال كان قوم من اليهود ليسوا من المعاندين المتواطئين اذا لقوا المسلمين حدثوهم بما في التوراة من صفة محمد (ص) فنهاهم كبرائهم عن ذلك وقالوا لا تخبروهم بما في التوراة من صفة محمد فيحاجوكم به عند ربكم انتهى فحسباً لا وهامهم (٧٦) او لا يعلمون ان الله) ربهم الذين يكتمون الحق حذرا من محاجة المؤمنين لهم عنده هو الله الذي (يعلم ما يسرون وما يعلنون ٧٧ ومنهم اميون) الامي كما في مجمع البيان من لا يحسن الكتابة ولا القراءة (لا يعلمون الكتاب الا امانى) استثناء منقطع بمعنى ليس لهم الا الكاذب والاختلافات التي يسمعونها من المدلسين . او ليس الا امانى العلم (وان هم الا يظنون) ظنا بما يسمعون (فويل) مبتدأ لانه نكرة مفيدة وللذين خبره والويل الحزن والهلاك والمشقة من العذاب (للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا) من حطام الدنيا والزعامة الكاذبة او ترويع الباطل قال في مجمع البيان انهم عمدوا الى التوراة وحرّفوا صفة النبي (ص) ليقعوا الشك بذلك للمستضعفين من اليهود وهذا هو المروي عن ابي جعفر (ع) (فويل لهم مما كتبت ايديهم) اذ يحرفون ذلك او لا يعلمون بما يوجه (وويل لهم مما يكسبون) من الآثام والكفر واعمال الضلال والتحريف لأجل الاضلال وكتبان الحق (٧٨) وقالوا) اي اليهود (لن تمسنا النار الا اياما معدودة) اي قليلة (قل) لهم يا رسول الله (اتخذتم) على سبيل الاستفهام الانكاري (عند الله عهدا) منه على ذلك (فان يخلف الله عهده ام تقولون) افتراء او تحكما (على الله) في هذا الزعم الباطل (ما لا تعلمون ٧٩ بلى) رد لقولهم

مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
(٨٠) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
(٨١) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَٰئِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ * (٨٢) وَإِذْ أَخَذْنَا
مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيََارِكُمْ

وبيان الحقيقة الامر وهو ان (من كسب) بسوء اختياره (سيئة واحاطت به خطيئته) اي
لزمته واستولت عليه استبلاء الشيء المحيط به ولم يكفرها عنه الايمان والتوبة بعد الكفر (فاولئك)
اشير بالجمع باعتبار الجمع في معنى من كسب (اصحاب النار هم فيها خالدون) الى الابد
(٨٠) والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم (دون غيرهم) فيها خالدون ٨١ واذ
اخذنا ميثاق بني اسرائيل (اي) واذكروا اذ قلنا لهم اقوالا واوصيناهم بها واخذنا منهم العهد
الموثق بالعمل بها (لا تعبدون الا الله) وحده لا شريك له في العبادة والالهية والجملة
خبرية يراد بها النهي والخبرة في مقام الطلب ابلغ من الانشائية وهي والجل المعطوفة عليها معمولة
للقول المدلول عليه باخذ الميثاق (وبالوالدين احسانا) احسانا مصدر نائب عن الفعل وهذا
السبك ابلغ واكد من ان يقال واحسنوا (وذوي القربى واليتامى والمساكين) عطف على
الوالدين في الامر بالاحسان بهم (وقولوا للناس حسنا) وهذه الوصايا غير مختصة ببني اسرائيل
بل هي من اهم ما يقتضيه اللطف بكل امة ارسل اليها رسول . روي في الكافي بسند معتبر عن
الصادق (ع) في قوله تعالى وقولوا للناس حسنا قال قولوا للناس حسنا ولا تقولوا الا خيرا حتى تعلموا
ما هو روي ابن بابويه بسند معتبر عن الباقر عليه السلام قولوا للناس احسن ما تحبون ان يقال فيكم
الحديث (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتهم) وادبرتم في المخالفة لذلك الميثاق (الا قليلا منكم وانتم
معرضون) عن الميثاق متمردون على اوامر الله ونواهيهِ (٨٢) واذ أخذنا ميثاقكم (التفات
الى خطاب اليهود اما باعتبار أخذ الميثاق على اسلافهم او باعتبار ان إيمانهم برسالة موسى
وتوراتهم التزام بالوصية الشاملة لهم واعطاء الميثاق عليها كاسلافهم) (لا تسفكون دماءكم)
لا يسفك بعضكم دم بعض (ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) لا يخرج بعضكم بعضا من بلادكم

ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ * (٨٣) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * (٨٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * (٨٥) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ

وعبر بالانفس تأكيداً في النهي فإنهم أمة واحدة وبنو أب واحد والكلام في الجملة الخبرية في مقام الطلب ومحله من الاعراب كما تقدم (ثم أقررتم وأنتم تشهدون) بأخذ الميثاق (٨٣) ثم أنتم هؤلاء (القوم الذين أخذ عليهم الميثاق وأقروا وشهدوا ذكر ذلك للتغليظ في التوبيخ (تقتلون أنفسكم) يقتل بعضكم بعضاً (وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم) بغير حق بل (تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان) وهم قومكم ومنكم (وإن يأتوكم أسارى) مستعينين بكم على فدائهم (تفادوهم) وتبدلون فدائهم عملاً بكتابكم فلماذا تخرجونهم من ديارهم ظلماً (وهو) والشأن انه (محرم عليكم) في الكتاب (إخراجهم) افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم (أي القتل والإخراج) أو القلب الأهوائي في الإيمان والكفر (الآخزي في الحياة الدنيا ويوم القيمة يُردُّون) بيان لأن المراد من قوله ومن يفعل هو الجمع (إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) فانه لا تخفى عليه خافية وقد اعد لكل عمل جزاءه (٨٤) أولئك (أي المنافقون لميثاق الله هم) (الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) وما اقبح خسارتهم بهذا الشراء اذن (فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون) ومن ذا الذي ينصرهم على الله (٨٥) ولقد آتينا موسى الكتاب (أي التوراة) وقفينا من بعده (أي اتبعناه) بعد موته (بالرسل) في الكافي في باب الفرق بين الرسول والنبي أن الرسول هو من يعاين الملك ويأتيه جبرائيل فيراه ويكلمه بالوحي كما في صحيحتي زرارة والأحول عن الباقر (ع) وروايته اسماعيل عن الرضا (ع) وبريد عن الباقر (ع) والصادق (ع) والذين ذكرت اسماؤهم من الأنبياء بعد موسى هم داود وسليمان والياس واليسع وذوالكفل والظاهر انه حزقيال

وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيْدِنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ
بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ * (٨٦) وَقَالُوا
قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ * (٨٧) وَلَمَّا جَاءَهُمْ
كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا

ويونس وزكريا ويحيى والمسيح ورسول الله (ص) . والذين نص القرآن على رسالتهم هم الياس
ويونس والمسيح ورسول الله صلى الله عليه وآله (وأتينا عيسى بن مريم البيّنات) من المعجزات
(وايدناه بروح القدس) جبرائيل . يا بني اسرائيل (افكلما جاؤكم رسول بما لا تهوى انفسكم
استكبرتم) على دعوته الى دعوته الى الحق وجهدتم في مضادته ومعاندة الحق (فريقا) من
الرسل (كذبتم وفريقا تقتلون ٨٦ وقالوا) اي بنو اسرائيل (قلوبنا غلف) اي في غلاف لا نفهم
ما يقول الرسول في تبليغه وغرضهم العيب لما يقوله في التبليغ كما حكى الله عن المشركين في
سورة حم السجدة « وقالوا قلوبنا في أكنة مماندعوننا اليه وفي آذاننا وقرو من بيننا وبينك حجاب »
وليسوا لا يفهمون ما يقول رسول الله (ص) فإنه أتى في رسالته وتبليغه بما تقتضيه الفطرة وبداهة
العقول ولا يخفى صلاحه على احد (بل) تردوا على الله وكفروا على عمد فحرمهم بركة التوفيق
و (لعنهم الله) وابعدهم عن رحمته (بكفرهم) وعنادهم (فقليلًا مَّا يُؤْمِنُونَ) الفاء للتفريع على
خرمانهم من التوفيق وطردهم عن رحمة الله بعنوتهم في كفرهم و « قليلًا » صفة للمصدر اي
إيمانًا قليلًا و « ما » لئلا يكد القلة بزيادة الإبهام في القليل . والظاهر ان المراد بقلة إيمانهم قلة من
آمن منهم (٨٧) ولا جاءهم كتاب من عند الله) وهو القرآن الكريم بما فيه من دلائل الاعجاز
والحجج على انه من الله (مصدق لما معهم) من التوحيد وارسال الرسل وانزال الكتب والشرعة
(وكانوا) اي هؤلاء المردة المعاندون (من قبل) اي من قبل انزال القرآن او مجي الرسول
الى المدينة (يستفتحون على الذين كفروا) روي في الكافي في الموثق عن الصادق عليه السلام
ما ملخصه ان اليهود كانت تجد في كتبها ان مهاجرة محمد (ص) ما بين غير واحد فخرجوا
يطلبون الموضوع ونزله قوم منهم ثم صاروا يقولون للأوس والخزرج امالو قد بعث محمد لنخرجكم
من ديارنا فلما بعث الله محمداً (ص) آمنت به الأنصارو كفرت به اليهود وهو قول الله وكانوا
من قبل يستفتحون . وعن تفسير العياشي عن الصادق (ع) مثله . وفي صحيحة اسحق بن عمار

قَلَمًا جَاءَهُمْ مَا عَرُفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ * (٨٨) بِئْسَمَا اشْتَرَوْا
 بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ
 مِنْ عِبَادِهِ قَبَاءُ وَابْعَثْ عَلَى غَضَبٍ وَكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ * (٨٩) وَإِذَا
 قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ

عن الصادق (ع) ما يقرب من هذا . وكذا الحديث الأول والسابع والثامن الذي صححه
 الحاكم مما رواه في الدر المنثور . فيكون معنى يستفتحون يستنصرون بالتهديد او يطلبون في
 كلامهم ما يأملون من الفتح والنصر في المستقبل . وروى في الدر المنثور ايضا ان اليهود
 كانوا عند محاربتهم للعرب يستنصرون الله في الدعاء باسم النبي محمد (ص) (فلما جاءهم ما عرفوا)
 من امر النبي (ص) ورسالته وان الله يجعل كلامه في فمه (كفروا به) مع معرفتهم به ككفر
 ابليس (فلعن الله على القوم الكافرين ٨٨ بشما اشتروا به انفسهم) في مجمع البيان اكثر الكلام
 اشترت بمعنى ابتعت وربما استعمل اشترت بمعنى بعث انتهى ولكن فيه هنا كما في التبيان والكشاف
 اشتروا بمعنى باعوا اقول ويجوز ابقاء الاشتراء على معناه المتعارف وتكون الآية توبيخا وتسفيرا
 لليهود فان حق النفس ان تشتري بالايمان والاخلاق الفاضلة والعمل الصالح في هذه الحياة
 الدنيا لتكون كاملة زكية فائزة بالسعادة الأبدية . اذن فما بال هؤلاء السفهاء قد حملهم الحسد
 الذميم على ان يحفظوا لانفسهم خرافات القومية والجامعة اليهودية وجعلوا الثمن لاشترائها
 لهذا الغرض الوخيم هو الكفر بآيات الله حسدا وبغيا فبئس ما فعلوا وبئس الذي اشتروا به انفسهم
 او بئس شيئا اشتروا به (ان يكفروا بما انزل الله) اى كفرهم بما انزل الله وهو المخصوص بالذم
 مثل عمرو في قولهم بئس الرجل عمرو وتزداد شناعة كفرهم بما انزل الله مع معرفتهم بأنه كلام
 الله المنزل الذي وعدوا به بأن كفرهم هذا كان حسدا و(بغيا) على ان يبعث الله من غيرهم
 رسولا و(ان ينزل الله من فضله) كلامه وآياته ووحى ارساله (على من يشاء من عباده)
 ويعلم اهليته للرسالة من ولد اسماعيل (قباءوا) نحو معنى رجعوا (بغضب على غضب)
 غضب الله عليهم من أجل الكفر مع المعرفة وقيام الحاجة وغضبه من أجل حسدهم
 وبغبيهم وعنادهم للرسول لكونه من غيرهم (والكافرين عذاب مهين) يذلهم وبهينهم
 (٨٩) وإذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله) من القرآن بأنه كلام الله المنزل على رسوله الكريم

قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩٠) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (٩١) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ

وانقادوا بإيمانكم الى اتباعه فقد عرفتم انه من الله وقامت به الحجج عليكم (قالوا) من غيهم وبغهم وضلال عصبيتهم اليهودية (نؤمن بما أنزل الينا) ومفهوم قولهم الكفر بغير ما في كتبهم (ويكفرون بما وراءه) أي بما عداه مما أنزله الله على غيرهم كقوله تعالى « وأحل لكم ما وراء ذلك » او ما بعده (و) الحال ان القرآن يكفرون به إذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله (هو الحق مصدقا لما معهم) من صفة الرسول وان الله يحمل كلامه في نفسه وانه من اخوتهم ولد اسماعيل لا منهم أي هو الحق الذي يكون به صدق تلك المواعيد ثم رد الله منطوق قولهم نؤمن بما أنزل الينا مبينا كذبهم في هذه الدعوى وتمادي اسلافهم على معاندة الايمان والقوم ابناء القوم وعلى وتيرتهم فقال جل اسمه لرسوله (قل) لهم في ردهم (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين) بما أنزل اليكم فان أنبياء الله لم يدعوكم إلا الى الايمان والعمل بما أنزل اليكم (٩٠) ولقد جاءكم موسى بالبينات والآيات الباهرة التي لا مجال بعدها للشك والانحراف عن الايمان (ثم اتخذتم العجل من بعده) وارتددتم ذلك الارتداد القبيح واشركتم (وانتم ظالمون ٩١) و) اذكروا (إذ أخذنا ميثاقكم) على الايمان والتوحيد والعمل بالتوراة (ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا) وهو معنى قوله تعالى في الآية الستين « واذكروا ما فيه لعلكم تتقون » (قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم) أي انهم بسبب كفرهم وغيهم انهمكوا في حب العجل حتى كأن العجل دخل في اعماق قلوبهم كما يدخل المشروب الذي يقبل عليه الانسان الى اعماق بدنه حتى صار العجل كالحيب الحاضر في القلب بحبه . والذي اشربهم إياه في قلوبهم هو الشيطان او غواية الاهواء . ثم عاد الكلام على توبيخهم وردهم في قولهم الكاذب « نؤمن بما أنزل الينا » بما معناه ان الايمان يأمر ويحمل على اتباع ما آمن الانسان به والعمل به . والذي انزل عليكم يأمركم بتوحيد الله وبجانبه

قُلْ يَسْمَا يَا مُرْكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩٢) قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ
الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
(٩٣) وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٩٤) وَلَتَجِدَنَّهُمْ
أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ

الأوثان وعبادته وحده وطاعة الأنبياء واحترامهم والإيمان برسول أو كتابه - أفقولون ان
إيمانكم المزعوم الموهوم أمركم بما ذكر من أفعالكم القبيحة إذن (قل بشما بأمركم به إيمانكم)
واين منكم الإيمان ولكن قيل (إن كنتم مؤمنين) للمجازاة في خطابهم والتنازل من النبي
الى صورة التشكيك وهذا من بديع الأساليب في التقرير والتوبيخ . ومن أفعالهم بالحجة أنهم
يدعون انهم هم شعب الله ولهم الآخرة والنجاة والنعيم وانهم أبناء الله وأحباءه كما في سورة
المائدة ويزكرون في ثوراتهم انهم ابن الله البكر فقال الله لرسوله (٩٢ قل) لم (إني كنت لكم
الدار الآخرة عند الله خالصة) مختصة بكم (من دون الناس فتمنوا الموت) شوقا لما أعد في
الآخرة من النعيم العظيم الدائم والسعادة الكبرى لأهلها (إن كنتم صادقين) في زعمكم
عارفين بصدقكم (٩٣ ولم يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم) من موبات الخطايا والضلال وإن
جحدوا ذلك فإنه لا يخفى على الله (والله عليم بالظالمين ٩٤ و) وزيادة على انهم لا يتمنون
الموت (لتجدنهم أحرص الناس على حياة) أي حياة ما وإن كانت قليلة (و) أحرص على
الحياة (من الذين أشركوا) الذين ينكرون المعاد والنعيم بعد الموت (يود أحدهم) من حرصهم
على الحياة (لو يعمر) الظاهر ان « لو » بعد « ود » . ويود » مصدرية كما حكاه في المغني عن
الفراء وابي علي وابي البقا والتبريزي وابن مالك . يوتى بها بدل « ان » فيما كان مدخولها بعيد
الحصول او متمنعا في نفسه او بحسب العادة . او يراد ابرازه بصورة البعيد او الممتنع . وذلك كما
في الآية والآية ١٠٣ وسور آل عمران ٢٨ و ٦٢ والنساء ٤٥ و ٩١ و ١٠٣ والحجر ٢ والاحزاب
٢٠ والقلم ٩ والماعارج ١١ . وما لا يكون كذلك تأتي فيه مكان « لو » أن المفتوحة المشددة
المصدرية كما في صورتني الأنفال ٧ وهود ٨٢ أو « ان » الساكنة المصدرية كما في هذه السورة
٩٩ و ٢٦٨ . أو « ما » المصدرية كما في سورة آل عمران ١١٤ وليس في « لو » هذه معنى
التمني كما هو ظاهر وبديل ان ما يقع بعد الفاء متفرعا على ما بعدها لم يجز في القرآن إلا

الْفَ سَنَةِ وَمَا هُوَ بِمُرْخِزٍ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ *
(٩٥) قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا
لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ *

مرفوعا كقوله تعالى في سورة النساء ٩١ ودُّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء و ١٠٣ و
ودُّ الذين كفروا لو تغفلون عن أمتعتكم واسلحتكم فيميلون عليكم وفي سورة القلم ٩ ودُّوا
لو تدهن فيدهنون . والتي هي للتنخي جاء ما بعد الفاء بعدها منصوبا كما في قوله تعالى ١٦٢
لو ان لنا كرة ففتبرأ منهم وفي سورة الزمر لو ان لي كرة فأكون بنصب اكون « فَإِنْ قِيلَ »
ان « لو » التي بعد يود وود كيف نكون مصدرية مع انها تقع بعدها اداة مصدرية كما في قوله
تعالى في سورة آل عمران ٢٨ تودُّ لو ان بينها وبينه أمدا . وفي سورة الأحزاب ٢٠ يودُّوا
لو انهم بادون « قلت » ان « لو » كيفا كانت لا تدخل على الجملة الاسمية بل لا بد فيها من
تقدير فعل . فالتقدير اِذْنُ لو يمكن او لو يتيسر ونحوها كما تقول ثود أن يتيسر ان بينها وبينه
امدا ويودوا أن يمكن او يتيسر انهم بادون . وعبر بذلك التعبير لخصوصية « لو » وظهور المقام
وخصوص الجملة الاسمية في مزايا الكلام كما لا بد من هذا التقدير على قول القائل انها للتنخي
(الف سنة) وماذا ينفعه ذلك التعمير . هل يحيط عنه شيئا من ذنوبه او يدفع عنه العذاب ما لم
يؤمن ويعمل صالحا . كلا (وما هو) أي اعدم (بمزحزحه) مزحزحه خبر للضمير هو والباء
زائدة لتأكيد النفي (من العذاب أن يعمر) المصدر فاعل لمزحزحه أي وما هو مزحزحه تعميره
(والله بصير بما يعملون) من السيئات وان طول اعمارهم في عمل السيئات هو الذي يركسهم
في درك العذاب (٩٥ قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله) أي القرآن (على قلبك بإذن
الله مصدقا لما بين يديه) لما تقدمه من كتب الله الحقيقية ومعارف الحق (وهدى) حال
ثان معطوف على مصدقا (وبشرى للمؤمنين) اي ان الذي يهتدي ويصل به الى الحق
ويكون القرآن له بشرى انما هم المؤمنون . والآية تشعر بان لها شأن وسبب نزول والسياق
يقضي ارتباطه باليهود . وقد روي في ذلك شيء ذكره في الدر المنثور ولكنه غير متصل
الاسناد ولا سالم من الخلل . وروي في تفسير البرهان شيء وفي مستنده ما فيه وذكر القمي
شيئا ولم يذكر ما خذه والله هو العالم بحقيقة الحال (٩٦ من كان عدوا لله وملائكته ورسوله

(٩٦) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ
 لِلْكَافِرِينَ * (٩٧) وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ *
 (٩٨) أَوْ كَلِمَةً عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * (٩٩)
 وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ
 أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَأَوْا ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * (١٠٠) وَاتَّبَعُوا
 مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا
 يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ

وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين) اي لا يكون كذلك الا كافر والله عدو للكافرين
 وكفى بذلك خزيالهم ووبالا (٩٧ ولقد انزلنا اليك آيات بينات) لا ريب فيها (وما يكفر بها
 إلا الفاسقون) الذين خرجوا من طاعة الحق والرشاد واستحبوا الكفر (٩٨ أو كلاً) الاستفهام
 للتوبيخ والتقريع على عادتهم القبيحة من انهم كلاً (عاهدوا) الله او رسله او أنبياءه عاهدانده
 والقاه كناية عن نقضه ومخالفته (فريق منهم) ليس الفريق القليل (بل أكثرهم لا يؤمنون)
 ولا يشتون على عهدهم ومنهم بنو قريضة والنضير وقينقاع وغيرهم ممن نقض عهده وميثاقه لرسول
 الله والمسلمين اقبل نقض باقبح عذر (٩٩ ولما جاءهم رسول من عند الله) وهو محمد صلى الله
 عليه وآله وسلم (مصدق لما معهم) من التوحيد وارسال الرسل وانزال الكتب الانسانية
 وصفات الرسول الذي وعدوا به وتبين لهم انه هو المصدق والمصدق وجاءهم بالكتاب كلام الله
 المذكور في توراتهم (بنذريق من الذين أوتوا الكتاب) وهم الأكثر الذين لا يؤمنون (كتاب
 الله) القرآن الذي قامت به عليهم الحجة وعلموا بأنه كتاب ورموه (وراء ظهورهم) كناية
 عن اعراضهم وكفرهم به (كأنهم لا يعلمون) انه كتاب الله المبشر به في كتبهم وقامت به
 الحجج النيرة (١٠٠ واتبعوا) من الأباطيل والكفر (ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان) أي
 على اهل مملكته (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على
 على الملكين بابل هاروت وماروت) روى ابن بابويه في العيون عن الرضا عليه السلام ان
 هاروت وماروت علما الناس السحر ليحترزوا به عن سحر السحرة ويبتلوا كيدهم وذكريهم

وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا
مَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ
اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي
الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا

قوله تعالى (وما يعلمان من أحد حتى) يندراه و (يقولان إنما نحن) من جهة (فتنة) وابتلاء
وامتحان نعلم الناس لغاية صحيحة (فلا تكفر) وتستعمل ما تعلمه في غايات الصلال (فيتعلمون)
أي لليهود (منها) من الشياطين وهاروت وماروت أو من المتعلمين منهما (ما يفرقون به بين
المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله) والمراد من الاذن عدم ابطال الله لأثر
السحر أي ليس أثر السحر أمراً لازم لا يقدر الله على رفعه ولكن لم يبطله بل خلى بينه وبين
الناس في سوء اختيارهم كما خلى بينهم وبين سائر المعاصي وانواع الظلم لحكمة قدرها في العالم
(ويتعلمون) من السحر (ما يضرهم ولا ينفعهم) إذ لا يستعملونه في ابطال سحر السحرة
ودفع كيدهم . روى القمي في تفسيره ان الباقر (ع) سأله عطابمكة عن هاروت وماروت فذكر
من أمرهما في المعصية نحو ما يذكر الجمهور عن ابن عباس وابن عمر وكعب الأحمري كما تراه
مجموعاً في الدر المنثور وفيما ذكرنا روايته عن الرضا (ع) نحو معارضة لما روي عن الباقر عليه
السلام ورواه عن الباقر محمد بن قيس وهو مشترك بين الضعيف وغيره ويمكن أن يكون الباقر
(ع) بحسب حال الوقت وعطاب حكى له ما يروونه عن ابن عمر وابن عباس وكعب من دون ما يشعر
بتصديقه . والشيع في التبيان لم يشر الى هذه الرواية ويبعد أن يكون لم يطلع عليها . والقول
بكونها منافية لعصمة الملائكة يمكن دفعه بأن يقال بأن المسلم من عصمتهم هو ما داموا مجردين
عن الشهوة والحرص لا ما إذا جملوا فيهم كما تقوله الرواية والله العالم بحقيقة الحال (ولقد علموا)
اللام للقسر والجملة التي بعدها جوابه (لمن اشتراه) اللام للابتداء و«من» مبتدأ والضمير يعود
الى السحر وما تتلوه الشياطين . وعبر عن اتباعه وتعلمه بالشراء إشارة الى أنهم بذلوا بأزائه
وبدلاً عنه دينهم وآخرتهم فمن اتبعه واشتراه (ماله في الآخرة من خلاق) أي نصيب وذلك
هو الخسران المبين وجملة «ماله» خير «لمن» والجملة من المبتدأ والخبر معموله «لعلوا» لأن
الأصل في افعال القلوب أن تتعلق في العمل بالنسب الموجودة في الجمل (ولبئس ما شروا)

بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * (١٠١) وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَآتَقَوْا لِمَثُوبَةٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * (١٠٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا

أي باعوا . ويمكن أن يراد به معنى الاشتراء المتعارف على نحو ما ذكرناه في الآية الثامنة والثلاثين (به أنفسهم لو كانوا يعلمون) فإنه اقبح الاثنان وأخسها (١٠١) ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير) لهم مما يروونه بعمل السحر وتعلمه فضلا عن كمال الايمان والتقوى وخسة السحر ونقصه واللام رابطة لجواب « لو » ومثوبة بمعنى ثواب مبتدأ وخير خبره والجملة جواب لو . ونكرت « مثوبة » لبيان ان فرداً واقل مصداق مما عند الله من الثواب خير لهم مما اتبعوه (لو كانوا يعلمون) ولو هنا بمعنى التمني جرياً على ما يستعمله الناس في المحاورات في مثل المقام والله يحل ويتقدس عن حقيقة التمني (١٠٢) يا ايها الذين آمنوا) اخرج احمد في مسنده عن ابن عباس وفي الدر المنثور اخرج ابو نعيم في الحلية عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) ما أنزلت آية فيها يا ايها الذين آمنوا إلا وعلي رأسها واميرها . وفي الحلية ان الناس يروون هذا الحديث وفي النبايع اخرجه موفق بن احمد عن مجاهد وعكرمة عن ابن عباس عن رسول الله (ص) وقال موفق رواه جماعة من الثقات هم الأعمش والليث وابن أبي ليلى وغيرهم عن مجاهد وعكرمة وعطاء عن ابن عباس عن رسول الله . وفي الصواعق اخرجه الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس واللفظ إلا وعلي عليه السلام اميرها وشريفها . وفي كشف الغمة من نحو هذا كثير عن ابن مردويه بأسانيده عن ابن عباس وحذيفة . ولا معنى للرواية إلا أن علياً (ع) رأس الذين آمنوا واميرهم وشريفهم (لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا) جاء في الآية التاسعة والاربعين من سورة النساء ان اليهود يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون راعنا ليا بالسنتهم وطمعنا في الدين . وفي تبيان الشيخ قال ابو جعفر (ع) يعني الباقر هذه الكلمة « يعني راعنا » سب بالعبانية اليه كانوا يذهبون قال الحسين بن علي المغربي فبحثت عن ذلك أي عن السب الذي ذكره الباقر (ع) فوجدتهم يقولون راع علي وزن قال بمعنى الفساد انهي اقول وقد تبعت العهد القديم العبراني فوجدت ان كلمة « راع » بفتحها مشالة الى الآف وتسمى عندهم « قامص » تكون بمعنى الشراو القبيح . ومن ذلك ما في الفصل الثاني والثالث من السفر الأول من توراتهم وبمعنى الشرير واحد الأشرار . ومن ذلك ما في الفصل الأول

وَأَسْمِعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ * (١٠٣) مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ
بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ * (١٠٤) مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا

من السفر الخامس . وفي الرابع والستين والثامن والسبعين من مزاميرهم . وفي ترجمة الأناجيل
بالعبرانية و«نا» ضمير المتكلم وفي العبرانية تبدل ألفها واواً أو تال الى الواو فتكون راعنا في
العبرانية بمعنى شربنا ونحو ذلك . وراعنا في العربية فسرنا في التبيان استمع منا ونسمع منك
وفي القاموس استمع لمقالي وفي النهاية المراعاة الملاحظة ونهى المؤمنون عن قولهم لرسول الله
(ص) راعنا لئلا يتخذها اليهود في خطابهم لرسول الله وسيلة لسبه والطعن في الدين (واسمعوا)
ما يقول الرسول (وللكافرين) الذين يسبون رسول الله او الذين لا يسمعون قوله (عذاب
أليم ١٠٣ ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا) من (المشركين أن ينزل عليكم من خير)
من زائدة او قوعها في حيز النفي وفائدتها بيان الاستغراق وتأكيده (من ربكم والله يختص
برحمته) ورسالته (من يشاء) على مقتضى المصلحة والأهلية فإنه اعلم حيث يجمل
رسالته (والله ذو الفضل العظيم) لا يمنع فضله عن هو اهل من أي قوم كان (١٠٤) ما ننسخ
من آية (قد سمي القرآن ما جاء في الكتب الإلهية السابقة بالآية والآيات ومدح من يتلوها
ففي سورة آل عمران بعد ذم اهل الكتاب «١٠٩ ليسوا سواء من اهل الكتاب أمة قائمة يتلون
آيات الله آناء الليل وهم يسجدون» وفي سورة مريم بعد ذكر النبيين والصالحين من السلف
«٥٩ إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجداً وبكياً فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة
الآية» وفي سورة الزمر «٧١ ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم» والنسخ والتبديل
نظيران والظاهر ان المراد تبديلها لا تبديل حكمها بالنسخ الاصطلاحي فإن في الثاني تجوز
لا قرينة عليه بل قد يمنع منه السياق والضمائر (او تنسها) بضم النون الأولى وسكون الثانية
وكسر السين وحذف الياء حرف العلة للحزم بالعطف على نسخ وهو من النسبان وأنسى بالألف
اللينة حرف العلة ينسى بالياء في آخرها لا من النسي وأنساً ينسأ بالهمزة في الآخر ولو كان
من ذلك لكان جزمه بسكون الهمزة أو بالياء إذا أبدلت ياء إذ لا يجوز حذفها لأنها ليست بحرف
علة وإن مناسبة السياق في الآية التي قبلها لتشير الى ان المضمون هو انه وان كبر على اهل

فَأَتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * (١٠٥) أَلَمْ

الكتاب نسخ كتب الأنبياء وآياتها بالقرآن وآياته في مقام التلاوة والذكر والصلاة والشرعة والهداية وغير ذلك فضلا عن ان تلك الكتب وآياتها قد حرفت وبدلت حتى صارت حقيقتها نسيا منسيا فإن القرآن منزل من الله بحسب المصلحة التي اقتضت انزاله وانه ما ننسخ من آية او ننسها (أت بخير منها) في الأثر . (او مثلاً) ونسب الانساء الى الله مجازاً كما نسب الاضلال باعتبار تمرد المنتسبين الى كتابها حتى خرجوا عن أهلية اللطف والتوفيق فوكاهم الله الى انفسهم الأمانة فخر فوها وبدلوها الى ان صارت نسيا منسيا . ولا مصداق لهذه الآية في آيات القرآن بعضها مع بعض . اما نسخ نفس الآية القرآنية بمعنى نسخ تلاوتها فلا تكاد أن تعرف له مصلحة تقتضيه فضلاً عما يخلج من وجوه المفسدة مضافاً الى انه لا دليل على وقوعه ولئن روي في ذلك شيء فقد مر في الأمر الثاني والثالث من الفصل الثاني من المقدمة ما يبطله ويكذبه وقد حكى عن مقالات الشيخ المفيد ان عدم هذا النسخ مذهب الشيعة وجماعة من اهل الحديث وغيرهم ، واما ما حكى عن العلامة في نهاية الأصول . والكركي في طهارة جامعه والطبرسي . في اقسام النسخ من القول بوقوعه . فقد استندوا له بما يزعم من آية الرجم وقد اشرنا الى ما فيها مضافاً الى ما ذكر . والظاهر ان نسخه بهذا المعنى مناف لقوله تعالى «انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون» واما انساؤها ونسيانها فهو مناف لآية الحفظ المذكورة ولقوله تعالى «سنقرئك فلا تنسى» ولا تثبت بقوله تعالى «إلا ما شاء الله» فإن حمل الكلام على الاستثناء بالمشيئة لا يقي وجهاً للامتنان والوعد بقوله تعالى «سنقرئك فلا تنسى» بل ان المقصود منه الاستدراك لبيان ان عدم النسيان إنما هو بقدره الله ومشيته لا لأمر طبيعي لازم بل لو اقتضت المصلحة وشاء الله ان يتركه وبشريته لنسي كما في قوله تعالى في سورة هود «١١٠» واما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والارض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ» وقد اطلنا الكلام في المقام لأنه لم يعط حقه (ألم تعلم) خطاب وتوبيخ للانسان بدليل ما يأتي (أن الله على كل شيء قدير) ينزل الخير ويرسل الرسل ويرحم ويلطف بهم ويأت بخير مما ننسخ ولا يخص بلفظه قوما دون قوم وهم اهل له (١٠٥) ألم تعلم ايها الانسان (أن الله له ملك السموات والارض) وكل الناس عباده يفعل ما يشاء وما يقتضيه لطفه ورحمته

تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ * (١٠٦) أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * (١٠٧) وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * (١٠٨) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا وَلَا تُؤَخِّرُوا خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * (١٠٩) وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ

من هو اهل ولا يفوته احد من ترمذ عليه وعصاه (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ١٠٦ أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ) الذي ارسل اليكم كافة (كما سئل موسى من قبل) من طلبهم روية الله وغير ذلك من اقتراحات العباد (ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل) يقال ضل الطريق وضل عنه (١٠٧ ودَّ كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً) قد تقدم الكلام في « لو » بعد « ودَّ » في الآية الرابعة والتسعين (حسداً) لكم (من عند أنفسهم) الأثارة الزائفة التي اختاروا غوايتها على هدى عقولهم (من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا) عن فئات حسدهم ومحاولتهم لاضلالكم (حتى يأتي الله بأمره) من الأمس بعقابهم من الطرد والجلأ او القتل حينما يتظاهرون بالفدر والعداوة لكم وللدن فتقوم عليهم الحجة ويمكنكم الله منهم (إن الله على كل شيء قدير ١٠٨ وأقيموا الصلاة) بحدودها ومواقيتها (وآتوا الزكاة) فإن ذلك خير يعود لأنفسكم (وما تقدموا لأنفسكم) في دار العمل والتكليف لدار الجزاء والنعيم (من خير) بالأعمال الصالحة (تجدوه) أي تجدوا جزاءه وثوابه (عند الله إن الله بما تعملون بصير) وإن اسررتم به (١٠٩ وقالوا) أي اهل الكتاب المذكورون فيما قبل (لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً) أي يهودياً قالت اليهود ذلك وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً واوزج الكلام بأحسن إيجاز بقوله تعالى (او نصارى) ومغزى كلام كل منهم ان المسلمين لا يدخلون الجنة (تلك) أي دعوى كل فريق

أَمَانِيَهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ * (١١٠) بَلَى مَنْ أَسْلَمَ
وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ * (١١١) وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ
النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ

منهم انهم يدخلون الجنة (أمانيههم) الكاذبة التي يملكون بها أنفسهم انهم يدخلون الجنة (قل هاتوا
برهانكم) وحجتكم على هذه الدعاوي وتلك الأمانى (إن كنتم صادقين) فيها فإن الصادق
لا بد له من حجة وبرهان (١١٠ بلى) رد وابطال للنفي الذي قالوه على نحو قوله تعالى في
سورة التغابن «زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن (من أسلم) نحو أسلم أمره
الى الله أي وكاه وخلاه ولم يتداخل فيه بمعارضة المشيئة فالمراد هنا كما في سورة آل عمران ١٨
والنساء ١٢٤ ولقمان ٢١ أي وكل وخلا (وجهه) الوجه معروف والمراد الكناية عن اقباله
وتوجهه في سبيل المعرفة والعبادة والطاعة وطلب التوفيق والهدى واسله (الله) ولم يتداخل
فيه بزنيغ الاهواء ونزغات الضلال ونزعات النفس الأمارة. والى هذا تنحو اقوالهم في التفسير.
اخلى نفسه لله . او وجه وجهه لطاعة الله . او فوض أمره لطاعة الله (وهو محسن) في عمله
(فله أجره عند ربه) افرد الضامير باعتبار لفظ «من» (ولا خوف عليهم) من عقاب الله (ولا
هم يحزنون) من اجل استحقاقهم للعقاب . قال في الدر المنثور في نزول الآية الآية اخرج
ابن اسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس وذكر قصة ذكرت في التبيان ومجمع
البيان بقولها قال ابن عباس وأوردها الواحدي كالمعلومات بلا رواية وفي القصة ان واحداً من
نصارى نجران قال لليهود ما أنتم على شيء وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة . ويوهن القصة
انه ليس في النصارى من يجحد نبوة موسى ويكفر بالتوراة بحيث ينسب الله كلامه الى النصارى
بقوله وقالت النصارى «وما آفة الأخبار إلا رواها» (١١١ وقالت اليهود ليست النصارى
على شيء) لأنهم ليسوا على نحلتهن (وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) لأنهم ليسوا
على نحلتهن وكل من الفريقين بوجه قوله المذكور الى كل من لم يكن على نحلته حتى الى
المسلمين يقولون قولهم هذا (وهم يملون الكتاب) أي نوعه وهي الكتب التي بأيديهم وينسبونها
الى الوحي والنبوة مع ان في تلك الكتب كلمات حق وبقية من الوحي الحقيقي بحيث يدينون

كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * (١١٢) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * (١١٣) وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ

به وفي تلك الكلمات التي يتلونها ما حاصله ان الجنة والنجاة ودين الحق مقرونة بتوحيد الله حق التوحيد وعبادته وطاعته والتصديق بأنبيائه وكتبه وآياته وان في اليهود قبل زمان عيسى وفي النصارى من خواص المسيح واتباعه من كان على الصراط المستقيم من ذلك فكيف يقول كل فريق قوله المذكور وهم يتلون كتبهم ويعلمون ما هو الأساس في دين الحق و (كذلك قال) المشركون (الذين لا يعلمون) ما هو الأساس في دين الحق (مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) ويحكم لمن كان على حقيقة الدين الصحيح (١١٢) ومن اظلم ممن منع مساجد الله (المسجد هو الذي تعتاد فيه عبادة الله والسجود له وإن كان من المشاهد التي لا تسمى في اصطلاح الفقهاء مسجداً (ان يذكر فيها اسمه) ويعبد فيها بالصلاة وتلاوة كتابه (وسعى في خرابها) وفي التبيان قيل المراد به مشركو العرب من قريش لأنهم صدوا رسول الله (ص) عن المسجد الحرام وهو المروي عن أبي عبد الله الصادق (ع) قلت وفي الدر المنثور اخرج ابن اسحاق وابن ابي حاتم عن ابن عباس ما هو من هذا النحو وعليه فعنى خرابه أن يبقى للهبادة الباطلة كالمكاه والتصدية والسجود للأصنام وطواف العرة من الرجال والنساء . والظاهر ان ما روي بيان لمورد النزول الذي لا يجعل العام خاصا وفي المقام تفاسير عجيبة غريبة منها ما ذكره الواحدي عن قتادة وذكره غيره عن الحسن أيضا وهو ان بخننصر حُرِّب بيت المقدس وأعانه على ذلك النصارى . وليت شعري اين بخننصر من النصارى وهو قبل المسيح بنحو ستائة سنة وقريب منه في الغرابة ما ذكره الواحدي . وروي عن كعب الأحمار (أو لئلك ما كان لهم أن يدخلوها) أي مساجد الله (إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ١١٣ والله المشرق والمغرب) على سبيل المثال أي له جميع الجهات وكلها في سلطانه بدليل قوله تعالى فيما يأتي « الله المشرق والمغرب » في تحويل القبلة من بيت

فَأَيْنَ مَا تَوَلَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ *

المقدس وجه الشمال الغربي الى الكعبة وجهة الجنوب أي والله كل الجهات ليس لجهة من الجهات دون الأخرى خصوصية ذاتية طبيعية تربطها بالتوجه الى عبادة الله ودعائه (فأينما تولوا فثم وجه الله) وحاشا لله أن تختص به جهة او مكان . وفي صحيحة الفقيه عن اسحاق بن عمار عن ابي عبد الله (ع) ونزلت هذه الآية في المتحير اي في صلاة الفريضة والله المشرق والمغرب فأينما الآية . وروى انه احتج الصادق (ع) بالآية لصحة سجود التلاوة لغير القبلة كما في رواية الصدوق في العلل عن الحلبي عنه (ع) . ولعدم القضاء لصلاة الفريضة إذا صليت خطأ لغير القبلة كما في رواية التهذيب عن محمد بن الحصين الجعفي عنه (ع) . وروى الجمهور في صحة الصلاة في هذه الصورة انه اخبر رسول الله (ص) بها او سئل عنها فنزلت الآية . ذكر في الدر المنثور اسماء عشرة اخرجوا هذا عن عامر بن ربيعة . واسماء ثلاثة اخرجوه عن جابر الانصاري . ورواها الواحدي في اسباب النزول باسناده عن عامر وجابر . وفي الدر المنثور ان ابن مردويه اخرج نحوه بسند ضعيف عن ابن عباس . وفي رواية الصدوق المتقدمة ان الصادق عليه السلام احتج بالآية لصحة صلاة النافلة على الدابة أينما توجهت . وفي الدر المنثور ذكر اسماء عشرة منهم مسلم والترمذي والنسائي اخرجوا ذلك عن ابن عمر . واسماء اربعة منهم الحاكم وصححه عن ابن عمر ايضا . وفي الدر المنثور اخرج ابن جرير وابن المنذر عن مجاهد قال لما نزلت « ادعوني استجب لكم » قالوا الى ابن فأنزلت « فأينما تولوا فثم وجه الله » . هذا وان النظر الى مجموع هذا المروي ودلالة الآية وحجتها يرشد بأن رواية نزولها في مورد خاص إنما هو باعتبار انطباقها عليه وارادته في عموم تنزيهاها . كما ان المروي ولسان الآية وسوقها تشهد بأن مفادها قاعدة عامة مبينة بالحجة التي تشهد بها العقل ايضا إلا ان الله خص بعض الأماكن تكريما لها بأن يستقبلها من يصلي الفريضة وقسا من النافلة ويوجه اليها الميت والذبيحة حسبا يدل عليه الكتاب والسنة وما عدا ذلك يبقى لحكم الموم في هذه الآية المحكمة وحجتها . ويؤكد عمومها ويحكمه قوله تعالى (ان الله واسع) في الرحمة والطف (عليه) بمن يتوجه الى حضرته بالطاعة . ومن المجيب قول الواحدي ومذهب ابن عباس ان هذه الآية منسوخة بقوله تعالى « وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » . أفلا يعلم كل مسلم ان آية أينما تولوا إن

(١١٤) وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ * (١١٥) بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (١١٦) وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ

كان نزولها قبل تحويل القبلة الى الكعبة فهي مخصصة من اول نزولها بالتوجه في الفريضة الى جهة خاصة وكانت إذ ذاك جهة بيت المقدس لأن صلاة الرسول اليها كان من اول وروده الى المدينة : وما عشت أراك الدهر عجبا : فقد نشأ في بدع قوم في عصورنا ينعوت ويضربون من يتوجه في مسجد الرسول الأكرم عند دعائه واستشفاعه بالرسول الى جهة قبره الشريف في ناحية المشرق كأن الله لم ينزل الآية المتقدمة ولم يعرفوا من العادة ان المستشفع يقدم شفيعه بين يديه . ويحكم الله وهو خير الحاكمين (١١٤) وقالوا اتخذ الله ولداً) والقائل بذلك النصارى بل وغيرهم ممن اخذوا عنه كاليونان وغيرهم والبراهمة والبوذيين إذ جعلوا زعماء ديانتهم آلهة مولودين من الله (سبحانه) تنزيها ونعظيما له عن ذلك (بل له ما في السموات والارض) والكل سواء في انهم مخلوقون لله والله ومملكه (كل له قانتون) ذكروا من معاني القنوت الخشوع والطاعة أي خاشعون او مطيعون بالانقياد الخالقية وقدرته وإلهيته فأين الولدية والإلهية من المخلوق وجاء قانتون بالجمع المذكر السالم تغليبا (١١٥) مبالغة في مبدع أي منشىء ومخترع (السموات والارض) لا باحتذاء مثال قبلها (وإذا قضى أمرا) أي خلق وصنع كقوله تعالى في سورة فصلت « قضاهن سبع سموات في يومين » وقول ابي ذؤيب « وعليها مسرودتان قضاها » داود او صنع السوايع تبع

والأمر الشيء او الحادث (فإنما يقول له كن) أي لا يحتاج الى تمهيد مقدمات ومعدات يحتاج اليها وجوده ويمتنع بدونها . بل الأشياء طوع ارادته يريد فيكون وقوله تعالى « يقول له كن » إنما هو كناية عن ارادته بما يظهر به الناس ارادتهم وهو أمرهم (فيكون) تفريع على يقول وليس جزاء لقوله تعالى « كن » لأن الكون بعد الفاء هو نفس الكون المأمور به لأجزائه المترتب عليه وتوهم انه جزاء لذات الطلب او للكون مع الطلب مدفوع بأنه لو صح لوجب أن ينصب قوله تعالى فيكون (١١٦) وقال الذين لا يعلمون (بمواقع حكمة الله وحجته ودلالة آياته (لولا يكلمنا الله) لولا هنا بمعنى هلا للعرض والطلب والمراد تكليمه لهم بخصوصهم

أَوْ تَأْتِينَا آيَةً كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ * (١١٧) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ * (١١٨) وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هُدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَلَنْ أَتَّبِعَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ

(أو تأتينا آية) خاصة بهم بحسب اقتراحهم عتوًّا واستكباراً كما حكاه الله عنهم في سورة الاسراء المكية من قوله تعالى « ٩٢ - ٩٦ وقالوا لن نوّمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً » إلى قوله تعالى « حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه » (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم) في الاقتراح الفاسد مع انهم شاهدوا ما تقتضيه الحكمة من الآيات والدلائل حيث قال اليهود « لن نوّمن لك حتى نرى الله جهرة » وذلك بعد ما رأوا الدلائل على رسالة موسى كآية العصا وشق البحر (تشابهت قلوبهم) في الضلال والكفر بالآيات البينات . ولو جرت الآيات على حسب اقتراح المقترحين من المنهمكين بالضلال والمارة لخرجت عن كونها آيات بل صارت بذلك اموراً عادية لا تقوم بها حجة فضلاً عن ان كثيراً منهم يطلب المستحيل عقلاً كقول بني اسرائيل « لن نوّمن لك حتى نرى الله جهرة » وهل الآيات إلا ما تقتضيه الحكمة بحسب حال المدعوين إلى الإيمان بما يفيد اليقين وتقوم بالحجة وقد جاء رسول الله «ص» بذلك على أحسن وجه (قد بينا الآيات لقوم يوقنون) بما يوجب اليقين بدلائله الكافية ولا يمارون فيها بعناد الضلال وتحكم الاهواء قد نزل القرآن معجزاً على ما تقتضيه الحكمة من وجوه عديدة فاستنار بيقينه الموقنون وقطع المعاذير على الجاحدين المرتابين إذ تجددهم بالانتيان بعشر سور او سورة من مثله . قلت وقد اشير إلى شيء من ذلك في الفصل الأول من المقدمة ولا تأس يا رسول الله من قول هؤلاء (١١٧) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ بما اعد لهم من النعيم (ونذيراً) بما اعد للكافرين والمعاندين من العذاب والهوان (ولا تسأل عن اصحاب الجحيم) الذين استحقوها بسوء اختيارهم (١١٨) وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ وحذف ذلك لدلالة قوله تعالى (ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل) اني اتبع الهدى واين منه اهواءكم وتقليدكم فيها و (ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم) بدين الحق وضلال هؤلاء فيما هم عليه اذن (مالك) ولالكل احد قامت

الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ * (١١٩) الَّذِينَ
 آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ
 فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * (١٢٠) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ
 عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * (١٢١) وَاتَّقُوا يَوْمَ مَا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ
 نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * (١٢٢)
 وَإِذْ أَبَتَىٰ إِبْرَاهِيمُ رَبَّهُ بِكَلِمَاتِ فَاتِمَةٍ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ

عليه الحجة من عقله وتبليغك (من الله) متعلق بالمطلوب من الولي والنصير وهو الانقاذ والتخلص
 (من ولي ولا نصير) من زائدة وولي مبتدأ . ومالك خبره (١١٩ الذين) مبتدأ (آتيناهم الكتاب)
 القرآن (يتلونه حق تلاوته) الجملة حال « لا آتيناهم » لا خبر فإن ما كل من اوتي القرآن
 تلاه حق تلاوته . وفي مجمع البيان وعن العياشي عن ابي عبد الله (ع) ان حق تلاوته هو
 الوقوف عند ذكر الجنة والنار يسأل في الأولى ويستعبد من الأخرى . وهذا ملازم في المعنى
 لما عن الديلمي عن ابي عبد الله ايضا قال يرتلون آياته ويتفقهون به ويعملون بأحكامه ويرجون
 وعده ويخافون وعيده ويعتبرون بقصصه ويأتمرون بأوامره ويستبهون بنواحيه ما هو والله حفظ
 آياته ودرس حروفه وتلاوة سوره ودرس اعشاره واخماسه حفظوا حروفه واضاعوا احكامه
 وإنما هو تدبر آياته والعمل بأحكامه قال تعالى « كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته »
 (اولئك يؤمنون به) جملة « اولئك » خبر للذين (ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون) وذلك
 هو الخسران المبين (١٢٠) يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على
 العالمين ١٢١ واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة
 ولا هم ينصرون) قد مر الكلام في الآيتين بعد الآية الثالثة والاربعين وقد كررت الايتان
 هاهنا تسجيلا لمعناها على اليهود (١٢٢) واذ ابنتى ابراهيم ربه بكلمات فاتمة قال اني جاعلك
 سباق الآيات الثلاث التي بعد هذه الآية وعطفهن عليها بقضي ان تكون كلمة « اذ »
 مفعولاً « لا ذكر » القولية المفردة فتكون الآية وارتباط كلماتها ومعانيها تسنلزم ان يكون قوله
 تعالى « اني جاعلك » الى آخره تفسيراً للكلمات والفاعل في اتمن هو الله . ويشهد لذلك رواية
 ابن بابويه في كتاب النبوة عن الفضل ابن عمر عن الصادق عليه السلام . وعليه جرى ما حكاها

الناس إماماً قال ومن ذريتي

في مجمع البيان عن قتاده وابي القاسم البلخي واختيار الحسين بن علي المغربي . وفي الدر المنثور اخرج ابن جرير عن ابن عباس قال الكلمات اني جاعلك اماماً والآيات التي بعدها واخرج ابن جرير وابن ابي شبة عن مجاهد نحوه . وإن كانت كلمة « إذ » ظرفاً معمولاً « لقال اني جاعلك » كانت الكلمات شيئاً آخر فيظن ان يكون الفاعل في اتهم هو ابراهيم . وفي تفسير القمي قال هو ما ابتلاه الله بما أراه في نومه من ذبح ولده فأتمها ابراهيم الخ . ولم يعلم ان القائل هو القمي أو الإمام . وروى في الدر المنثور عن ابن عباس في هذا النحو خمس روايات متداخلة نحو ما ذكره في مجمع البيان وعلى ما ذكرناه أولاً يكون المعنى ابتلى ابراهيم بكلمات امامته وامامة الأئمة وتحمل اعبائها واداء شكرها (لناس اماما) ومرجعاً ومقصداً وزعيماً في امور الدين والدنيا . وقد استفاد الحديث عن الأئمة عليهم السلام ان امامة ابراهيم كانت بعد نبوته ورسالته كما في الكافي عن جابر عن الباقر (ع) وعن زيد الشحام وعن هشام ودرست عن الصادق (ع) . وفي العيون عن عبد العزيز بن مسلم عن الرضا (ع) . ويدل على ذلك ايضا ان نبوة ابراهيم كانت قبل ان يولد له ولد وقبل شيخوخته ومقتضى الآية ان قول الله له يجعله اماماً كان بعد ان صار له اولاد يرجو ان يكون له منهم ذرية وأما قبل ذلك فلم يكن له رجاء فإن القرآن في سورة الحجر يخبر انه لما بشر باسحق قال أبشروني على ان مسني الكبير فبم تبشرون . ولا يكون جاعل هنا بمعنى جمعت في الماضي لأنه عامل بالمفعول وهو اماماً وقوله تعالى « للناس » متعلق « بجاعل » وفيه اشارة إلى الامتنان على الناس وان الإمامة لطف من الله ومن اكبر المصالح لأمرهم ويجوز ان يكون متعلقاً بقوله « اماماً » وقدم للاهتمام بعموم الإمامة للناس وارتباطها بمصالحهم العامة والخاصة (قال) ابراهيم (ومن ذريتي) الظاهر ان هذا عطف على « جاعل » في جاعلك اي وجاعل من ذريتي ويكون بمنزلة الاستفهام التقريري لمزيد الاستبشار والابتهاج ونحو من الشكر إذا علم من الكلمات والأسماء ان الأئمة من ذريته . او للاستفهام ان لم يعرف انهم من ذريته . وقيل ان المعنى واجعل من ذريتي . وفيه تكلف في التقدير الزائد على دلالة السوق خصوصاً مع النظر إلى رواية الفضل الدالة على معلومية اسماء الأئمة في ضمن الكلمات فإنه يبعد من مقام ابراهيم ان يطلب الزيادة على

قَالَ لَا يَنْالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ * (١٢٣) وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا

ما أخبره الله بتقديره (قال) الله جل اسمه في بيان ما لهذه الإمامة من الفضل (لا ينال عهدي الظالمين) بياناً لشرف الإمامة في فضيلتها العظمى وفضل الإمام فإن الإمامة يجعل عهدي في الدلالة على الإمام بحسب أهليته لهذه الكرامة في كماله وقيامه بمصلحة الناس على ما يقتضيه اللطف في صلاحهم وأهليته لانتقادهم إليه وهذا العهد الكريم من نحو الوصية والدلالة على التعيين ونظير ذلك قولهم ولي العهد . والظالم يع من ظلم نفسه بخالفته للحق وكيف يليق من لا رادع له من كماله عن الظلم لنفسه أو لغيره لأن يعهد الله إليه بإمامة الناس واصلح أمورهم وارشادهم «فمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدي» وفي رواية البرهان عن الكافي والمفيد عن هشام بن سالم ودرست عن الصادق عليه السلام في تفسير الآية من عبد صنأ أو وثناً أو مثلاً لا يكون اماماً . وعن أمالي الشيخ مسنداً وابن المغازلي في المناقب مرفوعاً عن عبد الله بن مسعود عن النبي (ص) في الآية عن قول الله لا إبراهيم من سجد لصنم دوني لا أجعله اماماً . وقال (ص) فانتبهت الدعوة إلي وإلى أخي علي لم يسجد أحدنا لصنم قط . وعن الكافي مسنداً والشيخ المفيد مرفوعاً عن الصادق عليه السلام لا يكون السفية امام التقي . فيكون ذكر عبادة الصنم من باب النص على أحد المصاديق من موانع الإمامة وهي ما تنافي العصمة التي يدل العقل على اعتبارها في هذه الإمامة . ومن شواهد ذلك ورشحاته ان الفطرة وحكم العقل بمقتضى جميع الحكومات المتقدمة على ان تجعل من قوانينها الأساسية ان من حكم عليه بجريمة توجب العقوبة ولو بسجن مدة قليلة يكون ساقطاً باصطلاحهم عن الحقوق المدنية اي لا تكون له وظيفة في الحكومة يتسلط فيها على غيره ولا تنفمه في ذلك توبة . أليس الله بأحكم الحاكمين (١٢٣) وإذ عطف على اذ ابتلى في الآية السابقة (جعلنا البيت) الحرام وهو الكعبة (مثابة للناس) مرجعاً لهم والثناء للمبالغة لأن مرجعيته للناس جعلت دائمة فإنك ترى من يتحمل المشاق في زيارته يشاق إلى الرجوع إليه مرة بعد أخرى وهذا سر غريب وآية من آيات الله (وأمناً) بأمن من حل في حماه من الناس مع وحشية الاعراب وتعاديلهم وعداوتهم . وهذا ايضاً من آيات البيت ويأتي له انشاء الله مزيد بيان في تفسير الآية الثانية والتسمين من سورة آل عمران (واتخذوا) عطف على اذ كر (من مقام إبراهيم

وَأَتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى

مصلًى مقام ابراهيم يسمى به الآن محل يصلى فيه باعتبار ان فيه الصخرة التي قام عليها ابراهيم (ع) فصار فيها اثر قدميه . وقال فيه ابو طالب

وموطئ ابراهيم في الصخر وطأة على قدميه حافياً غير ناعل

وفي الكافي في الحسن كالصحيح عن ابي عبد الله مقام ابراهيم حيث قام على الحجر فاثرت فيه قدماه . وفي مجمع البيان عن ابن عباس قصة فيها ان المقام صخرة وضعتها زوجة اسماعيل تحت رجل ابراهيم لما غسلت رأسه فاثرت فيها قدماه . وفيه ايضاً ان علي بن ابراهيم روى مسنداً عن ابا ن عن الصادق عليه السلام هذه القصة بعينها . وفي الدر المنثور ان الازرقى اخرج عن المطلب بن ابي وداعة . وآخر ان سيل ام نهشل في ايام عمر احتمل المقام من محله فسأل عمر عن محله فرغم المطلب ان عنده مقياس محله فوضع في محله الآن . وفيه اخرج البيهقي في سننه عن عائشة ان المقام كان في زمن رسول الله «ص» وزمان ابي بكر ملتصقاً بالبيت ثم أخره عمر بن الخطاب . وفي الكافي والفقهاء في الموثق كالصحيح عن الباقر «ع» كان موضع المقام الذي وضعه ابراهيم عند جدار البيت فلم يزل هناك حتى حوله أهل الجاهلية إلى المكان الذي هو فيه اليوم فلما فتح النبي «ص» مكة رده إلى الموضع الذي وضعه ابراهيم «ع» إلى ان ولي عمر بن الخطاب فسأل الناس من منكم يعرف المكان الذي كان فيه المقام فقال بعض انا قد كنت اخذت مقداره بنسج فهو عندي فأثابه به فقا به ثم رده إلى ذلك المكان . وذكر نحوه في المسالك عن سليمان بن خالد عن ابي عبد الله عليه السلام وذكر ان المقام هو العمود من الصخر الذي كان ابراهيم يقف عليه حيث بنائه للبيت . وكان في زمن ابراهيم ملاصقاً للبيت بهذا الموضع الذي هو فيه اليوم . وفي تفسير القمي في سورة الحج ان المقام كان في زمن ابراهيم يلصق بالبيت وعليه نادى ابراهيم بالحج . وفي مضمرة ابن مسلم وصحيفة ابراهيم بن ابي محمود عن الرضا (ع) المرويتين في الكافي ما يدل على ان محل المقام على عهد رسول الله (ص) غير محله في ايام الأئمة إلى الآن . اقول والظاهر ان المراد من مقام ابراهيم في الآية هو جهة موقفه ومحل قيامه لا خصوص موطئه في قيامه او نفس الصخرة فإنه لا يمكن ان يتخذ منه مصلًى . وقد روي في الوسائل عن اثنتا عليهم السلام اكثر من

وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَ آيَاتِنَا لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ *

اثني عشر حديثا في ان صلاة الطواف خلف المقام بحسب موضعه في زمانهم عليهم السلام والآن خمس منها استشهد فيها بقوله تعالى « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » وست نصت على الخلف . وعلى ذلك يحمل ما كان لفظه عند المقام والتعبير بعند فيه أيضا بتقييد لا طلاق الخلف وكذا ما كان لفظه ارجع إلى المقام اوائت المقام . وهذا مما يشهد لارادة الجهة ومقدار سعتها . ولعل وجوب تقديم المقام بحسب موضعه الثاني لأجل احترامه عن الاستدبار وأجل الستر على الشيعة والحصر في رواية زرارة بالمقام المعروف ظاهر في انه بالاضافة إلى الصلاة لطواف التطوع في انها حيث شاء المتطوع من المسجد ويمكن ان تنزل على ذلك مرسله صفوان كما يمكن ان تنزل صحيحة ابراهيم بن ابي محمود وسائر الروايات على السئر على الشيعة فتجوز الصلاة ما بين موضعي المقام اولا وثانيا . ولكن الاحتمال لاحترام ذات المقام يرجح ظاهر الروايات ويمنع عن اليقين بالفراغ الا بالصلاة خلفه (وعهدنا إلى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود) اي الطائفين به لعبادة الله . والمكوف للبحث حوله للعبادة ولو بذات اللبث بفنائه . والركع جمع راكع . والسجود جمع ساجد والمراد المصلين حوله . وعن الصدوق في العال والشيخ في التهذيب بسندين صحيحين عن عمران وعبد الله الأخوين الحلبيين سألت أبا عبد الله (ع) أيفتسلن النساء إذا اتين البيت قال نعم ان الله عز وجل يقول ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود فينبغي للعبد ان لا يدخل إلا وهو طاهر قد غسل عنه العرق والأذى وتطهر والمراد من اتان البيت التوجه اليه للطواف ونحوه . وعن الكليني بسند معتبر عن محمد الحلبي عن ابي عبد الله (ع) نحوه باسقاط السؤال وفيه فينبغي للعبد ان لا يدخل مكة إلا وهو طاهر « الرواية » وهذا يفسر متعلق الدخول في روايتي اخويه . ومن المعلوم ان طواف الناس وعكوفهم وركوعهم وسجودهم هم العاديين انما هي خارج البيت وحوله . وهكذا يدل على أن المراد تطهير فناء البيت من حيث حرمة البيت المضاف إلى الله والذي جعله يطاف حوله ويعكف ويركع ويسجد ويكون بالاعتبار الثانوي العرضي مراعاة لحال الناسكين حوله وبه جرى التعليل بالآية الكريمة لأنه يدل على الاعتبار الاول الذي دلالة واضحة . والمراد من التطهير هو ما يقتضيه اطلاقه بمعناه اللغوي وهو التنزيه

(١٢٤) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * (١٢٥) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * (١٢٦) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا

عن كل ما ينافي حرمة البيت من القذارات الصورية والمعنوية عرفية كانت او بكشف الشارع كما يشهد لها رواية الحلبيين والأمر في طهرا بمنزلة الخبر لبيان الوظيفة والغرض كقوله اغتسل للجنابة والجمعة كما يشير إلى ذلك قوله تعالى « وعهدنا » فلا يتمتع شموله للواجب والنسب ويسري التكافؤ المفهوم منه إلى غير إبراهيم وإسماعيل (١٢٤ و) اذكر (اذ قال إبراهيم رب اجعل هذا) اي فناء البيت وحرمة الذي هو مكة (بلداً آمناً) اي يأمن اهله ومن فيه من اذى الناس (وارزق اهلهم) سكانه (من الثمرات) لا كل سكانه بل (من آمن منهم بالله) ولم يقل بك محافظة علي تخصيص الايمان بالله بالنص على اسمه العظيم (واليوم الآخر قال) الله جلت آلاؤه ما حاصله اني استجبت دعائك ولا اخص رزقي في هذه الدنيا الغانية بالموثنين بل أرزق فيها المؤمن والكافر (ومن كفر) واصر على كفره (فأمتعته) في الدنيا (قليلاً) اي مدة حياته القصيرة بالنسبة إلى ما وراءه وامهله وأقيم عليه الحجة واملي له (ثم اضطره) اي آخذه قهراً بالموت والحشر (الى عذاب النار) التي أعدت للكافرين (وبئس المصير) مصيره (١٢٥ و) اذكر (اذ يرفع إبراهيم القواعد) قاعدة البيت اساسه ورفع القواعد ههنا هو البناء عليها وجعله مرتفعاً (من البيت) أي الكعبة (وإسماعيل) حال كونهما متقربين قائلين (ربنا تقبل منا) طاعننا (انك انت السميع) للدعاء (العليم) بنياتنا في طاعتك (١٢٦ ربنا واجعلنا بتوفيقك) مسلمين لك الظاهر أن الاسلام في الاصل هو الدخول في السلم بكسر السين وسكون اللام مثل الانجاد والاثام والإقحال والسلام هو عدم المحاربة والمحاددة . وبالنسبة لله يتحقق بالاذعان بإلهيته وتوحيده ورسالة رسله وكتبه . وقد اختص في الاستعمال بهذا المعنى فصار هو الظاهر من لفظ اسلام وأسلم واسلم ومسلم . وبعد رسالة خاتم النبيين محمد (ص) صار المتداول في الاستعمال هو ما ذكرناه مع الاذعان برسائله وأن قرآنه وشريعته من الله والاسلام الحقيقي هو الاذعان في النفس المساوق للإيمان وهو المراد هنا أي اجعلنا مسلمين لك مدة عمرنا بمنى

١٢٨ البقرة: ١٢٦ و ١٢٧ دعوة ابراهيم واسماعيل بالاسلام ودعائهما ببعثة الرسول في ذريتهما منهم

مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرْنَا مَنَاسِكَتَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * (١٢٧) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَبُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * (١٢٨) وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ

ثبتنا بهدايتك وتوفيقك على الاسلام كما هديتنا له (و) اجعل بتوفيقك ولطفك (من ذريتنا أمة مسلمة لك) لم يسألا ذلك لكل ذريتهما لما سبق من قول الله لابراهيم «لا ينال عهدي الظالمين» لما قال ابراهيم «ومن ذريتي» اولما يعرفانه من حال البشر في اختيارهم للايمان وان الكثير منهم من يستحب العمى على الهدى . فطلبنا أن تكون من ذريتهما أمة مسلمة لا خصوص الامم (وأرنا) يحتمل أن يراد بالضمير ما يعم الأمة المسلمة من ذريتهما (مناسكتنا) النسك العبادة والناسك هو العابد . والنسك هو الموضع المدلل للعبادة الخاصة . فتكون الروية المطلوبة على حقيقتها (وتب علينا) طلب التوبة باعتبار دخول الأمة المسلمة في الدعاء . ويحتمل أن يختص الضمير بابراهيم واسماعيل فيراد من التوبة عليها الرجوع والعود عليها بالرحمة واللطف فان المعنى الاصلي للتوبة هو الرجوع والعود . ويحتمل أن يريد بالتوبة نحواً من معناها المعروف تصاغراً لله واستغفاراً لأعمالها في جنب جلال الله كما هو شعار الأولياء المخلصين (إنك أنت التواب الرحيم ١٢٧ ربنا وابعث فيهم) اي الأمة من ذريتهما (رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم) بارشاده وجهاده في الدعوة (إنك أنت العزيز) في تنفيذ ارادتك ونصر رسولك في تبليغه واجراء احكامك وتعليمه وتزكيته لعبادك (الحكيم) فيما تفعل . ومصدق هذا الدعاء هو رسول الله صلى الله عليه وآله برسائله العامة فهو رسول الله في ذرية ابراهيم واسماعيل وبهم ابتدأت دعوته وهو (ص) ايضاً من ذريتهما . وفي تفسير القمي قال رسول الله (ص) انا دعوة ابي ابراهيم . وفي البيان روى انه (ص) قال ذلك . ورواه في الدر المنثور عن جماعة (١٢٨) ومن) استفهام يرجع الى الانكار والنفي (يرغب عن ملة ابراهيم) في التوحيد والمعرفة والخلق الفاضلة والخنيقية (الامن) الذي (سفه نفسه) السفه والسفاهة والسفيه معروفة . وسفه بالضم من افعال السجاي لا يتعدى . وسفه بالكسر متعد والمعنى إلا من اضر نفسه بسفاهته ونحو ذلك فان ملة ابراهيم جارية في معارفها واخلاقها على النهج الفطري الواضح المعقول فلا يرغب

وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّاحِبِينَ * (١٢٩) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * (١٣٠) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ * (١٣١) أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * (١٣٢) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ *

عنه إلا السفيه (ولقد اصطفيناه) أي ابراهيم واختارناه رسولا وإماما وهاديا (في الدنيا وانه في الآخرة من الصالحين) أي معدود من الذين كانوا في الدنيا صالحين هادين (١٢٩) إذ قال (ظرف لاصطفيناه) له ربه اسلم (وهذا القول لمثل ابراهيم يكون قبل زمان البلوغ وقد ذكرنا معنى الاسلام قريبا) قال اسلمت (وأشار الى معرفته وان اسلامه عن حجة وبصيرة بقوله) لرب العالمين ١٣٠ ووصى بها ابراهيم بنيه) أي وصاهم بالملة الخفيفة ملة ابراهيم (ويعقوب) أي ووصى بها يعقوب بنيه وقال كل منهما لبنيه في مقام التوصية والتحريض على اتباع الملة حتى المات وان لا تلعب بهم الاهواء فيفتنم ابليس منهم الفرصة عند الموت فيردم عن الخفيفة والاسلام (يا بني إن الله اصطفى لكم الدين) المعهود دين الخفيفة والاسلام واختاره لكم صافيا مصفى فالزموه واثبتوا على اتباعه حق الاتباع (ولا تموتنَّ) إلا وأنتم مسلمون (على الدين الخفيف (١٣١) أم كنتم) اضراب وانكار وهو يناسب أن يكون خطابا لأهل الكتاب وانكارا على دعوى ليس لهم بها علم ولا حضروا ولا شهدوا ما يستندون الدعوى اليه (شهداء) حضورا (إذ حضر يعقوب الموت) وذلك لم يجر فيه ما تزعمون بل (إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي) قال ما تعبدون لأن معبودات اهل الضلال أكثرها مما لا يعقل كالحيوان والتماثيل (قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق) وادرج اسماعيل في تفسير الآباء بنحو من التغليب عليه ولأنه عم ليعقوب والعلم كالآب (إلهها واحدا) لا شريك له (ونحن له مسلمون ١٣٢) تلك أمة قد خلت (ومضت والظاهر ان المراد من الأمة بنو اسرائيل) لها ما كسبت (من خير) ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون (بل كل مسئول عن تكليفه وما قامت

(١٣٣) وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا
 كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * (١٣٤) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى
 إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى
 وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ *

به الحجة عليه فانظروا لأنفسكم (١٣٣ وقالوا) أي اهل الكتاب اليهود والنصارى كل من
 الفريقين يدعو الى نحلته (كونوا هوداً او نصارى) او لتقسيم قولي الفريقين (تهتدوا قل)
 يا محمد (بل) تتبع (ملة ابراهيم حنيفاً) الحنيف هو الموحد التابع لدين الحق . ولا حاجة الى
 بيان المأخذ لاستعمال اللفظ في هذا المعنى (وما كان من المشركين) ولعله تعريض باليهود
 والنصارى « تعالى الله عما يشركون » وفي قوله ملة ابراهيم الى آخره احتجاج لوجوب اتباعها
 فإن قدّرنا تتبع يكون مفاد الاحتجاج وعليكم أن تتبعوا ذلك . وان قدر اتباعوا يكون مفاد
 الاحتجاج كما اتبعنا نحن . يا اهل الكتاب لا تأخذنكم اهواء القومية وعصبية اليهودية او النصرانية
 فإن الحق أحق ان يتبع بل (١٣٤ قولوا) عن إيمان حقيقي واعتقاد واتباع للحجة (آمنّا بما
 أنزل إلينا) باعتبار النزول على أنبيائهم ورسالهم كالنوراة والانجيل والزبور (وما أنزل الى ابراهيم)
 وهي صحف ابراهيم التي جرى عليها بنوه الى زمان موسى وبهذا الاعتبار قيل (واسماعيل
 واسحاق ويعقوب والأسباط) إذ لم يعمد نزول كتاب الى خصوص المذكورين . وعن
 الكافي باسناده عن سدير عن أبي جعفر ان اولاد يعقوب أي ماعدا يوسف لم يكونوا أنبياء
 ونحوه عن العباسي . والأسباط جمع سبط وهو ولد الولد . ومنه سمي الحسنان عليهما السلام
 بالسبطين وسميت قبائل الاسرائيليين باعتبار انتسابهم الى اولاد يعقوب اسباطاً . والقبيلة الواحدة
 منهم سبط . وعليه استعمال القرآن الكريم . وقد سموا بذلك ايضا فيما بأيديهم من التوراة
 والعبرانية وكتاب يوشع وغيرها (١) وان سموا فيها ايضا بغير ذلك (وما أوتي موسى وعيسى)
 من المعجزات او كرامة النبوة (وما أوتي النبيون) من كرامة النبوة والوحي (من ربهم لانفرق
 بين احد منهم) من أي قبيلة كان اذا دلت الدلائل على نبوته (ونحن له) أي لله (مسلمون

(١٣٥) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * (١٣٦) صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ * (١٣٧) قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ * (١٣٨) أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا يَهُودًا

١٣٥ فإن (قالوا ذلك و) آمنوا بمثل ما آمنتم به (ايها المسلمون (فقد اهتدوا وان تولوا) بكفرهم (فإنما هم في شقاق) ومعاندة لا في طلب الحق (فسيكفيكم الله) يا رسول الله ويمنعك من كيد شقاقهم (إنه هو السميع) لدعائك او لما يقولون (العليم) بما في الضائر (١٣٦ صبغة الله) منصوبة بدلاً من ملة ابراهيم . وعن الكافي مسنداً عن الصادق او احدهما عليها السلام بأسانيد ثلاثة اثنان منها من الموثق كالصحيح . وعن الصدوق في الصحيح عن ابي عبد الله (ع) . وعن العياشي بسند آخر ان الصبغة هو الاسلام وهو ملة ابراهيم . وفي الدر المنثور اخرج ابن جرير وابن ابي حاتم عن ابن عباس قال دين الله . وسميت صبغة باعتبار الاثر الكريم الظاهر من التوحيد ومكارم الاخلاق وزينة الشريعة (ومن احسن من الله صبغة) بما يهدي الى الله من الدين القيم . ويوفق لاتباعه (ونحن له) وحده (عابدون) لا نشرك في الالهية والعبادة غيره (١٣٧ قل أتحتاجوننا) وتجادلوننا (في الله) زاعمين انكم الموحدون وفيكم النبوة . وكيف تحتاجوننا بذلك مع ان الله لا يجايي بلطفه ورحمته الواسعة قبلاً دون قبيل . بل يراعي بها الالهية وهو اعلم حيث يجعل رسالته ولا يمنع لطفه وتوفيقه الا عن ترمد عليه بالشرك والعصيان . فكيف يجاييكم ويخص بكم ما تزعمون (و) الحال (هو ربنا وربكم) وكلنا عباده ولطفه عام ورحمته واسعة لكل عباده (ولنا اعمالنا) فقد آمن بالله ووجدناه وعبدناه وان الله لا يضيع اجر من احسن عملاً (واكم اعمالكم) ان عملتم خيراً من الايمان الخالص والعبادة (ونحن له مخلصون) في عبادته واهليته لا نشرك به شيئاً . وفي ذلك حسن التعريض بهم تعالى الله عما يشركون (١٣٨ ام تقولون) يا اهل الكتاب وتزعمون (ان ابراهيم واسماعيل ويعقوب واسحاق والاسباط كانوا يهوداً او نصارى) او للترديد بين قولي الفريقين اليهود يقولون كانوا يهوداً والنصارى يقولون كانوا نصارى (قل أنتم اعلم) مع انكم ادعيتهم المحال .

أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ
وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * (١٣٩) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ
مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ * (الجزء الثاني) (١٤٠) سَيَقُولُ
السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَا هُمْ عَنْ قِبَلِهِ

إن كانت اليهودية والنصرانية في زمان هؤلاء (أم الله) الذي أخبر بان إبراهيم كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين . وانه اسلم لرب العالمين ووصى بها يعقوب بنيه . فقالوا نعبد الله إلهنا واحداً ونحن له مسلمون كما تقدم قريبا (ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) اما بالنسبة الى علمهم بأن هؤلاء الذين ذكروهم كانوا مسلمين على الدين الحنيف او الشهادة برسالة رسول الله صلى الله عليه وآله . فلا ينحصر الامر باليهودية ولا النصرانية لو بقيتا على التوحيد والشرعية . وقد اخبرهم الله في التوراة ان الله يقيم لهم نبيا من اخوتهم ويجعل كلامه فيهم . واخبرهم المسيح برسول يأتي من بعده اسمه احمد (وما الله بغافل عما تعملون) وما ينفعكم زعمكم وكذبكم على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط مع قيام الحجة بارسال الله ورسله في زمانكم بالآيات الباهرات فعليكم بأنفسكم فلا تعملوا زورا بن مضى فان (١٣٩) تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) بل تسئلون عن اعمالكم ومعاملتكم مع رسول الله ودين الحق (١٤٠) سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها) وهي بيت المقدس فان رسول الله (ص) صلى اليه عند مقدمه الى المدينة مدة . وفي رواية التهذيب عن معاوية بن عمار عن ابي عبد الله الى ما بعد رجوعه من بدر . وعن رسالة الفضل بن شاذان كذلك وفيها وكان يصلي في المدينة الى بيت المقدس سبعة عشر شهرا . وعن قرب الاسناد عن الباقر تسعة عشر شهرا . وهو الذي ذكره في الفقيه وعن الشيخ المفيد في مسار الشيعية في النصف من رجب سنة اثنتين من الهجرة حوالت القبلة من بيت المقدس الى الكعبة . ونحو هذا ما رواه في الدر المنثور من روايات الجمهور . وفي الكافي في الحسن كالصحيح عن الحلبي عن ابي عبد الله (ع) سألته هل كان رسول الله يصلي الى بيت المقدس قال نعم فقلت اكان يجمل الكعبة خلف ظهره قال اما اذا كان بمكة فلا واما اذا هاجر الى المدينة فنعم حتى حوّل الى الكعبة . وربما تشعر الرواية بانه (ص) صلى في مكة الى بيت المقدس بدون ان

قُلْ لِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * (١٤١) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا

يستدير الكعبة . وعن النعماني باسناده عن امير المؤمنين عليه السلام ان رسول الله (ص) كان يصلي في أول مبعضه الى بيت المقدس جميع ايام مقامه بمكة «الرواية» وفي الفقيه وصلى رسول الله (ص) الى بيت المقدس بعد النبوة ثلاث عشرة سنة وتسعة عشر شهرا بالمدينة وفي الدر المنثور اخرج الطبراني عن عثمان بن حنيف . وفي الحديث كان رسول الله قبل ان يقدم من مكة والقبلة الى بيت المقدس ويمكن الجمع بان رسول الله كان يجمع بين القبلتين في مكة كما يومي اليه الاشعار المتقدم في رواية الحلبي . وفي الدر المنثور اخرج ابن ابى شيبه وابو داود في ناسخه والنحاس والبيهقي في سننه عن ابن عباس ان النبي (ص) كان يصلي وهو بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه الحديث والله العالم (قل لله المشرق والمغرب) أي جميع الجهات فإن تحويل القبلة كان من ناحية الشمال الغربي الى نقطة الجنوب تقريبا . وليس اعتراضهم هذا إلا من السفه فهل يزعمون ان الله تحويه جهة خاصة او ان الذي له وفي ملكه جهة خاصة او ان بعض الجهات استحقاق للاستقبال لازم لا يعقل التخلف عنه أفلا يعقلون ان الاستقبال أمر تعبدى من الله يجزىه بحسب الحكمة والمصلحة (يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) مما تقتضيه الحكمة ويوصل الى الهدى والحق (١٤١ وكذلك) أي كما هديناكم الى صراط مستقيم (جعلناكم امة وسطا) الوسط خيار الشيء لأنه محمي عن الفساد . وفي تفسير القمي وسطا أي عدلا . وهو المروي في روايات الجمهور كما في الدر المنثور (ليكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) ومن المعلوم ان الأمة كلها لا تنصف بانفسها والعدل وكونهم شهداء على الناس فإن فيهم الكثير ممن لا يخفى حاله . فهذه الصفات إنما تكون باعتبار البعض والموجه اليه الخطاب هو ذلك البعض . وقد روي في أصول الكافي عن بريد عن أبي عبد الله (ع) نحن الأمة الوسط ونحن شهداء الله على خلقه . وفي الحسن كالصحيح عن ابي جعفر (ع) مثله . وعن الصفار بهذا السند نحوه . وروي نحوه ايضا بسند آخر صحيح . وعن الحسكاني في شواهد التنزيل عن سليم الهلالي عن علي (ع) نحن الذين قال الله وجعلناكم امة وسطا . وعن العياشي عن ابن ابي عمير الزبيري عن ابي عبد الله (ع) في هذه الآية افترى ان من

وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُبَيِّنَ لَكُمْ سُبُلَ الرُّسُولِ ۚ إِنَّكَ كَانَتْ تَبْذُرَ
عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ

لا تجوز شهادته في الدنيا على صاع من تمر يطلب الله شهادته يوم القيامة ويقبلها منه بحضرة
جميع الأمم (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها) ظاهر قوله تعالى في الآية التي بعد هذه
« فانولينك قبلة » انها نزلت قبل تحوله (ص) الى الكعبة وظاهر السوف ان هذه الآية نزلت
قبل تلك مع ان ظاهر قوله تعالى فيها كنت عليها كنت تتوجه اليها فيما مضى وصرفت عنها .
فتشكل هذه الظواهر . ولاجل ذلك قال بعضهم ان كان تامة بمعنى انت عليها . وقال في
الكشاف ان التي كنت عليها مفعول ثاني لجعلنا والمقصود من الموصول مكة أي وما جعلنا
القبلة مكة وفيه تعقيد ومخالفة للاعتبار مع ان الاشكال المذكور على حاله ويرتفع من أصله بأن
قوله كنت عليها لا يختص بما بعد الانصراف عنها وانقطاع الكون . بل قيل باعتبار الكون
الماضي وتوجهه (ص) الى بيت المقدس اشهرأ عديدة من دون نظر الى الانقطاع نحو وكان الله
غفورا رحيمآ أي وما جعلنا بيت المقدس قبلة لك هذه المدة (إلا لنعلم) اللام للعاقبة والحصر انما
هو باعتبار العاقبة لا حكمة التشريع (من يتبع الرسول ممن) متعلق بنعلم لما في العلم بأحد
الفريقين من التمييز له عن الفريق الآخر (ينقلب على عقبيه) ومثل ذلك في القرآن كثير
كما في قوله تعالى وليعلم المؤمنين . وليعلم الذين نافقوا . ليعلم الله من يخافه بالغيب . وليعلم الله
من ينصره . لنعلم أي الحزين أحصى . إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة . ولنبلونكم حتى نعلم
المجاهدين منكم والصابرين . والوجه في كل هذه الموارد وامثالها واحد وهو ان علمه التابع جل
شأنه وان كان أزليا أبديا لكن لمقارنته لوجود المعلوم في الخارج أثر ووقع في الزجر والتوبيخ
او البشرى عند الناس . ولاجل هذا الاثر والوقع جرى مجرى التعبير بالفعل المستقبل في
هذه الموارد باعتبار تلك المقارنة والعلم المقارن وعلى هذا النهج جرى التعبير في القرآن الكريم
بقوله تعالى يريد الله كما ورد في اكثر من عشرين موردا وان كانت ارادته ازلية وايضا لوقيل
ليقع ذلك لأنهم الجبر مع انه تفوت فائدة الاعلام بكون الله عالمه . ولو قيل ليقع ما هو معلوم
لله بالعلم الازلي لثارت شبهة الجبر وقالوا اذن ان العبد لا يقدر على الترك اذ يلزم منه ان ينقلب
علم الله جهلا ولم يلتفتوا كما لم يلتفتوا الى ان هذا العلم تابع لا اثر له في قدرة العبد (وان كانت

لَكَبِيرَةٍ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ
بِالنَّاسِ لَرَوُّوفٌ رَحِيمٌ * (١٤٢) قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ
فَلْنُؤَيِّنْكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

لكبيرة الا على الذين هدى الله) ان هي المخففة وتلزمها اللام التي هي التأكيد . وظاهر السوق
يقضي ان الضمير في كانت يرجع الى القبلة التي كان عليها وهي بيت المقدس وهو الظاهر ايضا
من معتبرة التهذيب عن ابي بصير عن احدهما عليها السلام قال قلت له امره ان يصلي الى بيت
المقدس قال نعم الا ترى ان الله تعالى يقول « وما جعلنا القبلة » وتلا جميع الآية الى قوله
« رحيم » وكبيرة ثقيلة . ومن اللازم ان يكون استقبال بيت المقدس ثقيلًا على قريش والعرب
الا الذين هدام الله الى الايمان برسول الله فيعلمون ان ذلك امر من الله الحكيم (وما كان الله
ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم) في الكافي عن ابن ابي عمير الزيري عن ابي عبد
الله (ع) في الآية ان الله سمى الصلاة ايمانًا . وفي الفقيه قال المسلمون صلاتنا الى بيت المقدس
تضيع يا رسول الله فانزل ذلك . وذكر انه اخرج حديثه في كتاب النبوة . وفي رواية العياشي
انه لما حولت القبلة قالوا ما حالنا اي في صلاتنا الماضية وما حال من مضى في صلاتهم الى بيت
المقدس فانزل الله وما كان الله ليضيع ايمانكم . وفي الدر المنثور عن ابن عباس نحوه وصححه الحاكم
(١٤٢) قد نرى تقلب وجهك في السماء) قد هنا للتكثير

قد اترك القرن مصفراً انامله كأن اثابه مجت بفرصاد
وقول عمران الانصاري . او امرؤ القيس

قد اشهد الغارة الشعواء تحماني جرداء معروقة للحيين سرحوب

قال القمي في تفسيره ان اليهود كانوا يعيرون رسول الله ويقولون انه تابع لنا يصلي الى
قبلتنا فاغتم رسول الله وخرج في جوف الليل ينظر آفاق السماء ينتظر امر الله الخ . وفي مجمع
البيان نسبة الى رواية القمي عن الصادق (ع) مع كلام ذكره القمي بعد ذلك . نعم ذكر في
الفقيه نحو ما ذكره القمي واحال روايته علي كتاب النبوة . فتدل الآية على انه (ص)
كان له شأن في امر القبلة (فلنؤيئك قبلة ترضاها) لانها مرضية بفضلها وسابقتها
وحكمة دعوة العرب وهي اول بيت وضع للناس فيه آيات بينات (فول وجهك شطر

وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ * (١٤٣) وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

المسجد الحرام). أي نحوه والقبلة هي الكعبة بالضرورة كما يلهج بذلك المسلمون في تلقين موتاهم وفي تعقيباتهم وغير ذلك . وجاءت بذلك الاحاديث بنحو لا يقصر عن التواتر . ففي جامع البخاري وغيره عن ابن عمر ان النبي ركم ركعتين في قبل الكعبة وقل هذه القبلة . وفي جوامع البخاري ومسلم وابي داود والنسائي والموطأ عن البراء وانس وابن عمر في حديث تحول القبلة ان تحول المصلين كان الى الكعبة وروى الفريقان ان الارض زويت لرسول الله ورأى الكعبة فجعل محرابه بازاء الميزاب . ومن طريق الامامية اورد في الوسائل نحواربعة عشر حديثا في ان الكعبة هي القبلة . واكثر هذه الاحاديث تصرح بان الكعبة هي التي صرف اليها رسول الله في هذه الآية . ولا مانع من ان تسمى الكعبة مسجدا باعتبار انها يسجد اليها . او يقال ان الآية نزلت في السنة الثانية من الهجرة فكان الخطاب بجمل الكعبة قبلة عامة ومتوجها لرسول الله ومن معه من المسلمين واهل المدينة وضواحيها فجرى التعبير بالمسجد الحرام باعتبار سعة استقبالهم للكعبة باستقبال المواجهة والاحترام والتعظيم مما يتحقق به ذلك عند الناس كما هو الظاهر من الآية . وان استقبالهم للمسجد بهذا النحو يلزمه استقبال الكعبة بهذا النحو ايضا (وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) اي نحوه بالنحو المتقدم دون الاستقبال الهندسي لان تكليف النائين به حتى مثل اهل المدينة بل ما كان عن مكة بمرحلة مثلا يستلزم التكليف بما لا يطاق . ولا شك في انه كلما بعد المستقبل اتسعت وجهة استقباله للكعبة بالمواجهة الاحترامية التعظيمية وقد استقصينا الكلام في ذلك في رسالتنا في القبلة (وان الذين اوتوا الكتاب) اليهود والنصارى (ليعلمون انه) أي التحويل الى الكعبة هو (الحق من ربهم) إما لأنهم يعلمون ان أمر القبلة والاستقبال منوط بتشريع الله وأمره وإما لأنهم يعلمون ان الكعبة هي بيت الله من زمان ابراهيم . وفي مجمع البيان لأنه كان في بشارة الانبياء لهم انه يكون نبي صفاته كذا وكذا وانه يصلي الى القبلتين ونحوه في الكشف (وما الله بغافل عما يعملون) من اقوالهم وافعالهم عنادا على خلاف ما يعلمون (١٤٣) ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب) ولم يوقوا للإيمان بك

يُكُلِّ آيَةً مَا تَبِعُوا قِبَلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَةَ
بَعْضٍ وَلَكِنْ أُثْبِتَ أَهْوَاءُ هُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا أَمِنَ
الظَّالِمِينَ * (١٤٤) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ
فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * (١٤٥) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ الْمُنْتَرِينَ * (١٤٦) وَلِكُلِّ وَجْهٍ هُوَ مُوَلَّىهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ

(بكل آية ما تبعوا قبلتك) أي الكعبة (وما انت بتابع قبلتهم) اتباعاً خصوصاً بعد ما أمرت
بالتوجه شطر المسجد الحرام (وما بعضهم بتابع قبله بعض) فإل النصارى تتوجه الى المشرق
واليهود الى بيت المقدس (ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن
الظالمين) هذا توبيخ لهم وتبكيت بانهم اصحاب أهواء فاسدة لا يتبعها الا الظالمون . وخطوب
بذلك رسول الله لقطع اطماعهم ولبيان فضله لانه لا يتبع أهواءهم ابداً بدليل قوله تعالى « وما
انت بتابع قبلتهم » (١٤٤) الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه) أي يعرفون رسول الله على الصفات
التي وصف بها في كتبهم والاسم الذي سمي به بنحو لا ينبغي الرب فيه كما في تفسير البرهان
عن محمد بن يعقوب الكليني بسند فيه رفع عن امير المؤمنين عليه السلام . وعن علي بن ابراهيم
في الحسن كالصحيح عن الصادق (ع) . وفي الآية التفات من الخطاب الى التنبه (كما يعرفون
ابناءهم) وان غابوا عنهم مدة طويلة (وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) به من كتبهم
وهذا الفريق هم من عدى الأوباش الذين لا يعلمون شيئاً من كتبهم ومن عدى الذين اسلموا
او شهدوا بالحق وأصرروا على النفي * (١٤٥) الحق من ربك) أي هو الحق من ربك (فلا
تكونن من المنترين) الشاكين فيما تقوم عليه الحجة العلمية . والخطاب في النهي يراد به غير
النبي كما في قوله تعالى في سورة الاسراء « ٢٤ و ٢٥ اما يبلغن عندك الكبر — فلا تقل لهما اف
ولا تنههما — قل — واخفض — قل » (١٤٦) ولكل وجهة هو موليها) لم اجد عن النبي واهل
البيت شيئاً في ذلك . ويمكن تفسير الآية بالنظر في سورة المائدة في قوله تعالى « لكل جعلنا
منكم شرعة ومنهاجا » (ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات »
« الآية » فالعنى والله العالم ولكل من الأمم الذين شرع الله لهم احكاماً شرعية ولاه الله اياها
وامره باتباعها مالم تنسخها الشريعة والوجهة التي بعدها فيولى الله الناس اياها (فاستبقوا الخيرات)

أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * (١٤٧) وَمِنْ
حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا

وجاء قوله تعالى «فاستبقوا» متعدّياً الى المفعول بنفسه هاهنا وفي آية الانعام وفي سورة يوسف واستبقا الباب وفي سورة يس فاستبقوا الصراط ولو كانت بمعنى الاستباق وطلب السبق بكسر السين لوجب تعديتها بالي . والنصب بنزع الخافض في مثل المقام بعيد من كرامة القرآن في عربيته وفصاحته . فالوجه انها في هذه الموارد من طلب السبق بفتح السين والباء وهو ما يحصله السابق بسبقه ومنه السبق المجعول في رهان المسابقة وفي جعل الخيرات والباب والصراط في الآيات سبقاً بفتح السين والباء كناية لطيفة عن انه هو الغاية المطلوبة والفائدة المقصودة في المسابقة وحاصل المعنى والله العالم لكل أمة شريعة أمرت باتباعها وقد نسخ بعض الشرائع فسارعوا الى الحق واطلبوا ان تكون خيرات الأحكام وهي التي لم تنسخ وجاء بها الكتاب الذي يهدي للتي هي اقوم هذه اطلبوها سبقاً لكم والغاية الشريفة من مسارعتم وما هي الا شريعة رسول الله والقرآن الكريم . ومن ذلك وأهم مصاديق الخيرات هي الولاية كما عن الكافي عن الباقر (ع) كما في آية إنا وليكم . وحديثي العدير . والثقلين وغير ذلك . (أيما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إن الله على كل شيء قدير) وباعتبار السياق يكون المعنى ان يجمعكم يوم القيامة للحساب والجزاء من عذاب او نعيم ولا يعجز الله حشركم وجمعكم فإنه يأتي بكم أينما تكونوا . واما باعتبار عموم اللفظ وكثرة مصاديقه فقد روى في تفسير البرهان نحو اثنتي عشر رواية عن الأئمة (ع) انهم استشهدوا بالآية لجمع الله اصحاب الحجة المنتظر من اطراف الأرض الى النهوض مع الحجة عليه السلام . وللتأكيد في امر استقبال الكعبة في الصلاة وعمومه في جميع الاحوال سفرأ وحضراً قال الله تعالى (١٤٧) ومن حيث خرجت (سواء كان الخروج من مكة الى المدينة او من المدينة الى الشام بحيث يكون الوجه في المسير الى بيت المقدس على الانحراف اليسير او الاستقامة ام كان الى جهة مكة او المشرق او المغرب) (فول وجهك) في جميع هذه الاحوال وجميع الجهات (شطر المسجد الحرام) نحوه (وانه) اي التوجه الى المسجد الحرام في الصلاة على الاطلاق المنصوص عليه (للحق من) امر (ربك) وشريعته الجارية على الحكمة وكرامة البيت وان الله لا يضيع اجركم في امتثال امره (وما الله بغافل عما تعملون ١٤٨) ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد

لِلَّهِ يَغَافِلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ * (١٤٨) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ إِلَّا بَيِّنَاتٍ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمْنَعْتَنِي عَلَيْهِمْ وَلِعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * (١٤٩) كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ *

(الحرام) وهذا الخطاب للرسول وان كان كافيا في عموم الشريعة والتكليف للمسلمين لكن الحكمة تقتضي التأكيد بالنص وتأكيده فقل كما سبق (وحيشا كنتم) خطاب للرسول وامته (فولوا وجوهكم شطره) وان كنتم عند بيت المقدس وفي بلده (لثلا) اي شرع لكم ذاك بالاوامر المذكورة لثلا (يكون للناس عليكم حجة) وان كانت داحضة (١) هذا يقول اتبع قبلتنا وهذا يقول تركوا كعبتهم مع افتخارهم بسابقتها وفضلها وهذا يقول تركوا قبلة ابراهيم واسماعيل . او وهذا يقول مكتوب ان النبي يصلي الى القبلتين . وهذا يقول مكتوب انه يصلي الى الكعبة (الا الذين ظلموا) منهم استثناء من الناس فان هؤلاء الظالمين لا يقطعون جدلهم واحتجاجهم بالباطيل حسب ما تغريهم اهوواؤهم وظلمهم (فلا تخشوهم واخشوني) اي ولتكن خشيتكم لي (ولا تمنعني عليكم) بتسريع الاستقبال القبلة المرضية قبلة ابراهيم وحصره بها (ولعلكم تهتدون) اي ولاجل ان تهتدوا الى معرفة لطف الله بآتمام النعمة بذلك عليكم وقطع حجج المجادلين لكم . او والى اقامة الصلاة بحدودها الى هذه القبلة ولكن لما كان الاهتداء من افعال الانساب وناشئا عن اختياره للتفكير ومجانبته لشكوك الاهواء وعنادها قيل في تعليقه لعل وكذا كل غاية في القرآن هي من اعمال العباد وراجعة الى اختيارهم نحو لعلكم تشكرون . تنفكرون لم تخرج مخرج الجرم في التعليل . وقد لطف الله في امر القبلة بمبادء هذه الغايات الشريفة (١٤٩) كما ارسلنا فيكم رسولا منكم) وكونه منكم اقرب الى انقيادكم للاسلام (يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم) بدينه وشريعته وتعاليمه (ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) مما يهكممكم ويزينكم ويهذبكم وان تعدوا نعمة الله في ذلك لا تحصوها (١٥٠) فاذكروني) بما فيه سعادتكم

(١٥٠) قَاذِرُونِي اذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ * (١٥١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ * (١٥٢) وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ * (١٥٣) وَلَتَبْلُوَنكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * (١٥٤) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * (١٥٥) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ *

و كما لكم من العبادة والطاعة والشكر لنعمي اعد عليكم بالجزاء والالطف والنعمة والمزيد . ولاجل المقابلة اللفظية جر على التعبير عن ذلك بقوله تعالى (اذكركم واشكروا لي) نعمائي عارفين بها (ولا تكفرون) لا تكفروني نعمتي لا أنجحدوني نعمتي كفره حقه حجبده (١٥١ يا ايها الذين امنوا استعينوا) في امر دينكم وعبادتكم وطاعتكم الله واجتناب معاصيه وفي مصائبكم (بالصبر) فانه نعم المطية ومفتاح الفرج ووسيلة البشرى بالصلوات من الله والرحمة (والصلاة) عطف على الصبر فانها باب الله في مناجاته والاستعانة به ومعراج السعادة والناحية عن الفحشاء والمنكر (ان الله مع الصابرين) وكفى بذلك بشرى (١٥٢) ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله) هم (اموات بل) هم (احياء ولكن لا تشعرون) بجياتهم لأن عالمهم غير عالمكم . وقد اخبر الله جلت آلاؤه عما لحيوتهم السعيدة من الكرامة والحبور كما في الآية الثالثة والستين بعد المائة واللتين بعدها من سورة آل عمران (١٥٣) ولنبلونكم) يا ايها الذين آمنوا كما يقتضيه سياق الخطاب . او يا ايها الناس (بشي من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين) على ذلك رضى بما قضى الله وتسليما لحكمته فلا يصدحهم ما ذكر عن شكر ما هم فيه من نعمة ولا عن عبادته وطاعته والجهاد في سبيله بل هم (١٥٤) الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله) وكل ما هو لنا من حياة ونعمة انا هو من عنده بدون استحقاق لنا في أقل شيء من ذلك يفعل بحكمته ما يشاء (وانا اليه راجعون) في الآخرة فيعاملنا بصبرنا او جزعنا الذي هو كفران لنعمه (١٥٥) أولئك عليهم صلوات من ربهم) ثناء جميل (ورحمة) بالثواب والجزاء (وأولئك هم المهتدون) الى الحق بصبرهم وتسليمهم لله

(١٥٦) إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا

وعلمهم واعترافهم بأنهم لله وانهم اليه راجعون (١٥٦ إن الصفا والمروة) موضعان معروفان بمكة يسمى بينهما في الحج والعمرة (من شعائر الله) من معالم اعمال الطاعة التي جعلها الله في الحج والعمرة وان عرض ان المشركين جعلوا عليهما الأصنام كما جعلوها على البيت الحرام الى ان القاها عنه رسول الله في فتح مكة إذ أصدد امير المؤمنين على كنفه ورمى بها الى الارض (فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما) الحج والعمرة معروفان والتطوف الطواف . وسمي السعي تطوفا باعتبار تكرره فيكون كالطواف الذي يرجع الى مبتداه وطاف به اعم من الطواف حوله وجعله في وسط المطاف كالطواف بالبيت ومن المرور به في الطواف كما تسمى الكثيرة الخروج من دارها طوافا بالبيوت . وقد اتفقت الرواية من المسلمين على ان قربشا جعلوا من اصنامهم على الصفا والمروة فتوقف المسلمون من الطواف بهما لمكان الأصنام فرفع توهم التحريم بقوله لا جناح لأنها من شعائر الله وذلك لا ينافي الوجوب كما ثبت من السنة وعليه اجماع الإمامية واكثر الجمهور . ففي تفسير البرهان عنه أي عن محمد بن يعقوب في الكافي في الحسن كالصحيح عن ابي عبدالله «ع» في حديث حج النبي «ص» وان المسلمين كانوا يظنون ان السعي بين الصفا والمروة شيء صنعه المشركون فأنزل الله تعالى ان الصفا والمروة الآية . قلت ولم أجد هذا الكلام في مظانه في الكافي . وعن العياشي قال ابو عبد الله في خبر حماد بن عثمان انه كان على الصفا والمروة اصنام فلما ان حج الناس لم يدروا كيف يصنعون فأنزل الله هذه الآية فلما حج النبي رعى بها . وفي الكافي في باب السعي في المرسل المعتبر عن ابي عبد الله «ع» ان رسول الله «ص» شرط على قریش في عمرة القضاء ان يرفعوا الأصنام من الصفا والمروة فجاؤا اليه وقالوا يا رسول الله ان فلانا لم يسع بين الصفا والمروة وقد أعيدت الأصنام فأنزل الله عز وجل « فلا جناح عليه أن يطوف بهما » وذكر القمي في تفسيره نحوه . وفيه ايضا ان عمرة القضاء كانت سنة سبع من الهجرة . وذكر الآية من أولها ولم ينسب شيئا من ذلك الى رواية (ومن تطوع خيرا) تعجى صيغة تفعل للاتخاذ والجل نحو توسد الحجر . وقد يتجلى عليها معنى الطلب والرغبة والتحصيل نحو تعرفت وتعلمت وتبصرت من البصيرة في

فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ * (١٥٧) إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ
وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ
اللَّاغُتُونُ * (١٥٨) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ
وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * (١٥٩) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ
عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * (١٦٠) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ
عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ * (١٦١) وَلِلَّهِ كُلُّ آلَةٍ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

غير المطاوعة . ومن ذلك قول امروء القيس في معشوقته :

« تنورتها من اذرعات ودارها يثرب أدنى دارها نظر عالي »

فاللعني ومن اتخذ الخير المشروع طامة بطلب لها ورغبة . ولا دليل من اللغة ولا من هيئة
النطوع او مادته على اختصاصه بالمستحبات . بل ان المقام يأبى ذلك فإن السعي حق في الحج
والعمرة المندوبين يجب بالشروع فيها . وحاصل الآية ان التطوف بالصفاء والمروة خير لأنه
تعظيم لشعائر الله وطاعة له في ذلك من تقوى خيرا (فإن الله شاكر عليم) بالطاعة لا يخفى
عليه شيء منها ومجاز عليها . وإن كان الشكر مختصا بالنسبة واليد فنسبته الى الله مجاز (١٥٧)
إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات (الواضحات في الارشاد) (والهدى من بعد
ما بيناه للناس) (وأوضحنا دلائله) (في الكتاب) (والعموم في الكتاب للقرآن وغيره من كتب
الله أنسب بعموم التوبيخ وقيام الحجة واستحقاق اللعنة . ولذلك مصاديق كثيرة . ومنها
ما رواه في البرهان عن العياشي (أولئك ملعنة الله) يطردهم عن رحمته (ويلعنهم) أي يدعو
عليهم بالطرد عن الرحمة (اللاعنون ١٥٨) الا الذين تابوا وأصلحوا (اعلمهم) (وبينوا) (ما كانوا
يكتمونه وغيره مما ينبغي بيانه من الحق) (فأولئك اتوب عليهم وانا التواب) على من تاب حق
التوبة (الرحيم ١٥٩) ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله) (وطردهم عن
رحمته) (و) (لعنة) (الملائكة) اي دعائهم باللعنة (والناس اجمعين) (ملعنة للظالمين والجاحدين
للحق . ومن طرده الله عن رحمته فهو معذب) (١٦٠) (خالدين فيها) اي في اللعنة فهم خالدون
في العذاب (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) (من النظرة والامهال في العذاب والامهال
للاعتذار والتوبة) (١٦١) (ولله كل آل) (واحد) (في الآلهية وصفاتها لا شريك له فيها) (لا إله الا هو)

الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * (١٦٢) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ

وهذه العبارة في توحيد الله في الآلهية ونفي ما عداها فيها أوضح من أن تشوش بقواعد الإعراب (الرحمن الرحيم) وقصر تفسير الكلمتين في بسملة الفاتحة . ولعمري الحق أن مضمون هذه الآية الكريمة في وجود الإله ووحديته في الإلهية وابداع العالم بحكمته وإرادته ورحمانيته ورحمته أمر تجاوز الفطرة للمقول الحرة بأوضح المجالي . ولكن الله جلت آلاؤه شاء بلطفه أن يستلفت العقول إلى ذلك بالحجة القيمة بنحو يكفي منه العلمي بنظرته البسيطة ويستنبط العلم لها بحسب استعدادهم في العلوم من كل شيء يجلو به العلم برهائنا كافيا . فذكر هنا جلت الطائف بعض الآيات المشاهدة من خليقته وقال (١٦٢ ان في خلق السموات) وما يرى فيها من الكواكب الثابتة والسيارات المرتفعة بعضها عن بعض على مدار مخصوص والمستمرة كل على سيرة المنتظم على منطقة البروج فضلا عما يعرف بالعلم من فوائد سير السيار على تلك المنطقة (والارض) وما فيها من الجبال وحكمها الباهرة . ومنها تفجر العيون من أعاليها وإخراج النار من براكينها . ومن أنواع المملدن . ومن البحار وتياراتها وما في ذلك من الحكم (واختلاف الليل والنهار) على نظام موزون مستمر متماثل في إتمام السنين يزيد النهار في كل محل من نصف الأرض الشمالي بمقدار ما ينقص في ذلك اليوم من مثل ذلك المحل في العرض من النصف الجنوبي . وتجريه نقيصة الليل وزيادته على عكس النهار في المحال المتماثلة في العرض من النصفين (والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس) من تجارة البلدان النائية والوصول إلى البلاد البعيدة وكيف سخرت لها الرياح المسماة بالتجارية . فترى السفن تجري في زمان واحد وبحر واحد وكل إلى مقصدها شمالا أو جنوبا أو شرقا أو غربا (وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض) بالنبات والشجر والنمو (بعد موتها) بكونها قاحلة ماحلة وأوجد فيها روح قوة الإنبات لا تحصل بالدوام (١) العادية . ولا الماء الجاري نعم قد يحصل من القوة شيء باطيان الفيضان المتشعبة بروح المطر (وبث فيها من كل دابة) ببركة أحياها (وتصريف الرياح) التي يسمونها سنوئية

الرَّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَأْتِ بِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
(١٦٣) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا

وقطبية وموسمية وتجارية . وما في استقامتها وهبوطها في البحر المسمى بالمحيط الهادئ أي الساكن وهو الواقع ما بين آسيا وأمريكا مع ان مساحة قطره من المشرق الى المغرب تزيد على سبعة آلاف ميل ومن الجنوب الى الشمال اكثر من ذلك . واستقامة انواعها ايضا في البحر المسمى بالمحيط الأطلسي وهو الواقع بين أوروبا وأمريكا وربما يبلغ عرضه اربعة آلاف ميل فلا يكون في هذين المحيطين العظيمين والطريقين المواصلين ما بين الدنيا القديمة والدنيا الجديدة خطر العواصف والأعاصير التي تكون في بحر الصين والهند وبحر انثيلة المقابل لأمريكا الوسطى (والسحاب المسخر بين السماء والأرض) يجري حيث توجهه القدرة والحكمة تراه في محل واحد ينزل مطره قطرات وسحا وهكذا وتتخلل بين ذلك فترات واحوال مختلفة في نزوله وبينما هو واقف إذ اقلع مسرعا او على تأنٍ . هذا وفي كل أمر من هذه الأمور وكل حال من هذه الأحوال المنتظمة بأحسن نظام يجد العقل الحر دلالة واضحة على ان كلا من ذلك إنما هو من إبداع إله قادر عليم حكيم وتديره بحسب ارادته وحكمته ورحمته . ودلالة جليلة على انه وحده لا شريك له في الإلهية وهذا الخلق العجيب والتدبير المنتظم ولو كان معه إله لاختل هذا النظام وفسدت المخلوقات كما قال جل شأنه في سورة الأنبياء « لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا » وفي سورة المؤمنون « وما كان معه من إله إذا اذهب كل إله بما خلق ولعل بعضهم على بعض » وقد جرى الكلام بأكثر من هذا الشرح في مضامين هذه الآيات في الجزء الثاني من المدرسة السيارة في صفحة ١١٦ - الى ١٢٥ و ١٥٥ الى ١٦٠ وفي الجزء الثالث في صحيفة ١٨١ و ١٨٠ وأنى يبلغ الشرح والبيان معشار ما في هذه الآيات من اسرار القدرة والحكم الدالة على الإله وتوحيده . وعلى الاجمال ان فيما ذكر في الآية الكريمة (لا يأت) باهرات ودلالات نيرة (لقوم يعقلون) وكلما تفكروا فيما ذكر ظهرت لعقولهم من الآيات والدلالات اضعاف ما عرفوه (١٦٣) ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا (قد مر الكلام في الند في الآية الثانية والعشرين . واتخاذ الانداد اعم من تأليههم واتباعهم على ظلمهم وباعتبار القسم الثاني جاءت الرواية عن الباقر عليه السلام كما في التبيان والبيان . وعن العياشي مرفوعة عنه

يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ * (١٦٤) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ

(ع) وفي البرهان عن الكافي واختصاص الشيخ المفيد مسندة . وقيل في هذه الآية من دون الله باعتبار ان اتخاذ الأنداد حتى بالمعنى العام المذكور انما هو نكوص عن معرفة الله وحقيقة إلهيته وقدس توحيده وعبادته او نكوص عن طاعته واتباع شريعته ومن امر باتباعه (يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حبا لله) اصدق عرفانهم له في اخلاصهم في توحيده ويقينهم بأن الخلق والامر بيده وهو الرحمن الرحيم (ولو يرى الذين ظلموا) باتخاذهم الأنداد وتعتيهم حدود الله في العدل (اذ يرون العذاب) ويشاهدون احواله وانه ليس من دونه نصير (ان القوة لله جميعا) جملة ان القوة أي مصدرها مفعول ليرى (وان الله شديد العذاب) عطف على مفعول يرى . وفي الآية توبيخ شديد ونسفيه هوّلاء بالالإشارة الى انهم لا يبتدون بمقولهم ودلالة العقل على وحدانية الله في الإلهية وانحصار القوة الإلهية به . ولزوم اتباع أوامره فيمن امر باتباعه . واتباع نواهيه فيمن نهى عن الضلال باتباعه . ولا يبتدون الى اليقين بما توعد الله به من انواع العذاب الأليم في يوم القيامة . وانه ليس من دونه وليّ ولا نصير . بل هوّلاء كالبهائم لا تلتفت إلا الى ما تراه وتحسه . فلو ان هوّلاء الظالمون حينما يرون بالحس عذاب القيامة وما تذكره الآياتان بعد هذه الآية من احوالها ويرون انحصار القوة الإلهية بالله وشدة عذابه لأقلعوا عن غيهم واتخاذهم الأنداد وأنابوا الى توحيد الله وطاعته . وحذف جواب « لو » لدلالة المقام عليه اختصارا . وليقدر بكل نحو يناسب المقام . قال امرؤ القيس « فلو أنها نفس تموت سوية ولكنها نفس تساقط أنفسا »

وقد مرّ بعد الآية السابعة والعشرين شيء من شواهد الحذف لدلالة المقام (١٦٤) إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا (في التبيان والبيان العامل في إذ قوله تعالى « شديد العقاب » والأظهر انها بدل من إذ يروا العذاب او عطف بيان فاعمل فيها « لو يرى » (ورأوا العذاب) جميعا التابعون والمتبعون (وتقطعت بهم الأسباب) السبب هو الحبل الذي يتوصل به الى الصعود فإذا انقطع بالشخص المتعلق به آيس من نجاته من ورطته . كنى بذلك عن انقطاع

(١٦٥) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرَّةً فَتَبَّرْنَا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِبَارِحِينَ مِنَ النَّارِ * (١٦٦) يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ

آمالهم بوسائلهم التي كانوا يتوهمونها (١٦٥) وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة (لو للتمني والتقدير لو يمكن ان لنا كرة كما تقدمت الإشارة اليه في الآية التسعين . وقبل انها لا تحتاج الى جواب كجواب الشرط . وقال بعضهم هي لو الشرطية اشربت معنى التمني ومعناه انها تحتاج الى الجواب ولكن الغالب حذفه لدلالة سياق الكلام عليه . واحتجوا بقول مهمل بن ربيعة

فلو نبش المقابر عن كليب فيخبر بالذنائب أي زير

بيوم الشعثين لقر عينا وكيف لقاء من تحت القبور

فجاء بجوابها مقرونا باللام . ولا بأس بهذه الحجة وقولها . وربما يكون بعض ما جي بجوابها مع اللام في القرآن الكريم هي « لو » التي للتمني (فتبرأ منهم) من المتبوعين بنصب نثرأ لوقوعها في جواب التمني بعد الغاء (كما تبرؤا منا) أي تبرأ بنفعنا في العمل والجزاء في دار لا فيها عمل ولا حساب (كذلك) أي كما تبرأ بعضهم من بعض . وتقطعت بهم الأسباب وخابت آمالهم (يريهم الله) في الآخرة (أعمالهم) في الدنيا (حسرات عليهم) أي اسباب حسراتهم على انفسهم فيما فرطوا فيها واقيم المسبب مقام السبب مبالغة ومن مصاديق ذلك ما في التبيان والبيان . روي عن ابي جعفر «ع» قال الرجل يكسب المال ولا يعمل فيه خيرا فيبرئه من يعمل منه عملا صالحا فيرى الأول ما كسبه حسرات في ميزان غيره . ورواه ايضا في تفسير البرهان عن أمالي الشيخ المفيد مسندا عن احدهما عليه السلام . وعن الكافي نحوه مسندا ايضا عن ابي عبد الله «ع» كما رواه عن العياشي ايضا (وما هم بخارجين من النار) وذلك معنى الخلود فيها والعباد بالله (١٦٦) يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا (الأمر هنا للإباحة) (مما في الأرض) من بعضه مما أحله الله (حلالا) في نفسه (طيبا) في مأخذه وفي ذلك بلاغ لكم تعيشون به من نعمة الله ورحمته في هناء وسلامة في الآخرة (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) وتقتفوا أثره في غوايته وطريق ضلاله ووسوسته لكم فإنه لا يوسوس لكم إلا بما يضركم ولا يدعوكم إلا الى ما يوبقكم في الدنيا والآخرة (إنه لكم عدو مبين) لعداوته ولو تبصروا فيما يفوي به الكفار

البقرة: ١٦٧-١٧١ الشيطان يأمر بالسوء، تقليد الآباء، مثل الكافرين، حل الطيبات وتحريم الخبائث ١٤٧

عَدُوٌّ مُبِينٌ * (١٦٧) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ
'مَا لَا تَعْلَمُونَ' * (١٦٨) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ 'اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ
'مَا أُنْفِقْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ' *
(١٦٩) وَمِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً
'صُمْ بِكُمْ عَمِيٍّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ' * (١٧٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ
'مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ' * (١٧١) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ

والفساق لعرفتم انه لا يخفى بعداوته لكم وارادته مضرتكم في الدارين . وروى في الكافي
والتهذيب عن الصادق والباقر عليهما السلام ان الحلف على ذبح الوالد والحلف بالطلاق والعناق
والنذر وان يقول علي الف بدنة وانا محرم بألف حجة او ان جميع مالي هدي وكل مملوكي حر
ان كلمت فلانا ان هذا كله من خطوات الشيطان كافي البرهات مستندا عن العياشي مرفوعا .
وروى في الدر المنثور فيما اخرجه الرواة وصححه بعضه الحاكم شيئا من نحو هذا عن ابن عباس
وابن مسعود والحسن وجابر بن زيد (١٦٧) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ (الشيطان بغوايته ووسوسته) (بالسوء)
بحيث تعرفون إذا نظرتكم بعين البصيرة انه سوء يزجر عنه العقل والشرع (والفحشاء) وهو
ما يستعظم قبحه (وان تقولوا) كاذبين (على الله ما لا تعلمون) انه منه (١٦٨) وإذا قيل لهم
أي للضالين عن الحق اتبعوا ما أنزل الله (من الدين والشرعة) (قالوا) لا نتبع ذلك (بل
نتبع ما ألفينا عليه آباءنا) من الاعتقاد والعمل ويقلدون بذلك آباءهم على عمي وضلال فسفها لهم
(أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) وهم كذلك إذ كانوا على غير ما يهدي إليه
العقل والشرع (١٦٩) ومثل الذين كفروا (في أقوالهم هذه التي لا يتفكرون في فساد معانيها
ولا يعرفون غلطها وما يقولونه فيها (كمثل) الأصم (الذي ينطق) كمناف الراعي في غنمه
(بما لا يسمع) ولا يميز من مداليل نفاقه معنى معقولا (إلا دعاءً ونداءً) وصوتا بلا معنى
وانهم في ذلك (صمٌ بكمٌ عميٌّ فهم لا يعقلون) كيف ينطقون (١٧٠) يا أيها الذين آمنوا
كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله (نعمه) (إن كنتم إياه تعبدون) ليس المراد منه
حقيقة الشرط وتعليق الشكر على عبادته . بل لبيان ان الشكر لنعمه ملازم لعبادته عن معرفة
بأنه إله العالم وخالقه ومديره (١٧١) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ (وهي الحيوان الذي عرض عليه

وَالدَّمَ وَالْخَنزِيرَ وَمَا أَهَلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ

الموت والمراد منها غير الحيوان المذكى بما شرعه الله له من اسباب التذكية المحللة للأكل (والدم ولحم الخنزير) نص على لحم الخنزير الشامل هنا لشحمه عناية ببيان تحريمه وان كان من الميتة المحرمة (وما أهل به) ورفع الصوت عند ذبحه ونحره بالتسمية (لغير الله) كالذي يذبح قربانا للصنم او الوثن والشجر او الذي يذكر عليه اسم الصنم والوثن وكلاهما مروي فإنه من الميتة . والحصر في الآية اضافي بالنسبة الى المأكول من الحيوان (فمن اضطر) الى أكل شيء من ذلك بمقدار ما يحفظ به حياته حال كونه (غير باغ ولا عادي) وقد جاء في القرآن باغ في البغي وما يشتق منه في اكثر من عشرين موردا على معنى واحد لا يتعدى بنفسه وإنما يعدى بملي . واختلفت كلمات المفسرين والفقهاء في تفسيره بحسب ما يترأى لهم من مناسبات الموارد لاستعماله لا لاختلاف فيه او اختلافه في تلك الموارد . فقالوا انه الحسد او الظلم او الاعتداء او الفساد من بغي الجرح اذا فسد او مجاوزة الحد عن الحق او عن القصد كما في تبيان الشيخ والنهاية والقاموس والمصباح والكشاف ومجمع البيان وهذا غير معنى الباغي بمعنى الطالب . ومنه في القرآن «ويغونها عوجا» وابتغى ويتبغى ونحوه مما يتعدى بنفسه . وفي الكافي ومعاني الأخبار عن البرزني عن ذكره عن ابي عبد الله «ع» الباغي الذي يخرج على الامام والعادي الذي يقطع الطريق . وسندها صحيح باعتبار رواية الصدوق وكون البرزني ممن اجمع على تصحيح ما يصح عنه وبذلك فسر في المبسوط والشرائع والقواعد والارشاد واللمعة . وفي الروضة انه الأشهر . وفي البرهان عن تفسير العياشي عن حماد بن عثمان عن ابي عبد الله عليه السلام الباغي الخارج على الامام . وعن محمد بن اسماعيل يرفعه الى ابي عبد الله «ع» الباغي الظالم والعادي الغاصب . وفي التبيان وقيل غير باغ على امام المسلمين ولا عاد بالمعصية طريق المحققين . وفي البيان هو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام . وفيه نظر فإن روايته عن الباقر غير مذكورة والرواية عن ابي عبد الله «ع» ليست منحصرة بذلك . ففي الكافي والتهديب عن حماد بن عثمان عن ابي عبد الله «ع» قال الباغي باغي الصيد والعادي السارق . وفي رواية الفقيه والتهديب عن عبد العظيم الحسني عن ابي جعفر الجواد (ع) الذي يعني الصيد لهواً وبطراً . وتفسير الباغي في هذه الروايات باعتبار

فَلَا تَأْتُم عَلَيْهِ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * (١٧٢) إِنْ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا أَوْ لَتَأْتِيَنَّهُمْ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارُ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * (١٧٣) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمُنْفَرَةِ فَمَا أَصْبَرُ لَهُمْ عَلَى النَّارِ * (١٧٤) ذَلِكَ يَأْتِيَنَّ اللَّهُ نَزْلُ الْكِتَابِ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ *

ان ما ذكر فيها من مصاديق البغي والباغي . اما الخارج على الامام فظاهر واما طالب الصيد لهما وبطراً فباعتبار ان هذا النحو من التصيد مصداق من مصاديق البغي . ففي الكافي والتهذيب عن ابي عبد الله (ع) ان الخروج الى الصيد صيد الله وليس بمسير حق . وفي الكافي والتهذيب وعن المحاسن انه مسير باطل . وعن الخصال من الكاظم (ع) قال قال رسول الله اربعة يفسدن القلب وينتبن النفاق وعد منها الصيد . ثم ان كلا من الروایتين في تفسير الباغي تكون قرينة على ان لا ينحصر تفسير الباغي بما ذكرته . بل هو احد المصاديق ولكن خرج في نقل الرواية والسؤال والجواب بهذا الأسلوب . اذن فكل من صدق عليه انه باغ او عاد لم يجزله ان يتناول من الميتة وان اضطر اليها اخذاً باطلاق الكتاب المجيد (فلا اثم عليه اذا اكل مما ذكر بمقدار ما يحفظ به نفسه وما فوق هذا المقدار محرم لانه غير مضطر اليه) (ان الله غفور رحيم ١٧٢ ان الذين يكتُمون ما انزل الله من الكتاب ويشترُونَ به) اي يستبدلون به (ثمنًا) ومما بلغ ذلك الثمن كان (قليلاً) بالنسبة لكنهم لما انزل الله (أو لَتَأْتِيَنَّهُمْ) خبر ان (ما يأكلون في بطونهم) من هذا الثمن الخسيس (الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم) فلا يقتروا بأن الناس في الدنيا الغاية يكلمونهم ويزكونهم فإن لهم شديد العقاب (ولهم عذاب اليم ١٧٣ أو لَتَأْتِيَنَّهُمْ) في عملهم هذا قد (اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة) ففعلوا بذلك فعل الصابر على النار بصبر عظيم (فما اصبرهم على النار ١٧٤ ذلك) وهو ان الله لا يكلمهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم (بان الله نزل الكتاب بالحق) بيناً هده كافي دلائله (وان الذين اختلفوا في الكتاب) شقاق ونفاقا (لفي شقاق بعيد) امده (١٧٥) ليس البر) ايها الناس هو (ان تولوا وجوهكم) فيما اعتدتم عليه من صور عباداتكم التي لا يسعكم

(١٧٥) لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ *

تركها بين الناس (قبل المشرق والمغرب) اي نحوهما على سبيل المثال (ولكن البر من آمن بالله) حق الايمان ولم يشرك به شيئا ولم يهدم ايمانه باتباع الهوى والشيطان في مخالفة اوامر الله ونواهيه (واليوم الآخر) يوم القيامة وحقيقة الايمان به ان يظهر اثره على افعاله واقواله واخلاقه (والملائكة والكتب) القرآن ويلزمه الايمان بما ذكر فيه من الكتب الالهية (والنبیین) ورأس ذلك اساسه هو الايمان بنجاتهم رسول الله صلى الله عليه وآله فإنه بالايمان به يفتح باب الايمان بمن سبقه من الانبياء لانه (ص) اخبر بهم وذكروا في القرآن المنزل عليه ولولا ذلك لما وجد الطريق الى معرفتهم لأن نقل معجزاتهم وادعائهم النبوة منقطع مربب (وآتى المال على حبه) اي حب الله خالصا لوجهه الكريم (وذوي القربى) قال في التبيان والبيان اراد به قرابة المعطي . اقول وهو اقرب من حيث اللفظ وفيهما ايضا يحتمل ان يكون اراد قرابة النبي . اقول وهو اقرب في العادة الى ايتاء المال على حب الله خالصا لوجهه فإنه ابعد عن الدواعي النفسانية وحب الاقرباء وفي البيان وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليه السلام . قلت ولم اجد الرواية بالنسبة لهذه الآية (واليتامى) المحتاجين (والمساكين وابن السبيل) المسافرين المحتاج في سفره وان كان له مال لا يصل اليه (والسائلين) منه مالا (وفي) عتق (الرقاب) واقام الصلاة) محدودها (وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا) ذكر الشرط لبيان هذا النحو من العهد وهو الذي يصدر منهم وحي بصيغة الجمع للاشارة الى العهود التي تقع بين الجماعات من الناس وللغريص بغدر بني النضير وقريضة وامثالهم ممن لم يرع في العهد إلا ولازمة (والصابرين في البأساء الفقر ونحوه) والضراء) المرض ونحوه (وحين البأس) الحرب وشدها ونصب الصابرين على المدح لما في صبر هؤلاء الصابرين من الفضيلة الكبرى اذ عليه يبنى الثبات على الدين والطاعة لله وشكر نعمه والشدة والاقدام في نصرة الحق والسلامة من

(١٧٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرُّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى

الضلال والارتداد (أو لئلك الذين صدقوا أو لئلك هم المنتقون) ومن المعلوم انه لم يجمع هذه الصفات من صحابة رسول الله (ص) الا امير المؤمنين علي عليه السلام واستقرأه الأحوال . ومنها يوم أحد والأحزاب وخيبر وحنين يعرفك اختصاصه (ع) بهذه الفضيلة . فهو معني بهذه الآية بقينا واما غيره فلا أقل من الشك في جامعيتها لها . وفي مجمع البيان عن الزجاج والفرآء انها هي هذه الصفات وجامعيتها مخصوصة بالأنباء المعصومين وليت شعري ما ذانقموا من ابي الحسن . واما قوله (تعالى) ولكن البر من آمن بالله فهو اسلوب فائق من البلاغة يخرج الكلام به من صورة الغرض الذي لا يهم في البيان الى صورة الوقوع والحجة بالبيان . قال الحارث بن حازم البشكري والعيش خير في ظلال النو ك ممن عاش كذا

وقال النابغة الجعدي كأن غدیرهم یجنوب سلی نعم قاق في بلد قفار

وقال الخطيئة وشر المنايا ميت وسطاهله كهلك الفتى قد اسلم الحلي حاضره

فالفرض من الآية هي الإشارة الى الذين اتصفوا بهذه الصفات واشرفت الأرض بنورهم والاحتجاج والمقابلة بهم لا مجرد المقابلة بين تولبة الوجه قبل المشرق والمغرب وبين حقيقة البر . ولو قيل ولكن البار من آمن الى آخره لخرج الكلام الى الغرض لا الوقوع . وكذا لو قيل ولكن البر من آمن (١٧٦) يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم) في الشريعة رعاية لحق المقتول واوليائه (القصاص في القتل) القصاص اخذ الجاني بمثل جنايته واتباع اثره فيها وهذا خاص بالعمد لقوله تعالى في سورة النساء « ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة ودية مسلمة الى اهله » الآية . وعلى ذلك اجماع المسلمين واحاديثهم وما كل المسلمين تتكافأ دماؤهم وتتساوى . بل (الحر بالحر والعبد بالعبد) ويقتد اطلاق جنسهما في شموله للذكر والأنثى بقوله تعالى (والأنثى بالأنثى) كما يقتيد اطلاق هذا بقوله تعالى « الحر بالحر والعبد بالعبد » فإن الأمة المسلمة لا تتكافئ المسلمة الحرة . وفيما يتعلق بهذه الآية بمبحثان « الأول » فيما خرج من اطلاقها وفيه مسائل

« الأولى » لا يقتل مسلم بكافر وان كان ذمياً . وعليه اجماع الإمامية وكثير من الجمهور . ولم يعرف الخلاف فيه منهم الا عن الشعبي والنخعي وابي حنيفة وصاحبيه . ويردhem قوله تعالى في

سورة النساء «ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا» نعم ثبت الدية للذمي بنص الآية الرابعة والتسمين من سورة النساء . فإن كان ذلك منافيا لظاهر نفي السبيل كان تخصيصا له ويبقى ما عداه لحكم العموم . ويحتج عليهم ايضا بما اخرجه احمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي باسانيدهم من ابي جحيفة عن علي عليه السلام في الصحيفة التي عن رسول الله (ص) لا يقتل مسلم بكافر . واخرج احمد والنسائي وابو داود باسانيدهم صحيحة عندهم عن ابي حسان تارة وعن قيس بن سعد اخرى عن علي (ع) في الصحيفة التي عهد بها رسول الله . المؤمنون تكافأ دماؤهم — لا يقتل مؤمن بكافر الحديث « والمراد من تكافأ دماؤهم ان الصغير يكافئ الكبير والوضع الشريف . وعن احمد وابن ماجة عن ابن عمر عن النبي (ص) مثله . وفي كنز العمال في ذلك عدة احاديث . نعم المشهور عند الامامية ولعله اجماع ان المسلم اذا اعتاد قتل اهل الذمة قتل تأديبا ولا كرامة له كما نطقت به احاديثهم . وفي الكنز عن عبد الرزاق في جامعة وق عن عمر نحو ذلك

« الثانية » لا يقتل الأب بانه باجماع الامامية واحاديثهم الكثيرة وهو المعروف من فقهاء الجمهور ورواه في كنز العمال مما اخرجه ابن ابي شيبة وابن ماجة والطبراني في الأوسط وابن عساكر واحمد في العلل والدارقطني وعبد الرزاق في احاديثهم عن عمر عن رسول الله (ص) واسنده الترمذي عن عمر وسراقة بن مالك عنه (ص) وقال الترمذي ان العمل على هذا عند اهل العلم . وعن مالك ان ذبحه ذبحا او شق بطنه فمليه القود . واما الأم فإنها تقتل بولدها على اصولنا اذ لم يثبت المخرج لها

« الثالثة » لا يقتل حر بعبد ولا حرة بأمة سواء كان المقتول ملكا للقاتل او لغيره . وعليه اجماع الامامية واحاديثهم . قيل وهو مذهب الصحابة . بل لم يعرف الخلاف من الجمهور الا من النخعي حيث قال يقتل بعبد وعبد غيره . وقال ابو حنيفة يقتل بعبد غيره ويحتج عليها من حديثهم بما اخرجه البيهقي عن ابن عباس عن النبي (ص) لا يقتل حر بعبد . وما اخرجه ابن عبد الرزاق في جامعه عن عمر لا بقاء العبد من الحر . وما اخرجه ابن ابي شيبة والقزويني ان ابا بكر وعمر يقولان لا يقتل المولى بعبد

« المبحث الثاني » ان الآية مسوقة لبيان التساوي والتكافؤ فلا دلالة فيها على حصر القصاص وانحصاره بخصوصيات هذه المقارنات الثلاث بحيث لا يقتل كل الا بن جنس في الآية مقارنا

فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ

له . ولا بما اذا كان القاتل واحدا . وبشهد لذلك اجماع المسلمين واحاديثهم على عدم الالتزام بهذه المقارنات وفي ذلك مسائل

« الاولى » يعرف ما يحصل به النكافؤ والتساوي والجبران في القصاص بالنظر الى السنة في التفرقة بين دية الرجل والمرأة

« الثانية » اذا قتلت المرأة رجلا او قتل العبد حراً كفى قتل الجاني باجماع الامامية وحديثهم بانه لا يجني الجاني على اكثر من نفسه ولا يحضرنى نقل خلاف فيه من الجمهور

« الثالثة » اذا قتل جماعة واحداً بحيث لو انفرد كل منهم بجنايته كان بها التلف جازاً يقتلوا به جميعاً الا من كان لو انفرد لا يقتل به كالأب بالنسبة للولد والمسلم بالنسبة للذمي والحرب بالنسبة للعبد . وعلى كلي المسئلة اجماع الامامية واحاديثهم . والجمهور ومنهم في ملتقى الأنهر نقلوا عليه اجماع الصحابة وكأنهم لم يعتنوا بما يحكي من خلاف ابن الزبير معاذ . بل لم يعرف الخلاف من فقهاءهم الا من ابن سيرين والزهرى وربيعه وداد واصحابه اهل الظاهر . والحجة ايضا على ما ذكرناه من القرآن الكريم اطلاق قوله تعالى « كتب عليكم القصاص في القتل » والذي بعد ذلك إنما ينظر الى المساواة والمقابلة لا الى التقييد . نعم كل واحد يرد عليه من ديته بقدر ما على اصحابه من الجناية . وظاهر بعض الأصحاب ان قتل الولي لكل واحد يتوقف على اداء ما يرد عليه من ديته . وفي المسئلة فروع تتكفل بها كتب الفقه

« الرابعة » اذا قتل الرجل امرأة جاز ان يقتل بها بعد أن يرد أولياؤها ما يفضل به عليها وهو نصف ديته . ومن ذلك والمسئلة السابقة يعرف الحكم فيما لو اشترك اكثر من واحد . هذا وان كتابة القصاص وشرعيته على المؤمنين بأن ينقادوا ويسلموا أنفسهم له اذا جنوا ليدل بالأولوية على كتابته على غيرهم من اهل الذمة والمستأمنين اذا قتلوا محترماً النفس ولو بالعرض . ولا يتأني ذلك سقوطه بعفو الولي كل العفو . وجواز العفو ورجحانه بآيات العفو في القرآن الكريم او بعفو بعض العفو كأن يعفو عن خصوصية القتل ويصالحه على الدية كقوله تعالى (فمن) كان ممن عليهم القصاص (عفي له من أخيه) وفي التعبير بالآخ ترغيب في العفو بالإشارة ان الجاني من المسلمين اخ اسلامي والولي اخوه وينبغي للآخ ان يرى

شَيْءٌ فَأَتْبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَإِدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ
 مِّن رَّبِّكُمْ أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ عَذَابٌ أَلِيمٌ * (١٧٧) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ
 حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٨) كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ
 الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ *

لَا خِيَةَ أَخُوَّهُ وَيَسَامَحُهُ وَيُقِيلُهُ عَثْرَتَهُ (شَيْءٌ) صفة للمفعول المطلق النائب عن الفاعل اي بعض
 العفو وشيئ منه بأن رضي منه بالدية كما يدل عليه باقي الكلام (فاتباع) اي فالمعاملة المناسبة
 ان تكون بينهما بعد العفو والشأن الذي ينبغي ان يكون بينهما في هذا المقام هو اتباع من الولي
 للجاني الذي استقرت عليه الدية (بالمعروف) كالنظرة الى الميسرة (واداء) من الجاني (اليه) اي
 الولي (باحسان) كما احسن اليه بالعفو عن القصاص (ذلك) اي شريعة العفو والانتقال
 الى الدية بالاتباع بالمعروف (تخفيف) عليكم ايها الجانين (من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد
 ذلك) وعاد الى القتل (فله عذاب) في الآخرة (اليم ١٧٧ ولكم في القصاص) المذكور (حياة)
 فانه احسن رادع للناس عن جرئتهم على قتل النفوس الذي ربما يجني حربا يفنى فيها كثير من
 الناس فإذن القصاص قتل لا يقدم عليه لما فيه من ذلة الانقياد الى ما يعلمه من القتل صبرا حيث
 لا مانع ولا رادع . فهو فيه حياة للناس من حيث الأمن من القتل ظلماً وما تجنيه عواقبه وحياة
 لمن يرتدع عنه بخوف القصاص فهب انه مات اتفاقاً بحق القصاص انسان واحد ظالم لكن تحفظ
 بذلك حياة كثيرين كما لا يخفى ذلك عليكم (يا اولي الألباب) والعقول الذين يعرفون الغلط
 في قول بعض الناس ان القصاص محض نقصان في حياة الانسان . وقد كتب القصاص لغاية ان
 تتقوا قتل الناس خوفاً منه او تتقوا الله في ذلك ولكن لأجل ان الاتقاء والتقوى امر اختياري
 للانسان لا الجاء فيه قيل فيه (لعلكم تتقون ١٧٨ كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت) اي قرب
 منكم بان ظهرت اماراته بالمرض ونحوه (ان ترك خيراً) اي مالا (الوصية للوالدين) بماهما
 والدان لا بقيد اجتماعهما في الحياة والوصية نائب الفاعل لكتب (والأقربين بالمعروف) اقرب
 الاقرباء وقد يكونون اثنين او جماعة في مرتبة واحدة من القرابة وقد يكون الأقرب واحداً
 وجرى الجمع في الآية باعتبار الناس لا للتقيد بالجمع (حقاً) الظاهر انه حال من الوصية (على المتقين)
 لله وفي هذا تأكيد لكتابتها . ولا يخفى ان المسلمين مجمعون على ان هذه الوصية غير واجبة

(١٧٩) فَعَنْ بَدَلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَأَيْمَنَ عَلَيْهِ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * (١٨٠) فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ

بعد زمان من الهجرة الى آخر الأمر . واجمعت الإمامية على ان شرعية الوصية للوارث غير منسوخة وعلى ذلك احاديثهم . ويمكن ان يكون الوجوب المذكور في الآية كان في بدء التغيير بالشريعة لموارث الجاهلية فانهم كانوا لا يورثون النساء ولا الأطفال ولا من يعجز عن حل السلاح فاقتضت الحكمة ان يكون التغيير تدريجيا بنحو الوصية اولاً ثم باحكام الموارث فان تغيير الميراث الجاهلي صعب على الناس . ولذا ترى كثيراً من القبائل حتى في هذه الأزمنة لا يتقادون للميراث الشرعي . بل يجرون على النحو الجاهلي (١٧٩ فمن بدله) اي الايضاء مطلقاً المدلول عليه بذكر الوصية لا خصوص الوصية المتقدمة كما يدل عليه التذكير المتكرر لضميره اربع مرات كما يشهد له ما استفاضت روايته عن الأئمة عليهم السلام بهذه الآية للوصية بالمال في سبيل الله والحج (بعد ما سمعه) وعلم به ولو بالبينة (فأيمنه) اي الذي يترتب على مخالفة الايضاء (على الذين يبدلونه) فان الموصي اذا لم يكن مقصراً بتأخير ما اوصى به خرج بالوصية عن عهده واثمه ديناً كان او عيناً وبقي الاثم كله على المبدل (ان الله سميع عليم) لا يخفى عليه شيء من ذلك (١٨٠ فمن خاف من موص جنفا) ميلاً عن الحق خطأ (او ائثماً) كالوصية بما لا يخفى كونه معصية . وظاهر الآية خوف ما وقع من الجنف أو الاثم لا خوف وقوعها في المستقبل او الخوف في المستقبل كما لو قيل ان خاف او ومن يخاف ومقتضى الخوف ان يكون ذلك في مقام الابتلاء والعمل وهو ما بعد موت الموصي وخوفهما هو الخوف من تبعات العمل بها او ترك ردهما الى الحق ولو من باب الأمر بالمعروف للقادر عليه كما تقول خفت الأسد اذا خفت من تبعات عاديته (فأصلح) أصلح عمله وعمل الصالح برد الوصية الى الحق المشروع كقوله تعالى في سورة المائدة ٤٣ فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح ونحوه في سورة المائدة ٤٨ و ٥٤ وغير ذلك (بينهم) ظرف لأصلح والضمير يعود الى الوارث والموصي لهم كما يدل عليه المقام . وفي مجمع البيان انشد الفراء في مثله

« اعمى إذا ما جارتني خرجت حتى يوارى جارتى الخدر »
« ويصم عما كان بينها سمعي وما بي غيره وقر »

فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * (١٨١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * (١٨٢) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ

أي عما كان بينها وبين زوجها . وبما ذكرناه جاءت الرواية عن أهل البيت «ع» كما في الكافي في مرسل علي بن إبراهيم المضمَر وصحيح محمد بن سَوْقه عن الباقر «ع» . وفي الفقيه في مرفوعة يونس عن الصادق «ع» . ورواه ابن جرير من الجمهور في تفسيره عن ابن عباس وقتادة والربيع وإبراهيم بل والسدي ولم يذكر خلافا صريحا إلا عن مجاهد (فلا إثم عليه) بيان للأمن من إثم التبديل المذكور في الآية وتخصيص عمومها واكتفى برفع توهم الخطر لأن جهة الوجوب في هذا الإصلاح واضحة ولزيادة التأمين قال تعالى (إن الله غفور رحيم) للمذنبين . فكيف يخاف من إصلاح وردَّ جور الوصية إلى حق الشريعة (١٨١) يا أيها الذين آمنوا كتب (عليكم الصيام) وهو في اللغة الإمساك والكف عن الشيء قيل ومنه قول النابغة الذبياني « خيل صيام وخيل غير صائمة تحت المعاج وخيل تملك العجا » ويراد به في الشرائع إمساك مخصوص على حسب ما تقتضيه المصلحة في تخصيصه وحدوده في الشريعة ولا يخرج بإرادة الخصوصية ولا يفهم ألخاص بقرائن الشريعة عن كونه مصداقا للمعنى اللغوي (كما كتب على الذين من قبلكم) أي ككتابتهم عليهم وحظيتهم بفضله والطف به كما حظوا . وقيل المراد تسلية المؤمنين بذلك فقد دلت الآثار على أنه مختلف بحسب الشرائع في الحدود والوقت . ففي رواية الملل عن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام عن جده «ص» أن الصوم على الأُم كان أكثر مما هو على المسلمين في شهر رمضان . وفي رواية الفقيه عن حفص بن غياث عن الصادق عليه السلام أن صوم شهر رمضان لم يفرض على الأُم قبلنا وإنما فرض على الأنبياء . وقد اختلفت روايات الجمهور في هذا المقام (لعلكم تتقون) بمعنى لتتقوا بلام الغاية وأبدلت بـلعل لكون التقوى اختيارية وحصول التقوى بالصوم هي الغاية العامة للناس وإن اشتمل على غايات أخر لكسره للشهوات الباعثة على المعاصي (١٨٢) أي أياما معدودات (لا تتجاوز مقدار الشهر إلى الأشهر . وقوله تعالى بعد آية شهر رمضان . فمن شهد منكم الشهر . فمن كان مريضا الآية . يبين فيه مقدار الأيام ومحملها . والعامل في أياما هو الصيام وهو كاف في العمل في الظرف فلا حاجة إلى فضول التقدير (فمن كان منكم مريضا)

فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ

يزيد الصوم مرضه او يبطؤ بسببه بروءه (أو على سفر) وبيان السفر ومقداره موكل الى السنة (فعدة) بالرفع كما عليه مصاحف المسلمين وقراءتهم المتداولة حتى القراءات السبع . والتقدير فالذي كتب الصيام فيه في الحالين كما يدل عليه اللفظ والسياف ولا دلالة على تقدير غيره هو عدة (من ايام أخر) في غير المرض والسفر والعدة هي بمقدار الفائت بالسفر والمرض كما يدل عليه قوله تعالى « اياما معدودات » وسوق الشرط والجزاء يدل على ان الصيام في المرض والسفر المذكورين غير مكتوب ولا مشروع كما انه في الايام الأخر هو المكتوب والواجب المشروع وعلى ذلك اجماع اهل البيت «ع» واحاديثهم (وعلى الذين يطيقونه) أي يأتون به جهد طاقتهم . قال في النهاية الطوق اسم لمقدار ما يمكن ان يفعل بمشقة منه . ومنه حديث عامر بن فهيرة « كل امرء مجاهد بطوقه » أي اقصى غايته . واخرج ابن جرير عن ابن عباس الذين يطيقونه يتكلفونه . ومن طريق آخر عنه من لم يطق الصوم إلا على جهد . وفيما ورد من قراءته يطوقونه . اخرج ابن جرير كما عن الأنباري عنه يتجشمونه ويتكلفونه . وقد كثرت الرواية في الكتب ان ابن عباس كان يقرأ يطوقونه لهذا المعنى . ورويت هذه القراءة عن عائشة وعكرمة وعطا ومجاهد وسعيد بن جببر . واخرج ابن جرير عن علي امير المؤمنين «ع» ان الآية نزلت في الشيخ الكبير وكثرت الرواية بذلك عن ابن عباس وتصريحه بأنها غير منسوخة . وعن أنس بن مالك انه ضعف عن الصوم عاما قبل موته فأفطر فصنع جفنة من ثريد فدعا ثلاثين مسكينا فأطعمهم كما ذكر كل ذلك ونحوه في تفسير الطبري والدر المنثور . وفي الصحيح عن الباقر «ع» قوله تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين قال الشيخ الكبير والذي يأخذه العطاش . ونحوها رسالة ابن بكير عن ابي عبد الله . ورواية العياشي عن ابي بصير ورفاعة عن الصادق «ع» . والروايات في نفس الحكم مستفيضة وفيها العجز الكبيرة والمرأة تخاف على ولدها وعليهم (فدية) لكل يوم (طعام مسكين) وقدر في الروايات بمد من حنطة (فمن تطوع خيرا) تقدم تفسير ذلك في الآية السادسة والخمسين بعد المائة (فهو) أي التطوع (خير) حاصل (له) ولا دليل على اختصاصه بزيادة الا طعام بل هو عام ومن موارد الصوم

وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ *

المكتوب (وان تصوموا) مصدره في مقام المبتدأ وعدل الى الفعل ليتجلى منه الصدور من الفاعل والترغيب في اختياره في المستقبل (خير لكم) خبر المبتدأ تعرفون انه خير لكم (ان كنتم تعلمون) ان التكليف لطف من الله بعبده وان الطاعة وامثال الفرائض معراج للسعادة وان الصيام فيه فضل كبير وفوائد كثيرة وقد تكرر الترغيب والتأكيد في أمر الصيام بقوله تعالى لعلمكم تتقون . فمن تطوَّع خيراً . وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون . وذلك لأجل ما في الصيام من الفضل العظيم والكلفة في امساكه . وقال بعض ان قوله تعالى وان تصوموا الآية راجع الى من رخص له بالفدية . ويدفعه «اولا» انه لا معين لرجوعه الى ما ذكر مع صلاحيته للرجوع الى غيره « وثانيا » ان رجوعه الى ما زعموا لا يناسب التأكيد بقوله تعالى ان كنتم تعلمون « وثالثا » سياق الخطاب في الآية يقضي بأنه خطاب لمن خاطبوا بأنهم كتب عليهم الصيام . والذي عليه الفدية إنما جاء بلفظ الغيبة . وقال بعض انه راجع الى الصيام في السفر ويدفعه «اولا» انه لا معين لرجوعه الى ذلك مع صلاحيته للرجوع الى غيره « وثانيا » انه لا يناسب سوق الآية بأن المكتوب في السفر هو عدة من أيام أخر . وليس في حكم السفر ذكراً وإشارة الى البدلية لكي يفضل احد البدلين على الآخر . بل الذي ذكر هو ان صوم العدة من أيام آخر هو المكتوب ولو اراد الله الرجوع الى ما زعموا لما ساق كلامه المجيد بأسلوب يأباه « وثالثا » منافاته لما صرح عن رسول الله (ص) من قوله ليس من البر الصيام في السفر . كما رواه احمد والبخاري ومسلم وابو داود والنسائي وعن ابن حبان في صحيحه عن جابر عنه (ص) . وابن ماجه عن ابن عمر عنه (ص) واحمد والنسائي وعن عبد الرزاق في جامعه والطبراني والبيهقي عن كعب بن عاصم الأشعري عنه (ص) . وما رواه ابن ماجه عن عبد الرحمن بن عوف عنه (ص) والنسائي عن عبد الرحمن موقوفا الصائم في السفر كالمفطر في الحضر . وما عن الديلمي في الفردوس وعبد الرزاق في جامعه عن ابن عمر عنه (ص) ان الله تصدق بافطار الصائم على مرضى امتي ومساكينهم افحب احدكم ان يتصدق على احد بصدقة ثم يظل يردّها . وروى نحوه في الكافي والفتية والمعلل والتهذيب في الصحيح عن الصادق عليه السلام عن رسول الله (ص) . وما أخرجه النسائي والترمذي ونص على صحته

عن جابر ان رسول الله (ص) في سفره إلى مكة عام الفتح دعا بقدر ماء فأفطر وأفطر بعض الناس وصام بعض فبلغه ان ناساً صاموا فقال أولئك العصاة . ورواه في الكافي والفتيه في الصحيح عن الصادق (ع) قال ان رسول الله الحديث . وما أخرجه احمد والأربعة وجماعة عن انس الكعبي عن النبي (ص) انه دعاه إلى الطعام فاعتذر بالصيام فقال له (ص) ان الله وضع عن المسافر شطر الصلاة والصيام . واخرج النسائي ايضاً عن عمر بن امية الضمري عنه (ص) نحوه . وما في كنز العمال عن الشافعي والبيهقي في المعرفة عن سعيد بن المسيب مرسل عنه صلى الله عليه وآله خياركم الذين إذا سافروا قصرُوا الصلاة وأفطروا ورواه في الكافي والفتيه في الصحيح عن الباقر (ع) . وما عن عبد الرزاق في جامعه وابن شاهين في السنة وجمعفر الفريابي في سننه ان عمر أمر رجلاً صام في شهر رمضان في سفره ان يقضيه . وما قاله الترمذي رأي بعض اهل العلم من اصحاب النبي (ص) ان الفطر في السفر افضل حتى رأى بعضهم ان عليه الاعادة إذا صام في السفر . وحكى غير واحد هذا القول عن عمر بن الخطاب وابن عباس وعبد الله ابن عمر وعبد الرحمن بن عوف وابي هريرة وعروة بن الزبير . هذا واما ما يتشبهون به من الأحاديث فمنه ما هو وارد في الصوم المستحب لحديث حمزة الأسلمي فإنه فيه كنت اسرد الصيام او كان كثير الصيام . ومنه ما هو مردد بين الواجب والمستحب فلا تثبت بذلك اصلاً . واما ما كان التخيير فيه صريحاً بالصيام في شهر رمضان فمع غض النظر عن سنده ومخالفته لاهل البيت وكثير من الصحابة واجماع الإمامية وابتلائه بما ذكرناه من المعارضات وعدم صلاحيته للتصرف بأسلوب الآفة والتي بعدها لا يخفى انه يلزم في التثبت به ان يثبت ان مدلوله كان بعد نزول الآية الشريفة والتي بعدها واني باثبات ذلك . وعن العياشي عن محمد بن مسلم عن الصادق (ع) ان الآية نزلت ورسول الله في كراع الغميم عند صلاة الفجر فأفطر وامر الناس أن يفطروا وسمى من اراد الصيام بالعصاة . فإن قبل ان سورة البقرة كان نزول آية القبلة منها في السنة الثانية من الهجرة فكيف يتأخر النزول لبعض آياتها الى عام الفتح قلت أي بعد في ذلك وان سورة البقرة لم يحدد ختامها . وقد روي من طرقنا ما ذكر من ان آية الصفا والمروة نزلت في عمرة القضاء في السنة السابعة من الهجرة واخرج احمد والبخاري ومسلم والترمذي وغيرهم عن كعب بن كعب انه نزل في شأنه في الحديثية قوله تعالى من السورة فمن كان منكم مريضاً او به أذى من رأسه ففدية الآية . وكانت عمرة الحديثية في ذي القعدة من السنة

(١٨٣) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى
وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مِنْكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى
سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرُ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ

السادسة . ومن المعلوم ان التمتع بالعمرة الى الحج لم يكن معهودا في الشريعة قبل حجة الوداع . بل يعرف من احاديثه ان امره شيء نزل على رسول الله في ذلك الحين فكلمنا نزل في سورة البقرة في شأن حج التمتع وهديه نزل في حجة الوداع حتى قوله تعالى وأتموا الحج والعمرة لله كما هو في روايتنا عن الصادق عليه السلام (١٨٣ شهر رمضان) تفسير للأيام الممدودات أي وهي شهر رمضان . وفي الكافي والفقيه وغيرهما عن الباقر (ع) لا تقولوا جاء رمضان وذهب رمضان فإن رمضان اسم من أسماء الله ولكن قولوا شهر رمضان . وعن أمير المؤمنين (ع) ما يقرب من هذا . وفي كنز العمال مثل قول الباقر (ع) عن ابن عمر وأبي هريرة (الذي أنزل فيه القرآن) الى البيت المعمور في السماء ثم صار ينزله جبرائيل نجوماً على رسول الله (ص) كافي الكافي عن الصادق عليه السلام . وفي تفسير ابن جرير عن ابن عباس . وفي الدر المنثور فيما أخرجه جماعة وصححه الحاكم عن ابن عباس وفيه الى بيت العزة (هدى) حال من القرآن أي هاديا (للناس و) دلائل (بينات من الهدى والفرقان) في الكافي وعن العباسي عن أبي عبد الله (ع) القرآن جملة الكتاب والفرقان المحكم الواجب العمل به . ثم قسم الله حال الناس في وقت صومهم ومشروعيته ووجوبه تأكيداً لما سبق ورفعا للشكوك فقال جل شأنه (فمن شهد) أي حضر (منكم الشهر) الشهر منصوب على الظرفية أي حضر فيه وهو غير مريض (فليصمه) فإنه الوقت الموقت لصيامه (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة) فالمكتوب عليه ووقت صيامه المكلف به عدة أي عدة ما لم يصمه في شهر رمضان (من أيام آخر) لا يكون فيها مريضا ولا مسافرا ففصل الله بين الحكمين وميز بين الموضوعين فجعل لصوم الحاضر وقتا ولصوم المسافر وقتا . ولو كان صوم المسافر في شهر رمضان راجعا عند الله لما أكد هذا التقسيم والتميز بين الموضوعين والوقتتين بهذا السياق البين ولكان ذكره في هذه الآية أولى من التي قبلها لما فيه من بيان الفضل لشهر رمضان وصومه بل ان الله جلت آلاؤه ذكر في هذه الآية ما يزيد في البيان ويعزز الايضاح فقال جلت آلاؤه (يريد الله بكم اليسر)

وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ *

النوعي بافطار المريض والمسافر (ولا يريد بكم العسر) النوعي فالصوم في السفر غير مراد لله لأن فيه عسراً نوعياً . وفي الكافي والفقهاء عن عبيد بن زرارة قال قلت لأبي عبد الله (ع) قوله تعالى « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » قال (ع) ما اينها من شهد فليصمه ومن سافر فلا يصمه . وعن العياشي عن زرارة عن الباقر (ع) ما اينها لمن عقلها . ولأن قوله تعالى « يريد الله بكم اليسر » في مقام التعليل وبيان بعض الغايات في كتابة الصيام على النهج المذكور في الآيتين فباعتبار جعل الصوم في المرض والسفر في أيام أخر على بالتيسير كأنه قيل لينيسر عليكم (ولتكملاو العدة) عطفاً على المقدور فنفوزوا بفضل صوم الأيام المعدودات كاملة العدد بخلاف ما لو لم يشرع ذلك واضطر المريض والمسافر إلى الافطار كما هما مظنة للاضطراب إلى ذلك نوعاً . وباعتبار الهداية إلى شريعة الحق قال جل اسمه (ولتكبروا الله على ما هداكم) على هدايتكم إلى الدين والشريعة وهذا التكبير مستحب عندنا بالاجماع ولا يضر الخلاف النادر . وبذلك قال الشافعي وأحمد وابو حنيفة على ما نقل عنه ونسبه في الخلاف إلى الفقهاء . ووقته عندنا بعد صلاة المغرب من ليلة شوال والعشاء والصبح . والعيد باجماع الإمامية ورواية الكافي والفقهاء عن سعيد النقاش عن الصادق (ع) ورواية الاقبال بسنده عن معاوية بن عمار عن ابي عبد الله (ع) . ويقرب من مذهب الإمامية ما أخرجه ابن جرير في تفسيره بسنده عن زيد بن اسلم وابن عباس . وصورة التكبير مذكورة في كتب الفقه (ولعلكم تشكرون) أي ولتشكروا الله على نعمته عليكم بدين الحق ولطفه بتشريع الصيام وما فيه من الفوائد وتيسيره عليكم وعلى نعمة الطعام والشراب إذ تلتفتون إليها بجوعكم وعطشكم . ولا يخفى ان الشكر المطلوب ليس من الأفعال الموقوفة المنقطعة التي يسوق إليها التكليف كإكمال العدة والتكبير بل هو عمل نفسي دائم كالنقوى والاهتداء يرجع إلى اختيار الإنسان يديم التفاته إلى نعم الله ومعرفة قدرها وقره إليها وعجزه عنها فيختار الشكر الثابت . وذلك يحتاج إلى قوة في الاختيار وثبات عليه وعلى مجاهدة الأهواء المعارضة . ولاجل هذه النكتة جرى التعبير عن التعليل والغاية بقوله تعالى « ولعلكم تشكرون » وكذا نظائره مما قيل في تعليله « لعلكم » وأما مقدار

(١٨٤) وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ * (١٨٥) أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثَ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ

السفر الذي لا يصام فيه وصفته وصفة المرض فبيانه موكل إلى معرفته من السنة والاجماع في كتب الفقه (١٨٤) وإذا سألك عبادي عني فإني) اي فأخبرهم اني ونحو ذلك وهو العامل في إذا (قريب) باللفظ والرحمة والاجابة . لأنه يجمل عن المكان (أجيب دعوة الداع إذا دعان) ذكر الشرط مع انه معلوم مما قبله لأجل التنبيه على انه ما كل من يدعو الله لحاجته هو داع لله بحقيقة الدعاء لله من حيث الانتطاع وصدق التوجه إلى الله ومعرفته . ومن معرفته الاذعان بحكمته وسعة رحمته لعباده (فليستجيبوا لي) فيا دعوتهم اليه مما فيه صلاحهم وسعادتهم ورشدهم . وكان هذه الجملة في مقام الشرط أي ان ارادوا أن أجيب دعوتهم فليستجيبوا لي (وليؤمنوا بي لعلمهم يرشدون) أي ليرشدوا وقد سبق الكلام على مثله (١٨٥) أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) الرفث هنا هو الافضاء إلى النساء بالجماع (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) كناية عن شدة ارتباط المرأة والرجل في التمتع (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم) وتوقعونها في فعل الحرام (فتاب عليكم) مما فعلتم (وعفا عنكم) أي عن تحريم الجماع في ليلة الصيام من شهر رمضان (فالآن باشروهن) الأمر للإباحة والمباشرة ايصال بشرة إلى بشرة وهي ظاهر الجلد كنى بذلك عن الجماع لأن المباشرة من مقدماته اللازمة . والمراد من الآن ما بعد نزول الآية . والآية بنفسها تدل على ان الجماع كان محرماً في ليلة الصيام مطلقاً او في حال خاص . وان بعض المسلمين فعلوا المحرم وجامعوا فنسخ ذلك التحريم عفا من الله . وفي الكافي في الصحيح مسنداً عن الصادق عليه السلام ما حاصله كان الجماع والأكل والشرب محرمة في شهر رمضان على من نام أي بعد العشاء فانفق لرجل انه نام فلما عمل في النهار في الخندق صار يغشى عليه فنزلت الآية . وفي تفسير القمي عن ابيه مرفوعاً عن الصادق (ع) نحوه وزاد وكان قوم من الشبان ينكحون بالليل سراً فأنزل الله الآية . وروى نحو ذلك في الدر المنثور من طرق متعددة . وزاد انه أخرج ابن جرير وابن

وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ
مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ

المنذر في حديث عن ثابت وابن جرير وابن أبي حاتم في آخر عن ابن عباس . واخرج ابن جرير في ثالث عن ثابت ان من المجامعين بعد العشاء في زمان التحريم عمر بن الخطاب . ونحوه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى . وعن كعب بن مالك عن ابيه (وابتغوا ما كتب الله لكم) أي لنوعكم من الذرية (وكلوا واشربوا) الأمر فيها للاباحة ويمتد امدها (حتى) غاية الجواز ينقطع بها (يتبين لكم) يوجد في الاق و يلزمه عادة ونوعا ان يتبين لنوع الناس فالغاية ان يكون الصبح بحيث يراه الصائم لا استيلاؤه عليه كما يأتي في الليل . وهذه الغاية هي غاية الرفث ايضا لاجماع المسلمين لأن حله مقيد بالليل وهو ينقطع بالفجر (الخيط الأبيض) وهو الفجر الصادق المعترض وفيه قوة التبين لا الكاذب المستطيل كذنب السرحان المبني على الخفاء والاضمحلال وعلى ذلك اجماع المسلمين واحاديث الفريقين وقد جمع شطر منها في الوسائل والدر المشور . وسمي بالخيط اشارة إلى ان الغاية ما يتبين حينما هو كالخيط (من الخيط الأسود) وهو ما حول الفجر من الليل (من الفجر) بيان للخيط الأبيض (ثم أتوموا الصيام إلى الليل) ثم اوجدوا الصوم تماما إلى الليل وعطف بتم لجريان العادة بالفصل والتراخي بين انقطاع الأكل والشرب وبين الفجر محافظة على حدود جوازهما في الليل وحرمتها بأول الفجر . والليل هو السواد والظلام المعاقب للنهار ولذا يقولون ليل أبل أي شديد الظلام او السواد . والغاية للصيام ان ينشي الليل الصائم ويصل اليه لا وجوده . فإنه موجود في كل زمان بحسب التناوب على البلاد ولا رويته والا لقل حتى يتبين ونحو ذلك كما قيل في الفجر فالغاية اذن ان تذهب الحمرة المشرقية ويصل سواد الليل المعاقب لها إلى الصائم أي الى سمت رأسه فإن المشرق في جهة السماء مظل على المغرب فيكتسب من نور الشمس ما تظهر به الحمرة ويبقى به النهار إلى ان تحتجب الشمس شيئا فشيئا فيظهر الليل ويسري على وتيرة احتجابها حتى يصل إلى الرأس فلا يذهب النهار عن الصائم الا بذهاب الحمرة عن سمت رأسه . وعلى ذلك من روايات الامامية رواية ابان عن الباقر (ع) وروايات ابان وعمار وابن شريح . ومرسلتا ابن اشيم وابن ابي عمير . ومرفوعة المفيد عن الصادق (ع) . ولا ينافيها ما عبر فيه بغيوبة الشمس وغروبها لما أشرنا

وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا
كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * (١٨٦) وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ
بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْخُلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ

اليه . وهذا هو الذي يفقه مما أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وابو داود وابن جرير وعن
ابن ابي شيبة والنسائي عن عمر قال قال رسول الله (ص) إذا قبل الليل من هاهنا وأدبر النهار
من هاهنا وغربت الشمس فقد افطر الصائم . وأخرج البخاري وابو داود وابن جرير عن
عبد الله بن ابي اوفى بعدة اسانيد في حديث قال قال رسول الله (ص) إذا قبل الليل من
هاهنا وضرب بيده نحو المشرق افطر الصائم . وفي الدر المنثور أخرج أحمد وعبيد بن حميد
وابن ابي حاتم والطبراني في حديث عن بشير بن الخصاصية قول رسول الله (ص) وأتموا الصيام
إلى الليل فإذا كان الليل فافطروا ولا يخفى انه عند وجود الحمرة المشرقية لم يقبل الليل من ناحية
المشرق ولم يكن على الصائم ليل (ولا تباشروهن) أي لا تمس بشركم بشرتهن باللمس والتقبيل
بشهوة وبالجماع مطلقا . وهذا مذهب الإمامية وعليه اجماعهم لا مطلق المباشرة ودلالة المقام
على ان المراد منها ما يرجع إلى التمتع والتلذذ (وأنتم عاكفون في المساجد) العكوف الإقامة
في المكان والملازمة له واعتكف قصد العكوف وجعل نفسه عاكفا . وأمر هذا العكوف وصفاته
وشروطه الشرعية موكل إلى السنة ويعرف مدلولها من كتب الفقه (تلك) أي ما عرف في
هذه الآيات من حرمة ما يجب الامساك عنه في الصوم وحرمة قبل الليل وحرمة تضييع العدة
من الأيام الآخر وحرمة المباشرة للنساء على المعتكف (حدود الله فلا تقربوها) مبالغة في
التحذير منها وأمر بملازمة الواجبات المحدودة وعدم الميل عنها إلى جانب تلك الحدود (كذلك)
البيان في هذه الأمور (يبين الله آياته) ودلالته (للناس) فيما فيه صلاحهم (لعلمهم يتقون)
أي ليتقوا وجيء بالمل لما ذكرناه قريبا (١٨٦) ولا تأكلوا أموالكم) أي لا يأكل بعضكم أموال
بعض (بينكم بالباطل) وغير المشروع ومنه القمار كما رواه في الكافي في الصحيح عن الصادق
عليه السلام وروى في الكافي أيضا عن الصادق (ع) ان من ذلك ان يكون عند المديون
مال فينفقه على نفسه ولا يفي به دينه . ومنه ما في مجمع البيان مرفوعا عن الباقر (ع) أكل المال
باليمين الكاذبة (وتدلوا بها) أي ترسلوها رشوة (إلى الحكام) كمن يدلي دلو له يستخرج الماء

إِنَّا كُنَّا فَرِيقَيْنِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْأَيْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * (١٨٧) يَسْأَلُونَكَ عَنِ
الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ
ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَآتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ * (١٨٨) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * (١٨٩) وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْبَضُوهُمْ وَآخَرُجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ

(لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالايثم وأنتم تعلمون) بأن ذلك محرم عليكم (١٨٧ يسألونك)
يا رسول الله (عن الأهلة) قبل يسمى هلالا ايضاً في ليلته الثانية وقبل في الثالثة وقبل حتى
يستدير بخطة دقيقة وقيل الى الليلة السابعة (قل) لهم ما تدر كه عقولهم من حكمتها (هي مواقيت للناس)
تميز لهم ما يحتاجون اليه في مهماتهم من مقادير الزمان واوقاته بحسب الاشهر والسنين بشوقيت محسوس
للعامه . بل ان الدور الذي تتكون به الأهلة يعرف الناس منه ساعات الليل بتدرج الهلال في الطلوع
والغروب الى أن يصير بدرا ثم أن يعود هلالا (والحج) أي مواقيت للحج (وليس البر) وعمل الخير (بأن
تأتوا البيوت من ظهورها) كناية عن تشريعاتهم الجهلية الاهوائية وزعمهم ان العمل بها بر (ولكن
البر من اتقى) فانظر الى هؤلاء الذين اتقوا الله واخلصوا له في طاعته واتباع شريعته واعرفوا
البر من اعمالهم . وفي الآية الخامسة والسبعين بعد المائة ذكرنا الوجه والفائدة في جعل « من »
الموصولة خبراً للبر (وأتوا البيوت من ابوابها) والأمر من وجوها واعمال البر من حيث أمر
الله وشرع . وعن محاسن البرقي مسندا والماشي مرفوعا عن جابر عن الباقر (ع) في قوله عز
وجل « وأتوا البيوت من ابوابها » قال (ع) أن يوتى الأمر من وجهه أي الأمور كان . ومن
هذا الباب ما انفقت عليه رواية الفريقين من قول النبي (ص) انا مدينة العلم وعلي بابها (واتقوا
الله) في أوامره ونواهيه فيما شرعه من الدين القيم وهذا هو البر (لعلمكم تفلحون) أي لتفلقوا
(١٨٨) وقاتلوا في سبيل الله) ونصر دين الحق (الذين يقاتلونكم) عناداً للدين (ولا تعتدوا)
في القتال عن الحد المشروع (إن الله لا يحب المعتدين) وما أشد خسران الذي لا يحبه الله
(١٨٩) واقتلوه حيث تقبضوهم) أي ظفروا بهم (واخرجوهم من حيث اخرجوكم) وهي مكة
المعظمة . ولا يكبر في قلوب الضالين قتالهم وقد عدوا على المسلمين بقاتلونهم لأنهم أسلموا
من قبل ذلك واخرجوهم عن ديارهم في مكة وفوق ذلك انهم لا زالوا يجهدون في أن يقتلوا

أَخْرَجُكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُواهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُبْعَثَ إِلَيْكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُواكُمْ فَاقْتُلُواهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * (١٩٠) فَإِنْ أَنْتَهُوا فَلَا تُقَاتِلُواهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ * (١٩٢) الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ

المسلمين ويصرفهم عن دينهم بالعذاب مرة وبالقتال أخرى (والفتنة) وصرف المؤمنين عن دينهم واضلالهم (أشد من القتل) ضررا على نوع الانسان فإن الضال المضل جرثومة فساد في الارض كما قال جل اسمه في سورة البروج «إِنَّ الَّذِينَ فْتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ» (ولا تقاتلوا عند المسجد الحرام) ويشمل التحريم مكة وما هو حريم للمسجد (حتى يقاتلواكم فيه) أي في حرمه بقرينة قوله تعالى عند المسجد (فإن قاتلواكم) عند المسجد (فاقتلواهم كذلك جزاء الكافرين) في اعتدائهم وهتكهم لحرمه المسجد الحرام (١٩٠) فإن انتهوا قبل انتهوا عن كفرهم بالتوبة والاسلام . ويحتمل أن يكون المراد فإن انتهوا عن قتالكم فاغفروا لهم نحو قوله تعالى في سورة الأنفال «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها» (فإن الله غفور رحيم ١٩١) وقاتلواهم حتى لا تكون فتنة) في التبيان الفتنة الشرك وهو المروي عن أبي جعفر أقول ولعله باعتبار انه يسبب الافتتان إذ بسبب الضلال يصرف عن الحق كقوله تعالى في سورة المائدة «واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك» (ويكون الدين لله) أي على الحقيقة المعقولة منه ليس فيه كفر ولا شرك ولا عبادات أو ثانية ولا شرائع أهواء جاهلية فإن الدين في هذا المقام وامثاله عبارة عن روابط الانسان مع مقام الإلهية من حيث الاعتقاد بما يرجع للإله ورساله وكتبه وعبادته والطاعة والشرعية (فإن انتهوا) في التبيان ومجمع البيان أي امتنعوا عن الكفر وأذعنوا للإسلام ويحتمل الانتهاء عن قتال المسلمين (فلا عدوان) عن حد السلم (إلا على الظالمين) المعتدين . وفي التبيان والبيان ان هذه الآية مؤكدة لمضمون الآية الأولى لا ناسخة لقيودها في القتال . وهذا هو الظاهر من سياق الآيات مع قوله تعالى (١٩٢) الشهر الحرام بالشهر الحرام) فمن قاتل المسلمين في شهر حرام قاتله المسلمون في شهر حرام كما ان من قاتلهم عند المسجد الحرام قاتلوه فيه (والحرمات قصاص) فإذا كان المشركون في

فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ * (١٩٣) وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى
التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * (١٩٤) وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ

عداوتهم للتوحيد ودين الحق ومحادتهم لله ورسوله لا يمنعهم عن عداوتهم وقتالهم للمسلمين
حرمة للشهر الحرام ولا حرمة البيت الحرام فليس لهم أن يلوذوا بالحرمات بل يحتج عليهم
بقصاصهم بذلك واما نفس الحرمات فلم تسقط ولا يقتص منها بجنابة المشركين بل عارضتها
حرمة الله في نصر توحيده ورسوله ودين الحق واحترام الحرمات . والأشهر الحرم هي رجب
الفرد وذو القعدة وذو الحجة ومحرم ولعل الأصل في حرمتها شريعة ابراهيم كحرمة البيت
فاستمر العرب على ذلك وامضاه الاسلام (فمن اعتدى عليكم) حدود الحق (فاعتدوا عليه)
حدود السلم والمجاراة وافرذ الضمير في « عليه » باعتبار لفظ « من » (بمثل ما اعتدى عليكم
واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين) وناصرهم (١٩٣) وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا) انفسكم
(بأيديكم الى التهلكة) وهذا النهي عام لكل اقتحام في اسباب التهلكة ومظانها ولا بد من أن
يكون النهي مقيداً بما إذا لم يكن في ذلك الاقتحام حياة الدين ونصرته كما في نهضة رسول
الله (ص) في اول دعوته واقدام سيد الشهداء في امتناعه عن بيعة يزيد في مثل زمانه (وأحسنوا)
اعملوا الحسن واطلبوه في افعالكم وتروككم على حد قوله تعالى في سورة الكهف « إنا لا نضيع
أجر من احسن عملاً » وغير ذلك (ان الله يحب المحسنين) لأعمالهم وتروكهم وما اعظم
هذا التعليم الجامع للخير فان احسان العمل والترك غير خفي وان غاظت فيه الاهواء بما
لا يخفى على العقل من التدليس . ومن مصاديق احسان العمل ما جاءت فيه رواية الكافي .
وعن العياشي عن ابي عبد الله (ع) لو ان رجلاً أنفق ما في يديه في سبيل الله ما كان احسن
ولا وفق اليس يقول الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين أي
المقتصدين . فان المقتصد هو الذي عمل الحسن واحسن عمله وان معنى التهلكة . ومقام الإمام
(ع) وقوله ما كان احسن وتفسيره المحسنين بالمقتصدين لا يدع مجالاً للقول بأن مضمون
الرواية قريب من تفسير التهلكة بالاسراف (١٩٤) وأتموا الحج والعمرة لله) العمرة منصوبة
بالعطف على الحج والحج والعمرة عبادتان معروفتان قد ذكرت اجزاؤها وشروطها في السنة

فَإِنْ أَحْصِرْتُمْ

ونظمتها كتب الفقه وإتمامها لله دليل على انها عبادتان يعتبر فيهما الايمان بهما لله تقرباً اليه والظاهر من مراجعة الحديث وسبك اللفظ ان قوله تعالى وأتموا الحج والعمرة أمر وإيجاب لا يجادها تامين بأجزائهما وشروطهما المشروعة كقوله تعالى من احسن عملاً أي اوجده حسناً وكقولهم . ضيق فم الركي . واطل جلفة القلم . وافرغ بين سطورك . وكثير من ذلك فمن مدلول الآية إيجاب العمرة كما في صحيحة التهذيب عن زرارة عن الباقر (ع) في قوله العمرة واجبة على الخلق بمنزلة الحج وذكر الآية ونحو صحيحة الكافي عن معاوية بن عمار عن الصادق (ع) وصحيحة العلال عن معاوية عنه (ع) وصحيحة التهذيب عن الفضل ابي العباس عنه . وفي الدر المنثور اخرج ابن عيينة والشافعي في الأم والبیهقي عن ابن عباس وذكر نحوه . واخرج الحاكم عن زيد بن ثابت عن رسول الله (ص) ان الحج والعمرة فريضتان . وفي الكافي في الصحيح عن ابن اذينة في حديث عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى واتقوا الحج والعمرة قال يعني بتمامها ادائها واتقاء ما يتقي المحرم فيها ونحوه عن العياشي عن ابي بصير عن الصادق عليه السلام وقال في الكشاف في تفسير أتموا اتقوا بها تامين ثم بعد ذلك حمله على محض الأمر بتمامها أي بعد الشروع فيها واختار كون العمرة غير واجبة واغرب في تأوله لحديثي ابن عباس وعمر . ثم قال بأن الأمر بالانتماء للوجوب والندب كما تقول صم شهر رمضان وستة من شوال تأمر بفرض وتطوع وقال في سورة المائدة في آية الوضوء ما معناه انه لا يجوز ان يكون الأمر للوجوب والندب لأن تناول الكلمة لمعنيين مختلفين من باب الألفاظ والتعمية أقول وفي هذا الذي نقلناه عنه من التدافع والغرابة ما يعجب منه الناظر . وقد نبه عليه في زبدة البيان (فَإِنْ أَحْصِرْتُمْ) في المصباح قال ابن السكيت وتطلب حصره العدو في منزله حبسه واحصره المرض بالألف منه من السفر . وقال الفراء هذا هو كلام العرب وعليه اهل اللغة انتهى . ونقل نحو ذلك ايضا عن الكسائي وابي عبيدة وعن الفراء أيضا انه يجوز ان يقوم احدهما مقام الآخر ورده المبرد والزجاج . وفي الخلاف عن الفراء احصره المرض لا غير وحصره العدو واحصره معا . وقد تكرر في رواياتنا الصحاح وغيرها ان المحصور غير المصدود وانها يختلفان في بعض الأحكام كما في روايات زرارة عن الباقر (ع) وابن ابي نصر عن الرضا

فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَخْلُقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ

عليه السلام ومعاوية بن عمار عن الصادق عليه السلام . وفيها المحصور هو المريض والمصدود هو الذي يردّه المشركون كما ردّوا رسول الله ليس من مرض . وفي الدر المنثور أخرج سعيد ابن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم من طريق ابراهيم عن علقمة عن ابن مسعود في الآية يقول إذا اهل الرجل بالحج فاحصر إلى ان قال فاذا برأ الحديث وقال ابراهيم ذكرت هذا الحديث لسعيد بن جبير فقال هكذا قال ابن عباس في هذا الحديث (فما استيسر من الهدي) اي فإن احصرتم ومنعكم المرض عن الاتمام فارسلوا لأجل ان يسوغ لكم التحال ما استيسر لكل بحسب حاله ووقته من الهدي من الابل او البقر او الشاة والمشهور عندنا ان من ساق الهدي ثم احصر كفاه ذلك لأنه مما استيسر . والهدي هو ما يهدي من النعم للذبح في مكة او منى (ولا تخلقوا رؤوسكم) أي لا تخلقوا فإن الخلق أول الاحلال (حتى يبلغ الهدي محله) اي المحل المقرر له بالسنة في نوع ذلك النسك فإن كان حاجا فحمل الهدي منى وإن كان معتمرا بالعمرة المفردة فمحله مكة او بفناء الكعبة أو بالحزرة . واما رسول الله (ص) واصحابه في عمرة الحديبية فقد كانوا مصدودين عن المسجد الحرام لا محصورين (فمن كان منكم) في حال الاحرام (مريضا) يحتاج في مرضه إلى الخلق (أو به أذى من رأسه ففدية من صيام او صدقة او نسك) في التهذيب بسنده عن عمر بن يزيد عن الصادق (ع) فمن عرض له أذى او وجع فتعاطى ما لا ينبغي للمحرم إذا كان صحيحا فصيام ثلاثة ايام إلى ان قال والنسك شاة يذبحها الرواية . والأذى ما يؤذي ومنه القمل الكثير . فقد روى في الكافي في المعبر والتهذيبين في الصحيح على الظاهر . وعن العياشي عن الصادق (ع) ان رسول الله (ص) مرّ على كعب بن عجرة الأنصاري والقمل تناثر من رأسه فقال له رسول الله (ص) اتوذيك هوامك قال نعم فأنزلت الآية فأمر رسول الله بخلق رأسه وجعل عليه الصيام ثلاثة ايام او الصدقة على ستة مساكين لكل مسكين مدّان او النسك شاة وذكر في الفقيه والمقنع نحوه بقوله مر رسول الله الحديث . واخرج نحوه ذلك من الجمهور أحمد وأصحاب الجوامع وغيرهم وزادوا ان ذلك كان في عام الحديبية (فإذا أمتهم) من الصدق ونحوه (فمن تمتع) أي أحل وتمتع بما يحرم

فَإِذَا أَرَمْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ

التمتع به على المحرم كالطيب والمخيط والنساء ونحو ذلك (بالعمرة) بسبب الاتيان بالعمرة واكملها (إلى الحج) أي إلى احرام الحج . وقد شرع هذا التمتع في حجة الوداع وهو اظهر من ان ينكر ولا بأس بالإشارة إلى شيء من حديثه . فمن التهذيب والعلل في الصحيح عن الصادق عليه السلام عن آبائه (ع) لما فرغ رسول الله (ص) من سعيه بين الصفا والمروة اناه جبرائيل عند فراغه من السعي فقال ان الله يأمرك ان تأمر الناس ان يحلوا إلا من ساق الهدي فأقبل رسول الله (ص) على الناس بوجهه فقال أيها الناس هذا جبرائيل واثار بيده إلى خلفه يأمرني عن الله عز وجل أن آمر الناس بأن يحلوا إلا من ساق الهدي فأمرهم بما أمر الله فقام إليه رجل فقال يا رسول الله نخرج من منى وروثنا تقطر من النساء . وقال آخرون يأمرنا بشيء يصنع هو غيره فقال أيها الناس لو استقبلت من أمري ما استدبرت لصنعت كما صنع الناس ولكني سقت الهدي فلا يحل من ساق الهدي حتى يبلغ الهدي محله فقصر الناس واحلوا وجعلوها عمرة وقام إليه سراق بن مالك المدلجي فقال يا رسول الله هذا الذي امرتنا به لعمانا هذا أم لا أبد فقال بل للأبد إلى يوم القيامة وشبك بين أصابعه وانزل الله بذلك قرآنا « فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي » وهذا الحديث جزء مما جاء في الرواية الطويلة عن معاوية بن عمار عن الصادق عن الباقر عليهما السلام كما في الصحيح في الكافي والتهذيب . ورواها على طولها مسلم وابو داود والنسائي وابن ماجة في جوامعهم واحمد في مسنده وغيرهم عن الصادق (ع) عن الباقر (ع) عن جابر . واخرج اصحاب الجوامع الست وغيرهم ان الناس قد كانوا أهلوا بالحج لا يرون غيره كما عن جابر وانس وابي سعيد والبراء بن عازب وابن عباس واسماء بنت ابي بكر . بل وعائشة من طرق الاسود وعمره ومحمد بن القاسم . وقد كثرت الرواية في أمر الاحلال والتمتع لقوله (ص) لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي ولفعلت كما فعلتم . او كما امرتكم . او احل كما احلوا . وفي بعضها اني لأبرئكم واصدقكم واتقاكم ولولا اني سقت الهدي إلى آخره . اخرجه مسلم والنسائي والحاكم في مستدركه وابن حبان في صحيحه . وفي رواية الطبراني عن جابر اتهموني وانا امين أهل السماوات والأرض اما اني لو استقبلت الحديث . . . ومن روى ذلك من طريق الجمهور جابر والبراء وانس وعائشة وحفصة . وروى جابر في

حديثه الطويل في الحج وابن عباس وابن عمر وسراقة بن مالك وابن اخ لجبير بن مطعم قوله (ص) دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة كما في جوامع مسلم وابي داود والنسائي والترمذي ومسند احمد وابن عدي والطبراني والبخاري . وقد تكررت هذه المضامين مجتمعة ومتفرقة في المسانيد وجوامع الحديث الستة وغيرها مروية عن عدة كثيرة من الصحابة . ولا يخفى ان شرعية هذا التمتع والاحلال المطلق كما هو مدلول الأحاديث من الفريقين عليها اجماع الصحابة وعامة المسلمين في جميع الأعصار ولم يقل احد بنسخها نسخاً شرعياً . وقد استمر العمل عليها بفتيا جميع العلماء في جميع الأعصار . نعم وقعت في بعض الأحاديث بعض الشواذ فينبغي التنبيه عليها في ضمن أمور

« الأول » ان هذه الآية التي شرع بها حج التمتع والاحلال مقيدة بالأمن وان المسلمين في حجة الوداع كانوا على أعز جانب من القوة والأمن وكانت جزيرة العرب اذذاك خاضعة لسلطان الاسلام متمتعة بأمنه العام وسلطة عدله القاهرة . واخرج البخاري عن حارثة ابن وهب الخزاعي صلى بنا رسول الله (ص) ونحن اكثر ما كنا قط وأمنه بمبنى ركعتين : فمن الشواذ ما يروى في جوامع الجمهور عن بعض الصحابة انه منع من متعة الحج فاحتج عليه امير المؤمنين (ع) بأنها سنة رسول الله التي سنّها في حجة الوداع فاعتذر وقال نعم ولكن كنا خائفين كما اخرجهم مسلم واحمد وابو عوانة والصحاحوي والبيهقي

« الثاني » روى في الجوامع الستة وغيرها ان اصحاب رسول الله كانوا في حجة الوداع جميعا حتى عائشة قد أهلوا بالحج لا يرون غيره كما عن جابر وابن عباس وابي سعيد وابن عمر وأنس واسما بنت ابي بكر بل وعائشة من طرق الأسود وعمره ومحمد بن القاسم . فمن الشاذ ما تفردت به الرواية عن عروة عن عائشة من ان الناس أهل بعضهم بالحج وبعضهم بالعمرة وهؤلاء هم الذين أمروا بالاحلال والتمتع . وان عائشة كانت مهلة بالعمرة

« الثالث » روي من طريق الإمامية عن اهل البيت وجابر ان رسول الله (ص) قال دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة . ورواه الجمهور في جوامعهم ومسانيدهم كما تقدم . وروى الإمامية عن اهل البيت وجابر ايضا ان سراقة بن مالك قال يا رسول الله هذا الذي أمرتنا به يعني الاحلال بعد العمرة الى الحج لعامنا هذا أم الى الأبد فقال بل للأبد الى يوم القيامة . ورواه الجمهور في جوامعهم ومسند احمد وغيره نحوه عن جابر وسراقة وعلى ذلك

عمل المسلمين وفقهائهم . واخرج مسلم واحمد عن ذكوان عن عائشة ان رسول الله (ص) دخل عليها وقد كان غضبان لأنه أمر الناس بالحل فتردد بعضهم . واخرج احمد عن البراء ورواه كنز العمال عن النسائي عن البراء نحوه . واخرج البخاري واحمد والنسائي وغيرهم عن علي امير المؤمنين ان المتعة سنة رسول الله فلا يدعها لقول احد من الناس واخرج احمد ومسلم انه قيل لابن عباس في الاحلال بعد العمرة فقال سنة نبيكم وان رغتم . وفي حديث اخرجه احمد والبخاري ومسلم الله اكبر سنة ابي القاسم (ص) . واذا أحطت بما ذكرنا عرفت انه من الشواذ ما اخرجه مسلم وغيره عن ابي ذر ان المتعة في الحج كانت لأصحاب محمد خاصة ونحو ذلك كما اخرجه مسلم او للركب الذي كان مع رسول الله كما اخرجه ابو داود والنسائي نعم ان كان المراد من ذلك اخراج حاضري المسجد الحرام من مشروعية المتعة جرت الرواية على مقتضى الكتاب والسنة واجماع المسلمين . ومن الشواذ ايضا ما اخرجه مسلم انه كان ابن عباس يأمر بالمتعة وكان ابن الزبير ينهى عنها . فذكرت ذلك لجابر فقال علي يدي دار الحديث تمنعنا مع رسول الله (ص) فلما قام عمر قال ان الله كان يحل لرسول الله ما شاء بما شاء وان القرآن قد نزل منازلهم وأتموا الحج والعمرة لله كما أمرهم الله وابنوا نكاح هذه النساء فلن أوتي برجل نكح امرأة الى أجل إلا رجته بالحجارة . وليت شعري ما هو المراد بقول القائل ان الله كان يحل لرسول الله ما شاء بما شاء . وهل كان الأمر بالاحلال نقضاً لأمر الله بإتمام الحج والعمرة ومخالفة له ولئن كان نقضاً فلماذا لا يكون نسخاً بهذا النحو خصوصاً مع قوله (ص) لو استقبلت من أمري ما استدبرت وقوله دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة وقوله (ص) لسراقة الى الأبد . ومن الشواذ ايضا ما اخرجه احمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة وغيرهم عن سعيد بن المسيب ان عمر بن الخطاب نهى عن المتعة في اشهر الحج وقال ففلتها مع رسول الله وانا أنهى عنها وذلك ان احداً منكم يأتي الى آخر الرواية . ولم تذكر فيها إلا آراء لا تروج في الاستحسان فضلاً عن مقاومة الشريعة . ومثل ذلك ما اخرجه احمد ومسلم والنسائي وابن ماجة وغيرهم عن ابي موسى انه سئل عمر عن نهيه عن التمتع فقال قد علمت ان رسول الله فعله واصحابه ولكن كرهت ان يظنوا بهن معرسين تحت الأراك ثم يروحون الى الحج تقطر رؤسهم . وما اخرجه احمد والبخاري ومسلم وغيرهم عن ابي موسى ان عمر قال في ذلك ان نأخذ بكتاب الله فإن الله قال وأتموا الحج والعمرة لله وان أخذنا بسنة رسول الله (ص) وفي

فَمَا أُسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ

رواية من روايات البخاري وان أخذنا بقول النبي (ص) « فانه لم يحل حتى بلغ الهدي محله انتهى وقد سبق الكلام في قوله تعالى وأنموا الحج والعمرة لله . واما السنة فيا سبحان الله هل من رسول الله (ص) لأتمه إلا ما اتفق عليه حديث المسلمين واجماعهم من التمتع والحل وانه سنة الى الأبد . وان العمرة دخلت في الحج الى يوم القيامة . وهذا الدخول مع الاحلال بين ان كلا من العمرة والحج يقع تاما في الشريعة بهذا الوجه وأما فعله (ص) فقد كان موقتا مختصا بمن ساق الهدي في تلك السنة كما يحده قوله (ص) لو استقبلت من أمري ما استدبرت . دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة وقوله (ص) لسراقة بل الى الأبد (فما استيسر من الهدي) من البدنة أو البقرة أو الشاة وهو نسك لا جبران كما قال الشافعي (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام) متواليات (في الحج) وهي يوم التروية وما قبله ويوم عرفة وعليه اجماع الإمامية ورواية الفريقين ولو فاته ذلك لم يصمه ايام التشريق . وفي الخلاف عليه اجماع الإمامية انتهى . وعلى ذلك روايات كثيرة وفي صحيح ابن سنان ان الصادق (ع) استشهد لذلك بأن بديل ابن ورقاء أمره رسول الله بأن ينادي بمني في الناس ان لا يصوموا ونحوه صحيح سليمان بن خالد وابن مسكان عنه (ع) . ونحوه في خبر عبد الرحمن بن الحجاج عن الكاظم عليه السلام كما في التهذيبين ومعاني الأخبار . واخرج احمد ومسلم عن نبیة الهذلي قال قال رسول الله ايام التشريق ايام أكل وشرب . وعن كعب بن مالك ان رسول الله ارسله واوس بن الحدثان ايام التشريق فنادى ايام منى أكل وشرب . واخرج احمد والنسائي عن حمزة الأسلمي ان منادي رسول الله ينادي بمني ورسول الله شاهد لا تصوموا هذه الايام فانها ايام أكل وشرب . واخرج احمد والحاكم وصححه علي شرط البخاري ومسلم عن بديل بن ورقاء ان النبي بعثه على جمل أوردق وأمره أن يتخلل القساطيط وينادي في الناس ايام منى الا لا تصوموا فانها ايام أكل وشرب وبمال . وعن الطيالسي عن أنس والبيهقي عن ابي هريرة نهى رسول الله عن صوم ايام التشريق . وهؤلاء المنادون أعرف بما أمروا به وما نادوا به فلا يعارضهم ما أخرجه البخاري وابن جرير عن عائشة وابن عمر من الرخصة في صيامها لمن لم يجد الهدي مع انها لم يسندا الرخصة الى النبي (ص) بل هو أشبه بالاجتهاد كما اخرج البخاري ان

وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

عائشة كانت تصومها وكان أبوه أو أبوها يصومها (وسبعة إذا رجعتن) إلى أهاليكم والسر في هذا التعبير دون قوله تعالى إذا رجع هو أن من أقام بمكة يقدر له رجوع أصحابه إلى بلده كما عاينه فتوى الإمامية واحاديثهم . ومنها صحيحة التهذيب عن معاوية بن عمار وفيها أن الصادق (ع) روى ذلك عن رسول الله (ص) . ويحتمل أيضا النظر إلى اعتبار الرجوع بالنفر العام في الثالث عشر من ذي الحجة بمعنى أن من رجع إلى أهله بالنفر الأول لم يصح منه صوم الثالث عشر عند أهله (تلك) أي الثلاثة في سفر الحج والسبعة عند الرجوع (عشرة) تعد عند الله نسكا واحداً لا يضر فيها الفاصل الطويل ولا الاتيان بالسبعة في غير مناسك الحج وغير أشهره ولا الصوم في السفر (كاملة) في النسك ككمال الأضحية والهدي (ذلك) أي التمتع بالعمرة إلى الحج (لمن لم يكن أهله) باعتبار وطنه ومسكنه (حاضري المسجد الحرام) من حضر بفتحيتين والحضارة المخالفين للبدو والبدواة أي من لم يكن من أهل مكة وقراها وما ينسب عرفاً إليها بحيث لا يعد القاطن هناك من الباديين عن المسجد الحرام بل من أهل حضره وحاضريه . وقد اجمع المسلمون على أن من كان في الحرم فهو من حاضري المسجد الحرام وإن بلغ من جهة المشرق اثني عشر ميلاً . والمظنون أن الميل منها ثلاثة آلاف وخمسةائة ذراع بذراع اليد لكن بعضاً من الإمامية قدّر الحد لحاضر المسجد الحرام من كل جهة من جهاته بما لا يبلغ اثني عشر ميلاً ولا دليل عليه والروايات الصحيحة صريحة في خلافه . ومنها ما ذكر فيها أن أهل مكة مكرّمون الظهران من حاضري المسجد فإنه عن مكة بمرحلة . والمروي الذي لا يقبل التأويل هو ما لا يبلغ ثمانية وأربعين ميلاً للنص على أن أهل عسفان وذات عرق من حاضري المسجد الحرام . وبعد المكانين عن مكة أكثر من ثلاثين أو أربعين ميلاً . وفي بعض الروايات أن أقرب المواقيت خارج عن هذا الحد . وذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أن حاضر المسجد الحرام من كان داخل في المواقيت وينبغي أن يريدوا بها يلزم وقرن المنازل وما سواهما في البعد دون مسجد الشجرة أو الجحفة . وقال الشافعي من لا يبلغ مسافة قصر الصلاة نظراً إلى أن مسافة القصر تكون سفراً عن مكة لا حضراً قلت لو أخذنا الحضر في اللغة

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * (١٩٥) الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ

مقابل السفر لكنت مسافة عشرة اميال ونحوها سفرأ لغويا وعرفيا وضربا في الارض وما التحديد في القصر لا تحديداً لبعض اقسام السفر وقال بعضهم من كان في الحرم (واتقوا الله) بطاعته فيما أمرتم به او نهيتم عنه في أمر الحج واحكامه (واعلموا ان الله شديد العقاب) على مخالفة الشريعة في ذلك فإنه شرع الحج بهذه الحدود لطفا بكم فإنه غني عن عبادتكم ومن لطفه أن يشدد عليكم بالوعيد على المخالفة لما يمله من عبث الاهواء بكم (١٩٥ الحج) أي وقت الحج والذي يصح فيه (اشهر معلومات) معينة ولئن كان المشركون ينسئونها الى اشهر أخر فإنما النسب زيادة في الكفر . وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة لا غيرها . نعم كل ذي الحجة وقت ببعض الاعتبار لبعض الاجزاء كشوال وذو القعدة . قال في التذكرة وعليه اكثر علمائنا . وهو الظاهر مما روي في الكافي والفقيه والتهذيب عن ساعة ومعوية عن الصادق (ع) انها شوال وذو القعدة وذو الحجة . ونحوه ما رواه في الكافي والتهذيب عن زرارة عن الباقر (ع) . وفي الدر المنثور وغيره كالبيهقي والبخاري في احاديث مسنداعن رسول الله (ص) انها شوال وذو القعدة وذو الحجة كما في احاديث ابي امامة وابن عباس وابن عمر . وصريح قول الكاظم (ع) كان جعفر « يعني الصادق (ع) » يقول ذوالحجة كاه من اشهر الحج . كما رواه في التهذيب في الصحيح عن عبد الرحمن بن الحجاج وروى نحوه في تفسير البرهان اخذاً من تفسير العياشي وكذا صريح قول الصادق (ع) في شمولها لما بعد ايام التشريق في صوم الثلاثة في بدل المهدي حينئذ انا اهل بيت نقول ذلك لقوله تعالى فصيام ثلاثة ايام في الحج يقول في ذي الحجة . كما رواه في الكافي والتهذيب في الحسن كالصحيح او الصحيح عن رفاعه عنه (ع) . ويؤيده ما رواه في الوسائل والبرهان اخذاً من تفسير العياشي عن حفص بن البختري عن الصادق (ع) . وربي عن الكاظم (ع) . والمراد في الآية ان مجموع الوقت من الأشهر الثلاثة وقت للمجموع من افعال الحج أي يصح بعض الاجزاء فيها كالاحرام الذي هو جزء من أحد النسكين الحج والعمرة وان اختصت بعض الأفعال بيوم عرفة وما بعده . فلا يجوز أن يقدم احرام الحج على الأشهر المذكورة باجماع الإمامية وحديث اهل البيت وبذلك قال عطاء ومجاهد وطاووس والشافعي . وفي الدر المنثور

فَمَنْ فَرَضَ فِيهِِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ

ذكر جماعة رووا ذلك منهم الشافعي والحاكم وصححه عن ابن عباس وابن مردويه عن جابر عن رسول الله (ص) والشافعي وغيره عن جابر موقوفاً . والاحرام جزء من الحج والحج أشهر معلومات . وحكى في التذكرة عن مالك والثوري والنخعي وإبي حنيفة واسحاق وأحمد أن الاحرام ينقذ قبل الأشهر المذكورة فإذا بقي على احرامه الى أشهر الحج جاز للحج . تشبهاً منهم بقوله تعالى «يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج» ويرده أن كون الأهلة كلها مواقيت للناس والحج إنما هو باعتبار مجموع الحوادث للناس والحج فإنها إنما تكون مواقيت للحج والناس في حوادثهم وأمورهم إذا امتازت بعض الأهلة عن بعض باعتبار الوقوع او البداية او النهاية وإذا لم يمتز بعض الأهلة عن بعض في التوقيت كان الزمان كله ظرفاً ليس فيه وقت ولا ميقات فلا تكون الأهلة مواقيت . ولو تنزلنا لكان قوله تعالى الحج أشهر معلومات نصاً على التعيين كنص السنة على تعيين التاسع والعاشر من ذي الحجة على بعض أعماله . وعمرة المتمتع كالحج لا يقع شيء منها في غير الأشهر المذكورة بأجماع الإمامية وحديث أهل البيت وما رواه عن جدهم (ص) من قوله (ص) دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة كما أسنده الجمهور في جوامعهم ومسانيدهم عن خمسة من الصحابة عن رسول الله (ص) كما أشرنا اليه آنفاً . فإذا كانت داخلة فيه كانت موقته بوقته . وإن الاحرام الذي جعله للعمرة المتمتع بها الى الحج كان في ذي القعدة ولم يرد ما يجوز تقديمه على شوال . وقد اجمع المسلمون على أنه لا يجوز أن تقدم عمرة المتمتع على أشهر الحج بجميع أعمالها . لكن في التذكرة عن ثاني قولي الشافعي إذا أحرم بالعمرة في شهر رمضان وأتى بباقي أعمالها في شوال وحج من سنته كان متمتعاً . وقال أبو حنيفة ويجوز أيضاً أن يقدم من أعمالها على أشهر الحج الى ثلاثة اشواط من طوافها . ولعل أبا حنيفة يتشبث لتقديم إحرامها بما يتشبث به لتقديم إحرام الحج وقد عرفت ما فيه . ويبقى قول الشافعي هنا وتقديم الأشواط الثلاثة ونحوها ليس له ما يتشبث به (فمن فرض فيهن الحج) أي جعل إتمامه فرضاً واجباً عليه بسبب عقده للإحرام بالتلبية أو إشعار الهدي أو تقليده كما في صحيحة الكافي عن معاوية عن الصادق (ع) ويدخل في ذلك الإحرام من المواقيت في حج المتمتع لدخول العمرة في الحج (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) أي إن الحج بطبيعته

ومصاحبة تشريعه يأبى هذه الأمور . وتقدير الكلام فمن فرض فيه الحج فلا يأت في حجه برث ولا فسوق ولا جدال لأنه لا رث ولا فسوق إلى آخره فحذف جواب الشرط لدلالة هذه الجملة المذكورة عليه دلالة يكون ذكره معها من فضول الكلام . وجيء بالجملة الخبرية . وصرح باسم الحج في قوله جل شأنه «في الحج» لا يوضح أن الحج بذاته ينافر هذه الأمور . ويعرف أن عدمها ليس تكليفا محضا يختص بمن فرض الحج بل هو غرض يريد الشارع تحصيله من المكلفين حتى في مورد لا يكون فيه من غير هذه الجهة منكر يجب النهي عنه وأثم تحرم المساعدة عليه كما لو أكره المحل بحق الزوجية زوجته على وطئها في حجبها الواجب أو المستحب بإذنه أو المولى أتمه في حجبها بإذنه . أو طاوعت المحلة زوجها غير البالغ على وطئها في حجبها وما أشبه ذلك . فإنه بمفاد الآية والغرض يراد من كل مكلف عدم حصوله كمنعه أن كان لمنعه أثر وعلى ذلك جاءت صحيحة إسحاق بن عمار عن الكاظم (ع) في أن المولى المحل إذا كان عالما بأنه لا ينبغي له أن يطأ أتمه في حجبها بإذنه كان عليه الكفارة كما فتى الأصحاب على إطلاقها سواء ألبسها أو جابها بل الظاهر أنه لا يخفى عليه أن وطأها مع رضاها لا ينبغي له لأنه إغانة على الإثم . ولو قيل ولا جدال فيه لاحتمل عود الضمير إلى ذلك الحج المفروض من حيث أنه فرضه على نفسه وما يرجع إلى تكليفه الخاص به لا من حيث منافرة ذات الحج لهذه الأمور وإن كان بعضها حلالا في غيره كجماع الزوجين وقول لا والله وبلى والله في مقام الصدق . هذا وفي التبيان وغيره الرث عند أصحابنا كناية عن الجماع قلت وهو أحده روايات الجمهور عن ابن عباس عن رسول الله ورووه أيضا عن ابن عباس وابن عمر وابن الزبير موقوفا . والحجة لأصحابنا فيه إجماعهم وما في الكافي عن الصادق (ع) الرث الجماع . والفسوق الكذب والسباب . والجدال قول الرجل لا والله وبلى والله ونحوه ما روى في الفقيه عن الصادق (ع) إلا أنه لم يذكر السباب . ونحوه أيضا ما روى في التهذيب عن الكاظم (ع) إلا أنه ذكر المفاخرة بدل السباب . ولعل ذكر السباب والمفاخرة كان رعاية لبعض الوجوه باعتبار الغالب من اشتغالها على الكذب ويشهد لذلك خلوة رواية الفقيه منها وخلوة رواية الكافي من المفاخرة وخلوة رواية التهذيب من السباب وكلها في مقام البيان . وإضا أن الجماع هو المتيقن من الرث في التفسير مع شهادة قوله تعالى فيما سبق «أحل لكم ليلة الصيام الرث إلى نسائكم» ولئن ذكر له في كتب اللغة معان أخر فهي على سبيل الاحتمال . والأصل فيه البراءة (وما تفعلوا

وَمَا تَعْمَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ * (١٩٦) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ

من خير يعلمه الله) ويوفكم جزاءكم وهو العليم الذي لا يضيع أجر المحسنين (وتزودوا) من تقوى الله والأعمال الصالحة . والزاد ما يمد من الطعام لحاجة السفر كني به هنا عن الاستعداد للآخرة (فإن خبر الزاد) مما يعتني الإنسان بتزوده ويعدّه لضرورته ويراه واجبا لازما لحاجته إنما هو (التقوى) لله والعمل بأوامره ونواهيه . ولعمري ان التفريع بالفاء ليوضح الرد لما ذكر في تفسير الآية من ان قوما كانوا يرمون ازوادهم ويتسمون بالمتوكلين فقل لهم تزودوا من الطعام ولا تلقوا كلكم على الناس . ولئن ذكرت بذلك رواية عن ابن عباس وغيره كما احصاه في الدر المنثور فإن عرضها على كتاب الله في تفريع الآية بالفاء يعرفك وهانئا (واتقون) عطف تفسير على تزودوا فائدته البيان والتأكيد (يا أُولِيَ الْأَلْبَابِ) الذين يعرفون بمقوله حاجتهم إلى التزود بالأعمال الصالحة ووجوب تقوى الله وما للتقوى من فضل الغاية العظمى (١٩٦) ليس عليكم جناح) في (ان تبتغوا فضلا من ربكم) في تفسير البرهان عن تفسير البياضي عن الصادق (ع) في تفسير الآية قوله (ع) يعني الرزق فإذا أحل الرجل من أحرامه وقضى نسكه فليشتر وليع انتهى . ويكون وجه المناسبة في السياق في هذه الجملة هو الاستدراك ورفع ما يتوهم بسبب تحريم الرفث والجدال والأمر بالتقوى والحث عليها فلا بأس في ان يكتسب ما هو زائد نوعاً عما عد من المال لسفر الحج . وروى في ذلك ونحوه في الدر المنثور عدة أحاديث . وفي التبيان روى عن أبي جعفر (ع) قال لا جناح عليكم ان تبتغوا فضلا من ربكم معناه ان تطلبوا المغفرة . وفي مجمع البيان رواه جابر عن أبي جعفر (ع) . ولعل ذكر المغفرة باعتبار انها المصداق الأهم لنوع الإنسان مما يبتغي حينئذ من الله . ووجه المناسبة في السياق هو انه بعد الترغيب في التقوى وملازمة الحدود في الواجبات والمحرمات اقتضى العطف ان يرغب في الازدياد من الخير ومنه طلب المغفرة بأسبابها فجرى الترغيب بنحو الاحتجاج بشئ مقتضي وعدم المانع فإن مقتضى لا ابتغاء الفضل من الله بديهى عند العقل والعقلاء وليس في ذلك مانع ولا على المبتغي جناح . واي جناح عليه في ذلك فابتغوه واعتنوا فيه الفرص (فإذا

فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوا هُدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ
لَمِنَ الضَّالِّينَ * (١٩٧) ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ

أفضتكم من عرفات (الافاضة جعل الشيء فائضا من فيض الماء اي فاذا أفضتكم جمعكم تشبيها
لاندفاع جمعهم الكثير في رحيلهم لساعتهم بعد العصر دفعة بفيض الماء المنبعث في ابتدائه من
عرفات يقال افاض الحديث اي افاض كلامه فيه . وعرفات هو الموقف المعروف وفيه نسك
اليوم التاسع . وفي التعبير بالافاضة دلالة على ان الموقف في عرفات له مكث محدود
الوقت يجتمع فيه الناس ثم يرحلون بأجمعهم كالماء الفائض وان عرفات منشأ هذه الافاضة وفيض
الجمع . وصرفت عرفات مع العلمية والتأنيث لأنها بصيغة الجمع فحملت عليه (فاذكروا الله)
بالصلاة والتقرب اليه بطاعته في النسك والوقوف (عند المشعر الحرام) وهو المزدلفة وجمع
وسمي مشعراً لأنه محل لنحو من شعائر الله . واذا جعلت جملة « فاذكروا » لبيان الوظيفة
بمنزلة الجملة الخبرية جاز ان يراد بالذكر ما يعم المستحب . ثم اكده الله الترغيب بذكره
والاقبال عليه ببيان الاحتجاج والتذكير باستحقاقه شكراً لنعمته العظمى فقال جلت آلاؤه
(واذكروه كما هداكم) وانعم عليكم بالهدى تلك النعمة الجليلة (وإن كنتم) الواو للحال
« وإن » مخففة من الثقيلة تفيد التأكيد بمعنى وقد كنتم (من قبله) اي من قبل الهدى المدلول
عليه بقوله هداكم (لمن الضالين) ولا تجعلوا المشعر سبيل عابر من عرفات إلى منى كما كانت
قريش تقترحه بنشر بعهم وجبروتهم على سائر العرب بل قفوا فيه للنسك بحيث يكون اندفاع
جمعكم منه بعد الوقوف فيه افاضة منه كالافاضة من عرفات واذكروا الله فيه (١٩٧) ثم أفيضوا
من حيث أفاض الناس (العاملين على شريعة الحج بحقيقتها وهو ابراهيم الخليل (ع) الذي أتى
بشريعة الحج واسماعيل واسحاق ومن كان بعدهم من المتبعين لهذه الشريعة . جاء فيما أشرنا اليه
أنفاً من الكافي والنهذيب في الصحيح عن الصادق (ع) عن الباقر (ع) عن جابر في ذكره
لحج رسول الله (ص) . ثم غدا (ص) أي من منى والناس معه وكانت قريش تفيض من المزدلفة
وهي جمع « أي لا يقفون في عرفة فتكون لهم منها افاضة بل يقفون في المشعر وتكون منه
افاضتهم » ويمنعون الناس من ان يفيضوا منها « أي من المزدلفة يعني انهم لا يدعون الناس
بعد افاضتهم من عرفات ان يقفوا في المزدلفة لكي يكون لهم منها افاضة ايضاً بل لا يكون لهم

وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * (١٩٨) فَإِذَا قُضِيَتْمْ مَنَاسِكُكُمْ

إِلاَّ اسْتَطَرَّ» فأقبل رسول الله وقريش ترجوان تكون أفاضة من حيث كانوا يفيضون «أي لا يمضي إلى عرفة بل يمكث في المزدلفة وتكون منها أفاضته (ص)» فأنزل الله عليه ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله يعني إبراهيم وإسماعيل وإسحاق في أفاضتهم ومن كان بعدهم الحديث . ولا ينبغي الريب في أن مرجع الضمير في منها هو المزدلفة إذ لم يسبق في الحديث أدنى ذكر أو إشارة إلى عرفات . وفي تفسير البرهان آخذاً من تفسير العياشي ذكر خمس روايات تذكر أن المراد أفيضوا من عرفات . نعم فيها ما يؤيد حديث جابر في أن قريشا منعوا الناس من أن يفيضوا معهم من المزدلفة أي منعوه من أن يمكثوا فيها عند رجوعهم من عرفة لكي تتحقق لهم الأفاضة من المزدلفة . ولكن في تلك الروايات اختلاف فإن بعضها يذكر أن الأمور بالأفاضة من حيث أفاض الناس هم قريش وبعضها أنه رسول الله (ص) وكذا ما أحصاه في الدر المنثور في رواياتهم والكل لا يقوى على المقاومة لحديث جابر المنصهر برواية الصادق (ع) والباقر (ع) له فإن ذلك تصديق منها (ع) له . وينافيها ويردها أيضاً سياق الآية والعطف فيها بهم . ولا يجدي في ذلك ما ذكره في الكشف وغيره بالقبحاس الواهي . نعم في مجمع البيان أنه قد روى أصحابنا أن هاهنا تقديم وتأخيراً تقديره فليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس فإذا أفضتُم من عرفات فاذكروا الله . الآية . ولم أجد الرواية عاجلاً ترى سندها ولو كانت عن إمام لذكره في المجمع على عادته فالحكم ببيان رواية الصادق (ع) والباقر (ع) عن جابر المعتضدة بترتيب القرآن المتسالم عليه . وفي التبيان ذكر القول بأن الآية خطاب لجميع الحاج أن يفيضوا من حيث أفاض إبراهيم (ع) من مزدلفة وقال أنه شاذ وعال شذوذه بكلام مضطرب عمدة اضطرابه على النسخ وحاصله الاعتراض على كون المراد بالناس إبراهيم (ع) وحده وقد عرفت أن رواية جابر ترفع هذا الاعتراض وأما دعوى الإجماع على خلاف هذا القول فلعلها ناظرة إلى المروي عن ابن عباس وعائشة وعطا ومجاهد والحسن وقنادة وبعض المفسرين ولا حجة فيه وكيف كان فلا إجماع وبالنظر إلى مجمع البيان يظهر أن ناسخ التبيان خلطوا بين قولي الضحك والجأبي . وظني أن في عبارة التبيان سقطاً (واستغفروا الله أن الله غفور رحيم ١٩٨ فإذا قضيتُم مناسككم) أتيتُم بها وفرغتم

فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلَقٍ * (١٩٩) وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * (٢٠٠) أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ * (٢٠١) وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ

منها والمناسك هناك أفعال الحج لأنها ينسك بها لله (فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً) ان من عادة الناس وخصوص العرب ان لا يغيب أبواؤهم عن ذكركم بالا فتخار بهم والاطراء بحسانتهم واحسانهم أو القسم بهم ونحو ذلك . فالمعنى العام في الآية ان لا تغفلوا عن ذكر الله بعد اداء المناسك . واولى ما يحتاج عليهم في ذلك هو انهم لا يغفلون عن ذكر آبائهم اذن فكيف يغفلون عن ذكر الله بما هو اهلله وهو الا لله العظيم وله المجد والجلال وهو خالقهم وكل نعمة عليهم حتى التي من آبائهم هي منه جلت آلاؤه . بل ينبغي ان يكون ذكركم لله اشد من ذكر الآباء بنحو يناسب جلال الله ونعمائه . وجاء في التفسير في الروايات بيان بعض المصاديق العادية في ذكركم لا آبائهم . ففي صحيحة الكافي عن منصور بن حازم عن الصادق (ع) كانوا اذا اقاموا مبنى بعد النحر تفاخروا فقال الرجل منهم كان ابي كذا وكذا فقال الله واذا قضيت مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم . ونحوها ما رواه العياشي عن الباقر (ع) والصادق (ع) وجمله مما رواه في الدر المنثور . هذا وان ذكر الله حق الذكر بساوق ملازمة التقوى ولكن احوال الناس مختلفة يكونون فيها على اصناف ذكر في الآيات بعضها (فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا) وقد اعرض عن الآخرة ونسبها (وماله في الآخرة من خلاق) أي من نصيب لأنه أعرض عنها ولم يعمل لها ولم يسأل شيئاً من خيرها (١٩٩) ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا) نعمة (حسنة وفي الآخرة) نعمة (حسنة وقنا عذاب النار) وفي الكافي في صحيحة جميل عن الصادق (ع) رضوان الله والجنة في الآخرة والمعاش وحسن الخلق في الدنيا (٢٠٠) أولئك لهم نصيب مما كسبوا (« من » في « مما » بيانية فإن ما سأله لا ينال بمحض الدعاء (والله سريع الحساب) لعباده من الصنفين المذكورين (٢٠١) واذكروا الله في أيام معدودات) وهي أيام التشريق كما في صحيحتي الكافي عن محمد بن مسلم ومنصور بن حازم وصحيحة التهذيب عن حماد بن عيسى عن الصادق (ع)

فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنِ اتَّقَىٰ

كصحيحتي الوسائل عن قرب الاسناد عن حماد عنه (ع) ونحوها روايات العياشي ورواية الدر المنثور عن ابن عباس وابن عمر وابن الزبير . وذكر الله هو التكبير كما في صحيحتي محمد ومنصور المشار إليهما . وصورته المتفق عليها بين المسلمين كما ذكره في التبيان . الله اكبر . الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر الله اكبر والله الحمد . وزاد اصحابنا تبعاً للروايات عن ائمتهم اهل البيت وجمعاً بينها . الله اكبر على ما هدانا والحمد لله على ما اولانا ورزقنا من بهيمة الانعام . وهو مستحب على المشهور لصحيفة علي بن جعفر عن اخيه الكاظم قال سأله عن التكبير في ايام التشريق اواجب اولاً قال (ع) مستحب وان نسي فلا شيء عليه فالامر في الآية للاستحباب . ووقته بعد كل فريضة من صلاة الظهر يوم النحر الى صلاة الصبح من اليوم الثالث عشر . فيكون خمسة عشر تكبيراً ولم ينفر بالنفر الاول بعد الزوال فيكون عشر حرّات . واختلف كلام الفقهاء من الجمهور في عدده ولكن مالكا والشافعي في احد اقواله واقفا اصحابنا (فمن تعجل في) ضمن (يومين) من تعجل الدين اي تعجل مقامه بمنى في ضمن يومين بشعجل غايته فنفر النفر الاول . ولو كان بمعنى احتعجل وعجل او للمطوعة كما في الكشف لدلت الآية على جواز النفر في اليوم الاول منها ايضا وهو باطل باجماع المسلمين . ولاجل جعل التعجل في ضمن يومين اشترط اصحابنا وفقهاء اهل السنة الا ابا حنيفة واصحابه كونه قبل الغروب من اليوم الثاني فلو امسى حرم عليه النفر الاول (فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه) لهذه الجملة ظاهر لا حاجة الى بيانه لان في رواية الكافي عن اسماعيل بن نجيع رد عليه ولأن الاحاديث عن الفريقين جاءت على خلافه وهو ان المراد غفرت ذنوبه . منها صحيفة الحلبي في قوله تعالى الحج أشهر معلومات وصحيفة عبد الأعلى ورواية ابن عيينة ورواية ابن نجيع ورواية العياشي عن معاوية ابن عمار وعن ابي بصير عن الصادق (ع) ورواه في الدر المنثور عن علي امير المؤمنين (ع) وابن مسعود وابن عمر وابن عباس في احدهم الروايتين فيكون حاصل المراد من الآية الكريمة فمن أتم حجه بالتعجل او التأخر غفرت ذنوبه فإنه لا أثر لخصوص عنواني التعجل والتأخر في غفران الذنوب . ومن هذا الوجه وكون التعجل اتما للحج يعرف جوازه وانه (لمن اتقى) النساء والصيد كما هو المشهور بين الامامية باعتبار الاختصاص بالأمرين المذكورين والمجتمع عليه

وَأَنذَرُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * (٢٠٢) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْجِبُكَ
قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * (٢٠٣)
وَإِذَا تَوَلَّى

باعتبار الدخول في كل ما يحرم على المحرم كما عن ابن سعيد أو ما يوجب عليه الكفارة كما عن
ابن ادريس وأبي المجد كما ورد في خصوص النساء والصهد صحيحة حماد بن عثمان وروايته
الأخرى كما في التمهيد وصحيحة جميل ومعبرة ابن المستنير عن الصادق (ع) وبه جاءت
أحدى روايات الدر المنثور عن ابن عباس والمراد اتقاء المحرم وما يحرم عليه في حجة مما يكون
بين النساء والرجال سواء كان رجلاً أو امرأة . وهناك روايات أخرى من الفريقين لم يأخذ
بمضمونها الإمامية وعلى ذلك إجماعهم مضافاً إلى أن قوله تعالى « ذلك لمن اتقى » لا يستقيم
تفسيره بالتقوى المطلقة بهومها لأن حصولها إلى حين النفر لا يتفق إلا للمعصوم فلا يبقى
موقفاً للامتنان بغفران الذنوب إذا كان ذلك قديماً له وكذا لا يبقى مورد للتخفيف على سائر
الناس كما يعرف من روايات الفريقين بأجمعهما إذا كان قديماً لجواز النفر كما لا يستقيم تفسيره
بإطلاق حصول التقوى ومصادقها في الماضي إذ لا فائدة على ذلك في هذا القيد فإن كل من
له حج قد حصل منه مصداق للتقوى فلا بد من أن يراد بذلك تقوى خاصة وهو ما يثبت الروايات
المتقدمة وبالنظر إلى هذا الذي ذكرناه يسقط كثير من الأحاديث واتقوا الله واعلموا أنكم إليه
تُحْشَرُونَ (مقتضى سوق الآية هو أنه لا تتكلموا على غفران ما مضى من ذنوبكم بسبب
الحج بل اتقوا الله فيما بقي من أعماركم وتحققوا وليكن على علمكم وذكركم دائماً أنكم إلى الله
لا محالة تُحْشَرُونَ فيحاسبكم على أعمالكم ويجازيكم فاستعدوا لذلك بالتقوى وتزودوا منها فإنها
خير الزاد (٢٠٢) ومن الناس من يعجبك قوله (وتستحسنه) (في الحياة الدنيا) متعلق بـ يعجبك
أي يظهر الإيمان والصفاء وحسن الصحبة ويقول أن ذلك في قلبي (ويشهد الله على ما في قلبه)
بضم الميم من أشهد أي يقول أشهد الله على ذلك ولازمه دعوى أن الله عالم بذلك (و)
الحال (هو) خصم لك وللإيمان و (الد الخصام) في ذلك . والدد هو الشدة في الخصومة
والألد صفة مشبهة نحو أعمى العين وأعورها أي شديد الخصومة . يقال خصم الد وخصوم لد
كقوله تعالى في سورة مريم ولتندر قوماً لداً (٢٠٣) وإذا تولى (من الولاية بأن تصير له ولاية

١٨٤ البقرة: ٢٠٣ ليفسد فيها ٢٠٤ العزة بالإثم ٢٠٥ يشري نفسه ابتغاء مرضات الله أمير المؤمنين علي (ع)

سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ
(٢٠٤) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ
(٢٠٥) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ

وتسلط (سعى في الأرض) السعي الاسراع في المشي قيل والعمل ومنه قوله تعالى في سورة النجم ان ليس للانسان إلا ما سعى . وفي سورة الدهر وكان سعيكم مشكوراً . وظني ان ذلك من المعنى الأول وكني به عن العمل (ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل) المراد بالحرث هنا الزرع لأنه تحوّر له الأرض . والنسل ما يتولد بالناسل . والناس نسل آدم وعن تفسير العياشي عن الحسين بن بشار عن الرضا (ع) قوله النسل هم الذرية والحرث الزرع وعن زرارة عن الصادق والباقر النسل الولد والحرث الأرض وهذا يرجع إلى تفسيره بالزرع وفي مجمع البيان وروي عن الصادق ان الحرث في هذا الموضع الدين والنسل الناس . واظن انه اخذه من تفسير القمي ففيه قال الحرث في هذا الموضع الدين . وهذا الكلام لا دلالة فيه على انه رواية عن الصادق (ع) (والله لا يحب الفساد) ولا يعين عليه ولكن يهمل ذلك الساعي ويملي له (٢٠٤) وإذا قيل له اي لذلك المفسد (اتق الله) ولا تفسد (أخذته العزة) التي يراها لنفسه (بالإثم) واجتماع اتباعه معه على الضلال اي استولى عليه اعتزازه بالإثم اي بالتعاضد الباطل على الباطل والآثام فيأنف من قول القائل له اتق الله وفي التبيان أخذته العزة من اجل الإثم الذي في قلبه من الكفر . وقبل أخذته العزة أي دعت العزة إلى الإثم كما تقول أخذت فلانا بأن يفعل أي دعوته إلى ان يفعل ونحوه قال في الكشف (فحسبه جهنم) اي فليكن محسوبه في عاقبة جهنم (ولبئس المهاد) الذي مهده لنفسه بسوء اعماله هي (٢٠٥) ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله) في التبيان شري باع . وفي الكشف يبيعها أي يبيدها في الجهاد أقول ويمكن ان يراد به معنى الاشتراء المتعارف على نحو ما ذكرناه في الآهة الرابعة والثانين أي يشتري نفسه بالأعمال الصالحة ابتغاء لمرضات الله عليها وهي سعادتها التي يشتريها . وفي التبيان وروي عن ابي جعفر يعني الباقر (ع) انه قال نزلت في علي (ع) حين بات على فراش رسول الله (ص) لما ارادت قريش قتله (ص) . ورواه في البرهان وغاية المرام في تفسير العياشي باسناده عن ابن عباس وعن جابر عن الباقر (ع) ورواه الشيخ الطوسي

في اماليه بأسانيد من رجال اهل السنة وغيرهم عن زين العابدين وابن عباس وانس وابي عمرو بن العلاء وعن ابي اليقظان عمار عن رسول الله (ص) وفي مجالسه عن ابي ذر ان امير المؤمنين احتج في الشورى بأن الآية نزلت في شأنه . وفي غاية المرام رواه ابن بابويه وابن شاذان والكليني والطوسي وابن عمده والبرقي وابن فياض والعبدي والصفواني والثقي بأسانيدهم عن ابن عباس وابي رافع وهند بن ابي هاله . ورواه من اهل السنة الحافظ ابو نعيم عن ابن عباس . والثعلبي في الجزء الأول من تفسيره . ورواه ايضاً في تفسيره وابن عتبة في ملحمة وابو السعادات في فضائل العشرة بأسانيدهم عن ابي اليقظان عمار . ورواه الغزالي في باب الاثار من الاحياء بالنحو المفصل في مباهاة الله لجبرائيل وميكائيل بلي ونزول الآية في شأنه وكذا اورده الرازي والنيسابوري والشيرازي في تفاسيرهم وعن ابن الاثير في الانصاف في جمعه بين الكشاف والكشاف ورواه في الفصول المهمة عن الاحياء ورواه الثعلبي ايضاً بأسانيدهم عن السدي . وروى الحاكم في مستدركه والذهبي في تلخيص المستدرك واخطب خوارزم موفق في مناقبه والحموي في فرائده وفضائل الصحابة بأسانيدهم عن زين العابدين (ع) قال اول من شري نفسه ابتغاء مرضاة الله علي بن ابي طالب عند مميته علي فراش رسول الله (ص) وروى احمد في مسنده بطريق صحيح والحاكم في مستدركه وصححه علي شرط البخاري ومسلم وذكروا روايته عن ابي داود والطيالسي وغيره ورواه النسائي في خصائصه صحيحاً واخطب خوارزم في مناقبه والذهبي في تلخيصه وصححه والحموي في كفاية الطالب والسمط الاول من فرائده عن ابن عباس في حديث وشري علي نفسه ولبس ثوب النبي (ص) ونام مكانه وقد كان رسول الله (ص) البسه برده وكانت قريش ترهب ان تقتل النبي (ص) الحديث . هذا وفي الكشاف لم يذكر هذه الرواية وفسر يشري نفسه بقوله يبيعها ويذلها في الجهاد ثم ذكر الرواية في صهيب وانه اشترى نفسه واقتداها من مشركي قريش بما له . وهذا لا يناسب تفسيره يبيعها ويذلها وإنما يناسب ذلك ما روي في شأن امير المؤمنين (ع) في بذل نفسه وممته علي فراش الرسول ليفديه بها . والعجب من السيوطي فإنه مع طول باعه في الحديث واستقصائه في الدر المنثور للأحاديث المتعلقة بالتفسير حتى الشواذ والمناكير ومع ذلك لم يذكر ما استفاض من طرقهم في نزول هذه الآية في شأن امير المؤمنين وممته علي الفراش وروى نزولها في شأن صهيب او مع ابي ذر او مع غيرها . وان ما يرويه صهيب من قول النبي (ص) له ربح

وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ * (٢٠٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً

البيع لا يناسب بذل ماله ولا تناسب الآية افلات ابي ذر من أهله . فإن قيل ان الآية مدنية فكيف يكون نزولها في مبيت علي (ع) على الفراش في مكة قلت ان حادثة المبيت كانت حين خرج رسول الله (ص) من مكة مهاجراً فنزلت الآية بعد ذلك في تمجيد علي (ع) . وايضا لم يكن بين ما يروونه من شأن صهيب مع قريش وبذل ماله وبين مبيت علي (ع) على الفراش إلا يوم ونحوه فكيف ناسبت الآية المدنية شأن صهيب ولم تناسب شأن امير المؤمنين في مبيته على الفراش (والله رؤوف بالعباد) وهذه التهمة وامتنانها انما تناسب شأن امير المؤمنين (ع) وراقة الله به في حفظه بجبرائيل وميكائيل من قتل قرش كما فيما اشرنا اليه من روايات ابي نعيم والثعلبي وابن عتبة وابي السعادات والغزالي والرازي وغيرهم (٢٠٦) يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) فيما حضرنا من كتب اللغة السلم بكسر السين وسكون اللام الصلح والمراد منه الملائمة وعدم الحرب لا عقد المصالحة الذي يؤثر السلم . وتوثت حملا على تقيضها الحرب كقوله تعالى في سورة الأنفال وان جنحوا للسلم فاجنح لها . وقال العباس بن مرداس

السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع

ومن الغريب ما رواه في الدر المنثور من ان المراد بالسلم شرائع الاسلام وما ذكره من سبب النزول . وان المخاطبين هم اهل الكتاب . أو ان المراد بالسلم الاسلام . كما اغرب من نقل عنه في الكشف ان المخاطبين هم المناقون كما اغربوا بتفسير السلم بالطاعة كيف والآية والتي بعدها يناديان بأنهم نوع المؤمنين بالله ورسوله محمد (ص) وقد كانوا حين الخطاب بالآية ومدة حياة الرسول مستوسقين بأجمعهم للسلم فيما بينهم اذن فماذا الذي أمروا بأن يدخلوا فيه ما هو الا عنوان يضمن لهم دوام السلم بعد الرسول (ص) ويحكم انتظامه ولم نجد لهذا العنوان بيانا وتفسيرا معقولا إلا ما ورد عن اهل البيت (ع) في الكافي بسنده عن عبد الله بن عجلان عن الباقر (ع) في تفسير السلم في الآية قال (ع) في ولايتنا . وكذا رواية سعد بن عبد الله القمي بسنده عن الفضل عنه (ع) ورواية ابن شهر اشوب عنه (ع) ورواية العياشي عن الكلبي عن الصادق عنه (ع) . وفي امالي الشيخ بسنده عن محمد بن ابراهيم عن الصادق (ع) قال في ولاية علي بن ابي طالب وكذا رواية ابن شهر اشوب عن زين العابدين عليه السلام

وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * (٢٠٧) فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ
بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * (٢٠٨) هَلْ يَنْظُرُونَ
إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ

والصادق (ع) ورواية العياشي عن ابي نصير عن الصادق (ع) . وفي معناها روايات
أخر عن العياشي عن زرارة وحران ومحمد بن مسلم عن الباقر (ع) والصادق (ع) . وروايته
عن جابر عن الباقر (ع) وروايته عن مسعدة عن الصادق عن ابيه عن جده عليهم السلام .
ولعمر الحق ان ولاية علي (ع) والائمة من آل الرسول لمي اشرف انواع السلم واعظمها بركة .
بها يستوسق السلم العام بين المسلمين بعد الرسول (ص) وبها يستحكم نظامه وبقر قراره ولو
تمسك كافة المسلمين بها لما حدثت الحروب الطاحنة كحروب البصرة وصفين والنهروان وكر بلا
والحرة وغيرها . ولما ذهب خيار المسلمين اضاحي لقساوة زياد وابنه والحجاج واشباههم فإنا
لله وانا اليه راجعون . و « كافة » بمعنى جميعا حال من ضمير الجماعة في ادخلوا ولا محصل
لكونه حالا من السلم خصوصا مع ما ذكرناه من حال المسلمين في عهد رسول الله (ولا تتبعوا
خطوات الشيطان) الخطوات جمع خطوة أي لا تتبعوا اثره وتخطوا على خطاه في الضلال
ولا تنقادوا على أثره بغوايته (انه لكم عدو مبين) لعداوته . وهل تخفى عداوته . وهانتم بأقل
التفات تعلمون انه يغربكم بكل قبيح وبوقعكم بغوايته في كل شر ومكروه (٢٠٧ فإن زلتم
من بعد ما جاء تكلم البينات) ومنها قوله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهركم تطهيراً . وتأكد بيانه بتواتر الأحاديث من الفريقين في ان المراد من اهل البيت
هم علي والزهراء وذريتهما صلوات الله عليهم . وقوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة
في القربى . وغير ذلك من الآيات الماثورة تفسيرها في فضل علي (ع) وزعامته وولائه كما
مضى ويأتي ان شاء الله وما تواتر لفظا او معنى من احاديث الفريقين في فضل علي (ع) وولايته
وامرته على المؤمنين . (فاعلموا ان الله عزير حكيم) في انفاذ امره واظهار الحق بلا الجاء (٢٠٨)
هل ينظرون) أي نوع الناس ان كان المقصود من الآية أحوال القيامة وأهوالها . وان كان
المقصود أهوال أواخر الزمان فالمراد بعض الناس واهل ذلك الحين (إلا أن يأتيهم الله في
ظلل من الغمام) نسبة الاتيان إلى الله مجاز أي يأتيهم آنا وقدرته وعظمته وسلطانه القاهر كما

وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * (٢٠٩) سَلْ بَنِي إِسْرَٰئِيلَ
كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ * (٢١٠) زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ
آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

يقال لمن جاءه جيش الملك بسطوة سلطانه جاءك الملك . وظلل جمع ظلة وهو ما اظلك . والغمام
معروف . وظلل الغمام يحتمل ان تكون مجازا في الشدائد التي ندهمهم وظلمات الأحوال كما
يظلم الجو بالغمام (والملائكة) فاعل بالمطف ليأتي واسناد الايتين البهم لا مانع من حقيقته .
وفي روايات الدر المنثور في الآية ما يعسر تأويله ويستحيل موثقه لأنه تجسيم وفيه نسبة
التحيين في المكان إلى الله جل شأنه (وقضي الأمر) فإنه لا راد لقضاء الله (وإلى الله ترجع
الأمر) وهو وليها يرجع إليه سلطان إلهيته القاهر ووجوبه وامكان ما سواه وحاجته في جميع
أحواله إليه جل سلطانه (٢٠٩ سل) يا رسول (بني اسرائيل) على وجه التقرير والتوبيخ على
ترددهم وكفران النعم (كم آتيناهم) أي أظهرنا لهم (من آية بينة) واضحة تهديهم إلى الحق
وتوضح لهم سبل الرشاد في التوحيد ووحى التوراة من الله ونبوة رسول الله ووحى قرآنه وحظوا
من تلك الآيات وبيّنات دلائلها وإرشادها بالنعمة العظمى ولكن بدلوها وكم قابلوها بالارتداد
والجحود والعناد وكفران النعمة (ومن يبديل نعمة الله من بعد ما جاءته) كمجيء تلك الآيات
البيّنات فبشره بالعقاب الشديد (فإن الله شديد العقاب ٢١٠ زين للذين كفروا الحياة الدنيا)
زينها الشيطان وأهواء النفس الأمارة كما في قوله في سورة الأنفال والنحل والنمل والعنكبوت .
وقيل ان الله زينها لهم بأن خلق فيها الأشياء المرغوبة المعجبة . وليس بشيء لأن خلق هذه
الأشياء إنما هو للناس عامة لا لخصوص الذين كفروا . وفي الكشف يجوز ان يكون الله زينها
لهم بأن خذلهم حتى استحسنوها أو لأنه أمهلهم قلت وعلى ذلك جاء قوله تعالى في سورة
الانعام « وكذلك زيننا لكل أمة عملهم » وفي سورة النمل « زيننا لهم أعمالهم » ولكن هذا
مجاز لا يصار إليه إلا بحسب اقتضاء الدليل (ويسخرون) أي الذين كفروا (بالذين آمنوا)
أما لأجل فقرهم أو لأجل إيمانهم بالآخرة ورجائها أو لأجل أقدامهم على تحمل الشدائد بسبب
الإيمان (والذين اتقوا فوقهم) فوق الكافرين الساخرين (يوم القيامة) في نعيم الجنان ورفعة

وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * (٢١١) كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ

الرضوان . وهل المراد بالذين اتقوا هم الذين آمنوا او الاشارة إلى أن ما كل الذين آمنوا يبالون الدرجات الرفيعة يوم القيامة كما ورد في الحديث المستفيض المروي في صحاح اهل السنة وغيرها عن رسول الله (ص) انه يؤخذ ببعض أصحابه يوم القيامة ذات اليمين وذات الشمال فيقول أصحابي أصحابي فيقال له إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك . الله هو العالم بالمراد (والله يرزق) بالكرامة ورفعة الدرجات (من يشاء) من عباده بحسب الأهلية واستحقاق الكرامة (بغير حساب) ولا حد محدود والله ذو الفضل العظيم (٢١١) كان الناس امة واحدة) لا تفرق بينهم فيما يرجع إلى نحلة او شريعة . وفي التبيان روى عن ابي جعفر « الباقر (ع) » انه قال كانوا قبل نوح امة واحدة على فطرة الله لا مهتدين ولا ضلال فبعث الله النبيين انتهى والمراد لامهتدين كل الاهتداء في المعارف لأن الفطرة إنما تهدي إلى أصل الإلهية والتوحيد وشي من صفاته جل شأنه . ولا توصل إلى المعاد الجسماني بالخصوصيات التي جاء بها القرآن الكريم ولا إلى الشريعة . ولا ضلالا بكل الضلال . إذن فهم ضلال في مطلق القول لاضلالهم عن كثير مما تراد منهم معرفته والاهتداء اليه . وفي رواية العياشي عن مسعدة عن الصادق (ع) قلت افضل لا كانوا قبل النبيين أم على هدى قال (ع) لم يكونوا على هدى بل على فطرة الله التي فطرهم عليها . وهذا كله ينطبق على ما اسنده الكافي عن يعقوب بن شعيب عن الصادق (ع) في الآية قال كان قبل نوح امة ضلال فبعث الله النبيين . وكذا في رواية العياشي عن يعقوب عنه (ع) وفي روايته عن محمد بن مسلم عن الباقر (ع) كان هذا قبل نوح كانوا ضلالا . وروايته عن زرارة وحران ومحمد بن مسلم عن الباقر (ع) والصادق (ع) كانوا ضلالا . ولم يرو عن أهل البيت انهم كانوا كفاراً . نعم اضطربت الروايات كما في الدر المنثور عن ابن عباس ففي بعضها قوله على الا سلام كلهم وقريب منه ما رواه عن ابي بن كعب وفي بعضها من طريق العمري قال كانوا كفاراً (فبعث الله النبيين مبشرين) برضوان الله وجزائه ونعيم الآخرة لمن آمن بالله واتقاه وعمل صالحا (ومنذرين) لمن خالف كل ذلك او بعضه بغضب الله ونكاله ويوم القيامة وعذابه الأليم المهين (وانزل معهم الكتاب) أي نوع الكتاب الإلهي الذي

بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ
 مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ
 مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * (٢١٢) أم

يجيء به الرسل من الأنبياء من عند الله فيحتمل ان يراد بالنبيين خصوص الرسل الذين
 ينزل عليهم كتاب ويحتمل ان يراد بهم مطلق الأنبياء وعبر بانزال الكتاب معهم باعتبار انزاله
 على الرسل منهم فكان منزلا مع نوبة بعثتهم عليهم السلام انزاله الله (بالحق) أي ليبين الحق
 ويوضح للناس نهج الهدى في دينهم وشرائعهم . ومن غايات ذلك وفوائده ان يكون مرجعا
 وحكما فاصلا في الاختلاف وباعتبار هذه الغاية الشريفة قال جلت آلاؤه (ليحكم) ببيانه (بين
 الناس) أي مطلق الناس لا خصوص أولئك المذكورون ولو كانوا هم المراد لقليل ليحكم بينهم (فيما
 اختلفوا فيه) ودعاهم إلى الاختلاف فيه جهلهم واهوائهم (وما اختلف فيه) أي في الكتاب (إلا الذين
 اوتوه) واختلفوا فيه (من بعد ما جاءتهم البينات) من محكماته المتضدة بدلالة العقل وفي هذه
 الجملة دفع لما يتوهم من ان الكتاب كيف يحكم بين الناس مع ان كل فرقة من الأمة الواحدة
 في خصامها الديني والمذهبي مع الفرقة الأخرى تحتج بالكتاب الجامع بين الأمة وتدعي
 دلالة على ما تقول به فقال الله تعالى ما معناه ان الكتاب المنزل للأمة بحسب الحكمة بلسان
 البشر ولسان تلك الأمة ومحاورها وان كان فيه صريح محكم وظاهر بالوضع ومجاز ظاهر
 المعنى بالقرائن اللفظية او العقلية البديهية لكن صريحه ومحكمه وبيانه لا تبقي مجالا للتوهم .
 بل هي واقفة بالمرصاد لتلاعب الأهواء بظواهره ومجازاته فلم يختلفوا خلفاء دلالة واشكالها
 بل وقع الاختلاف (بغيا) حاصلا (بينهم) وانحرافا من بعضهم عن الحق وزيفا إلى البغي ليموه
 الباغون أمرهم بالتشبث بالمتشابهات (فهدى الله الذين آمنوا) بحقيقة الإيمان وأوصلهم بتوفيقه
 (لما اختلفوا فيه من الحق باذنه) وتأهده باللفظ لأنهم اهل لذلك بإيمانهم وتدبرهم في الكتاب
 (والله يهدي) ويوصل إلى الحق (من يشاء) بمن هو اهل للطفه وتوفيقه جلت نعمائه (إلى
 صراط مستقيم) ويجوز ان تحمل الآية على الاختلاف في نفس الكتاب وكونه منزلا من الله
 ويكون المراد من البينات هي المعجزات والدلائل على صدق الرسول ونزول الكتاب من الله
 (٢١٢ أم حسبتم) أيها المسلمون (أن تدخلوا الجنة) وتناولوا درجاتها الرفيعة جزاء ومكافاة

حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْزِئِينَ
الْبَاسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ
اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ * (٢١٣) يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ
مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّهِ الدِّينُ وَالْآقَرِبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا

للأعمال الصالحة بدون اخلاص ثابت وصبر وثبات على نصر الدين وشدائده وبدون تمحيص
للصادق من الكاذب « يمينون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمين عليكم ان
هداكم بلطفه للإيمان ان كنتم صادقين » الحجرات ١٧ « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله
المجاهدين منكم ويعلم الصابرين » ١٣٦ أي ولما يجاهد المجاهدون منكم ويصبر الصابرون فيكون
الله قد علم بعلمه التابع في الأزل انهم سيجاهدون ويصبرون باختيارهم رغبة فيما عند الله ونصرة
لدين الحق (ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم) من انصار الحق من الأمم والمثل
بمعنى مثل بكسر الميم اي تمتحنون وتبتلون وتصبرون كما امنحنوا وصبروا والذي أتاكم وصبروا
عليه هو ان (مستهزئ الباساء) من البؤس ضد النعماء (والضراء) من الضر ضد السراء اصابهم
ذلك ومسهم بألمه لا مجرد عروض ذلك (وزلزلوا) يهيجان الابتلاء والمحن واضطراب الاحوال
ولكن الصابرين منهم ثبتوا على شدتهم في أمر الدين ولم يهنوا بل دام بهم ذلك الحال وهم على
صبرهم وثباتهم (حتى) يفرع الرسول والمؤمنون إلى نصر الله ويستنزلون نصره ورحمته
و (يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) دعاء واستنصارا لرغبتهم في ظهور دين
الحق . فكفونا مثلهم واصبروا واثبتوا أيها المسلمون ولكم البشرى بالنصر (الا ان نصر الله قريب
٢١٣ يسألونك ماذا ينفقون قل) في جوابهم ما يعرفهم ما ينفقونه وهو ما كان خيراً نافعاً يراد
به الاحسان ووجه الله . وما يبين مواضعه لئلا يكون انفاقهم تضييعاً للأموال ومستلزاماً للمفاسد
(ما انفقتم من خير فللوالدين) الناحيتين من الوالدين الأب والجد والأم والجددة (والاقربين)
للمنفق وقدموا على مطلق الأقارب بمن في اعطائهم صلة الرحم بياناً لأهميتهم وتقديمهم عند
مساواتهم للغير في سائر الميزات ودوران الأمر (واليتامى) اليتيم هو الصغير الذي لا أب له
(والمساكين) الفقراء (وابن السبيل) وهو المحتاج في سفره وان كان له مال لا يصل اليه
(وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم) وان اسررتم به فإنه لا تخفى عليه خافية ولا يضيع

مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ * (٢١٤) كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * (٢١٥) يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

أجر المحسنين (٢١٤ كتب) وفرض (عليكم القتال) فرض كفاية لتناولوا فضيلة الجهاد ونصر الدين ومحظى بكم بكم بكم الشهادة وحياتها الحسنى (و) الحال (هو كره لكم) الكره بالضم مصدر بمعنى المكروه كراهة طباع وإن رغب فيه المخلصون في نصر الإسلام (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) وأحسن أثراً وعاقبة في الدنيا أو في الآخرة أو في كليهما (وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم) ما هو خير لكم وما هو شر (وأنتم لا تعلمون) بذلك فيختار لكم بلطفه وتوفيقه ما هو خير (٢١٥ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه) ذكر النبي في تفسيره في سبب نزولها ما حاصله أن سرية لرسول الله يرأسها عبد الله بن جحش وافوا ببطن نخلة عبراً لقريش فقتلوا عبد الله بن الحضرمي وغنموها واسروا أسيرين وكان ذلك في أول يوم من رجب من الأشهر الحرم . وذكر في الدر المنثور رواية عن جندب بن عبد الله وفيها أن أصحاب رسول الله (ص) شكوا أن ذلك اليوم من رجب أو من جمادى . وفيما ذكره عن ابن عباس أنهم كانوا يظنون أن تلك الليلة من جمادى وكانت أول رجب ولم يشعروا . ونحوه ما رواه عن أبي مالك الغفاري . وعن الزهري وأبي مقسم . واضطرب ما ذكر روايته عن عروة في ذلك وتدافع . وفي الكافي في الصحيح عن عمر بن يزيد عن الصادق (ع) في أن اليوم يتبع الليلة الماضية لا الآتية قال (ع) لأن أهل بطن نخلة حيث رأوا الهلال قالوا قد دخل الشهر الحرام انتهى والرواية تشير إلى القصة . والمعنى يسألك المشركون على سبيل الإنكار أو المسلمون على سبيل الاستفهام عن الشهر الحرام قتال فيه . قتال بدل اشتال من الشهر الحرام (قل) ما معناه أن ترك القتال في الشهر الحرام إنما هو وسيلة لنوع من احترام الناس وتسكين للشرب وأما إذا كان الناس هم الها تكون للحرمات فأولئك لا حرمة لهم ولا كرامة فكيف يستنكر قتال المشركين في الشهر الحرام وهم الطواغيت المحادون لله ورسوله والمؤمنين دائماً وفي الشهر الحرام ولهم (قتال فيه كبير وصد) للناس (عن سبيل الله) ولا يزالون على هذا

وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُهَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *

الصد منذ ظهرت دعوة الإسلام والتوحيد محادة لله (وكفر به و) صد عن (المسجد الحرام) فلا يخلون سبيل المسلمين اليه (وإخراج اهله منه) وهم رسول الله ومن آمن به من اهل مكة بذلك الإخراج المزعج عداوة لله وتوحيده ورسوله ودعوته إلى الصلاح (اكبر عند الله) بما تحسبونه كبيراً من قتال المشركين في الشهر الحرام . بل انهم لا يزالون يريدون أن يفتنوا المؤمنين عن التوحيد ودين الحق بالمخادعة أو ما تيسر لهم من انواع الايذاء (والفتنة) عن الدين (اكبر من القتل) مع ان غزومهم وقتالهم إنما كانا لاجل تهديدهم وإرهابهم وردعهم عن اذى المؤمنين فإنهم لا يزالون مصرين على عداوة دين الحق (ولا يزالون) في ضلالهم وغيبهم (بهاتلونكم) هذا النفات إلى خطاب المسلمين وفيه مناسبة لأن يكونوا هم السائلين عن قتال المشركين في الشهر الحرام (حتى يردوكم عن دينكم) وهذا غرضهم من قتالهم لكم (ان استطاعوا) ان يدوموا على قتالكم وفيه بشرى بانهم لا يستطيعون ولا يدومون (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك) جمع باعتبار معنى « من » (حبطت اعمالهم) وسقطت كأنها لم تكن فلا اثر لها ولا كرامة ولا استحقاق مع الكفر والارتداد (في الدنيا) باعتبار افتخارهم باعمالهم في الإسلام او ترتيب آثارها (والآخرة) فإن المرتد الذي يموت على الكفر قد اسقط نفسه بكفره عن اهليته للجزاء وان عمل العمل في حينه على وجهه (وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) في التبيان والمبسوط روى اصحابنا انه « اي قتال المشركين في الاشهر الحرم » باق على التحريم فيمن يرى لهذه الاشهر حرمة وافتي بذلك في النهاية ولم يحضرنى كتاب الجهاد من خلافه والرواية هي مضمرة تهذيبه وتفسير العياشي عن العلاء بن فضيل وفي طريقها محمد بن سنان . وفي المنتهى انه قول اصحابنا وفي الجواهر لا خلاف فيه عندنا وجعل المضمرة مجبورة بذلك . ولا يمارضه قتال الرسول (ع) عام الفتح لهوازن في شوال والطائف في ذي القعدة لأن الذين قاتلهم من هتكوا حرمة الشهر وبدأوا بالقتال بل بدل عليه قوله تعالى في سورة براءة فاذا نسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا

(٢١٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ* (٢١٧) يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ

المشركين والتعليق على ذلك ليس من حيث مهلة العهد فانها خاصة وهذه الآية عامة وتلك اربعة اشهر وهذه نحو خمسين يوما (٢١٦ ان الذين آمنوا) حق الايمان ويحتمل ان يراد بهم المؤمنون الذين لم يستطيعوا الهجرة حينئذ وبالمعطوف المهاجرون المجاهدون ويحتمل ان يراد المهاجرون وكرر لفظ الذين للناية بهجرتهم وجهادهم (والذين هاجروا) من بلادهم لأجل الاسلام ونصرته . والهجرة مأخوذ من الهجر واخنصت شرعا بمن هجر بلاد الشرك في سبيل الاسلام واتباع الرسول (ص) قبل الفتح (وجاهدوا) بذلك جهدهم وطاقتهم واختص ذلك بالحرب الشرعية (في سبيل الله أو لك يرجون رحمة الله) جملة أو لك خبر للذين وكفى برجائهم لرحمة الله معرفة بالله وازدياداً للخير من فضله ورحمته (والله غفور رحيم) فكأنه قيل ان الله يرحمهم لأنه رحيم فكيف بمن يرجو رحمته بنيته وعمله بل ويغفر لهم ما سلف ويقبل توبتهم (٢١٧ يسألونك عن الخمر) في التبيان قال جمهور أهل المدينة كل ما اسكر كثيره فهو خمر انتهى واشتقاقها اما من الاختار وهو لازم لنوع المسكرات المائنة واما من مخاصمتها للعقل . واستفاض من رواياتنا عن رسول الله (ص) والأئمة من اهل البيت انها اسم لكل مسكر كما في صحيح ابن الحجاج عن الصادق (ع) ورواية القمي في تفسيره عن الباقر (ع) والمرسل من طريق والمسند المعتبر عن عامر بن السخط عن زهن العابدين (ع) ورواية الهاشمي عن الصادق (ع) عن رسول الله (ص) ورواية الامالي للطوسي يستدعيه النعمان بن بشير عن رسول الله (ص) كما احصاه في الوسائل في الباب الأول من الأشربة وفي الباب الخامس عشر ايضا عن الباقر (ع) قال قال رسول الله كل مسكر حرام وكل مسكر خمر واستفاضت الرواية عن الصادق والكاظم والرضا عليهم السلام في ان الفقاع خمر (والميسر) هو القمار واخطأ في المصباح في قوله الميسر قمار العرب بالأزلام ولم يلتفت إلى قوله تعالى في سورة المائدة ٩٢ غنا الخمر والميسر والانصاب والأزلام . ولو كانت الأزلام والمقامرة بها عين الميسر لما صح عطفها على الميسر مع الفاصل لكنها عطف عليه من باب عطف الخاص على العام لما فيه من الأهمية . وفي الكافي مسندا عن الكاظم الميسر هو القمار . وبإسناده عن الباقر عن رسول الله (ص) قيل يا رسول الله ما الميسر

قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ *

قال كل ما تقامر به حتى الكعاب والجوز قيل فما الازلام قال (ص) قداحهم التي يستقسمون بها وفي رواية العياشي عن الكاظم (ع) عن الصادق (ع) النرد والشطرنج من الميسر وفي الكشف عن النبي (ص) اياكم وهاتين اللعبتين المشومتين فانها من ميسر المعجم وعن علي (ع) ان النرد والشطرنج من الميسر وفي الدر المنثور بسنده عن ابن عباس وابن عمر الميسر القمار وقد ضبط الكشف هاهنا بقوله اولا الميسر القمار وقوله بعد هذا فان قلت ما صفة الميسر قلت كانت لهم عشرة اقداح وهي الازلام الى آخره وقوله بعد هذا وفي حكم الميسر انواع القمار من النرد والشطرنج انتهى هذا وان اسلوب الجواب في هذه الآية والنظر الى قوله تعالى في سورة المائدة انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان والآية التي بعدها يشعر بأنهم سألوه (ص) وهم يذكرون منافعها للناس في شرب الخمر وربح القمار ونحو ذلك مما يسوله الهوى فجاء الجواب على سبيل التساهل والتأكيّد في الحجّة على تجريمها (قل) يا رسول الله (فهيما اثم كبير ومنافع) بالتذكير اشارة الى مجهوليتها وهوانها (للناس واثمها) في الدنيا في الصحة والشرف والمعيشة والسلام مع الناس وفي الآخرة (اكبر من نفعها) وحقيق في لطف الله ورحمته ونظره الى مصالح عباده وتكميلهم وتهذيبهم في شريعة ان يحرمها لأجل اثمها الكبير (ويسألونك ماذا ينفقون) عند فقرهم وغناهم (قل العفو) كل بحسب حاله ففي الكافي مسندا عن الصادق (ع) العفو الوسط اي المقدار المتوسط بين ما يكون اسرافاً وما يكون من البخل بحسب حال الشخص . ونحوه رواية العياشي عن جميل عنه (ع) وفي روايته عن عبد الرحمن عنه (ع) قال الذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً . وعن يوسف عن الصادق والباقر عليهما السلام قال الكفاف وفي رواية ابي بصير القصد ولا يخفى انه لم يقيد الاتفاق بكونه في سبيل الله بل هو مطلق الاتفاق وقال اساء بن خارجة الفزاري لزوجه خذي العفومني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتني حين اغضب

(كذلك) خطاب لرسول الله (يبين الله لكم) جمع الضمير باعتبار ان البيان يشمل الامة (الآيات) في امر الخمر والميسر والنفقة وغيرها (لعلمكم تتفكرون) لغاية ان تفكروا باختياركم تأخذوا

(٢١٨) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَاطَبُوا فِيهِمْ فَأَخَوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمَصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * (٢١٩) وَلَا تَنْكِحُوا الْمَشْرَكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ

بجظكم من الرشد (٢١٨ في) امور (الدنيا والآخرة) لتتبعوا رشدكم وتعملوا بما فيه صلاح الدارين (ويسألونك عن) امر (اليتامى) في مخالطتهم في أموالهم ففي تفسير القمي في الصحيح عن الصادق (ع) انه لما نزل قوله تعالى في سورة النساء « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً » اخرج كل من كان عنده يтим وسألوا رسول الله عن اخراجهم فأنزل الله ويسألونك عن اليتامى . وفي معناها رواية الدر المشور المصححة عن ابن عباس (قل اصلاح لهم) بتولي أمرهم وحفظ أموالهم والانفاق عليهم منها وحسن تربيتهم وتأديبهم وتعليمهم (خير) من اخراجهم وضياع أموالهم وادبهم (وإن تخالطوهم) في المأكل والمال (فأخوانكم) في الدين أو في القبيلة أو في النسب القريب ولا بأس بمخالطتهم إذا صافيتهم مصافاة الاخوان واصلحتهم (والله يعلم المفسد) الذي يأكل أموال اليتامى ظلماً ويضيعها (من المصلح) الذي يخالطهم بالاحسان والاصلاح فاطلبوا الجزاء واحذروا العقاب ممن لا تخفى عليه خافية . وقد روي في الكافي والتهذيب وغيرها شي من وجوه مخالطتهم فليراجع (ولو شاء الله لأعتبكم) أي حاكم على ما فيه مشقة عليكم وكلفكم به من اصلاح امر اليتامى وعدم مخالطتهم (ان الله عزيز) في ارادته (حكيم) في شريعته يجريها على حكمة العدل والتيسير (٢١٩) وَلَا تَنْكِحُوا الْمَشْرَكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ) في الدر المشور مما أخرجه البخاري وغيره عن ابن عمر انه كان إذا سئل عن نكاح النصرانية واليهودية استشهد لتحريمه بهذه الآية . وفي التبيان وهذه الآية على عمومها في تحريم مناهكة جميع الكفار وليست منسوخة ولا مخصوصة . وتبعه في جمع البيان على هذه العبارة إلى آخرها وزاد بقوله وهي عامة عندنا وأكد ذلك في آخر كلامه بقوله وهو مذهبنا . وفي هذا شك فإن الإجماع الذي ادعاه في الانتصار على حظر نكاح الكتابيات يمكن تأويله ككثير من إجماعاته لأن القمي قال في تفسيره إن الآية منسوخة بقوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب . ونص على الحل والنسخ في تفسير هذه الآية وهي السابعة من سورة المائدة وفي المبسوط نسب التحريم إلى المحصلين من اصحابنا

وَلَا مَـمْنَةٌ مِّنْهُ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَكَوْاْ عَجِبْتُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُوْثِقُوا وَعَبْدٌ مِّنْ خَيْرٍ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَكَوْاْ عَجِبْتُمْ أُوْلَٰئِكَ يَدْعُوْنَ إِلَى النَّارِ وَاللّٰهُ يَدْعُوْا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُوْنَ *

أو إلى بعضهم وقال وقد أجاز أصحابنا كلهم التمتع بالكتابات ووطأهن بملك اليمين . وتبعه على ذلك في المجمع في تفسير قوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب . وقد حكى جواز الدوام أيضاً عن الحسن والصدوقين من القدماء . ووجه الكلام هنا أن هذه الآية وكذا قوله تعالى في سورة الممتحنة ١٠ ولا تمسكوا بعصم الكوافر . هل هما منسوختان بقوله تعالى في سورة المائدة « ٧ اليوم أحل لكم الطيبات — والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتينوهن أجورهن » . أم هذه هي المنسوخة . وقد اختلفت الروايات في هذا الشأن وتحرير الكلام في ذلك موكول إلى مباحث الفقه . ويمكن أن يقال إن آية المائدة مختصة بتحليل الكتابات بنكاح المتعة وذلك لا شرطه بقوله تعالى إذا آتينوهن أجورهن فإن هذا الشرط مختص بنكاح المتعة . لا يقال إن هذا منقوض بورد هذا الشرط في الآية العاشرة من سورة الممتحنة في نكاح المؤتمنات المهاجرات . لأننا نقول إن ذلك في آية الممتحنة يمكن كما هو الراجح أن يكون بياناً لأن لا يسقط المسلمون مهورهن بالمرّة اكتفاء بما أمروا به من إعطاء أزواجهن الأول من المشركين ما انفقوا عليهن من المهر وحاصل ذلك أن تزويجهم للمهاجرات يكون على عادة الزواج النوعية بدون مقاصة لهن بما أعطي لأزواجهن الأول من أجلهن ولا إسقاط لمهورهن (ولامة مؤمنة خير) لكم في الزواج (من) حرة (مشركة) مها كانت (ولو أعجبكم) ورغبتم فيها (ولا تنكحوا) نساءكم (المشركين) قيل ذلك نظراً إلى العادة من أن المرأة يزوجه الولي فيحرم أيضاً على المؤمنة أن تزوج نفسها من المشركين (حتى يؤمنوا ولمبدموث من خير من) حر (مشركة) ولو أعجبكم أو تلك (يعني المشركين نساء ورجالا) (يدعون إلى النار) وإن وسوسة الخليط من نحو الزوج أو الزوجة من المشركين لها أثر سيء مخوف يجب التحذر منه (والله يدعو إلى الجنة) ومن ذلك أن يأمركم بأن تتباعدوا عن وسوسة الخليط المشرك (و) يدعوكم إلى نيل (المغفرة بأذنه) في ذلك بسبب هدايته وإرشاده لكم وتوفيقكم للأعمال الصالحة (ويبين آياته للناس) بما فيه هداهم والإشارة إلى الحكمة (لعلهم يتذكرون) أي لغاية أن يتذكروا

(٢٢٠) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ ۖ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ

باختيارهم فننفعهم الذكري (٢٢٠ ويسألونك عن الحيض) المحيض مصدر لحاضت المرأة إذا أخذها الدم المعروف المعتاد للنساء ويحيى المحيض اسماً لزمان الحيض ومكانه (قل هو أذى) أي قدر كما تقدم في قوله تعالى أوبه أذى من رأسه إن الأذى القمل . ولا بد في قوله قل هو أذى من نحو من الاستخدام فإن الحيض بمعناه المصدري ليس قدراً يجتنبه الرجال وإنما القدر والأذى هو الدم . ويحسن هذا الاستخدام بشدة الملابس والاستغناء به عن التصريح باسم دم الحيض المستقدر (فاعتزلوا النساء في المحيض) أي لا تأتوهن في عمل الحيض والقذارة وهو الفرج ويمكن حمل المحيض على اسم الزمان فيجب حمل الاعتزال على اعتزال مخصوص بسبق إليه الذهن من المقام وهو الجماع في الفرج ويوضحه التنفير بكون دم الحيض أذى وقذارة . فرع عليه الأمر بالاعتزال . وأما مطلق اعتزال النساء في زمان الحيض فهو مخالف لأجماع المسلمين ودعوى الأخذ بالأطلاق بعد التخصيص بما دل عليه الإجماع يلزمها تخصيص الأكثر وهو مستهجن . وأما اعتزال ما تحت المئزر كما يقول أبو حنيفة وأبو يوسف فلا يساعده وجه من وجوه الآية الكريمة وحديثهم عن عائشة متعارض (ولا تقربوهن) بالجماع وهو تأكيد للأمر بالاعتزال (حتى يطهرن) بتخفيف الطاء كما هو المرسوم في المصاحف المتداولة بين المسلمين يبدأ عن يد وعليه قراءتهم ولا عبرة بما خرج عن ذلك من بعض القراءات كما ذكرنا في الفصل الثاني من المقدمة . والمعنى حتى ينظفن من ذلك الأذى والقذارة بانقطاع الحيض ونقاء المحل الذي هو الغاية لوجوب الاعتزال وعدم القرب . وهذا هو المناسب لتفريع الأمر بالاعتزال على كون دم الحيض أذى وقذارة وتعليله به وعلى ذلك إجماع الإمامية وأحاديثهم . ووافقهم أبو حنيفة وأصحابه إذا انقطع الدم على العشرة دون ما قبلها وفي هذا التفصيل اضطراب ظاهر (فإذا تطهرن فأتوهن) لا يلزم أن يكون هذا التفريع تكراراً في بيان الغاية المذكورة في حتى يطهرن بل اللازم في قانون المحاورة بحسب النظر إلى يطهرن بالتخفيف وتطهرن بالتشديد أن يكون تفريعا لآخر وراء تلك الغاية وهو أن الإباحة بالمعنى الأعم المضاد للحرمة تحصل عند غاية التحريم ووجوب الاعتزال وهو النقاء من الحيض . وإن الوطء الذي يؤمر به ويطلب

مَنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ * (٢٢١) نَسَاؤَكُمْ
حَرْثُ لَكُمْ فَأَتُوا

لبقاء النوع وحسن الإلفة بين الزوجين أو يكون مباحاً بالمعنى الأخص فهو إذا تطهرن من
الأقذار بأن غسلن فروجهن من آثار الدم ولو بغسل الحيض وعلق هذا على تطهرهن جرياً على
الغالب والا فالغرض يحصل وإن سقطن في الماء مثلاً بدون اختيارهن (من حيث أمركم الله)
في الآية بالاعتزال عنه وعليه رواية الدر المنثور عن ابن عباس وهو المناسب
لتعريف ما يوثق منه . ولا يضر في ذلك التعبير بلفظ من كما حكاه في التبيان عن الفراء .
وحكى في التبيان التفسير بقولهم من حيث ما أمر الله به من النكاح دون الفجور كما عن أبي حنيفة .
أو من حيث إباحه الله دون إتيان الزوجة الصائمة أو المحرمة مثلاً كما عن الزجاج . والقولان
بعبدان من وجوه . ولقد أغرب من قال إن الأمر في أمركم الله هو الأمر التكويني . هذا وإن
إباحة الإتيان من الفرج بعد الأمر باعتزاله لا تدل على انحصار الإباحة بالوطء . فيه بوجه من
الوجوه (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) في الفقيه والمعلل والخصال والكافي وتفسير العياشي
في رواياتهم ذكر المتطهرين من الغائط بالماء وإن الآية نزلت في ذلك ولعله باعتبار بعض المصاديق
(٢٢١ نساؤكم حرث لكم) الحرث في الأصل الكراب مصدر حرث الأرض أي كرهائهم استعمال
في الأرض التي تحرث كما في هذه الآية ثم استعمال في نبات الأرض المسبب عن الحرث كما
في قوله تعالى ليهلك الحرث والنسل . وفي الآية شبه تمتع الرجل بزوجه بحرث الأرض والزوجة
بالأرض التي تحرث فسميت حرثاً أي محل تمتع لكم كما إن الأرض محل حفرو حرث وليس المراد
إن إتيان المرأة لا يحل إلا حيث يكون إتيانها زرعاً للنسل حتى لو قلنا إن معنى إني شئتم هو
أي وقت شئتم . أو في القبل سواء كان من أمام أو من خلف فإن الآية على هذين التقديرين
سأكتة عن تحريم ما عداها حتى لو قلنا إن الأمر في قوله تعالى فأتوا حرثكم للوجوب (١) كيف
ولا خلاف بين المسلمين في جواز إتيان اليأسة ومعلومة العقم وإتيان المرأة مطلقاً في أعكانها

(١) في الدر المنثور أخرجه الحاكم عن ابن عبد الحكم أن الشافعي ناظر محمد بن الحسن في ذلك أي
في حرمة إتيان الزوجة في دبرها فاحتج عليه ابن الحسن بأن الحرث إنما يكون في الفرج فقال له فيكون
ما سوى الفرج محرماً فالتزمه فقال أرايت لو وطأها بين ساقها أو في أعكانها في ذلك حرث قال لا قال
أفيحرم قال لا قال فكيف تحتج بما لا تقول به

حَرْثُكُمْ أَنِي شِئْتُمْ

بين فخذها وساقها حتى ما بين اليثها مثلاً فأتوا الأمر للإباحة (حَرْثُكُمْ أَنِي شِئْتُمْ) ابن شِئْتُمْ وقد انكر بعضهم مجيء أني في اللغة بمعنى كيف أو بمعنى أي وقت والأول متيقن في اللغة والأخيران شكك فيهما. والظاهر أن أني الاستفهامية مساوية في المعنى للشرطية وكلما جاء في القرآن من الاستفهامية صالح لأن يراد منه المكان والجهة مع أن منها ما لا يصلح أن يكون بمعنى كيف كما في قوله تعالى في سورة آل عمران ١٥٩ «قلتم أني هذا قل هو من عند أنفسكم» و ٣٢ «يا مريم أني لك هذا قالت هو من عند الله» وأما بمعنى أي وقت فليس في القرآن ما يصلح له. وفي الدر المنثور في ذكر القول الثاني من المسألة ذكر من أخرج عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً أصاب امرأة في دبرها فأنكر الناس عليه ذلك فأنزلت «نساؤكم حَرْثُكُمْ أَنِي شِئْتُمْ» وذكر من أخرج اثنتي عشرة رواية عن عبد الله بن عمر أن الآية نزلت رخصة في وطء النساء في أدبارهن. وروي عن ابن عبد البر أن الرواية عن ابن عمر بهذا المعنى صحيحة معروفة مشهورة. وأورد عن مالك ما يكذب رواية الخلاف عن ابن عمر وصححه الدارقطني عن مالك. وفي تهذيب الشيخ في الصحيح عن الصادق (ع) أنه استشهد للحل بهذه الآية ولم يذكر أنها نزلت في ذلك. وكذا رواية العياشي عن زرارة عن الباقر (ع) والظاهر أن استشهادهما عليها السلام إنما هو بعمومها لا بنزولها في هذا الشأن. ومأخذ الكلام في المسألة ابن قول نافع بالجواز معروف وحكاية الطحاوي وحجاج بن أرطاة وعن مالك روايتان. وفي الخلاف عن المزني قال بعض أصحابنا حرام وقال بعضهم حلال ثم قال وآخر ما قال الشافعي لا أرخص فيه. وذكر في الدر المنثور وغيره رواية الجواز عن أبي مليكة. وعن عبد الله بن القاسم قال ما أدركت أحداً اقتدي به في ديني يشك أنه حلال يعني وطء المرأة من دبرها ثم قرأ نساؤكم حَرْثُكُمْ أَنِي شِئْتُمْ قال وأي شيء أبين من هذا. وفيه أخرج الطحاوي والحاكم في مناقب الشافعي والخطيب عن محمد بن عبد الله بن الحكم أن الشافعي سئل عنه فقال ما صح عن النبي (ص) في تحليله ولا تحريمه شيء والقياس أنه حلال. وفيه أيضاً بعد أن ذكر روايات القول في التحريم قال الحفاظ في جميع الأحاديث المرفوعة «يعني المسندة عن النبي (ص)» وعدتها نحو عشرين حديثاً كلها ضعيفة لا يصح منها شيء والموقوفة يعني ما وقف سنده

وَقَدْ مَوَالَا نَفْسِكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ * (٢٢٢) وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

على الصحابي أو التابعي هو الصحيح وقال الحافظ بن حجر في المرفوع منك لا يصح من وجه كما صرح بذلك البخاري والبخاري والنسائي انتهى . اقول وذهب أصحابنا إلى جوازه على كراهية شديدة وهي المحصل من احاديثنا ووجه الجمع بينها وبذلك يستنكر ان يكون نزول الآية في اباحتها نعم لا بأس في نزولها للعموم (وقدموا لانفسكم) أي هذه احكامها يعود إلى دنياكم وقدموا لآخرتكم من الخيرات والأعمال الصالحة ما ينفعكم فيها (واتقوا الله) فان خير الزاد التقوى (واعلموا انكم ملاقوه) أي وليكن عملكم عمل العالم المتقين بأنه يموت ويحشر ويلاقي ربه يوم الحساب والجزاء لا عمل الغافل مع اقراره بالمعاد في اسلامه (وبشر) يا رسول الله (المؤمنين) حق الايمان والثابتين عليه بحيث استحقوا الوصف بذلك (٢٢٢) ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم (العرضة ما تكثر ملاقاته ومصادفته كما يقال الانسان عرضة للبلاء فلا تكثر أيمانكم بالله بحسب كل ما يسهل لكم وتميلون له في الرضا والغضب فتقولون في ذلك والله لا اعطي فلانا . والله لا انفق على الفقراء . والله لا اكلم اخي . والله لا ازور امي والله لا اصلح بين الناس . وفي رواية العياشي عن منصور بن حازم عن الصادق (ع) وعن محمد بن مسلم عن الباقر (ع) في الآية يعني الرجل يحلف ان لا يكلم اخاه وما اشبه ذلك او لا يكلم امه (ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) أي لأن تبروا وتتقوا وتصلحوا تعليلاً وبياناً لبعض ما يكون وجهاً وغاية للنهي في لا تجعلوا وان كان هناك وجه آخر لتعظيم الله واجلاله ففي الكافي في صحيح الخراز عن الصادق (ع) لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين فان الله عز وجل يقول ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم . وربما كان هذا الوجه يدخل في البر والتقوى . فيكون النهي عن الحلف المعارض للبر والتقوى والا صلاح كناية عن عدم اعتقاده في هذه الموارد ففي الكافي عن اسحق بن عمار عن الصادق (ع) في الآية قال اذا دعيت لتصلح بين اثنين فلا تقل علي يمين ان لا افعل . ويشبه ذلك ما اورد روايته في الدر المنثور عن ابن عباس . وقيل المعنى لا تجعلوا الله بواسطة الحلف به مانعاً وحاجراً عما حلفتم على تركه بتسمية المحلوف على تركه يميناً . وهذا مرجع ما ذكره في التبيان اولاً وصريح ما اقتصر عليه في الكشف والأول أظهر وانسب بالمروي واجمع (والله سميع) لأيمانكم (عليم)

(٢٢٣) لَا يُؤْخَذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤْخَذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ * (٢٢٤) الَّذِينَ يُؤْثِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثَرْْبًا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ قَبْلَ أَنْ يَأْتُوا قَبْلَ اللَّهِ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢٥) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

بأحوالكم وما يصلحكم (٢٢٣) لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم) اي بسبب اللغو في ايمانكم اذا خالفتم اليمين او لم يطابق الواقع . واللغو ما لم يقصد به عقد اليمين بل يجري على اللسان توكوفاً في الكلام كما ترى الرجل تقول له ما ذا فعلت اليوم فيقول والله جلست من النوم والله خرجت الى المحل الفلاني بلا قصد لليمين وفي مجمع البيان وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وابي عبد الله . وقد تنجز العادة في الكلام الى لا والله بلى والله . ففي الكافي عن مسعدة عن الصادق (ع) في الآية اللغو قول الرجل لا والله بلى والله ولا يعقد على شيء (ولكن يؤخذكم بما كسبت قلوبكم) من الآثام فيما عقدتم عليه الايمان وكذبتم او حشتم فيه (والله غفور) ان تبتم (حليم) لا يعاجلكم بالعقوبة لعلكم تتوبون (٢٢٤) للذين يؤثرون الايلاء الحلف من الالية اي الحلفة ويعرف من تنمة الآية وباقي القرائن انه الحلف على ترك وطء الزوجة مطلقاً او مدة معينة والموضوع لاحكام الآية هو ما يزيد على اربعة اشهر . والجار والمجرور خبر مقدم متعلق في التقدير بمحاصل وكائن ونحو ذلك (من نساءهم) اي من جانب نساءهم وحقوقهن في المعاشرة بالمعروف . والجار والمجرور متعلقان بمحاصل ونحوه (تربص اربعة اشهر) تربص مبتدأ مؤخر فلا حق للزوجات فيها في المطالبة بالجماع ولهن المطالبة بعدها فان سكتن او رضين فلا حرج على الزوج لأن الامر في جماعهن من الحقوق لا التكاليف فان انقضت الأربعة اشهر وطالبن او طالبن بعد ذلك (فان فاءوا) اي رجعوا عن يمينهم الى جماعهن (فان الله) يغفر لهم الحنث ومخالفة اليمين رحمة بالزوجين في حسن اجتماعهم ونظام امر الأولاد فانه (غفور رحيم ٢٢٥) وان عزموا الطلاق) او أوقعوه (فان الله سميع) لما يقولون (عليم) بنياتهم . والآيتان تدلان على ان المؤثلي إذا طالبته المرأة بمعتها بعد الأربعة اشهر ينحصر امره ويدور بين ان يفيء او يطلق فان فاء ووطأ لزمته كفارة حنث اليمين المذكورة في سورة المائدة في الآية الحادية والتسعين . وليست اليمين بالنسبة الى ما بعد الأربعة اشهر يميناً على ظلم لكي تنحل حينئذ وتسقط كفارتها وذلك لأنه يمكن للمؤثلي أن يخرجها عن الظلم بأن يطلق . وعلى هذا كله جاءت

(٢٢٦) وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُنَنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

احاديث الفريقين (٢٢٦ والمطلقات) بالطلاق المشروع (يتربصن) جملة خبرية يراد بها الأمر وذلك ابلغ من الانشاء في الطلب والايجاب لصوغه بقال ان المطلوب منه يقع منه ذلك ولا يكذبك (بأنفسهن) ويمسكنها عما يقتضيه الحال وطبايعهن من الطموح الى الزواج ومقدماته ولا يخرجن من رعاية الزوج وحيطته (ثلاثة قروء) القرء يأتي للطهر والحيض وهو هنا الطهر وعليه اجماع الامامية وحديثهم وقول المالكية والشافعية والرومي عن عائشة وزيد بن ثابت وابن عمر كما في الدر المنثور . وفيه قال ابن شهاب سمعت ابا بكر بن عبد الرحمن يقول ما ادرت احدا من فقهاءنا الا وهو يقول هذا انتهى (١) ولقوله تعالى في اول سورة الطلاق الموسومة بأنها مكية « يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن » اي في عدتهن التي تراد لاستبراء الرحم وعندها كما يقال ولدست خلون من الشهر او لسبع بقين منه وقد انعقد الاجماع من المسلمين على ان طلاق السنة هو ما كان في الطهر وبه جاء قول الرسول الاكرم (ص) لابن عمر حين طلق امرأته وهي حائض ما هكذا امرك الله انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا وقوله (ص) فان بدا له ان يطلقها طاهرا قبل ان يمسه فذاك الطلاق للعدة كما انزل الله عز وجل . او فتلك العدة التي امر الله ان تطلق لها النساء كما في جوامع الجمهور وجوامعنا في الحديث واطلاق حكم المطلقات هنا مفيد بحكم الآية الثامنة والاربعين من سورة الاحزاب والرابعة من سورة الطلاق مع تأكيدها بروايتنا في البائس بغير ربة (ولا يحل لهن ان يكتنن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمنن بالله واليوم الآخر) يعني ان من كانت تؤمن بالله واليوم الآخر

(١) قال الاشعي في خطابه لكثير الغزو « لما ضاع فيها من قروء نساكنا » يريد ان اطهار نساءه ضاعت لافات فيها من الجماع والحبل . ومن الغريب تأويل لكشاف للقروء في شعر الاشعي بالعدة : وفي الصباح عن ابن فارس ويقال انه اي « القرء » للطهر « اي بحسب الوضع » وذلك ان المرأة الطاهر كان الدم اجتمع في بدنها وامتسك : وفي لسان العرب قال ابو اسحق ان الذي عندي في حقيقة هذا ان القرء في اللغة الجمع - فإن القرء اجتماع الدم في الرحم وذلك انما يكون الطهر . واقول ان المحصل من معناه بحسب موارد الاستعمال هو ما يناسب الجمع والاحتواء والضم . في معلقة عمر بن كاثوم « ذراعي عيطل ادماء بكر هجان اللون لم تقرء جنينا » اي لم تضم جنينا ولم تحتو عليه . وفي لسان العرب « ولم تقرء جنينا ولا دما » ومنه قولهم اقرئت النجوم اذا غابت اي دخلت فيما يضمها عن الظهور . ويكون استعمال القرء بالحيض مجازا بملاقة ان الدم الخارج فيه كان مقروءا في الجسم او الرحم . واما ان معنى القرء الوقت فلم يعرف له شاهد . وحمل الآية عليه تسف وشذوذ

وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا

لا تجزئ على كتمان ما خلق الله في رحمها . وهذا الزجر الشديد يناسب ان يكون على كتمان الحمل اما لأن تخرج من العدة في ظاهر الحال عاجلاً او لأن تكتمه لكرهية انتسابه لأبيه او لغبر ذلك من اسباب الكتمان واما كتمان الحيض في ايام العدة وبعد آخرها لاجل الازدياد من مدة العدة لتأكل النفقة وتأمل الرجعة بعد انقضاء العدة الواقعية فهو بعيد لا ستلزامه ان تكون صلة الموصول وهي «خلق الله في ارحامهن» واردة باعتبار ما مضى عن زمان الكتمان كما سيأتي في الجمع بين المعنيين . اذاً فالمناسب لأسلوب اللفظ وظاهره وذلك الزجر الشديد هو كتمان الحمل . ويؤيده رواية البرهان والوسائل عن العياشي عن ابي بصير عن الصادق (ع) في الآية لا يحل لها ان تكتم الحمل اذا طلقت وهي حبل والزوج لا يعلم : ولا يمكن الجمع بين المعنيين من هذا اللفظ كما ذكر في الدر المنثور روايته عن ابن عمر ومجاهد وذلك لأن كتمان ما خلق الله في ارحامهن من الحيض إنما هو باعتبار خروجه من الرحم ويكون المراد من خلقه في ارحامهن إنما هو باعتبار ما مضى فالكلام على هذا بمعنى ان يقال ولا يكتمن ما خرج من ارحامهن مما خلق فيها قبل ذلك . وكتمان الحمل إنما هو باعتبار استقراره في الرحم . واللفظ الواحد لا يصلح للجمع بين هذين الحافظين والاعتبارين . وفي تفسير القمي في الآية قال لا يحل للمرأة ان تكتم حملها أو حيضها أو طهرها وقد فوض الله تعالى إلى النساء ثلاثة أشياء الطهر والحيض والحمل انتهى ولا يظهر من المقام كونها رواية واردة عن امام في بيان المراد بما خلق الله في ارحامهن ان لم يظهر خلاف ذلك فضلاً عما بيناه من انه لا يمكن الجمع بين الأمرين في اللفظ الواحد . وفي مجمع البيان نسب ما ذكرناه من تفسير القمي إلى الرواية عن الصادق (ع) ولم نجد لها أثراً ولعله اعتمد على تفسير القمي (وبعولتهن) جمع بعل والتاء لتأنيث الجمع ومعنى البعل الزوج مع معنى التمتع بزوجه وملاعبتها ومباشرتها والبعل والمباغلة مباشرة النساء وملاعبتهن ولعل العدول عن التعبير بالزوج إلى التعبير بالبعولة لاجراخ غير المدخول بها واللائم إلى الوجه في انهم (احق بردهن) نظراً إلى الحالة التي قبل الطلاق من الزوجية ولاحق للمرأة في معارضة البعل في ردها (في ذلك) التبرص (ان ارادوا اصلاحاً) لا مضارة . او جيء بلفظ «ان» لذكر الحالة التي يتحقق بها الرد واراوته كما في قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن

وَأَنَّهُ مِثْلُ اللَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * (٢٢٧) الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِيسَآكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ

تحصنا . وهذا الحكم في الرد مقيد بحكم المختلفة كما في الآية الآتية وحكم المطلقة ثلاثا كما في التي بعدها (ولهن مثل الذي عليهن) من حسن المعاشرة (بالمعروف والرجال عليهن درجة) في الفضل والتفوق . وجيء بلفظ الرجال دون الأزواج إشارة إلى وجه التفوق وكال الرجولية وفضل قيام الرجل بأمرها . وانفاقه عليها (والله عزيز) في حكمه (حكيم) في أحكامه (٢٢٧ الطلاق) للزوجة الواحدة الذي شرع فيه الرد المذكور ولم يجعل الله زاجرا عنه بتعليق المراجعة بعده على نكاح المرأة زوجا غيره (مرتان) ولأن الطلاق هو ان يقطع الزوج علة الزوجية بينه وبين امرأته ويطلق سراحها من قيد زوجيته يكون من البديهي انه لا يتحقق بدون الزوجية وعلقتها العادية التي يتوقف عليها تحقق موضوعه كما روى هذا المعنى في الكافي وغيره عن الباقر والصادق عليهما السلام وعليه مذهب اهل البيت واجماع الإمامية ومذهب ابن عباس . وفي الدر المنثور أخرج البيهقي عن ابن عباس ان ركانة قال لرسول الله (ص) طلقته ثلاثا في مجلس واحد قال (ص) نعم انما تلك واحدة . واخرج عبد الرزاق ومسلم وابو داود والنسائي والشافعي والحاكم والبيهقي عن ابن عباس كان على عهد رسول الله (ص) وابي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاثة واحدة « أي الثلاثة في مجلس واحد ونحوه » فقال عمر ان الناس قد استعجلوا في امر لهم فيه اناة فلو امضيناه عليهم فأمضاه عليهم . ونحوه من طريق طاوس . فأذا طلق الرجل طلاقا صحيحا فقد انقطعت من زوجيتها تلك العلة التي يقطعها الطلاق فلا يقع منه طلاق لتلك المطلقة الا بأن تكون تلك العلة قد رجعت اما برجعة واما بتزويج بعقد جديد . وان كان ما وقع لفظه اولا ليس صحيحا ولا طلاقا لم يكن ما يقع بعده طلاقا ثانيا بل هو اول وكذا الكلام في الثالث فاذا وقع الطلاق المذكور (فأيساك) اي فحكم الله في ذلك اما ان تردوهن بالرجعة إلى الزوجية وتمسكوهن على ذلك (بمعروف) في المعاشرة (او تسريح) بأن تتركوا الطلاق على رسله إلى ان تنقضي العدة (بإحسان) وهو النفقة والاسكان والمعاملة . قال في التبيان وهو المروي عن أئمتنا وقال في مجمع البيان وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) اقول ولم اجد ذلك مرويا بعنوان التفسير للتسريح

وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ

بالإحسان ولعلها اخذاه مما روي في شرح طلاق السنة او يكون المراد بالتسريع بالا حسان هي التطليقة الثالثة كما رواه في الكافي والتهذيب عن ابي عبد الله (ع) وفي الفقيه عن الرضا (ع) وعن تفسير العياشي عن الباقر (ع) والصادق (ع) وفي الدر المنثور عن النبي (ص) (ولا يحل لكم) في مطلق الطلاق (ان تأخذوا مما آتيتموهن) (ولا من غيره) (شيئا) وخص الأخذ بما اوتين نظراً الى الغالب من أن الزوج عند تفرقه من زوجته او نفرة الزوجة منه ينظر في امر طلاقها الى استرداد ما آتاها من المهر (الا ان يخافا) أي الزوجان بسبب كراهية الزوجة له وتهديدها له بالاثم ان لم يطلقها فيكون كل من الزوجين معرضاً لمخالفة الله في أوامره ونواهيه ومحرماته فيخافا (ان لا يقيما حدود الله) فيما بين الزواج لدواع خصوصية . وعادل من الخطاب الى الغيبة تكرماً وتبعيداً من الخطاب بما يراد هنا من عدم الاقامة لحدود الله (فإن خفتهم) بحسب ما عرفتم من حالها ومقالها (ان لا يقيما حدود الله فلا جناح) ولا اثم (عليها) بحسب البذل والاخذ (فيما افتدت به) نفسها من زوجها . وبفهم من الآية أمور «الاول» يجوز ان تكون الفدية في مورد الآية تمام ما آتاها أو اكثر منه . كما لا خلاف فيه عندنا نصاً وقوة لأن عدم الجناح انيط بما افتدت به مطلقاً ولو اريد البعض مما اوتيت او الكل لا غير لقليل فلا جناح عليهما في أخذه «الثاني» ان تكون من الزوجة نفرة بحيث يخاف لأجل نفرتها ان لا تقسم حدود الله كما يدل ايضاً قوله تعالى افتدت به «الثالث» يعرف من لفظ الافتداء انه لا رجة للزوج في العدة وإلا لم يتحقق الافتداء «الرابع» ان مورد هذه يغير مورد الثالثة والعشرين من سورة النساء لأن تلك اقتصرت على استثناء مورد هام من الذهاب ببعض ما اوتين حينما تأتي بالفاحشة البينة بل يجوز للزوج عندنا ان يعضها حينئذ «الخامس» ان صورة ما ذكر من الفراق بافتداء الزوجة هو بحكم سياق الآية من الطلاق الذي جرى البيان في احكامه فلا يفترق عنه من حيث وقوع الثلاث كما عليه نصوص أحاديثنا وهو المشهور بل عليه الاجماع وكذا وقوع التحليل به وان وقع بلفظ خلعتك بدون لفظ الطلاق كما هو المنصوص عليه في أحاديثنا (تلك) اشارة الى ما ذكر من الأحكام . للطلاق والأخذ

حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * (٢٢٨) فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * (٢٢٩) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغُنَّ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ يَمْعَرُوفٍ أَوْ سَرَحَوْهُنَّ

(حدود الله فلا تعتدوها) اعتدى الحد وتعدها بمعنى واحد (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) لغيرهم . بل ولا أنفسهم بايقاعها في وبال المعصية (٢٢٨ فإن طلقها) ثالثة ولا تنس ان الطلاق لا يتحقق إلا إذا ورد على زوجية (فلا تحل له) لا بالرجوع ولا بالنكاح (من بعد) أي بعد الطلاق الثالث معها طال الأمد (حتى تنكح زوجا غيره) وتكون له زوجة شرعية بخصوص العقد الدائم (فإن طلقها) ذلك الغير طلاقا صحيحا . والمراد من ذلك المثال لا نقطاع علقه النكاح الدائم فإن الموت مثل الطلاق في التحليل باجماع الأمة (فلا جناح عليها) في (ان يتراجعا) بأن يستأنفا عقدة النكاح برغبة منهما وثبات على حسن العشرة وتادب بما تخلل من نكاح الثاني عن المسارعة إلى الشغب وحرارة الطلاق (ان ظنا ان يقيما حدود الله) وقد ثبت في السنة من طريق الفريقين ان اطلاق الآية في نكاح الثاني مقيد بوطئه لها وعليه اجماع الأمة ولا يعتبر في الوطئ الانزال لا طلاق السنة واما ذوق عسيلته في احاديث الفريقين فالمراد منه لذة الجماع لا التذاذها بماء الرجل ويوضح ذلك ان فيها ذوق عسيلتها ومن المعلوم انه لا معتبر لنزول ماء المرأة كما انه لا لذة للرجل بماء المرأة ليكون له كذوق العسيلة بل المراد حتى تذوق لذة جماعه ويذوق لذة جماعها في القبل لأنه مجمع العسيلتين غالبا دون غيره . نعم يقتضي ذلك عدم الاكتفاء بمقدار الحشفة فما دون ولا بأس بالأخذ بما هو احوط (وتلك) عطف على قوله تعالى في الآية السابقة « تلك » (حدود الله يبينها لقوم يعلمون) فيمر فواوجوها على حقيقتها ويعلموها على التفصيل للجاهلين بها (٢٢٩ فإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) أي أشرفن على الوصول إلى آخر عدتهن كما يقال بلغت البلد أي أشرفت على الوصول اليه (فامسكوهن) بسبب الرجعة (بمعروف) في معاملتها كقوله تعالى في سورة النساء ٢٣ وعاشروهن بالمعروف او المعنى فراجعوهن بمعروف (او سرحوهن) واتركوهن على حالهن إلى أن تنقضي عدتهن

يَمْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضَرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ
وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ
الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ بِعَظَمِكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *
(٢٣٠) وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلِّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ
إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ

(بمعروف) في المعاملة والنفقة والاسكان بدون اضرار في شيء من ذلك (ولا تمسكوهن)
بالرجعة أو ولا ترجعوهن (ضارا) هو مصدر ضره يضره نائب عن المفعول المطلق اي امساكا
ضرارة (لتعتدوا) عليهن (ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) بظلمه للمرأة الضعيفة ووقع نفسه
في وبال معصية الله وغضبه ومخاصمة الضعيف الذي ضره واعتدى عليه (ولا تتخذوا آيات
الله) بما بين فيها من احكامكم في صلاحكم ونظام اجتماعكم (هزواً) بل خذوا حظكم وارشدكم
من العمل بها فإن من لم يسمد بالعمل بها كان كالستهزاء او مسهزاء بها (واذكروا نعمة الله
عليكم) بعبائهم النعم في الحياة والمعيشة والايسار (وما انزل عليكم) باعتبار النزول على رسول
الله لتبليغكم (من الكتاب) وهو القرآن الكريم لهذاكم في الدين والشرعية والدعوة إلى الله
(والحكمة) التي اشتمل عليها حال كون الكتاب (يعظكم) الله (به واتقوا الله) فيما شرعه مما
أمركم به أو نهاكم عنه فانه المطلع عليكم (واعلموا) اي واعملوا عملكم حال كونكم تعملون (ان الله
بكل شيء عليم ٢٣٠) وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن، وأشرفن على انقضاء الأجل (فلا تعضلوهن)
أيها المطلقات. والعضل المنع أو الحبس من (ان ينكحن) من يكونون في المستقبل (أزواجهن
إذا تراضوا بينهم بالمعروف) وذلك بأن يراجعهما المطلق قريب انقضاء العدة لا لرغبة فيها بل
لأجل ان يمنعهما عن الأزواج وقيل ان المراد ان لا يمنعهما الولي العرفي من ان تنكح من كان
زوجها بعد انقضاء عدته كما روى في الدر المشور نزولها في شأن معقل واخته او جابر وابنة عمه
وبلزمه التجوز في طلقتم النساء بحمله على تطبيق نوع الإنسان فان الولي غير مطلق وفي هذا
المجاز بعد وإذا صرنا إليه فالأولى جمل الخطاب لمطلق العاضل وإن كان المطلق . وان
المطلق يعضل زوجته ويمنعها بعد العدة من ان تزوج وهو فرض نادر إذ قل من يكون من
المطلقات من له هذه السلطة والأقرب الأول ولفظ أزواجهن مجاز اما من حيث كون الزوجية

ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمَ أَزْجَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * (٢٣١) وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادُهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ إِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ

في الماضي كما في الثاني او من حيث كونها في المستقبل كما في الأول والثالث (ذاك) خطاب للنبي (ص) (يوعظ به من كان منكم) أي من المسلمين (يؤمن بالله واليوم الآخر) فإنه هو الأهل لأن يوعظ فتنفعه الموعظة ويقف عند نواهي الشريعة (ذلكم) خطاب للمسلمين والمشار اليه ترك العضل المذكور (ازكي لكم وأطهر والله يعلم) ما فيه صلاحكم (وانتم لا تعلمون ٢٣١ والوالدات) مطلقا مطلقات وغير مطلقات (يرضعن اولادهن) اخبار عن الوظيفة المقررة لمن في الشريعة جمعا لانحاء المصلحة على ما يأتي (حولين كاملين) لا تنقص عن اربعة وعشرين شهراً (من اراد ان يتم الرضاعة) ويعطي ما بازائها من اجرة وهو الأب ومن بيده أمر الطفل بعده ومن اراد ارضاعه دون الحولين فله ذلك وحده احد وعشرون شهراً كما نقل عليه اتفاقنا وعليه روايتا سماعه وعبد الوهاب عن الصادق (ع) (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن) الظاهر عدم الخلاف في ان الرزق والكسوة كناية عن الأجرة المذكورة في الآية السادسة من سورة الطلاق . والملاحظ في تقريرها حالتا السعة والضيق كما في السابعة منها ايضا . ولعل اجرة المثل تقارب مالية الرزق والكسوة ولكن عنوانها أقرب إلى الحشمة من عنوان الأجرة والتماكس فيها . وجرى التعبير هنا عن الأب بالمولود له بيانا لوجه الحكمة في كون الأجرة للرضاع عليه لأن الولد بعضه وغناه مائه وان الأم تربي برضاعها من ولده (بالمعروف) ومن دون اجحاف بأحد الأبوين ولا يضيق بذلك على الأب فوق وسعه بحسب حاله وما يرام منه في أمر معيشته ومن تجب نفقته عليه (لا تكلف نفس) في جهة (إلا وسعها) في تلك الجهة (لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده) القراءة المعمول عليها بين الناس وعليها رسم المصاحف هي فتح الراء من «تضار» على انه مجزوم بلا الناهية وحركت لالتقاء الساكنين بالفتحة لمشاكلتها للألف التي قبلها . والكلمة صالحة لأن تكون مبنية للفاعل ومبنية للمفعول باعتبار ان

وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ

الراء المدغمة مكسورة في التقدير او مفتوحة . ولكن الظاهر من الصحيح المروي في الكافي عن الصادق (ع) انها مبنية للفاعل لقوله (ع) نهى الله ان تضار المرأة الرجل وان يضار الرجل المرأة وان الوارث نهى ان يضار الصبي أو يضار أمه بالرضاعة . هذا والنهي عن المضارة بسبب الولد مطلق سواء كانت المضارة من جهة الأجرة وما اشبه ذلك في امر الرضاع ام من جهة منع الوالدة لزوجها الوالد عن جماعها لخوفها من الحمل وضرره للرضيع او من حيث امتناع الوالد عما يجب للوالدة من الجماع لخوفه من حملها وضرره للرضيع كما استشهد عليه السلام بالآية للأمرين وجاء بكل من المعنيين روايات اخر . وفي التبيان ذكر رواية الجهة الثانية عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وكذا في مجمع البيان . وكان عليهما ان يذكر رواية الجهة الأولى كالصحيح . ولم اجد ما اشار اليه من الرواية عن ابي جعفر (ع) (وعلى الوارث مثل ذلك) في صحيحة الحلبي وروايته الكناني وابي بصير عن الصادق (ع) انه نهى ان يضار بالصبي او يضار أمه في رضاعها . وفي الدر المنثور عن ابن عباس ان لا يضار فن الغريب مع ذلك ما في كنز العرفان في تفسير الوارث بالصبي . وفي التبيان وقد روي في اخبارنا ان على الوارث كائنا ما كان النفقة . واثار في الخلاف والمبسوط ايضا الى الرواية . والظاهر كونها رواية غياث عن الصادق (ع) اتي امير المؤمنين (ع) بيتيم فقال خذوا بنفقتهم اقرب الناس منه من العشيرة كما يأكل ميراثه . والرواية ان لم يكن الوارث في واقعها الخاصة هو الجسد امكن تنزيلها في واقعها على الالزام لشيوع الفتوى بذلك حينئذ فإن مذهب الامامية حتى الشيخ في كتبه ان النفقة انما تجب على العمودين فهو اجماع منا فالوارث في الآية اما وارث الطفل بمعنى كون الطفل ارثاً اي بقية له في القيام بأمره فهو وارثه بهذا المعنى كالجد والوصي والحاكم وليس في ذلك مجاز بحسب اللغة وان كان الدائر في المحاورات هو وارث المال . واما انه جار مجرئ الغالب في كون من له الولاية بنفسه او بالوصاية وارثاً كالجد والأخ والوصي مثلاً او المولى من قبل الحاكم ولا دلالة من القرآن الكريم على اكثر مما في الروايات المتقدمة من ان الذي على الوارث هو ان لا يضار (فإن اراد) الرضعة والوالد وان كان جداً (فصلاً) للطفل عن الرضاع قبل الحولين (عن تراض) منها (وتشاور) بالنظر إلى صلاح الطفل

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا
 سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *
 (٢٣٢) وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ
 أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ
 وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ *

لا مجرد تراضيهما مراعاة لأهوائهما (فلا جناح عليهما) ويحتمل ان يشمل ذلك ما بعد الحولين
 حينما يكون تعجيل الفطام مضرا بالطفل كما إذا كان مريضاً مثلاً في المدة التي يجوز التأخير فيها
 (وان اردتم) عند عدم الاضرار (ان تسترضعوا) المراضع (اولادكم) مفعول ثان لتسترضعوا
 (فلا جناح عليكم إذا) راعيتهم مصلحة الطفل بعدم ماطلة المرضعة بأجرتها و (سلمتم ما آتيتهم)
 وقررتوه في الاسترضاع (بالمعروف) بلا مدافعة ولا معاصرة (واتقوا الله) فيما أمركم به ونهاكم
 عنه (واعلموا) أي واعملوا على مقتضى علمكم (ان الله بما تعملون بصير) فخافوه (٢٣٢) والذين
 يتوفون منكم) أي يؤخذون وافين ويراد بذلك الأخذ بالموت كما مر مشروحاً في المقام الاول
 من الفصل الرابع من المقدمة (ويذرون) يتركون (ازواجاً) الذين مبتدأ وجملة (يتوفون)
 صلته وجملة « يذرون » معطوفة عليها وجملة (يتربصن) وهي خبر يراد به الأمر المؤكد
 تكون خبراً للمبتدأ والرباط بينهما هو الضمير الذي يجلوه المقام والسياق بمثل جلوة المذكور
 لوضوح ان فاعل التربص تلك الأزواج اللاتي يتركها المتوفون . فقدّر لذلك ما يناسب تقديره
 (بأنفسهن) ويمسكنها عن الزواج والزينة ونحوها (اربعة أشهر وعشرا) أي عشرين يوماً (فإذا
 بلغن أجلهن) باتمام ذلك (فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن) من الخروج من البيوت
 وطلب الأزواج وترك الحداد مما يكون (بالمعروف) المشروع الموافق للاستقامة والعفة
 وفي تفسير القمي والتبيان ومجمع البيان وغيرها ان هذه الآية ناسخة لحكم الآية السابعة بعدها
 وعلى ذلك روايات الدر المنثور في هذه الآية عن ابن عباس وابن عمر أقول وربما كان
 تقديمها في ترتيب القراءة على تلك لكي تتنظم في نسق واحد منع الآيات المحكمّة في الطلاق
 والعدد وربما يشير إلى النسخ في قوله تعالى فلا جناح عليكم بأن يكون المراد لا جناح عليكم
 من خروجهن وتعرضهن للأزواج قبل الحول مما كان يجب عليكم النهي عنه (والله بما تعملون

(٢٣٣) وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيْمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْتَسْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْتُمْ سَتَذْكُرُوْنَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوْهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا *

خبير) فلا تخالفوه (٢٣٣) ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء) نظم الآيات وسياق الآية وقوله تعالى فيها حتى يبلغ الكتاب أجله تدل على ان المراد من النساء المعتدات للوفاة وعليه الاتفاق والآية صالحة للعموم لبعض المعتدات ايضا وتفصيل ذلك موكول إلى كتب الفقه .
والتعريض هو خلاف التصريحات بما يسمه مجال الخطبة من وجوه الكلام وهو تضمين الكلام دلالة على شيء ليس فيه ذكر له والخطبة هو الكلام الدال على طلب المرأة للتزويج ولعل الاصل فيه ان الطلب كان يصاغ كثيراً بكلام ينشئه خطيب القوم ثم استعمل في مطلق الطلب فتعدى ويقال خطبها وهو خاطب (او اكنستم في انفسكم) بأن خطر في انفسكم الرغبة في نكاحها والعزم عليه واسررقوه (علم الله انكم ستذكروهن) لسانا ببدء الرغبة في نكاحهن ولا يدل ذلك على التوبيخ لجواز ان يقصدوا في ذكرها وجها راجحاً خصوصاً في عصر الرسول (ص) كتطبيب قلوب المؤمنين المهاجرات المنقطعات ذوات الأيتام لكي تطمئن قلوبهن بوجود الكافل (ولكن لا تواعدوهن سرا) في صحبة الحلبي عن الصادق (ع) ان يقول لها اواعدك بيت آل فلان ونحوها رواية عبد الله بن سنان عنه (ع) وفي رواية علي بن حمزة عنه (ع) اواعدك بيت آل فلان يعرض لها بالرفث ويرفث الرواية اي يرفث قولاً بأن يذكرها لجماع وما يرجع اليه صريحاً على خلاف الكناية والاحتشام . فإن الجماع يعبر عنه بالسرا كقول امرئ القيس

الا زعت بسباسة اليوم انني كبرت وان لا يشهد السرامثالي

وقول الاعشى ولا تقربن جارة إن سرها عليك حرام فانكحن او تأبدا

وقول الفرزدق موانع للاسرار الا من اهلها ويخلف ما ظن الفيور النعفف

(إلا ان تقولوا قولاً معروفاً) الاستثناء منقطع لرفع ما يتوهم من المنع عن كل ما يدل على التزويج لأن التزويج يؤل إلى الجماع . بل يجوز القول بالمعروف الموافق للحياء والحشمة وكريم الخطاب كقوله لا تسبقيني بنفسك إذا انقضت العدة او اني مكرم للنساء . اولوا انقضت عدتك لا تفوتيني ونحو هذا من معاريض الكلام وبه جاءت روايات الدر المنثور عن ابن عباس (٢٣٤) ولا تعزموا عقدة النكاح) ولا توقعوها وتوجبوها وبذلك جاءت رواية الدر المنثور

(٢٣٤) وَلَا تَعْزَمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجْلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ * (٢٣٥) لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا أَعُنَّ قَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ

عن ابن عباس واما العزم على العقد بعد المدة فهو مرخص فيه في الآية خصوصا في قوله او كنتم في انفسكم (حتى يبلغ الكتاب اجله) في التبيان معناه انقضاء العدة بلا خلاف . ومقتضى اللفظ حتى يبلغ القرآن باعتبار فرض العدة اجله في انقضائها او حتى يبلغ الفرض من كتب بمنى فرض وكلاهما في وجه التجوز ببلوغها الأجل سواء (واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم) مما يبعث على الأعمال الخارجة ومنها ما هو محرم عليكم والمقصود تنبيههم على ما يعرفونه من علم الله زيادة في التحذير (فاحذروه) من ان تخالفوه وتعملوا بالمعاصي (واعلموا) مع ذلك (ان الله غفور) ان تبتم فبادروا الى التوبة ولا تقنطوا من رحمة الله واحذروه من ترك التوبة كما تحذرونه من المعصية (حلیم) لا يعاجلكم بالعقوبة بل يمهلكم لأن تتوبوا اليه فيقبل عليكم بجله كأن لم تذنبوا (٢٣٥ لا جناح عليكم) اي لا اثم وهذا دفع لما يتوهم من الاثم في صورتين المذكورتين لأنهما فراق قبل النتيجة المحبوبة المطلوبة شرعا من النكاح وقطع لما كان يؤمل من الفقة الزواج وافراجه دون ان يصدر سوء صحبة خصوصا مع مجاملة المرأة واهلها بعدم المعاصرة في تقديم الصداق وفرضه في العقد . وفي الكشف فسر لا جناح بقوله لا تبعة عليكم من ايجاب مهر ويدفعه انه لم يعرف من اللغة والقرآن مجي' الجناح بغير معنى الاثم فلماذا يفسره هنا بتبعة المال (ان طلقتم النساء ما) اي في مدة وحال انكم (لم تمسوهن) بالوطء وكان ذلك على جاري العادة في فرض الصداق لمن في العقد (أو تفرضوا) توجبوا وهو مجزوم بالعطف على تمسوهن (لمن فريضة) وهو الصداق والمراد رفع الجناح في كل من الحالين حال عدم الوطء مع فرض الصداق وحال عدمه مع عدم الفرض وعطف بكلمة « أو » كما في قوله تعالى في سورة الدهر ولا نطع منهم آثما أو كفورا لئلا يتوهم اشتراط اجتماعها . ولعله الى هذا ينظر ما في التبيان ومجمع البيان ان التقدير من فرضتم لمن او لم تفرضوا . وان النظر الى نظم هذه الآية مع التي بعدها لزعم بما ذكرناه (ومتعوهن) وجوبا لظاهر الأمر . وان الآية الاخرى بحسب سوقها ونظمها مع هذه كالصريحة في ان نصف المهر هو تمام ما تستحقه التي فرض

عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ * (٢٣٦) وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ

لها الصداق فتختص المتعة الواجبة بمن لم تمس بالوطء ولم يفرض لها مهر وعلى ذلك اجماعنا وصحيفة الكافي عن الحلبي وصحيحته عن ابي بصير وروايته عنه ايضا ورواية الفقيه عن الكنايني عن الصادق (ع) ورواية الدر المنثور عن ابن عباس وفي الخلاف عليه اجماع الصحابة . ويكون مفاد الآيتين في نظمها شريك القسمين من غير المدخول بهن في عدم الجناح بطلاقهن ثم التقسيم باختصاص نصف المهر بمن فرض لها واختصاص المتعة بمن لم تفرض لها فريضة . وعلى هذا التقسيم والتقييد يحمل اطلاق الآية الثانية والاربعين بعد المائتين من السورة والثانية والأربعين من سورة الاحزاب وليس المقام من النسخ لكي يتوقف على معرفة المتقدم والمتأخر بل هو من حمل المطلق على المقيد سواء كان الكلام تفصيلا بعد اجمال أو اجمالا مبنيًا على التفصيل . والمتعة (على الموسع) أي ذي السعة في المال مثل المثري (قدره) أي المقدار الذي يليق بسعته من المال (وعلى المقتر) أي القل من المال (قدره) وما يناسب اقلاله وكأنه بذكر الأمرين قيل على كل ما يناسب حاله . وفي الفقيه روى ان الغني يتمتع بدار او خادم والوسط بثوب والفقير بدرهم أو خاتم وفي رواية ابي بصير عن الباقر (ع) ان أدنى المتعة على المعسر خمار وشبهه وفي رواية الحلبي وعبد الله بن سنان وساعة عن الصادق (ع) ان الموسع يتمتع بالعبد والامة ويمتع الفقير بالحنطة والزبيب والثوب والدرهم ولعل الكل على سبيل المثال ومناسبة الحال (متاعا) المتاع ما يتمتع به فيكون مفعولا لمتعوهن وقد يجيى بمعنى التمتع . وفي التبيان انه حال من «قدره» والعامل فيه الظرف وكأنه لما في كلمة «على» من معنى الايجاب . وفي الكشف انه تأكيد لمتعوهن والمآل واحد (بالمعروف) صفة للمتاع على الاولى ومتعلق به على الآخرين والمآل في الكل واحد (حقا) صفة للمتاع (على المحسنين) بيان لكون المتعة بالمعروف احسان يرغب فيه المحسنون وهرونها حقا عليهم في شريعة الاِحسان (٢٣٦) وإن طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة) بيان لحكم القسم الأول في الآية السابقة وحقه فيعرف منه اختصاص القسم الثاني بالمتعة (فنصف ما فرضتم) وهو حق لهن يجب اعطاؤه (الا ان يعفون) عنه كلا او بعضا إذا كن بالغات جائزات النصف في أموالهن سواء كان العفو منهن مباشرة ام من

أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَإِنْ تَفُؤْا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ
بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * (٢٣٧) حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى

وكيلهن على العفو ام الوكيل المأذون له في كل تصرف في اموالهن أم في خصوص هذا الطلاق مثلاً (او يعفو الذي بيده عقدة النكاح) وهو ولي الصغيرة الذي جعل الله بيده ان يعقد عقدة نكاحها وليس ذلك عندنا إلا الأب والجد اعني أبا الأب او اياه ففي صحيحة التهذيب عن عبد الله بن سنان عن الصادق (ع) هو ولي امرها وعن رفاعة عنه (ع) الولي الذي يأخذ بعضاً ويترك بعضاً وفي بعض احاديثنا ما جمع فيه من يعفو بحسب الولاية وبحسب الوكالة العامة ففي معتبرة التهذيب بارسال ابن ابي عمير عن الصادق (ع) الاب والذي توكله المرأة وتولي امرها من اخ أو قرابة او غيرها وفي الصحيحة المروية في الكافي والفقهاء والتهذيب عن الحلبي وابي بصير وسماعه عنه (ع) هو الأب والأخ والرجل يوصى اليه والذي يجوز امره في مال المرأة فيبتاع لها ويتجر ونحوها صحيحة التهذيب عن ابي بصير ومحمد بن مسلم عن الباقر (ع) فأما الموصى اليه في الصحيحتين فهو من اوصى اليه الأب والجد بالقيام بأمر الصغيرة إذا رأى المصلحة في العفو كما في عفو الأب والجد واما الأخ فيعرف امره من مرسله ابن ابي عمير والظاهر ان عدم ذكر الجد هنا لدخوله في عنوان الأب (وإن تعفوا) وعفواكم ايها الناس (اقرب للتقوى) ربما تجد المرأة الضعيفة النفس في نفسها شيئاً إذا رجع الله لها العفو بخطاب خاص فلفظ الله بها بما معناه انه لا يرجع العفو لها من حيث انها امرأة ولا من حيث انه مهر بل ان كل عفو هو حسن راجع من جميع الناس وهذا المقام منه وان الزوج لم ينتفع بلذة او خدمة بازاء ما له فيكون طلب العفو بهذا النحو أطيب لقلب المرأة المطلقة وادعى لها لأن تعفو فإن لمطلق عفو الانسان عن حقه فضلاً وفضيلة وهو بفضيلته اقرب الى فضيلة التقوى (ولا تنسوا الفضل بينكم) ايها الناس واسمعي ايها المطلقة ولا تحملكم حزازات النفوس على ترك ما فيه الفضل (ان الله بما تعملون بصير) فيجازيكم على احسانكم (حافظوا) ايها الناس (على الصلوات) في اقامتها في اوقاتها بمحدودها وشرائطها واخلاصها واقبالها عموماً (والصلوة الوسطى) وهي صلاة الظهر وعن الخلاف ان عليه اجماع الفرقة والمروي في احاديثنا انها صلاة الظهر كصحيحة معاني الأخبار عن ابي بصير وروايته العياشي عن عبد الله بن سنان

وَقَوْمًا لِلَّهِ قَانِتِينَ * (٢٣٨) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أُمِيتُمْ فَأَذْكُرُوا

ومحمد بن مسلم عن الصادق (ع) وصحيفة زرارة عن الباقر (ع) وان ورد فيها بعد ذلك كما في الكافي والفقهاء ما صورته وقال في بعض القراءات حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر . وبناء على هذه الرواية فلا يخفى ان الإمام لا يتعلل ببعض القراءات إلا محاذرة من الوقت واهله فذكر الرواية الرائجة عن مصحف عائشة وروايتها واحدى الروايات عن مصحف حفصة وروايتها عن قراءة ابن عباس وابي بن كعب والسائب بن يزيد اسكانا عن بيانه الأول للحكم الواقعي . وإذا نظرت إلى ما احصاه الدر المنثور من روايات المقام ترى فيها من الاضطراب والتعارض شيئا مهولا ففي بعضها الفجر وفي بعضها الظهر وفي بعضها العصر وفي بعضها المغرب وكثيرا ما تتعارض الرواية عن الشخص الواحد «وما آفة الأخبار إلا رواياتها» (وقوموا) في الصلاة (لله قانتين) عن العياشي عن الصادق (ع) طائعتين وفي رواية سماعه هو الدعاء ومنه قوله تعالى في سورة الزمر «ام من هو قانت اثناء الليل ساجدا وقائما» وفي التبيان قيل اصله الدعاء في حال القيام أي في الصلاة وفي مجمع البيان وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله أقول ولم اجده عنهما (ع) في تفسير الآية نعم في صحيفة زرارة عن الباقر (ع) ونزلت هذه الآية في يوم الجمعة ورسول الله في سفره ففقت فيها . نعم كثر استعمالهم عليهم السلام للفظ القنوت بالدعاء في الصلاة في حال القيام وهو القنوت المعروف كما في رواياتنا وهو معروف في لسان الصحابة وغيرهم كما في روايات الدر المنثور وغيره في الآية (٢٣٨) فان خفتم فرجالا (جمع راجل وهو الماشي على رجله مثل قيام جمع قائم كما في سورتي الفرقان ٦٥ والزمر ٦٨ أي فإذا خفتم فحكمكم في صلاتكم ان تتركوا ما ينافي التحذر من الوقوف والركوع والسجود بحسب ما يقتضيه الخوف والتحذر وعلى رسلكم حال كونكم رجالا (أو ركبانا) جمع ركب وبقي ما لا ينافي التحذر على حاله كالقراءة والتسبيح والتشهد والتسليم نعم قد تخفى دلالة الآية على الإيماء للركوع والسجود إلا بالنظر إلى انه ميسور من خضوعها وانضاح قاعدة الميسور في هذا المورد للعقل والعقلاء كغيره من الموارد . وفي الكافي في صحيح عبد الرحمن قال سألت أبا عبد الله في الآية ما تقول إذا خاف من سبع أو لص كيف يصلي قال يكبر ويومي إيماء برأسه أي للركوع والسجود (فإذا أُمِيتم فأذكروا الله كما علمكم)

اللَّهُ كَمَا دَأَمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ * (٢٣٩) وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ
أَزْوَاجًا وَرِصَةً لَّأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَرْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * (٢٤٠) وَالْمُطَلَّاتُ
مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ * (٢٤١) كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ *

بلطفه في الصلاة وغيرها (ما لم تكونوا تعلمون) من اذكار الصلاة واحكامها - وغير ذلك
(٢٣٩) والذين يتوفون منكم) أي يشرفون على الوفاة (ويذرون) بعدهم ازواجا كتب الله
عليهم (وصية) تأتي الوصية بمعنى الموصى به (لأزواجهم متاعا) بدل من « وصية » بمعنى
الموصى به وإذا جعلنا الوصية هنا بمعنى الايضاء كان التقدير جعل الله لهم ما يوصى به في
الايضاء متاعا ونحو ذلك والأول أظهر (إلى الحول) من حين وفاته في موئنتها (غير اخراج)
صفة المتاع ليعم السكنى . وربما لم يكن هذا أجلا لعدة الوفاة على كل حال بل ان شاءت ان
تبقى في بيت زوجها فلها الانفاق والاسكان بحسب الوصية حولاً (فإن خرجن) من
قبل انفسهن مطلقاً أو من بعد أن تقضي اربعة أشهر وعشرا أو ابعد الأجلين إذا كانت حاملاً
فقد أسقطت حقها . وقيل ان الحول كان عدتها فنسخ والمراد من الآية خرجن بعد الحول
(فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف) من حيث الزواج الشرعي أو اختيار
ما يوافق حالها وصلاحها في الخروج . اما وجوب الوصية ان كان فهو منسوخ بالاتفاق
وأما جوازها فمن مجمع البيان انه باق عندنا لم ينسخ (والله عزيز) في احكامه (حكيم) في
شريعته (٢٤٠) والمطلقات متاع بالمعروف) بحق (حقا على المتقين) ان كان المراد من الآية
تأكيد ما تقدم من متعة من لم تمس ولم يفرض لها فريضة كان اطلاقها جارها على ذلك التقييد
وهذا هو المناسب لقربها من تينك الآيتين ولظاهر قوله تعالى « حقا على المتقين » ولما أشرنا اليه
أنفا من الاجماع والروايات . ويمكن ان تحمل هذه الآية على الاستحباب في مطلق المطلقات
بالنظر إلى صحيحة الحلبي وروايته وصحيحة عبد الله بن سنان وساعة كما في الكافي ورواية ابي
بصير كما عن العياشي وفيه شك (٢٤١) كذلك) خطاب لرسول الله (يبين الله) بلطفه (لكم
آياته) خطاب للناس لاحتياجهم في نظام امرهم إلى بيان هذه الأحكام (لعلكم تعقلون) لغاية

(٢٤٢) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ * (٢٤٣) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ *

ان تعقلوا إذا أقبلتم باختياركم على التدبر لهذه الآيات والعمل بها (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ) أي أَلَمْ تعلم بأمرهم ونزول علمه (ص) بما فيه من الإيمان واليقين بمنزلة الرؤية بالبصر (خرجوا من ديارهم وهم أُلُوف حذرو الموت) أي خرجوا حذرا من الموت وفراراً (فقال لهم الله موتوا) وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون فعبّر عن إرادته التكوينية بالأمر بالموت وبالكون إشارة إلى أن قدرته لا تحتاج إلى عمل وممارسة مقدمات (ثم أحياهم) بعد موتهم . روى في روضة الكافي عن الباقر والصادق عليها السلام قصة هؤلاء وهربهم من الطاعون وموتهم وبقاءهم بلا دفن حتى صاروا عظاما فجمعها المارة ونحوها عن الطريق فر عليها حزقيل النبي من بني اسرائيل فدعا الله في احيائهم فأحياهم . وعن العياشي وسعد بن عبد الله عن حمران عن الباقر عليه السلام مختصر في هذه القصة . وروى في ذلك في الدر المنثور عدة روايات عن ابن عباس وبعض التابعين (١) (وإِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) يعرفهم قدرته ويبصرهم بخواصه ويحوظهم بالطفاه ويجلهم برحمته (ولكن أكثر الناس لا يشكرون ٢٤٣) وقاتلوا) أيها الناس في سبيل الله) ولا تخافوا من الموت فإن الأمور بيد الله ولكم الموعظة بفرار هؤلاء من الموت وموتهم وحيائهم (واعلموا ان الله سميع) لدعائكم واستنصاركم وما تقولونه في امر الجهاد والدعوة إلى الله ودين الحق (عليم) بنياتكم في جهادكم (٢٤٤) من ذا الذي يقرض الله قرضاً

(١) وللهذه القصة شؤن . فقد ذكر نظيرها في العهد القديم في كتاب حزقيال من العدد الاول إلى الحادي عشر من الفصل السابع والثلاثين . فجاءت جمعية المرسلين الامريكان في (الجزء الثاني من كتابهم الذي سموه « الهداية » واعترضوا على القرآن المجيد وانكروا مضمونها والاحياء وجعلوا ما ذكر في كتاب حزقيال رؤيا منامية غابتها البشرية باتعاش بني اسرائيل بعد السبي ورجوعهم إلى قوميتهم وحالتهم السياسية دع جمعية الاميركان وهلم الخطب في بعض مفسري المسلمين المعاصرين من المصريين إذ كتبوا وطبعوا انكار الأمر الذي ذكره القرآن الكريم بالمحاورة الصريحة الدائرة بين العقلاء في بيان الحقائق وفسروا الآية بأن موت أولئك القوم هو ان المدو نكل بهم فافترى قوتهم وازال استقلال أمتهم حتى صارت لا تعد أمة . ومعنى حياتهم هو عود الاستقلال اليهم . إلى آخره . ويا ليت (الترعة المصرية واللهجة السياسية لم يدا ايديها إلى القرآن الكريم .

(٢٤٤) مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * (٢٤٥) أَلَمْ

حسنا) قد اقتضت حكمة الله ورحمته في شأن الإنسان ونظام مدنيته وتشابكه في الاجتماع ان يجعل بعضهم محناجا إلى بعض في شؤون التعيش والاموال . كما اقتضت حكمته ورحمته في كمال الانسان ونيله كرامة الفضيلة وحسن الجزاء بأن يجعله مختاراً في افعاله واحواله في الايمان والكفر والطاعة والمصيبة . واقتضت حكمته ورحمته ولطفه أن يأمر بالتعاون على البر والاحسان وان يعود الغني على الفقير بشيء ما هو من رزق الله وخلقه وينفق شيئاً من مال الله في نصر الحق واهله ودفاع الباطل واهله . واقتضت رحمته ولطفه ان يرغب الإنسان في الانفاق في سبيل الله والخير في الفقراء والجهاد وينصره بهذا الترغيب على شح نفسه ونزعات حرصه وما يسوله له فقره مكانه . فجاء القرآن الكريم على أحسن وجه في الترغيب وحاصل ما يشير إليه وينوه به هو انكم ايها الناس لا بد لكم من انكم تعرفون أن كل نعمة عندكم إنما هي من الله وخلقه للعالم وما فيه . ومع ذلك فإن الله بحسب حكمته ولطفه يندبكم إلى أن تنفقوا شيئاً مما أنعم به عليكم في طريق صلاحكم وسعادتكم وان الذي ينفق في ذلك شيئاً من ماله وهو يريد به وجه الله يجعله الله قرضاً عليه إذا كان قرضاً وانفاقاً حسناً من المال الحلال فاقد لما يشينه من الربا والمن ونحو ذلك (فيضاعفه له) بنصب « يضاعفه » جواباً للاستفهام بعد الغاء وفي الحقيقة هو جواب لطلب القرض المؤكد بأسلوب قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له (اضعافاً كثيرة) . روى الصدوق في معاني الاخبار في الصحيح عن الخزاز والعباشي عن علي بن عمار عن الصادق (ع) لما نزل من جاء بالحسنة فله خير منها قال رسول الله اللهم زدني فأنزل الله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها فقال رب زدني فأنزل الله من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له اضعافاً كثيرة فعلم رسول الله (ص) ان الكثير منه لا يحصى وليس له منتهى (والله يقبض ويبسط) في تفسير البرهان عن الصدوق مسنداً عن الصادق يمنع ويعطي والمراد استلقاتهم إلى ان امر الرزق بيد الله جل شأنه فليغتنم ذو السعة فرصة الانفاق وقرض الله قبل ان يضيق عليه رزقه وتبقى له الحسرة . ولا يخف في انفاقه فقراً فإن بيده بسط الرزق (واليه ترجعون) فيوفيكهم جزاء ما انفقتم وتشتد حمسات الحريص الشحيح على ما فرط (٢٤٥) أَلَمْ

تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ أَهْمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا
نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ أَنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَا تُنْقَاتِلُوا قَالُوا
وَمَا آتَا أَلَا نُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَنَا فَلَمَّا كُتِبَ
عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * (٢٤٦) وَقَالَ أَهْمُ

تر (الرواية كما تقدم قريبا كناية عن العلم (إلى الملأ) أي الأشراف والأعيان (من بني
اسرائيل من بعد) موت (موسى إذ قالوا للنبي لهم) في تفسير القمي في الصحيح عن الباقر
(ع) ان بني اسرائيل عملوا المعاصي وغبروا دين الله وعتوا عن أمر ربه وكان فيهم نبي يأمرهم
وبيناهم فلم يطيعوه وروى ان اسمه ارميا النبي أقول هذا وما بعده ليس من الصحيح بل هو
ارسال من القمي وفيه ما هو خلاف الصحيح فإن نفس القمي سيروي في تفسير الآية الحادية
والستين بعد المائتين في الصحيح عن الصادق ان ارميا النبي معاصر لبخت نصر وسبي
بابل كما هو مقتضى التاريخ وبين ذلك العصر وعصر طالوت نحو اربعمائة سنة وتسعة اجيال .
وفي التبيان ومجمع البيان وقيل هو اشموئيل وهو المروي عن ابي جعفر يعني الباقر (ع) وفي
مجمع البيان وهو بالعربية اسماعيل وفيه منع فإن اسماعيل في العبرانية « يشمع ايل » (ابعث
لنا ملكا نقاتل) معه (في سبيل الله قال) لهم نبينهم (هل عسيتم) عسى معناها الترجي في المحبوب
والاشفاق في المكروه (ان كتب عليكم القتال ان لا تقاتلوا) المطرد فيما بعد عسى ان يأتي
مقرونا بكلمة « ان » الناصبة ولكن لأجل ان المؤكدين بعد اختلاط اللسان ضاعت عليهم
مزايا اللغة العربية بعد ان كانت معروفة لأهلها فقال بعض النحويين او جمهورهم ان عسى
من الأفعال الناقصة والمنصوب بأن خبرها على حذف المضاف منه او من اسمها (قالوا) ماموؤداه
ما اذا يمنعنا من القتال (وما لنا) من الفائدة في (ألا) الا هي ان المصدرية ولا النافية (نقاتل
في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا) بالحرب والطرود عن الأوطان وهل بعد هذا مانع
نفساني عن القتال أو فائدة تدعو إلى تركه . مضافا إلى انه قتال في سبيل الله ودفاع عن
الدين والتوحيد . ومع هذا البيان منهم (فلا) بعث لهم طالوت ملكا و (كتب) وفرض
(عليهم القتال) معه (تولوا) وتحاذلوا (إلا قليلا منهم) والله عليهم بالظالمين) يعلم حالهم من قبل
ذلك (٢٤٦) وقال لهم نبينهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا (قيل سمي طالوت اطوله وفي

نَبِيَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * (٢٤٧) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ

كتب اليهود انه كان اطول من كل بني اسرائيل من كتفه فما فوق (قالوا انى) من أين (يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه) وفي تفسير القمي أرواياته أنه كان من سبط بنيامين (١) قلت وتاريخ اليهود يذكر في اواخر سفر القضاة ان سبط بنيامين قد صدرت من بعضهم بادرة قبيحة فأراد بنو اسرائيل ان يودبوا هؤلاء فحاربهم سبطهم فحاربهم باقي الاسباط حتى نكلوا بهم فصار سبط بنيامين بعد ذلك سبطاً قليلاً مستحقراً فيما بين بني اسرائيل (ولم يؤت سعة من المال) ليؤسس به ملوكيته وادارتها (قال) لهم نبيهم (ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة) أي سعة (في العلم والجسم) يدبر بعلمه المملكة وشؤون القتال ويملاً ببسطة جسمه الأبصار هيبة تناسب الملوك ومخائل القوة والشجاعة (والله يؤتي ملكه من يشاء) فلا اعتراض لكم في ذلك (والله واسع) في فضله ورحمته أي واسم الفضل والرحمة (عليم) بما تقتضيه الحكمة في كل مقام (٢٤٧) وقال لهم نبيهم (في مقام الاحتجاج والدلالة على ان طالوت يكون ملكاً عليهم وذلك باصطفاء الله له) (ان آية ملكه) والحجة التي تعرفون بها ذلك (ان يأتيكم التابوت) الصندوق في مجمع البان انه كان في ايدي اعداء بني اسرائيل غلبوهم عليه لما مرج امر بني اسرائيل وحدث فيهم الأحداث ثم انتزعه الله من ايديهم وردده على بني اسرائيل تحمله الملائكة وروى ذلك عن ابي عبد الله (فيه سكينة من ربكم) في تفسير القمي عن الرضا (ع) انها ريح

(١) قال الطنطاوي في الجزء الأول من تفسيره صفحة ١٩٠ في كلام بني اسرائيل مع نبيهم في هذا المقام « قالوا ان طالوت ليس من بيت لاوي بيت النبوة ومنه موسى وهارون ولا من بيت يهوذا بيت الملك ومنه داود وسليمان » - إلى ان قال فأجابهم واقول يا للعجب متى كان من قبل ان يملك طالوت لبيت يهوذا ملك ومملكة ومتى كان قبل طالوت داود وسليمان ملكين لكي يذكر بنو اسرائيل ملوكيتهما لنبيهم وكيف والذي يعرف من القرآن هو ان داود لما قتل جالوت كان رعية في جند طالوت وانظر إلى كلام المفسر في صفحة ١٩١ ويقول الله في سورة النمل وورث سليمان داود ولم يذكر ان الاشراف من بني اسرائيل احتجوا بسبطين من اسباطهم بل قالوا نحن احق بالملك منه . وهل كان ذكرهم ملك يهوذا وداود وسليمان تبتاعن المستقبل؟! إذن اي مؤرخ ذكر هذا التنبؤ منهم وما هي قيمته (التاريخية) ؟!

وَبَقِيَّةُ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ

من الجنة لها وجه كوجه الإنسان ونحوه في مجمع البيان والدر المنثور عن امير المؤمنين وفي رواية معاني الأخبار عن يونس عن الرضا (ع) روح الله لكن في اصول الكافي في صحيح محمد ابن مسلم عن الباقر (ع) السكينة الايمان . ونحوه في صحيح حفص وهشام عن الصادق ونحوه في صحيح ابي حمزة عن الباقر وزاد في قوله تعالى وايدهم بروح منه قال هو الايمان ونحوه في صحيح جميل عن الصادق (ع) والظاهر ان هذه التعبيرات تشبهات واشارات بحسب حال المورد والخطاب والمخاطب فلعل السكينة أمراً يوجب الامنة والطمأنينة جعله الله في التابوت ليسكن اليه بنو اسرائيل فقد كان لهم بمنزلة اللواء الأعظم في الحروب وفي التبيان انه الأولى واستظهر نحو ذلك في مجمع البيان وهو احدى روايات الدر المنثور عن ابن عباس (وبقية مما ترك آل موسى وهارون) من آثار النبوة (تحمله الملائكة) الجملة حال من يأنيكم وفي روضة الكافي في معتبرة عبد الله بن سليمان (١) عن الباقر (ع) في التابوت ما لفظه «والملائكة كانت تحمله على صورة البقرة» أقول وعلى تقدير صدور هذا المروي عن الإمام (ع) يكون ما في كتب اليهود صورة لما ذكره (ع) من الحقيقة . ففي الفصل السادس من كتاب صموئيل الاول في الآية وخرق العادة في رجوع التابوت وهو ان المشركين لما انتهبوا التابوت من بني اسرائيل أصابهم بلاء من الموت والأمراض فأرادوا أن يردوا التابوت ويستعملوا من حاله وكرامته انه هل هو الذي سبب عليهم ذلك البلاء من الله فتابوا على ان يجعلوه في عجلة وبربطونها ببقرتين مرضعتين صعبتين لم يعلمها نير وبعد ذلك يرجعون عنها ولديهما إلى البيت فإن سارت البقرتان بالعجلة على الهدى والاستقامة عرفوا ان هذا الأمر الخارق للعادة من حال البقرتين إنما هو من آيات الله لبيان كرامة التابوت فسارت البقرتان بالتابوت والعجلة على أحسن استقامة ومعرفة للطريق إلى أن اوصلنا التابوت إلى بلاد بني اسرائيل وبمقتضى الآية الكريمة والرواية الشريفة ان الملائكة كانت تتولى حمل التابوت بهذا الحل الخارق للعادة في تلك الصورة الظاهرية من تسخير البقرتين وفي مجمع البيان ذكر شيئاً فيه شبه لهذا ولم ينسبه إلى

(١) فإن الكافي يرويها بالسند الصحيح عن يحيى الخليلي عن عبد الله بن سليمان وقد شهد النجاشي وابن ابي داود والعلامة بأن يحيى ثقة صحيح الحديث وقد ذكره عبد الله من اصحاب الباقر ولم يندش فيه بشيء

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ * (٢٤٨) فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي

إمام . وذكر في شرح روضة الكافي شيئا من تاريخ ابن الأثير وغيره من المفسرين وأقول إن تفاسير هذه الأمور إما أن تؤخذ عن النبي (ص) أو الأئمة وإلا فلا لأن المؤرخين بل والمفسرين كما ذكرناه في المقام الثالث من الفصل الرابع من المقدمة إن منهم من يأخذ من النقل الإفواهي المتقلب بالتحريف من أهل الكتاب الراجع إلى كتبهم من العهد القديم وهي التي كانت في أزمنة المفسرين والمؤرخين باللسان العبراني والبابلي واليوناني وهي ممنوعة عن غير اليهود والنصارى ويحرم في مذهب الفريقين أن يمكنوا منها حتى العوام منهم لكن بعد أن ظهرت في النصارى فرقة الانجيليين ترجموها بكل لسان ونشروها في البلاد فهذه الكتب على ما فيها من التحريف أقل تحريفا من الانتقال المأخوذة عنها بالنقل الإفواهي الذي لم يكن على الحفظ والأمانة (إن في ذلك) أي في أخباري بآيات التابوت حال كونه تحمله الملائكة (لاية لكم) تعرفكم نعمة الله وقدرته لتطيعوه وتعرفكم صدقي وإن طالوت جعله الله ملكا عليكم كل ذلك (إن كنتم مؤمنين) بالله وآياته ودلائلها حق الإيمان في تفسير القمي بسند صحيح عن الرضا (ع) كان إذا وضع التابوت بين المسلمين والكافرين فإن تقدم التابوت رجل لا يرجع حتى يقتل أو يغلب فأوحى الله إلى نبيه أن جالوت « وهو رئيس المشركين وشجاعتهم » يقتله من يستوي عليه درع موسى اسمه داود بن اسي « وفي كتب اليهود في العبرانية « يسي » وكان اسي راعيا وكان له عشر بنين اصغرهم داود فلما جمع طالوت بني اسرائيل للحرب بعث إلى اسي أن احضر ولدك فلما حضروا دعا واحداً واحداً منهم فألبسه درع موسى فمنهم من طالت عليه ومنهم من قصرت عنه فقال لأسي هل خلفت من ولدك احدا قال نعم اصغرهم تركته في الغنم فبعث إليه فلما دعي أقبل ومعه مقلع فناداه ثلاث صخرات في طريقه يا داود خذنا فأخذها في مخلاته فلما جاء إلى طالوت ألبسه درع موسى فاستوت عليه ففصل طالوت بالجنود (٢٤٨) فلما فصل طالوت بالجنود (أي فلما ملك وجند جنوده في معسكره وفصل بمعنى انفصل بجنوده عن المعسكر وعمل التجمع وسار إلى محل الحرب) قال (الجنوده) إن الله مبتليكم بنهر (في طريقكم ليتبين مطيعكم من عاصيكم) (فمن شرب منه فليس مني) أي من أصحابي

وَمَنْ لَمْ يَطْمَئِنْهُ فَإِنَّهُ يَمُنِي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزُوهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٌ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * (٢٤٩) وَأَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * (٢٥٠) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ

المطيعين ولا من حزب الله (ومن لم يطعمه) أي يذوقه (فإنه مني) أي من اصحابي ومن حزب الله (إلا من اغترف غرفة) واحدة (بيده) فإنه مسامح في ذلك (فشربوا منه) وعصوا (إلا قليلا منهم) وفي تفسير القمي عن الصادق (ع) ان الذين لم يشربوا ولم يغترفوا كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ونحوه عن تفسير العياشي عنه (ع) وذكر في الدر المنثور رواية ذلك عن البراء وابن عباس (فلما جاوزوه هو والذين آمنوا معه) وهم جنده الذين شربوا والذين لم يشربوا لأنهم كلهم كانوا مؤمنين غير مشركين وان عصى بعضهم (قالوا) أي قال نوعهم لا كلهم (لا طاقه لنا اليوم بجالوت وجنوده) وفي روضة الكافي في الصحيح عن الباقر (ع) كما روى في تفسير القمي عن الصادق (ع) ان الذين اغترفوا قالوا هذا القول والذين لم يغترفوا هم الذين قال الله فيهم (قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله) أي الذين لم يلهمهم الا أمل بل قربوا الموت في كل حين إلى ظنهم شوقا إلى لقاء الله برفع الحجاب الشهواني كما قدمناه في الآية الثالثة والأربعين قالوا من قوة إيمانهم وثبات عزمهم وحسن ظنهم بالله . والمؤمن ينظر بعين الله (كم من فئة) أي جماعة وفرقة (قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) ونصره (والله مع الصابرين ٢٤٩ ولما تهيأوا للقتال و (برزوا) في موقف الحرب (لجالوت وجنوده) لم يعتمدوا على انفسهم مهملين من الطاعة والتفاني في سبيل الله بل (قالوا) في التجائهم إلى الله ودعائه بالتوفيق والتسديد والنصر لاظهار دين الحق (ربنا افرغ علينا صبرا) الافراغ الصب شهبوا الصبر بالماء الذي يصب عليهم بصبه عليهم فطلبوا من الله التوفيق للصبر الكثير المجدي بحيث يكون كما يصب عليهم الصبر صبا (وثبت اقدامنا) على الحق والجهاد في سبيلك (وانصرونا على القوم الكافرين) اخلاء لذين الحق (٢٥٠) فهزمهم باذن الله (الماثور ان هزيمة الكفار كانت بعد ان قتل داود جالوت

البقرة : قتل داود جالوت ٢٥١ تلك الرسل منهم من كلم الله وتكليم الله لنبينا ٢٢٥

وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ
اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ أَفْسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَئِنْ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ *
(٢٥١) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ *

(٢٥٢) تِلْكَ أَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُم عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ
(الجزء الثالث) مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ

ولكن اخر ذكر القتل ليجري ما ذكر داود من الفضائل على نسق واحد فإن ذلك ابلغ في
تمجيده واظهر بيانا لعظمة النعمة عليه (وقتل داود جالوت وآناه الله الملك) المهيّب (والحكمة
وعلمه مما يشاء) كفصل القضاء والنبوة والزبور وعمل السابغات (ولولا دفع الله الناس) عن الطغيان
والإفساد العام (بعضهم) بدل من الناس (بعض) آخر (افسدت الارض) فإن الله جلت حكمته
خلق الناس مختارين في افعالهم ومن الغايات ان يتمتعوا في الارض ويحصل منهم النسل ويولد
الكافر المؤمن والفاجر الصالح وقد علم الله انه يكون في الناس امثال يزيد ومسلم بن عقبة والحجاج
واذا خلى السبيل لامثال هؤلاء ملأوا الارض فساداً وفسدوها وان اهلك المفسد والانتقام
منه في الدنيا لا يرتدع به من يريد الفساد العام بل يعدون كل ذلك من سنن الكون ومقتضيات
الاسباب العادية كالموت الذي لم يردع الناس عن غيهم وان قاربوه بالشيوخوخة والمرض فكان
من الرادع لهم امر الله للمؤمنين بدفاع المفسدين ووجود المنازعين من الناس للمفسدين في
اغراضهم فكان ذلك وما وقع من مغلوية المفسدين ومقهوريتهم عند النزاع دافعا من الله لشمول
الفساد وكان حذر المفسدين من صولة القوة وثورة النزاع وفوز الخصوم رادعاً نوعياً في الغالب
يوقف الفساد عن طغيانه العام (ولكن الله) تفضل على العالمين بأن منع عموم الفساد في الارض
بدفع الناس بعضهم ببعض مع بقاء الحكم على مواقعها فالتجديت آلاؤه (ذو فضل على العالمين
٢٥١ تلك) اي قصص الامور المذكورة (آيات الله نتلوها عليك) يا رسول الله (بالحق)
وعلى حقيقتها بالوحي الاي آهي (وانك لمن المرسلين) من الله الى الناس لتخرجهم من الظلمات الى
النور (٢٥٢ تلك الرسل) انتت الاشارة باعنيار الجماعة (فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم
الله) اياه وفضله بتكليمه له كوسى ورسول الله فقد ورد مستغيضا عن الصادق (ع) ان
التخير الذي يعتره (ص) عند الوحي انما هو عند تكليم الله له بدون توسط جبرائيل كما روى

وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَىٰ بْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ
الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ
وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فِيهِمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا وَلَكِنْ
اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ * (٢٥٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ
أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ *

مسندنا في محاسن البرقي وعلل الشرائع وتوحيد الصدوق وكمال الدين وامالي الشيخ بل ان احاديث
المعراج عن رسول الله (ص) ناطقة بأن الله كلمه وناجاه وناداه كما في تفسير القمي وبصائر
الدرجات وعلل الشرائع وامالي الصدوق وامالي الشيخ باسانيدهم عن الكاظم والصادق
والباقر وامير المؤمنين وابن عباس كما روى اهل السنة ذلك في حديث المعراج (ورفع بعضهم
درجات وآتينا عيسى بن مريم) المعجزات البينات (وايدناه بروح القدس) جبرئيل (ولو شاء الله)
ان يلجئ عباده على عدم الكفر والعصيان له ووافق ذلك حكمته لفعل فانه هو القادر القاهر و(ما
اقتل الذين من بعدهم) من امهم (من بعد ما جائتهم البينات) ولم يكن ذلك لاجل خفاء الحق
على احد الفريقين (ولكن اختلفوا) بسبب اتباع الهوى من بعضهم (فمنهم من آمن) بالله وبما
جاءه من البينات (ومنهم من كفر) واتبع هواه فاقتتلوا (ولو شاء الله ما اقتتلوا) ولكن ليجزي
المؤمنين جزاء المجاهدين في نصر الحق (ولكن الله يفعل ما يريد) مما يقتضيه اللطف والحكمة
(٢٥٣) يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم) ان اريد الانفاق الواجب كما هو ظاهر الطلب
فهو الزكاة اذ لا عهد انفاق عام واجب غيرها ولا تخافوا الفقر في انفاقكم فان ما عندكم انما هو
من رزق الله وهو رازقكم فاعتنموا الفرصة في اموالكم في دار الدنيا (من قبل ان يأتي يوم)
وهو يوم القيامة (لا بيع فيه) فتبتاعون ما ينفعكم فيه (ولا خلة) تجديكم فيه
ان لم تكونوا من الذين اتقوا الله فيما امرهم به ونهاهم عنه وقدموا لانفسهم «والاخلاء»
يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين» كما في سورة الزخرف (ولا شفاعة) الا لمن اتخذ عند
الله عهدا والا باذن الله ولمن ارتضى كما اشرنا اليه في سورة الفاتحة في الشفاعة (والكافرون
هم الظالمون) لانفسهم اذ لم يتركوا لانفسهم لذلك اليوم وسيلة تؤهلهم لرحمة الله لهم ونجاتهم

(٢٥٤) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ

(٢٥٤ الله) اسم وعلم لواجب الوجود آله العالمين جل وعلا (لا آله الا هو) الا له هو الذات المقدسة المتصفة بصفات الإلهية كوجوب الوجود والعلم والقدرة والخالقية وغيرها فلا شيء متمصفا بصفات الإلهية ويستحق ان يسمى إلهاً وله تحقق الا الله (الحي) الثابتة له صفة الحياة والدائمة بدوام ذاته ووجوب وجوده لذاته ومعنى الحي واضح ظاهر (القيوم) مبالغة في من قام بالأمر فإنه جلت آلاؤه هو القائم بايجاد العالم وتديره والمبالغة باعتبار العموم والدوام (لا تأخذه) لا تغلبه وتستولي عليه (سنة) بل (ولا نوم) السنة من الوسن وهو النعاس الذي لا يبلغ النوم ولكنه يغلب ويوجب الذهول والغفلة عن القيام بما يقام به من الامور . والنوم معروف ويجوز ان لا تغلب السنة ولا تستولي بل يطرد النوم فيغلب ولكن الله جل شأنه زيادة على انه لا تأخذه ولا تغلبه سنة الا يأخذه ولا تغلبه على قيوميته نوم وان كان اقوى من السنة بكثير (له ما في السموات) من الموجودات (وما في الارض) جميعا حتى السموات والارض كما تقول الملك له وتحت نفوذ ملوكيته ما في العراق اي حتى ارض العراق وحدودها كما اكتفى القرآن في هذا المعنى المتعارف في المحاورة العرفية بقوله له ملك السموات والارض . والله ملك السموات والارض كما في نحو ثمانية عشر موردا (من ذا الذي يشفع عنده الا بذنه) فان كل ما في السموات والارض له ومن خلقه فليس هناك من يتوهم كما يقول المشركون ان له استحقاقا طبيعيا للشفاعة والتأثير لتوهم تأليهه مع الله باحد الوجوه التي يتوهمونها ومنها الولادة والمظهرية تعالى الله عما يقولون لا إله الا هو وانما تكون الشفاعة لعبد مقرب بإذن الله له بها تشريفا له واعلاء لقدر عباده الصالحين المطيعين له وترغيبا للناس في الطاعة وما لها من علو الدرجات (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم) اي الملائكة والجن والإنس من العقلاء الذين يصح نفي الشفاعة عنهم واثباتها لهم بوجه والمراد مما بين ايديهم وما خلفهم ما مضى وما هو آت (ولا يحيطون بشيء من علمه) اي ما يعلمه (الا بما شاء) وعلمه لعباده وفتح لهم باب ادراكه (وسع)

وَلَا يُوْذُوْهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ * (٢٥٥) لَا اِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ
الرُّشْدُ مِنَ النَّمْيِ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ

كرسيه السموات والارض) روى الصدوق في توحيده بسنده عن المفضل عن الصادق (ع) ان العرش هو العلم الذي اطعم الله عليه انبياءه وحججه والكرسي هو العلم الذي لم يطلع عليه احدا وبسنده عن حفص بن غياث عنه (ع) عن الكرسي في الآية قال (ع) علمه وبسنده عن عهد الله بن سنان عنه (ع) في الكرسي او العرش هو العلم الذي لا يقدر احد قدره وفي مجمع البيان ان هذا مروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) وفي النبيان وهو مروي عنهما وفي الدر المنثور ذكر جماعة اخرجه عن ابن عباس وذكر جماعة اخرجه عن ابي موسى الاشعري قال الكرسي موضع القدمين وله اطيظ كاطيط الرجل . وجماعة اخرجوا عن ابن مسعود عن رسول الله (ص) في المقام المحمود قال ذلك يوم ينزل الله على كرسيه يأط منه كما يأط الرجل الجديد من تضايقه . وجماعة اخرجوا عن عمر عن رسول الله انه قال ان كرسيه وسم السموات والارض وان له اطيظا كاطيط الرجل الجديد اذا ركب من ثقله ما يفضل منه اربع اصابع . هذا ولما بين الله جل شأنه ان له ما في السموات والارض شاء ان يبين اجاطة علمه وسلطة تديره بجميع ما هو له وملكه فناسب التقريب لادراكنا القاصر بالتمثيل بالجسمانيات المألوفة لنا فشبها الاجاطة والسلطة بالوكانت بحسب التخيل في كرسي الملك . وعلى ذلك جرى تعبير الأئمة عليهم السلام في السموات والارض انها في الكرسي (ولا يوذوه) يشقله وبشق عليه (حفظهما) اي النوعين من السموات والارض وكيف (وهو الي) في شأنه وقدرته وعلمه (العظيم) في سلطانه وجلاله (٢٥٥ لا اكراه في الدين) قد مر تفسير الدين في الآية التاسعة والثمانين بعد المائة وليس الدين بشي يخفى على الناس بحمد حقيقته وكرامة كاله لكي يراد منهم بالا كراه كيف وهو دين الفطره مستقيم صراطه واضح منهجه مشرقة ارجاؤه مبيرة اعلامه بينة آياته هادية دلائله (قد تبين الرشد من النمي) بدلالة العقل والفطرة وتتابع المعجزات وتوارد الحجج وان تعامى عنها المعاند له حتى اعمى عناده قلبه وعين بصيرته (فمن) يخالف هواه ويتبع عقله وبينات فطرته و (يكفر بالطاغوت) الطاغوت مأخوذ من الطغيان . وقد ذكر هذا اللفظ في القرآن الكريم ثمان مرات ففي بعضها مساه خبرا للجمع ويعود عليه ضمير الجمع كما في اولياتهم الطاغوت

وَيُؤَيِّنُ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ*
(٢٥٦) اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
أُولَئِكَ أَوْلِيُّهُمْ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
النَّارِ هُمْ فِيهَا

يخرجونهم في الآية . وفي بعضها الضمير الموث الثاقل في الجماعة كما في يعبدوها في التاسعة عشرة
من سورة الزمر . وفي بعضها ضمير المفرد كما في الثالثة والستين من سورة النساء . وفي بعضها
اشير اليه بهؤلاء . كما في الرابعة والخمسين من سورة النساء . وفي النهاية والقاموس تكون للواحد
والجمع وذكر اللغويون انه يقال طاغوت للصنم والشیطان ورأس كل ضلال . والطاغوت مأخوذ
من الطغيان اما باعتبار كونه سببا كبيرا لطغيان الضلال كالأصنام . وفي النهاية ومنه الحديث
هذه طاغية دوس وخشم اي صنمهم ومعبودهم وأما باعتبار طغيانه في اغوائه وتمرده ودعوته
الى الضلال كالشیطان وروثاء الضلال . ففي كل مقام من القرآن الكريم يراد من الطاغوت
ما يناسب سوقه . والمناسب للمقام هو الأصنام او دعاة الشرك او الشياطين ومعنى بكفر بالنسبة
لكل من الأخيرين يخالفه في اغوائه بالشرك ويترك منه ومن اتباعه (ويؤمن بالله فقد
استمسك) اي احكم تمسكه (بالعمدة الوثقى) التي هي اوثق العروة فانها (لا انفصام لها) ابدأ
وليس في الإيمان بالله منشأ تردد او ريب او وهن في الحجة (والله سمیع) لا أقوالكم في الإيمان
به (عليهم) بنياتكم (٢٥٦ الله ولي الذين آمنوا) اي هو المدبر الأولي واللاحق تدبيرهم فيما هو
الأصلح لهم بلطفه وان كان لطفه جلت آلاؤه بالدلالة والإرشاد عام لكل البشر ولكن خص
الذين آمنوا بالذكر لأنهم لم يعاندوا الحق ولم يخرجوا انفسهم عن الأهلية لتوفيق الله لهم
الى الحق والایصال الى المقام السامي فهو (يخرجهم) بتوفيقه (من الظلمات) ظلمات الضلال
والمعاصي (الى النور) نور الهدى والطاعة (٢٥٧ والذين كفروا) وعاندوا الحق واخرجوا
انفسهم عن الأهلية للطف الله وولايته في تدبير شؤونهم بالتوفيق والتسديد وقد تولوا الطاغوت
فهم اذن (اوليائهم الطاغوت يخرجونهم) الظاهر من الضمير ارادة المغوين على الكفر والمغربين
بالضلال كالشياطين وروثاء الضلال فانهم يخرجونهم (من النور) نور التوفيق والوصول الى
الحق (الى الظلمات) ظلمات الخذلان والكفر والضلال (اولئك) الكافرون (اصحاب النار هم

خَالِدُونَ * (٢٥٧) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ *

فيها خالدون ٢٥٨ الم تر (المراد الم تعلم كما ذكرنا قريبا (الى الذي حاج ابراهيم في ربه) الحاجة تشمل الجدل وإن كان داحضا . والظاهر ان المحاج هو النمرود الملك . وفي مجمع البيان ان هذه الحاجة كانت قبل لقاء ابراهيم في النار عن الصادق قلت ولم اجد روايتها . وفي تفسير القمي لا بعنوان الرواية والدر المنثور عن السدي انها بعد ذلك . وقد جرأه على حاجة ابراهيم بالباطل طغيانه وعتوه وبطره (ان آتاه الله الملك) اي لأن الله آتاه الملك في الدنيا واملأ له فحاج ابراهيم (اذ قال ابراهيم ربي) والهي هو (الذي يحيي ويميت قال) نمرود (انا احيي واميت) قيل انه صرف الكلام عن وجهه حيث قال له ابراهيم كيف تحيي وتميت قال اعد الى رجلين قد وجب عليهما القتل فأخلي عن واحد واقتل الآخر فأكون قد احيت واميت قال القمي في تفسيره لا بعنوان الرواية واورد نحوه في الدر المنثور رواية عن ابن عباس اقول مقتضى الآية ومحااجة نمرود لا ابراهيم في ربه هو انه لم يدع كونه شريكا لله ليقول انا ايضا احيي واميت مثل الله ويغالط في ذلك بان يقتل احد الشخصين ويستحيي الآخر بل انه ينكر رب ابراهيم ويدعي الالهية لنفسه فيكون قوله انا احيي واميت مصادرة جزافية يريد بها الاحياء والموت اللذين قالهما ابراهيم فأراد ابراهيم ان يسد باب المصادرات بالدعوي السخيفة الباطلة ولذا (قال ابراهيم) ان كنت قادرا على الاحياء والامانة كما تزعم (فإن الله يأتي بالشمس من المشرق) والقادر على الاحياء والامانة قادر على التصرف بالشمس (فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر) أي نمرود الكافر بالله أو نوع الذي كفر من الحاضرين نمرود واذنابه وبهت بالبناء للمفعول فهو مبهور (والله لا يهدي) اي لا يوفق ولا يوصل بلطفه (القوم الظالمين) بل يتركهم واهواءهم . ومن المعلوم ان القرآن الكريم لا تتعلق اغراضه الكريمة في نهجه المجيد بالتقصص من حيث تاريخيتها وإنما يذكرها للموعظة وضرب المثل وغير ذلك من الأغراض الحميدة فكانه قيل ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه الى آخر الآية فإن من

(٢٥٨) أَوَكَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُخْفِي هَٰذَا اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَيْفَ لَيْتَ قَالَ

الناس من يكون في عناده وضلاله ومكابرتة للحق الواضح كهذا (٢٥٩ أو) يكون في غفلة عما يمتقده بإيمانه (كالذي مر على قرية) روى القمي في تفسيره والطبرسي في احتجاجه عن الصادق (ع) انه ارميا النبي وفي تفسير البرهان عن امير المؤمنين (ع) انه عزيز وفي الدر المنثور عن امير المؤمنين وصححه الحاكم وعن ابن عباس بعدة طرق انه عزيز فلا مساغ لصاحب الكشف في اختياره ان صاحب القصة كافر وقد كفانا ابن المنير في حاشيته موثقة الرد لما استند اليه الكشف في دعواه (وهي خاوية) أي ساقطة اعاليها كقوله في سورة الحاقة فترى القوم فيها صرعى كأنهم اعجاز نخل خاوية (على عروشها) أي سقوفها ويقال العرش السرير واراوته هنا ممكنة . وقيل معنى خاوية خالية وفي المصباح والقاموس خوت الدار خلت من اهلها لكن يكون على هذا في اعراب على عروشها تكلف بعيد عن كرامة القرآن (قال أنى) كيف (يحبي هذه الله بعد موتها) في رواية القمي في تفسيره عن الصادق فنظر إلى السباع تأكل الجيف فقال أنى يحبي الله هذه بعد موتها . وفي رواية الدر المنثور عن ابن عباس في ذكر القرية قد باد اهلها ورأس عظاما فقال انى يحبي الله الآية ولا يخفى ان الظاهر من لفظ يحبي وموتها وقصة موت القاتل واحيائه والاحتجاج عليه بذلك هذه كلها تشير وتومي إلى المشار اليه بكلمة « هذه » وهي الأجساد او العظام واستغنى عن ذكرها بدلالة المقام وإشارات الآية كما في قوله تعالى قبل آيات فقال لهم موتوا ثم احياهم وكثير من نحو ذلك (فأماته الله مائة عام) لا يخفى ان الظاهر من الآية هو المعنى الحقيقي للموت مع ان روايته القمي عن الصادق (ع) ورواية الدر المنثور التي صححها الحاكم عن امير المؤمنين ورواياته الأخر عن ابن عباس والحسن ووهب هذه كلها صريحة في ان هذا الشخص قد مات وتلاشت اجزائه وتفرقت فأحياء الله بأن جمعها وكسا عظامه . ولكن المفسر المصري المعاصر قال ما حاصله ان الإيمانة والموت هنا عبارة عن فقد الحس والادراك وهو المسمى بالسبات لا مفارقة الروح للبدن ولم يحضرني الجزء الأول من تفسيره لكي أراه ماذا يقول فيما مر من قوله تعالى « ٥٣ ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون » (ثم بعثه قال كم لبثت) في موتك هذا (قال

لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ. قَالَ بَلْ أَبْتِ مِثْلَ مَا قَدْ نَظَرْتُ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ
لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا
ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *
(٢٥٩) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ
بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَاخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِنَّكَ

لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مئة عام) وقد اظهرت المشيئة الالهية لك شيئا من
خارق العادة ودلائل القدرة على احياء الموتى وان تفرقت اوصالهم (فانظر الى طعامك وشربك لم يتسنه)
لم يثر بالسنين المتطاولة فان مقتضى العادة ان تتابع عليه تغييرات السنين الى ان تلاشي في اثناء المائة
عام فبهذه القدرة يحيي الله الموتى (وانظر الى حمارك) تكرار الأمر بالنظر يشير الى انتقال
الكلام الى وجهة اخرى تدل على طول لبثه في الموت او هي ان حماره قد افنته السنين وبادت
اجزائه وتفرقت عظامه كما صرحت به الروايات المشار اليها (ولنجعلك آية للناس) اي امتناك
وبعثناك بعد البلا لتري بالبيان كيف يحيي الله الموتى ولنجعلناك آية وموعظة للناس في احياء
الموتى وقدرة الله . وهذا ظاهر من وجود واو العطف وسياق الكلام (وانظر الى العظام كيف
ننشزها) بالزاي المعجمة وضم النون الاولى اي نجعلها بعد تفرقها بالبلا يرتفع وينشز بعضها الى
بعض بالتركيب . وقد نصت الروايتان المشار اليهما على عظامه وعظام حماره . واما عظام اهل
القرية فلم يعرف احياءها (ثم نكسوها لحما فلما تبين له) ما ذكر (قال اعلم) يعرف من انه لم يقل
الآن علمت انه عالم بذلك وانه يعلم بالعلم المستمر وبهذه المشاهدات تاكد علمه (ان الله على
كل شيء قدير ٣٦٣) واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى جرت في ذلك شؤون وبدل
على تلك الشؤون ويفسرهما ما في الآية وهو (قال) الله له بالاستفهام التقريري (اولم تؤمن)
بقدرتي على احياء الموتى واني احييها و (قال) ابراهيم (بلى) اني مؤمن بذلك (ولكن) للبيان اثر
كبير في الاطمئنان ورسوخ العلم في القلب فطلبت الرواية (ليطمئن قلبي) ويزداد يقيني بسبب
المشاهدة بما آمنت به كما في رواية الكافي في اول باب الشك من اصوله والصحيحة عن المحاسن
(قال) الله له واذا كنت تطلب الرواية (فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك) بضم الصاد وسكون
الراء بمعنى املهن واجمعهن اليك . وقيل معناه فقطعن ولكن لا معنى لتعليق اليك به واما

ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُمْ جُزْأً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * (٢٦٠) مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * (٢٦١) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنَّا

تعليقها بقوله تعالى خذ مع وجود الفاصل الكثير والتفريع بالغاء فلا مساغ له في فصيح الكلام .
والأخذ ليس مساوقاً للإمالة والضم اليه بل هو اعم (ثم اجعل على كل جبل منهم جزءاً) وهذا كاف في الدلالة على سبق الأمر بالتقطيع . وقد تعددت الروايات الصحاح والمعتبرة عن الباقر والصادق والرضا عليهم السلام في ان الجبال كانت عشرة كما احصى غالبها في الوسائل في باب الوصية بالجزء (ثم ادعنه يأتينك سعيًا) وقد اكتفى بذكر هذا الوعد عن ذكر الوقوع لما هو معلوم من قدرة الله وانه لا خلف لوعده (واعلم اي وليتأكد عملك (ان الله عزيز) بقدرته (حكيم) في اعماله (٣٦٠) مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله) اي ان المثل الذي يضرب لهؤلاء في جزائهم المضاعف من الله ونتيجة انفاقهم المباركة هو (كمثل حبة) اي كالمثل الذي اضرب بحبة (انبتت) من اسناد الفعل الى بعض اسبابه (سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة) وليس ذلك فرضاً موهوماً كاثواب الأغوال بل هو كثير مشاهد مرئي وإن كان قليلاً بالنسبة إلى نوع الزرع الكثير وكثيراً ما يشاهد ان الحبة يخرج منها اكثر من سبع سنابل بل وعشر وعشرين وكثيراً ما شوهده في قطرنا في السنبل القوي الجيد من الحنطة والشعير تبلغ الثمانين حبة (والله يضاعف لمن يشاء) بحسب نيته واخلاصه واقباله على الخير (والله واسع) في رحمته وقدرته وجزائه (عليم) بأعمال عباده ونياتهم فيها ووجوهها ولا يخفى ان سبيل الله غير مختص بالجهاد . وفي مجمع البيان ان الآية عامة في النفقة في ابواب البر وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) قلت وإن قوله تعالى والله واسع مع سوف الآية يعطي ان الجزاء المضاعف غير مختص بالانفاق بل يعم اعمال الخير كلها كما روي في محاسن البرقي في صحبة عمر بن يزيد وعن امالي الشيخ وتفسير العياشي في معتبرة الواشي عن ابي عبد الله (ع) (٢٦١) الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا) بعد ايصاله لمن اعطوه اياه (منا) المن معروف

٢٣٤ البقرة : ٢٦٢ القول المعروف خير من الصدقة مع الاذى ٢٦٣ المنفق رياء كمثل صفوان

وَلَا أَذَى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * (٢٦٢) قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ * (٢٦٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا

وهو ان تبطلوا المعطي على من أعطاه بأنه أعطاه ومنه قوله ألم أعطك ألم أحسن استطالة عليه لا في مقام ما يرجع من التنصل من القطيعة والبخل (ولا أذى) بسبب الاعطاء (لهم اجرهم عند ربهم) بيان لأن الجزاء المضاعف المذكور في الآية السابقة هو اجر المنفقين على انفاقهم وذلك اهنأ في نفوس العامة وفيه ترغيب لهم وان كان تفضل الله اهنأ عند الخواص وأقرب الى الكرامة (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ٢٦٢ قول معروف) في الاعتذار غير منكرو ولا مستوحش كأن يتلطف بالكلام في رد السائل والاعتذار منه والدعاء له (ومغفرة) لما يصدر منه من الحاف أو ازعاج في المسئلة (خير من صدقة يتبعها أذى والله غني) يعني السائل من سعتة ولكنه لأجل مصالحكم في الدنيا والآخرة استفرضكم في الصدقة واعطاء السائل (حلیم) فعليكم يا عباده بالحلم والغفران لما ييدر من السائل . وقد اكد الله ارشاده في امر الانفاق والصدقة فقال جلت آلاؤه (٢٦٣) يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى (وتكونوا قد انفقتم أموالكم ولم تقبلوا لكم عند الله شيئاً من الأجر والثواب فإذن مفسدة المن والأذى ورذيلتها تذهب بفضيلة صدقاتكم وإن قصدتم بها القرية في حينها فانتقم في ذلك (كالذي ينفق ماله رثاء الناس) الرثاء والرياء والمرآة مأخوذة من الروية وهو ان يعمل الإنسان العمل لا الحسنة ولا لوجه الله بل لأن يراه الناس تباهاً به (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) لكي يطلب ما عند الله (فقله) اي مثل المرائي المنافق الذي لا يؤمن بالله في انه لا خير فيه ولا في انفاقه (كمثل صفوان) الصفوان كالصفا هو الصخر الأملس (عليه تراب) يخيل انه ارض نافعة صالحة للنبات (فأصابه وابل اي مطر عظيم القطر شديد الوقع فجرف ذلك التراب عن ذلك الصفوان (فتركه) صفواناً مجرداً (صلباً) أي صلباً أملس لا يصلح لتبجعة (لا يقدر) أي المراءون بانفاقهم الذي أشير اليه بالآية (على شيء مما كسبوا) على فائدة

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ * (٢٦٤) مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ
أُكْلَهَا ضَعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * (٢٦٥) أَيُودُ
أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

بما انفقوه وكان مما كسبوه وتعبوا في كسبه وجمعه فلا يقدرول لا على شيء من عينه ولا من
ثوابه فذهب عليهم بريائهم ونفاقهم هدرًا وذلك اشد لحسراتهم (والله لا يهدي) ولا يوصل
إلى الهدى بتوفيقه (القوم الكافرين) فإنهم أخرجوا أنفسهم بنفاقهم عن اهليتهم للتوفيق
(٢٦٤) ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم (أي ولأن
يشتتوا أنفسهم على طاعة الله وطلب رضاه . فإن بذل المال عند نوع الناس صعب وان سهلت
عليهم العبادات البدنية ويقال ان نوع الأعراب كانوا يستصعبون الزكاة ويعدونها كالأناوة
فالذين يسمحون بأموالهم وينفقونها ابتغاء مرضاة الله يكون لهم من الغايات الحميدة تثبيت
انفسهم على الطاعة وعمل الخير . ودخول « من » الجارّة على انفسهم من انها مفعول للتثبيت
مثله شايع في اللغة كقولهم روض من عريكته وهز من عطفه ولعل السر في ذلك ان هذا
المنفق ينفق من نفس قد روضها وثبتها في الجملة على الطاعة حتى سمحت لله بالمال العزيز
عندها فهو يحمل من مقاصده في الانفاق تثبيتها على طاعة الله وابتغاء مرضاته بالنسبة للمستقبل
من الازمان والحالات وبهذا الاعتبار يكون هؤلاء المنفقون الكرام كأنهم يشتتون من انفسهم
بعضها فمثلهم (كمثل جنة) بستان (بربرة) ارض مرتفعة لانها تكون ازكى شجرا واحسن ثمرا
واقى هواء اسلامتها من وخامة المستنقعات ونز الارض واضرار ذلك بالشجر والثمر (اصابها
وابل) تقدم تفسيره ومن المعلوم ان سقي المطر للبستان بل كل زرع احسن لتنميتها وجودة
تربتها من كل سقي (فآتت اكلها) اي ثمرها المأكول (ضعفين) لما توثيه اذا سقيت بغيم المطر
(فإن لم يصبها وابل فطل) يكفيها في ذلك لجودة منبتها وان كان مطرا صغير القطر (والله بما
تعملون) ومنه انفاقكم بحسب نياتكم (بصير) ثم كرر المثل في الزجر عن ابطال الصدقة بالسنن
والاذى بقوله تعالى (٢٦٥) ايود احدكم) وكيف يود ومن ذا الذي يود (ان تكون له جنة
من نخيل وأعنان) ومن حيث بهجة منظرها ودوام سقيها (تجري من تحتها الأنهار)

٢٣٦ البقرة: ٢٦٥ ضرب المثل ٢٦٦ الأمر بالانفاق من طيبات ما كسب وزرع وغيره ولا يعدل إلى الخبيث

لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ
فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ * (٢٦٦)
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
وَلَا تَيْمَمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا

حال كونه (له فيها) زيادة على النخيل والأعناب الذين تكون ثمراتها فاكهة وغلة وقوتا (من
كل الثمرات) التي يستغل ويتفكه بها (و) هو في زمان وحال يكون فيها احرص ما يكون على
هذه الجنة حيث انه (اصابه الكبر) والشيوخوخة وانقطع عن الكسب وشب فيه الحرص (وله)
زيادة على ذلك (ذرية ضعفاء) يحرص على الانفاق عليهم وعلى توريثهم (فأصابها) أي تلك
الجنة العزيزة (اعصار فيه نار) الاعصار ريح ترفع بتراب فتلف وتستدير وتقلع الشجر والنخل
بقوتها (فاحترقت) تلك الجنة العزيزة بالنار وتلاشت بالاعصار . وإذا كان احدكم لا يود ذلك
بل هو عليه من اعظم المصائب فلماذا يسلط نار المن والأذى في اعصار جهله ويحرق بها
انفاقه ويبطله مع ان الحاجة إلى ثمراته اشد من الحاجة إلى تلك الجنة من ذلك المحتاج (كذلك
يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) أي لغاية أن تفكروا فتعرفوا رشدكم (٢٦٦ يا أيها الذين
آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم) بالتجارة ونحوها (ومما أخرجنا لكم من الأرض) من المعادن
وبالزراعة والظاهر ان المراد مطلق الانفاق في سبيل الله سواء كان في الزكاة أم في غيرها
والمراد بالطيب هو غير الردي في ذاته او مجرمته كما فسر بالأميرين المذكورين في روايات
الكافي عن ابي بصير عن الصادق (ع) وروايات العياشي عن عبد الله بن سنان وابي بصير
ورفاعة عن الصادق (ع) وعن زرارة وابي الصباح عن الباقر (ع) ونحوها روايات الدر المنثور
ومن ذلك يتأكد ظهور الآية في المعنى الأعم من الطيب بالحل والجودة او بالجودة المقابل
للرداءة والخبيث (ولا تيمموا) ولا تقصدوا (الخبيث) وتعدلوا اليه عن الطيب مع خبثه بالرداءة
أو بالحرمة بالمعنى المقابل للطيب بالمعنى العام المتقدم (منه تنفقون) وتجهلون انفاقكم منه مع
وجود الطيب واما من لم يعدل عن الطيب إلى الخبيث بل كان كل ماله ردياً قبل منه في الزكاة
وشكر على الانفاق منه (ولستم بآخذيهِ) الواو للحال والجملة لرفع المغالطة في مصداق
الخبيث أي انكم لا تأخذونه في حقوقكم وهداياكم وصلاتكم (إلا) ان تتنازلوا وتساهلوا في

أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ * (٢٦٧) الشَّيْطَانُ يُعِدُّكُمْ الْفَقْرَ
وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يُعِدُّكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ *
(٢٦٨) يُوتِي الْحِكْمَةَ

ردائه وخبثه و (ان تغمضوا فيه) كناية عن التنازل المذكور كمن يغمض عينيه لئلا يرى خبثه (واعلموا ان الله غني) عن انفاقكم على عباده وهو الذي يرزقكم واياهم وما بكم من نعمة فمن الله (حميد) أي محمود على نعمائه وآلائه العامة ولكنه مشرع لكم الانفاق ومطلبه منكم لأجل مصالحكم في الدنيا والآخرة فلا يحرمكم الشيطان باغوائه عظيم فضل الانفاق (٢٦٧) الشيطان يعدكم الفقر) ويخوفكم به لئلا تنفقوا (ويأمركم بالفحشاء) التي لا يخفى عليكم كونها فحشاء فاعرفوا بهذا عداوته لكم وخبثه وخداعه فيما يعدكم ويخوفكم به (والله يعدكم مغفرة منه) لكم فيما فرطتم به (وفضلا) أي زيادة في نعمته ورحمته (والله واسع) في فضله ورحمته أي واسع الفضل والرحمة (عليم) بانفاقكم ونياتكم فيه (٢٦٨) يوتي الحكمة) في التبيان ومجمع البيان في معنى الحكمة . وقيل وهي القرآن والفقه وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) انتهى والذي وجدته عن تفسير العياشي عن الصادق (ع) ان الحكمة المعرفة والتفقه في الدين . وفي تفسير البرهان عن الصادق (ع) الحكمة ضياء المعرفة وميزان التقوى وثمرة الصدق . وفي الكافي في باب معرفة الإمام في الصحيح عن الصادق طاعة الله ومعرفة الإمام وعن المحاسن نحوه وعن الكافي ايضا عن الصادق (ع) معرفة الإمام واجتناب الكبائر وفي روايات الدر المشور عن ابن عباس ان الحكمة النبوة او فقه القرآن أو المعرفة به ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وامثاله . اقول ولعل ذلك باعتبار ما هو اعم نفعا واعظم من مصاديق الحكمة فانها ما ينفع من العلم بالحقائق . ومن المولم والمؤسف ان اسم الحكمة شاع استعماله «مثلا سمي اللدين سليما» بالفلسفة اليونانية ومنها مزاعم العقول العشرة تلك المزاعم التي جمحت مقام الله الجليل في الآلهية بنحو لم تجرأ عليه الوثنية بل هي عبارة مموهة عن الطبيعة إذ لم تسمح لله إلا بأنه علل العقل الأول بالتعليل الطبيعي بلا ارادة منه ولا اختيار فلا ارادة ولا خلق ولا مشيئة له ايضا في غير العقل الأول من الموجودات ولا سخرية ولا ربط خلافا للدلالة العقل والقرآن الكريم على ان الله خالق الخلق بمشيئته وان العالم صادر عن خالق وارادة وان التشبثات

مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا أَوْ مَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولَ الْأَبَابِ * (٢٦٩) وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لَظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * (٢٧٠) إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ

لهذه المزاعم مردودة بالحل والنقض ولزوم التناقض وسخافة ابتنائها في عدد العقول على موهومات الهيئة القديمة في الأفكار وحصر عددها بالتسع وقد أشير إلى شيء من ذلك في فصول العقائد لنصير الدين الطوسي قدس سره وآخر الجزء الثاني من المدرسة السيارة ومع هذا كله يسمى القائلون بمزاعم العقول بالعرفاء وأهل الوصول والمكاشفات « مثلما سمي اللدين سليما » تعالى الله عما يقولون (من يشاء) من عباده بحسب جده وما حصله باختياره من كونه أهلا لهذه الرحمة والنعمة والتوفيق لها (ومن يؤت) بالبناء للمفعول والجزم بأداة الشرط (الحكمة) مفعول ثاني (فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر) بما ذكر به من آيات القرآن الكريم في الانفاق وغيره من الاخلاق والاحكام ويكون له نصيب من الحكمة (إلا أولو الأب) الظاهر في اللب القلب والقرآن ينسب التعقل والتفهم إلى القلب والمراد هنا من لم يعم قلبه بالتأدي على الضلال وغفلة الجمل البسيط وضلال المركب وهو اقبح فإنه كأنه لا قلب له ولا لب وربما فسر اللب هنا بالعقل وكأنه تفسير بما يؤت إليه المعنى المكثى عنه (٢٦٩ وما أنفقت من نفقة) « ما » موصولة متضمنة معنى الشرط صلتها أنفقت وعائدها ضمير محذوف يفسره ويبينه « من نفقة » سواء كان الانفاق في الطاعة أم في المعصية مقرونا بالاخلاص أم بالرياء (أو نذرت من نذر) عطف على أنفقت . والنذر المشروع أن يقول لله عليّ أن أفعل أو أترك كذا . أو لله عليّ أن كان كذا أن أفعل أو أترك كذا ويشترط أن يكون المنذور طاعة لله . وقد يكون النذر للطاغوت أو في معصية (فإن الله يعلمه) علي ما هو عليه ويجازي عليه مجزائه . والجملة خبر للموصول والرباط هو الضمير في « يعلمه » والخبر ساد مسد الجزاء للشرط ولذا دخلت عليه الفاء (وما للظالمين) في انفاقهم أو نذرهم للطاغوت أو في المعصية أو في مخالفتهم للنذر الصحيح لله (من أنصار) ينصرونهم على الله ويمارضونه ويمنعونهم بالقوة من عقابه (٢٧٠ أن تبدوا الصدقات) التي يراد بها وجه الله من الواجبة والمندوبة (فنعما هي) أي فإن الصدقة نعم شيئا هي في ذاتها ولا يذهب الابداء لها بفضلها إذا لم يعرض عليها بسببه شيء من الرياء أو أذلال المتصدق عليه . وإماما ذكره

وَأِنْ تُخْفَوْهَا وَتُوتَوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَتُكْفَرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * (٢٧١) لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ
يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نُفْسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا
تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ * (٢٧٢) لِلْفُقَرَاءِ

في مجمع البيان والكشاف من ان المعنى فنعلم شيئا ابداها وحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه واعطي اعرابه فهو تكلف لا يناسب جلالة القرآن الكريم (وإن تخفوها وتوتوها الفقراء)
أي وتمكنتم مع اخفائها من ايصالها إلى مستحقيها من الفقراء بحسب الحاجة والأولوية (فهو)
أي الاخفاء (خير لكم لأنه ابعد عن الرياء وأقرب إلى الاخلاص وحفظ عزة الفقير وحرمة
التمتغف (ويكفر عنكم من سيئاتكم) أي ويكون الاخفاء سببا لأن يكفر الله عنكم بعض سيئاتكم
(والله بما تعملون) مما تبدوونه او تخفونه تراوون فيه او تخلصون به له (خير) لا يخفى عليه
شيء (٢٧١ ليس عليك) يا رسول الله (هداهم) أي إيصالهم إلى الحق ولا أنت مسؤول
عن ذلك فإنما عليك البلاغ (ولكن الله يهدي) أي يوصل بتوفيقه إلى الحق والعمل الصالح
(من يشاء) ممن هو أهل للتوفيق (وما تنفقوا) يأبىها الناس (من خير) من المال وطيبه وخيره
أو مسمي خيرا لأنه يقصد به وجه الله وسبيل الخير (فلا أنفسكم) يعود النفع من انفاقه (وما تنفقون
إلا ابتغاء وجه الله) أي الوجه الذي يوجه به إلى الله وفي التبيان ابتغاء مرضاة الله وفي
الكشاف وطلب ما عنده انتهى وما ذكره إنما هو غاية يقصدها الغالب في عملهم لوجه الله
وقد تكون الغاية للأولياء هو ان الله اهل للعبادة كما يروى عن زين العابدين (ع) نصريحه بذلك
وإذا لم يثبت ما ذكر في الدر المنثور وغيره من ان السبب في نزول هذه الجملة هو الرخصة
لمن امتنع عن الانفاق على ارحامه المشركين فالظاهر انها خبرية يراد بها تأكيد النهي عن ان
ينفقوا إلا ابتغاء وجه الله خالصا من الرياء (وما تنفقوا من خير يوف إليكم) أي يوصل إليكم
جزاءه تاما وافيا (وانتم لا تظلمون) بنقصه ولا تأخير ايصاله عن محل الحاجة فإنه يصل إليكم
في حال انتم فيه في اشد الحاجة إلى ذلك الجزاء (٢٧٢ للفقراء) قال في التبيان ومجمع
البيان والكشاف تقديره « النفقة للفقراء » ويدل على ذلك تعدد ذكر الانفاق في الآيات وكونها
مسوقة له وأما تعليق الجار والمجرور بكلمة « وما تنفقوا » في أول الآية فلا يصح لأن

الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْفُفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا

الانفاق إنما يعدى بعلى لا باللام مضافا إلى ما بعده من حيث الفصل الطويل وعدم الانسجام (الذين احصروا في سبيل الله) في مجمع البيان قال ابو جعفر يعني الباقر (ع) نزلت في اصحاب الصفة ورواه الكلبي عن ابن عباس انتهى وفي الدر المنثور ذكر انه اخرجه ابن المنذر من طريق الكلبي واخرجه ابن سعد عن محمد بن كعب القرظي عن ابن عباس . ولفظ الآية عام وإن كان اصحاب الصفة بمقتضى الرواية مورد النزول . والاحصار هو المنع او الحبس الذي يكون من ناحية المحصر . أي منعوا انفسهم وحبسوها في سبيل الله بسبب معاداتهم للمشر كين او لأنهم وقفوا انفسهم على التجند في سرايا رسول الله وحرابه فحبسوا انفسهم على انتظار ذلك او على خدمة الدين او طلب العلوم الدينية فهم من اجل ذلك (لا يستطيعون ضربا في الأرض) للتكسب والاحتراف للرزق بالتجارة ونحوها (يحسبهم الجاهل) بحالهم (اغنياء من التعفف) وترويض انفسهم على العفة مع شدة الحاجة فإن ملكة العفة قد يغلبها الفقر ودوام الحاجة ولكنها إذا كانت لا تزال مؤيدة بالتعفف وترويض النفس كانت هي الغالبة (تعرفهم) بما هم فيه من الفقر والحاجة (بسيماهم) ومخائيلهم ودلائل احوالهم على الحاجة اي ان سيماهم كافية في تعريف حالهم لا ان معرفتهم بالفقر منحصرة بدلالة السيماء فإن رسول الله (ص) وكثير من الناس كانوا يعرفون حال الكثير من المذكورين بالخبرة والاطلاع والظاهر ان الخطاب في تعريفهم ليس لحصر المعرفة بالرسول بل المعنى يعرف حالهم بسيماهم فهم وان تبادى بهم الفقر (لا يسألون الناس الحافا) في نهاية ابن الاثير من سأل وله اربعون درهما فقد سأل الناس الحافا وقال الزجاج الحلف شمل بالمسألة وهو مستغن عنها . ونحوه في اساس الزمخشري . وفسروا الاحفاف ايضا بالالحاح في المسألة ومعنى الآية لا يسألون نوع الناس مهما احتاجوا ولا يشمل سؤلهم كل من يحتملون اسعافه لهم فيكونوا بذلك ملحقين وملحين بنوع السؤال وإن لم يلحوا في افراده ولا يلزم في فضل المذكورين ان لا يسألوا أحداً أبداً فلا يחדش في تعففهم ان تلجأهم الضرورة إلى ان يذكروا حالهم اتفاقا لمن هو أولى بالموثنيين من انفسهم أو من ينوب عنه . ولا يبعد انه لا ينفك أحد من ان يسأل حاجة ولو من خواصه بل قد يجب ذلك أو يتدب ولكن في

وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ * (٢٧٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ *

مجمع البيان قيل معناه انهم لا يسألون الناس اصلا عن ابن عباس وهو قول الفراء والزجاج
واكثر ارباب المعاني واستشهد له بقول الاعشى «لا يغمز الساق من ابن ومن وصب» اي ليس
بها ابن ولا وصب ليغمز ساقها واستشهد في التبيان لذلك بقولهم ما رأيت مثله يريدون بذلك
انه ليس له مثل كما استشهدوا لذلك بقول امرئ القيس «على لا حب لا يتهدى بمتاره» اي ليس
فيه منار يتهدى به اقول وهذه الشواهد لا تشبه الآية ولو كان المراد انهم لا يسألون اصلا
لما صح من مثل كرامة القرآن ان يبين فضلهم بلفظ يظهر منه خلاف المراد ولا يقارب المراد
الا بما ذكره من التأويل البعيد (وما تنفقوا من خير فان الله به عليم) يوفيكم جزاءه (٢٧٥)
الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم) ويده مضاعفته
(ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فيما رواه الصدوق في العيون مسندا عن الرضا عن آبائه
عليهم السلام انها نزلت في علي (ع) وروى المفيد في الاختصاص مسندا عن رسول الله (ص)
انها نزلت في علي وذلك لانه كان عنده اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم
سرا وبدرهم علانية وروى في التبيان مثله عن ابن عباس و قال وهو المروي عنها وفي مجمع
البيان وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) ورواه في الكشف واسنده الواحدي
في اسباب النزول عن ابن عباس وحكى العياشي والواحدي روايته عن الكلبي ونحوه ايضا
في مناقب الخوارزمي وعن الحافظ ابي نعيم والعلبي في تفسيره والحموي في فرائده وابن
الغازلي وذكر ابن ابي الحديد في شرح النهج ان شيخة الاسكافي احتج في رد الجاحظ بتزول
الآية في علي (ع) وفي الدر المنثور اخرج عبد الرزاق وعبد ابن حميد وابن جرير وابن المنذر
وابن ابي حاتم والطبراني وابن عساكر من طريق عبد الله بن مجاهد عن ابيه عن ابن عباس
وذكر نحوه وفي مناقب ابن شهر اشوب روى ذلك عن ابن عباس والسدي ومجاهد والكلبي
وابي صالح والعلبي والطوسي والواحدي والطبرسي والماوردي والقشيري والثالي والنقاش
والفتال وعلي بن حرب الطائي وعبد الله بن الحسين في تفاسيرهم قلت وكذا في تنوير المقياس

(٢٧٤) الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ

وهو التفسير المنسوب لابن عباس : وايضا عن الثعلبي روى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس انها نزلت في شأن عبد الرحمن بن عوف وعلي بن ابي طالب (ع) وكانت صدقة علي احب الصدقتين الى الله . وروى الواحدي وصاحب الدر المنثور ان الآية نزلت في اصحاب الخيل الذين يعلقونها في سبيل الله ولكنك لا تكاد تجد بين هذا وبين الآية مناسبة تليق بكرامة القرآن : هذا ولا يخفى ما في الصدقة والانفاق من الفوائد العظيمة في المصالح الدنيوية والاجتماعية والمنفق في تهذيب نفسه من رذيلة الشح وفي قربه من الله واستحقاقه الجزاء المضاعف . كما لا يخفى ان الربا في مضاره على عكس ذلك ويقابله بالضدية في كل ما ذكرناه تمام المقابلة وهل يخفى ضرره بايقافه سوق التجارة وتبادل المنافع والمساعدات المعروف بين الناس . الا ترى ان الرجل بينما هو مثر اذا به قد استهلك الربا ثروته وتركه يعجز عن موثة عياله . فناسب ذلك في لطف الله وارشاده لعباده ان يتبع امره وترغيبه في الانفاق والصدقة بزجره وتوبيخه على الربا فقال جلت آلاؤه (٢٧٤) الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا) اصل الربا الزيادة واشتهر استعماله في خصوص الزيادة التي تؤخذ في معاوضة بعض النوع بمثله من المكمل والموزون سواء كان ذلك في معاملة او قرض . وحرمة في الجلة معلومة من الكتاب والسنة واجماع المسلمين بل لا يبعد كونها من ضروريات الشريعة وان خفي بعض مصاديقه عن بعض الناس كما في بعض المعاملات الربوية . والمراد من الربا اخذه وانتزاعه من مالكة كما في قوله تعالى في السورة «ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوها الى الاحكام لتأكلوا فريقاً من اموال الناس» وفي سورة النساء «لا تأكلوا اموالهم الى اموالكم» «لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض»^(١) (لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) الخطب هو الضرب على غير استواء وضرب الشجر ليتناثر منه الورق . وخبطت الشجر اسقطت منه الورق . واسم الورق المتساقط من الشجر خبط بفتح الخاء والباء . والظاهر ان تخبطه مثل تزوجها وتبناه اتخذ خبطا اي جعله كالخبط في تابع سقوطه بسبب مسه له في مجمع البيان من رواية الجمهور وفي تفسير القمي من رواياتنا ان رسول الله اري حال هو لاء ليلة اسري به الى السماء وفي روايات

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ

الدر المنشور عن رسول الله (ص) وابن عباس وابن مسعود وانس وابن سلام لا يقوم يوم القيامة الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان وبذلك فسرهم مجمع البيان وهو ظاهر المقام وفي التبيان كأنه نسبته الى القبل (ذلك) اي حالهم في القيام المذكور (بانهم) اي عقوبة بسبب انهم (قالوا) في باطل قياسهم وغلط اعتراضهم على الشريعة وحكمتها (انما البيع مثل الربو) في انه يكون في تعاطيه ربح وتكون المآلية في احد العوضين اكثر منها في الآخر مع ان البيع متداول بين الناس وقد غلطوا في قياسهم فان الله جل شأنه قد اجرى احكام شريعته على الحكم وكثيراً ما يظهر وجهها (واحل الله البيع) لقيامه بنظام الاجتماع ومصلحة المدنية في تبادل المنفعة باعيان الاموال ووجوه الحاجة الى خصوصياتها مع ابتناؤه على العدل في تساوي العوضين في المسالية بحسب الاعتبار عند المبايعة وانما تحصل الزيادة اتفاقاً بحسب اختلاف الرغبة والزمان او المكان (وحرّم الربا) (لا بثنائه من اول الامر على الزيادة في العين وماليتها وعلى الاجحاف والاخلال بحسن الاجتماع بالمعروف لما اشرنا اليه من المفاسد وسد باب الاحسان والمعاونة (فمن جآئه موعظة من ربه) الموعظة التذكير والتخويف من عقاب الله على معصيته ومخالفة نهيه عن الربا سواء كان ذلك بالتخويف الذي ذكره الله وخوفهم به من آي القرآن كما في التبيان او بالتخويف الذي ينهي الى وحي الله مما يخوف به الرسول (ص) ثم الاثمة (ع) ثم الوعاظ نحو ما روي في الكافي والفقيه والتهذيب في الصحيح عن ابي عبد الله الصادق (ع) درهم ربا عند الله يعدل سبعين زنية كلها بذات محرم وفي حديث آخر في بيت الله الحرام وفيه ايضا مثل ان ينكح الرجل امه في بيت الله الحرام ومثل ما ورد من لعن النبي (ص) لاكل الربا وفي روايات الدر المنشور وغيره نحو من ذلك (فانتهى) عن الربا بسبب الموعظة وثاب (فله ما سلف) الظاهر منه الفعل السالف وهو اخذ الربا وتعاطي معاملته اي ان الله يتوب عليه ويغفر له واما ارادة انه يحل له ما اخذه فيما سلف اذا تاب فنتحتاج الى تصرف في اللفظ وقرينة دالة على ذلك وفي التبيان قال ابو جعفر «يعني الباقر (ع)» من ادرك الاسلام وتاب بما عمله في الجاهلية وضع الله عنه ما سلف ونحوه في مجمع البيان والرواية مع ارسالها لا يعلم كونها تفسير هذه الآية ولو كان مورد الربا وعرف

وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ

منها ان الذبي وضعه الله هو المال الذي اخذ ربا فيما سلف لكات من قبيل ان الاسلام يجب ما قبله (وامره) في توبة الله عليه وتوفيقه للثبات عليها (الى الله) بحسب علمه بصدق توبته واهليته للتوفيق للدوام عليها فان المغفرة ليست بلازم طبيعي لمحض اظهار التوبة. هذا من حيث الاثم واما من حيث المال الزائد الذي هو ربا في الدين او احد العوضين في المعاملة الربوية الفاسدة فالامر موكول الى ما تقتضيه الاحكام الشرعية في اموال الناس وان اخذت في حال الجهل بجرمة الربا الا كما يظهر من كلامي الصدوق في الهداية والشبغ في النهاية من ان المأخوذ في حال الجهل بجرمة الربا لا يجب رده هو حلال لا آخذه واعتمده في الدروس ومال اليه بعض متأخري المتأخرين استناداً الى روايات لا دلالة فيها على ذلك فان ماروي في الكافي عن ابي المغرا وفي التهذيب عن الحلبي وفي الفقيه ما عدا صدره مرسلات جميعاً عن الصادق (ع) فانما يدل صدره المروي في الكافي والتهذيب على قبول التوبة من الربا وان كانت حرمة شديدة مغلفة ولفظ الجهالة في الرواية مثل ما في القرآن في الوعد بالتوبة لمن يعمل سوءاً بجهالة كما في سورة النساء ٢١ والانعام ٤٥ والنحل ١٢٠ لا العجل بالحرمة ثم على حل المال الموروث المختلط بالربا ويحمل على الذي يطهره الخمس جمعاً. واما عجزه الذي انفرد به الكافي والفقيه وعن التهذيب فبالنظر الى قوله (ع) فاراد ان ينزعه وقوله (ع) فما مضى فله ويدعه فيما يستأنف لا يدل الا على انه يغفر له ما مضى من عمله بسبب توبته ونزع المال الربوي من ماله. واما ما اسنده الكافي والتهذيب عن الحلبي وارسله الفقيه عن الصادق (ع) فيمن اتى الباقر (ع) فانما يدل صدره على حل المختلط ويحمل على الذي يطهره الخمس جمعاً او على ما يحتمل وجود الحرام فيه وذلك لقوله (ع) فان المال مالك واما عجزه من قوله (ع) فان رسول الله قد وضع الى آخره فلا دلالة فيه على انه تعليل لقوله (ع) فكله هنئاً فان المال مالك. ولم يجر في السؤال ان مورثه كان جاهلاً بجرمة الربا فغاية ما يظهر منه هو ان لجاهل بجرمة الربا اذا عمل به فهو معذور من حيث الاثم. فالظاهر ان المراد منه تطيب قلب السائل بان العامل بالربا معذور اذا كان جاهلاً بحرمة عمله فانت اولى بالاطمئنان من الاثم. واما ما رواه في التهذيب عن محمد بن مسلم عن الباقر (ع) فيمن عمل الربا حتى كثر ماله فهو شامل لصورة معرفته للربا وعلمه بتحريمه ان لم يكن ظاهر الحال

وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * (٢٧٥) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا
وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ * (٢٧٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ
وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * (٢٧٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا
اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ

والسؤال ذلك كما ان الظاهر من قول القائلين له ليس يقبل منك شيء الا ان ترده على اصحابه
هو انهم سدوا عليه باب المغفرة وقبول التوبة الا ان يرد الربا على اصحابه وان جهلهم او تعذر
عليه فيكون قول الباقر (ع) مخرجك من كتاب الله فمن جاءه موعظة الآية رداً على تشديد
هو لا، وان التوبة الصادقة والانتهاء مخرج من اثم الربا الى المغفرة واما مال الربا فقد يكتفي فيه
في بعض الموارد رده الى الإمام او نائبه او الى الفقراء فلا ينحصر قبول التوبة بخصوص رده على
اصحابه على كل تقدير وقوله (ع) والموعظة التوبة يريد به ان الذي يتعلق به الغرض في قوله
تعالى فمن جاءه موعظة الى قوله فاتمى ويفقر به الذنب انما هو التوبة واما المال فله احكامه (ومن
عاد) الى تعاطي الربا مستحلاله بعد ما نزل القرآن بتحريمه وبلغه ذلك او الى الاعتراض على
الشريعة بقوله انما البيع مثل الربا او الى كل من ذنبت كفرا وارتدادا واصروا على عودهم هذا حتى
ماتوا كما هو ظاهر الآية (فأولئك) اشير بالجمع باعتبار المعنى في الموصول (اصحاب النار هم فيها
خالدون ٢٧٥ يحق الله الربا) المحق الانقاص للشيء حالاً بعد حال حتى يئلف بالله يئلف الربا وان امل
لا خذه زماناً حتى يذهب منه او ممن جمعه لاجلهم كوراثه (ويربي الصدقات) اي يزيد بها باعتبار
الجزاء والثواب المضاعف (والله لا يحب كل كفار) صيغة مبالغة في الكفر والظاهر ان المراد
هنا هو كفر النعمة وعدم الاكتفاء بما انعم الله به عليه من الجلال حتى يتقحم ما حرم الله عليه
من الربا لا الكفر الشرعي وتحقق المبالغة بتكرار اخذه الربا وكفران النعم وفي التبيان
ومجمع البيان حملا للكفر على الشرعي فيمن يستحل اكل الربا والاول اعم في الزجر وظهر في
المقام (اثم) متاد على عمل الاثم (٢٧٦ ان الذين آمنوا) بالله ورسوله وكتابه وشريعته (وعملوا الصالحات)
ومنها كف النفس عما حرم الله (واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) نص عليهما بالذكور تعظيماً لثأبهما
وان كانا من نوع الاعمال الصالحة (لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ٢٧٧

مِنَ الرَّبِّ وَإِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلُمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ * (٢٧٩) وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * (٢٨٠) وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ

يا ايها الذين آمنوا واسلموا (اتقوا الله) وخافوه ولا تخالفوا امره ونهيه (وذروا ما بقي) لكم عند الناس (من الربا ان كنتم مؤمنين) على حقيقة الايمان فذروه (٢٧٨ فإن لم تفعلوا) ولم تذروه بل اصررتم على اخذه (فأذنوا) اي فاعلموا وكأنه مأخوذ من العلم بواسطة السمع بالاذن (بحرب من الله ورسوله وان تبتم) عن الاصرار على اخذه او اخذتموه وتبتم بعد ذلك (فلكم رؤوس اموالكم) دون الزيادة الربوية (لا تظلمون) باخذ الربا (ولا تظلمون) بالنقص من رؤوس اموالكم (٢٧٩ وان كان) حصل (ذو عسرة) او وان كان ذو عسرة غريبا لكم وهو من لا يجد ما يفي به من غير ما استثنى له في الشريعة (فنظرة الى ميسرة) اي فعليكم في امره او فالذي يحكم الله به في امره هو نظرة منكم له الى حصول ميسرته ومن الميسرة ان يصل خبره الى الإمام فبفي عنه من سهم الغارمين اذا كان انفق الدين بالمعروف كما اسنده في الكافي عن الرضا (ع) وارسله في مجمع البيان عن الباقر (ع) (وان تصدقوا) عليه بالدين كلاً او بعضاً (خير لكم) اي وصدقتكم عليه بذلك خير لما فيها من ثواب الصدقة وتفريع هم المديون وتسكين قلبه في عسرته (ان كنتم تعلمون) ما في هذا التصديق من الفوائد التي لا غنى لكم عنها . وجاءت الجملة شرطية لمزيد الترغيب اي ان كنتم تعلمون ما في التصديق المذكور من الخير فانكم ترغبون فيه بما انكم عقلاء فتصدقوا . وعبر عن المصدر بالفعل ليكون اظهر في اقدامهم على فعل الصدقة واختبارها وفي تعلق التصديق بالدين علي المعسر . ولا دلالة في الآية على اختصاص حكمها بن ذكر في الآية السابقة من المديونين بالعامة الربوية فإن لفظها مطلق وحكمتها عامة بل لو كانت مرتبطة لذكرت بالتفريع بالفاء فالظاهر هو عمومها لكل دين وفي البيان وهو قولهما وفي مجمع البيان وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) . وما روي في الدر المنثور عن ابن عباس ما يوهم اختصاصها بدين الربا لا اعتبار لسنده فضلاً عن خلل متنه واضطرابه وجعل المقابل لدين الربا هو الأمانة (٢٨٠) واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله) رجوع معاد واستسلام اتقوا ذلك اليوم واهواله

«ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ» * (٢٨١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ يَدَيْنِ إِلَى آجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ

العظمى بطاعة الله والانزجار عن معاصيه (ثم توفي كل نفس ما كسبت) من خير وشرو توفيقه باعتبار توفية جزائه من ثواب او عقاب (وهم) اي الناس المدلول عليهم بكل نفس (لا يظلمون) بنقص الثواب عن قياس العمل او عدمه وزيادة العقاب عن قياس الجرم أو ابتدائه بلا جرم (٢٨١) يا ايها الذين آمنوا إذا تدايتم بدين (اي تعاملتم بمعاملة فيها دين (إلى أجل مسمى) وهذا بيان لأن الأجل لابد من ان يكون معينا لاجهالة فيه (فاكتبوه) اي فاجعلوه مكتوباً اعم من مباشرة الكتابة او تسيبها وهذا الدين غير القرض المحض فإنه لا أجل فيه ولا عبرة بتأجيله . ولعل السر في تخصيص ذي الأجل بالذكر هو كون المؤجل في الغالب معرضاً للوهم والنزاع في الأجل والشروط . وان كانت حكمة عدم الارتياح جارية في القرض ايضا باعتبار نفس المال ومقداره كما يشير الى ذلك قوله تعالى «الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها الخ» كما ان قوله تعالى «ذلك اقسط عند الله واقوم للشهادة وادني ان لا ترتابوا» يشير إلى ان حكم الكتابة والاشهاد للإرشاد لا للوجوب مضافا إلى المعروف من عمل المشرعة من عدم الكتابة في موارد الاطمئنان كما في قوله تعالى «فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته» وفي التبيان لاجماع عصرنا على ذلك اي على عدم الوجوب (وليكتب بينكم كاتب بالعدل) أي على حقيقة المعاملة والأجل والشروط . والأمر هنا للمتعاملين كقولك يا صاحب الضيعة ليبت في ضيعتك حارس أي ابت حارسا وقد ذكرنا انه للإرشاد . وهذا أعم من ان يكون الكاتب بينهما هو احدهما لحصول الغرض به او هو ناظر إلى الحال في عصر النزول من كون الغالب من العرب لا يكتبون (ولا يأب كاتب) أي من يحسن الكتابة في مثل المقام (ان يكتب) والنهي هنا للكرهية إذ لا يجب تسيب الكتابة على المتعاملين فكيف تجب على غيرهما . ولئن وجبت صنعة الكتابة كفاثا اداء للوجوب في نظام العالم لم يقنض ذلك ان يجب على كل كاتب ان يكتب في كل مورد (كما علمه الله) وانعم عليه بالكتابة (فليكتب) للناس في محل حاجتهم شكر النعمة الله . وهذا هو المعنى التأسيسي والظاهر لهذه الجملة واسلوبه

وَلْيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلَيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَنْخَسِ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلَ هُوَ فَلْيَمْلِكْ وَليُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى

ايضا يدل على ان الكتابة مستحبة (وليمل الذي عليه الحق) والدين . يمل ويملي على الكاتب بمعنى واحد اي يذكر له الحال عند الكتابة ليكتب ما يذكره له المدبون (وليتق الله ربه) في املائه فان الله ربه والعليم بالأمور والقادر عليه ومن اليه مرجعه وييده عقابه (ولا ينخس) في املائه (منه) أي من الحق الذي عليه (شيئاً) ولو من شؤونه . وقد طلب الاملاء منه بهذا النحو استحباباً لأنه عارف بالحق ووجهه فيكون املاؤه على الحقيقة اقرب إلى توطين نفسه على الوفاء وإلى اطمئنان الدائن بذلك وإلى المجازاة بينهما على المعروف، ويجوز بلا خلاف ان يمل غيره او يكتب الكاتب بحسب اطلاعه ثم يعترف المديون به ويشهد على اعترافه (فان كان الذي عليه الحق سفيهاً) في تصرفاته بآله بحيث النى الشارع فعاملاته واعترافاته فيها وارجع الامر في ذلك الى وليه (او ضعيفاً) في عقله كالصغير والمجنون والابله والخرف (او لا يستطيع ان يمل هو) كالأخرس ونحوه او من لا يحسن ان يبين الخصوصيات التي جرت عليها المعاملة (فليمل وليه) الذي جعلت ولايته في الشريعة (بالعدل) على حقيقة المعاملة وخصوصياتها المطلوبة . والولي على الصغير ابوه وجده لأبيه واب له يوجد فولي سائر المذكورين وهو النبي (ص) او الامام او النائب عن احدهما ولو بعموم الجمل كالحاكم الشرعي او نائبه ولو في خصوص تلك المعاملة (واستشهدوا شهيدين من رجالكم) المسلمين (فان لم يكونا) اي الشهيدان الحاضران المذنان هما من المسلمين (رجلين فرجل وامرأتان) أي كالذي يكتفي بشهادته رجل وامرأتان لكن لا مطلق الشاهد بل (ممن ترضون من الشهداء) أي ممن يرضاهم النوع في الشهادة ويركن إلى شهادتهم لأجل اتصافهم بالصلاح والعدالة الرادعة لهم عن الكذب والتساهل في الشهادة . وجعل بدل الرجل امرأتان حذراً من (ان تضل احدهما) وتتيه في اداء الشهادة لأن نوع النساء ابعد عن ضبط هذه الأمور من نوع الرجال (فتذكر) اي فحين الضلال تذكر (احدهما الأخرى) فيتحاوران في الامر وكل منهما تذكر الأخرى بخصوصية

وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ
ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً
حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا
تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ

أمر فذكر الضالة حقيقة الأمر بخصوصياته هذا في مقام الاشهاد الكافي في ثبوت الحق به فلا
ينافي ما دل على ثبوته بالشاهد واليمين (ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا) لتحتمل الشهادة
ولا ينبغي ان يأب إذا دعي لذلك كما في صحيحة التهذيب وروايته عن ابي الصباح وساعة عن
الصادق (ع) وروايته ايضا عن الكاظم ورواية الكافي عن ابي الصباح وصحيحته عن
الحلي عن الصادق (ع) ونحوها روايات العياشي والنهي للكرهة ويشهد لذلك سياق الآية
في اوامرها ونواهيها وقول الامامين (ع) لا ينبغي (ولا تسأموا) اي لا تملوا ولا تضجروا
من (ان تكتبوه) اي الدين في شؤونه (صغيرا او كبيرا) فإن الساهل في كل من ذلك قد
يوجب النزاع وضياح شيء من الحقوق (الى اجله) اي الدين (ذلكم) اي ما تقدم من احكام
الكتابة واشهاد المرصين وعدم السأم من الاستقصاء في الكتابة (اقسط عند الله) اي اعدل
واولى بأن تكونوا مقسطين عادلين (واقوم للشهادة وأدنى) واقرب الى (ان لا ترتابوا) بعد ذلك
في مبلغ الدين وخصوصياته واجله . وهذه الأمور مطلوبة لحصول غاياتها الحيدة التي ربما
تحتاجون اليها (الا ان تكون) المعاملة بينكم (تجارة حاضرة) ليس فيها دين بل (تدبرونها) اي
تتناقلون العوض والمعوض (بينكم) بأن يأخذ كل منكم عوض ما دفعه في التجارة (فليس عليكم
جناح) اي ضيق وحزازة مما ارشدتم الى التخلص منه في امر الدين فلاضير في (أن لا تكتبوها)
اي تلك التجارة (وأشهدوا اذا تبايعتم) وعلى استحباب ذلك اجماعنا في الحاضرة بل الاتفاق
مما عدا اهل الظاهر وهو الصحيح في غيرها (ولا يضار كاتب ولا شهيد) الظاهر بسبب رجحان
التأسيس وما يناسب المقام من الاستقصاء في الاحكام الاجتماعية العادلة وحكمة النظر من
علام الغيوب الى حوادث المستقبل هو أن يكون «يضار» مبنيا للمفعول اصله يضار بفتح الراء
الأولى فسكنت وحركت الثانية بالفتحة حذرا من التقاء الساكنين بسبب الجزم بالنهي اي
ولا يدخل على الكاتب بسبب كتابته ولا على الشاهد بسبب شهادته ضرره ما في ذات الكتابة

وَأَنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٨٢) وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمَسَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ

وعواقبها وفي ذات الشهادة وأدائها وليس عليه الا اداؤها بلا ضرر . وعلى البناء للمفعول تفسير ابن عباس على ما في ثوبان المقياس ورواية الدر المنثور وروايته ايضا لقراءة عمر عند فكه لا دغام الرايين (وإن تفعلوا) وتضروهم (فإنه فسوق) اي خروج عن الطاعة والاسنقامة كائن (بكم) كما يقال به داء كذا . وانه لما به . وبه جنون . وبه جنة كما جاء في سور الاعراف والمؤمنون وسبا (واتقوا الله وعلِّمكم الله) فاشكروا فضله واعلموا بما علمكم مما فيه صلاحكم وطريقكم الى تقوى الله فإنكم جاهلون (والله بكل شيء عليم ٢٨٢) وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كتابا (واردت الاستيثاق من دينكم (فرهان مقبوضة) اي فوثائقكم رهان مقبوضة . والرهن مصدر رهننت الشيء ارهنه . ويستعمل في المرهون كاستعمال الوقف في الموقوف . وهو في النظم والنثر كثير ومنه ان يقتلوني فرهن ذمتي لهم بذات ودقين لا يفقوها اثر

وجعه رهان كشر وثمار . وربما يقال ان قيد القبض هنا انما هو لأجل توقف الاستيثاق في السفر الذي ليس فيه كاتب وحصول هذه الفائدة فيه على القبض . واما الرهن في الحضر الذي هو مشروع بالسنة والاجماع فلا يشترط فيه القبض كما هو مذهب مالك من الجمهور بل يكفي في فوائده ان لا يتعلق الحجر لباقي الغرماء بالمرهون لكن في التبيان ومن شروط صحة الرهن ان يكون مقبوضا لقوله تعالى فرهان مقبوضة وعن خلافه خلاف ذلك وفي مجمع البيان فإن لم يقبض لم ينعقد الرهن اجماعا وفي رواية التهذيب عن الباقر (ع) لا رهن الا ما كان مقبوضا ونحوه عن تفسير العياشي لكن يكفي في منع الاجماع ما في السرائر والغنية من نقل عدم الخلاف في صحته اذا استجمع شروطا ذكرها وليس منها القبض وفي كثر العرفان ان المحققين على عدم الاشتراط بل في السرائر ان الاكثر من المحصلين على ان القبض ليس شرطاً في لزوم الرواية ضعفت بالاشترائك وتام الكلام في الفقه (فإن أمن بعضكم بعضا) ولم يطلب منه وثيقة بل ائتمنه على دينه (فليؤد الذي اؤتمن امانته) وهو الدين ويمكن ان تعم جميع الامانات حتى الوديعة نظرا الى اشعارها بالتلليل وبكون هذا المورد من احد المصاديق للعام (وليتق) بذلك (الله ربّه)

وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * (٢٨٣) اللَّهُ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبُكُمْ
بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *
(٢٨٤) آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ

ومالك امره في الدنيا والآخرة (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتتمها فإنه آثم قلبه) آثم خبر إن
وقلبه فاعل او خبر مقدم وقلبه مبتدأ والجملة خبر ان ونسب الاثم الى القلب باعتبار انه آلة
الكتمان ولتغليظ الاثم ببيان فساد المبدء للأعمال فإن فساد القلب اصل الشر والبعث على
الفساد . وقيل آثم ولم يعبر بالفعل ليدل على دوام الاثم بدوام الكتمان (والله بما تعملون عليم
٢٨٣ لله ما في السماوات وما في الأرض) وهو الخالق للكل والمدير له وبيده امره وائتم من
جملة ذلك فهل يخفى عليه شيء من اموركم (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله)
في التبيان ومجمع البيان ان المراد بالآية ما يتناوله الأمر والنهي من الاعتقادات والارادات
ما هو مستور عنا وعلى ذلك رواية العياشي عن رجل وعن ابي عمر الزيري عن الصادق (ع) .
وقد اورد في الدر المنثور في هذه روايات كثيرة مختلفة متعارضة ومضطربة . منها عن ابن
عباس انها نزلت في الشهادة واقامتها وكتمتها ويرد على الرواية انه ما معنى الحساب على ابدائها
واقامتها . ومنها عن ابن عباس وعائشة انها غير منسوخة وفسر ابن عباس ما يخفونه بالأعمال
التي لم يطلع عليها الحفظة . ومنها عن ابي هريرة وابن عباس انها نسخت بقوله تعالى لا يكلف
الله نفسا الا وسعها . وفي الرواية عن ابن عباس تفسيرها بوسوسة النفس وعنه تفسيرها تارة
بحديث النفس وثارة بالكذب . ومنها عن ابن مسعود وعائشة ان الناسخ لها هو قوله تعالى
لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت : ولكن هذا غير مستقيم فإن ما لا يدخل في وسع الانسان
لا يكلف الله به لأن التكليف به قبيح فلا يمكن ان يثبت لكي ينسخ بقوله تعالى لا يكلف
الله نفسا الا وسعها ولا تكون هذه الآية نسخا لما هو داخل في الوسع واما قوله تعالى لهما ما كسبت
وعليها ما اكتسبت فإنه لو اختص اثباته بالأفعال الخارجية لما كان فيه دلالة على النفي عن
غيرها ليكون ناسخا (فيغفر لمن يشاء) ممن يستغفر ويتوب ان كان اهلا لأن يتاب عليه (ويعذب
من يشاء) والله على كل شيء قدير ٢٨٤ آمن الرسول) محمد صلى الله عليه وآله وسلم (بما انزل اليه

مَنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأْنِيكَتَهُ وَكُتِبَهِ وَرُسُلِهِ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ
 أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * (٢٨٥)
 لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا كَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا
 إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا

(من ربه) في تفسير القمي في الصحيح عن الصادق وفي تفسير البرهان عن علي أمير المؤمنين (ع)
 وعن مقتضب الأثر مسندا عن رسول الله (ص) انه لما اسري به الى السماء ناداه الله عز وجل
 آمّن الرسول بما انزل اليه من ربه فأجاب رسول الله (ص) عنه وعن امته (والمؤمنون كل
 آمّن بالله وملأنيكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله) ولعله اشارة الى من حملته العصبية
 القومية او الاغراض الفاسدة على جحد الرسول بعد قيام الحجة على رسالته جحده لانه ليس
 من قومه او لانه يعارض اغراضه الفاسدة . والى الذين قال لهم آمّنوا بما انزل الله قالوا نؤمن
 بما انزل الينا ويكفرون بما وراءه الآية كما في الآية الخامسة والثلاثين (وقالوا سمعنا واطعنا)
 اخبار من الله بفضلهم في الطاعة والايمان (غفرانك) منصوب بفعل من لفظه وهو اغفر ومعناه
 نسألك غفرانك يا (ربنا) وفيه تلميح في المسألة بنحو من الاحتجاج على رحمته ومعنى انت ربنا
 وولي امرنا والى اين يذهب العبد الا الى مولاه . ولم يذكر متعلق الغفران لأن طلبه عام
 لكل من يحتاج الى الغفران ولم يخرج بسوء اختياره عن اهليته له (واليك المصير) اي مصيرنا في
 امورنا في الدنيا والآخرة (٢٨٥ لا يكلف الله) بأمره او نهيه (نفسا الا وسعها) الوسع ما تسعه
 قدرة الإنسان وبدخل في وسعها ونسب الوسع الى النفس بهذا الاعتبار والمعنى الا ماتسعه
 قدرتها . وقد تمجد الله بذلك دلالة على تقدسه في كماله عن العبث والقبيح في التكليف بغير
 المقدور ويجوز أن يكون من كلام الرسول والمؤمنين تمجيذا لله بعدله (ها) اي للنفس (ما كسبت)
 من الخير يوفيا الله اياه ولا يفوتها من فضيلته وجزائه شي (وعليها ما كتسبت) من الشر اي
 عليها وزره ونقصه لا على غيرها . وعبر في الشر بالاكتساب لأجل التوبيخ لفاعله والاحتجاج
 عليه فإن الاكتساب يدل على الاعتمال والمعالجة في طلب الكسب يشير بذلك الى ان عمل الشر
 كان باختبار ومعالجة من النفس في طلبه مع انه شر قد زجرها العقل والشرع عنه يا (ربنا)
 ومالك امرنا ومفرغنا في امورنا (لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا) من الخطأ ضد العمد وان كثيرا

رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ سورة آل عمران * مائتا آية ﴿١﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَاَنزَلَ الْفُرْقَانَ

من النسيان والخطأ ما يقع بسبب التساهل والتقصير في التحفظ لتحصيل ما كاف به وهذا مما لا تقبح فيه المؤاخذه على مخالفة الواقع فطلبوا من الله ان لا يؤاخذهم في ذلك (ربنا ولا تحمل علينا اصرار) اي عبثا ثقيلا من التكليف الشاقة ولو لحكمة التأديب (كما حملته على الذين من قبلنا) لتمردهم (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) من الابتلاء والامتحان او العذاب في دار الدنيا بل والاخرة (واعف عنا) العفو هو اسقاط الحق والمراد اسقاط حق العقوبة (واغفر لنا) الغفران هو الصفح عن الذنب (وارحنا) وهو دعاء جامع (انت مولينا) وولي امرنا وملجأنا لا غيرك (فانصرنا على القوم الكافرين) لنوفق لاظهار دينك وطاعتك في دين الحق

سورة آل عمران

﴿١﴾ مائتا آية وهي مدنية ﴿٢﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (١ اَلَمْ) علما عند الله وأمناء وجهه (الله لا اِلهَ اِلَّا هُوَ الحي القيوم) تقدم شيء من تفسيرها في آية الكرسي (٢ نزل عليك الكتاب) وهو القرآن الكريم (بالحق) حال كونه (مصدقاً لما بين يديه) اي ما تقدم عليه من الكتب الالهية . يشهد بصدق نسبتها الى الوحي الالهي وصدق ما فيها من الحقائق . او انه بانطباقه في مجده بعينه على اخبار الكتب الالهية السابقة به ووصفها وتمجيدها له يكون المصدق المصدق لها في ذلك الاخبار والتمجيد (وانزل التوراة) وهي الحقيقة المنزلة على رسوله موسى (والانجيل) وهو الكتاب الواحد الحقيقي المنزل على رسوله عيسى (من قبل) حال كون التوراة والانجيل (هدى للناس وانزل الفرقان) في تفسير القمي في الصحيح عن عبد الله بن سنان عن الصادق (ع) في الآية الفرقان كل امر محكم . والكتاب هو جملة القرآن الذي يصدق من كان قبله من الانبياء . ونحوه عن تفسير

(٣) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ *
 (٤) إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ
 فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * (٥) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ
 عَلَيْكَ الْكِتَابَ

العياشي . وفي الكافي عنه (ع) القرآن جملة الكتاب والفرقان المحكم الواجب العمل به .
 ونحوه عن تفسير العياشي (٣) ان الذين كفروا بآيات الله) وجحدوا كونها منزلة من الله وماتوا
 على كفرهم (لهم عذاب شديد) بما كفروا (والله عزيز) في جلال شأنه (ذو انتقام) بعزته وقدرته
 من الكافرين (٤) ان الله) علم بكل شيء (لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء هو الذي
 يصوركم في الارحام) الرحم هو العضو الذي يتكون فيه الجنين من الأم الى حين الولادة
 (كيف يشاء) بحكمته الباهرة ومن آيات ذلك ان أعضاء الانسان الظاهرة مع انها معدودة
 يصورها بقدرته وحكمته بحيث يمتاز كل من البشر عن الآخر . واما حكمة هذا التصوير
 وما في كل واحد من الأعضاء الظاهرة والباطنة من الحكم الباهرة والفوائد الكبيرة والاسرار
 العجيبة فهو اعظم من ان يوصف . واما الذي وصلت اليه معرفة البشر فهو مما لا يسع هذا
 المقام بعضه . وفي التشریح الجديد ما يبرر العقول ببواهر حكمه وعجائبه . وان الذي يظهر من
 أعضاء الانسان وآلات حسه ليكفي في بيان الحكم العجيبة لكل ذي رشد وادراك . وكل ذلك
 جار في حكمه وخلقه وتصويره على قوانين منتظمة . وفي هذا كفاية في الحجة على ان ذلك من
 صنع إله علم يخلق بارادته وحكمته (لا إله الا هو العزيز) بقدرته ولطائفه (الحكيم) في
 خلقه واعماله « ولو كان فيها آلهة الا الله لفسدنا » ولذهب كل إله بما خلق ولعل بعضهم على
 بعض « (٥) هو الذي انزل عليك الكتاب) على ما اقتضته الحكمة الإلهية من كونه على احسن
 نهج في المحاورات . وابرع اسلوب في كلام العرب فيما يتسابقون به فخرا في ميدان البلاغة
 ويتساجلون به في مقام التفنن بحاسن الكلام ومزايده الفائقة . ليكون بإعجازه ذلك حجة بيّنة
 عليهم في انه تنزيل من رب العالمين . كما اشرنا الى شيء من وجه ذلك الفصل الاول من
 المقدمة . وعلى ذلك فلا بد من ان يشتمل اسلوبه الكريم على انواع الدلالات . وملح الكنايات
 واطائف الاشارات والنكت في انواع المجاز كما هو الشأن في الكلام البليغ . وقد تقتضي الحكمة

وَمِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ

ان تجي الآية بلفظ عام او مطلق والمراد منها منحصر في نوع او فرد هو مورد النزول وتدل عليه قرائن الاحوال ودلائلها كقولك هذا وهو لا . حينما توجه الاشارة بالقرينة الى معين مخصوص . ولا ريب في ان ما ذكرناه مما يقتحم التشابه باديء بدء في امره وما يوئول اليه تفسيره . وذلك اما من جهة خفاء القرينة ولو بواسطة القصور في بعض الافهام . واما من جهة المكابرة في امرها بحسب الأغراض وإن كانت عقلية بديهية . او يدل عليها نفس القرآن الكريم او الحديث الصحيح او المستفيض او المتواتر . ولأجل ما ذكرناه من الحكمة صار الكتاب المجيد من حيث وجوه الدلالة في الفاظه على المراد (منه آيات محكمات) قد احكمت باقتضاء الحكمة عباراتها في دلالتها على المراد بجرياتها على النص والصرحة مع التأييد لذلك بحكم العقل البديهي واقتضاء السياق . فحفظت دلالتها بحسب اللغة والاستعمال من خيال الاحتمال . وخابجان التشابه عند المستقيمين في الشعور والمعرفة لموازين الكلام ، والمبرئين من فلتات الجهل وغواية الأهواء وعبثها بالحقائق . وهذه الآيات المحكمات كل واحدة منهن بالنظر الى ذاتها هي امر واصل ومرجع لما توضحه باحكامها من بيان حقيقة او تأسيس أساس ، او تشريع حكم ، او ايضاح لمتشابه وتأييد لدلالته ولكن بالنظر الى مجموعها في القرآن المجيد ، وكونها باعتبار احكامها مرجعا واحدا مينا للمراد من حقائق الكتاب المجيد (هن) بمجموعهن والنظر اليه (ام الكتاب) ومرجه الذي يتضح به المقصود من حقائق التنزيل وتأييد به قرائن المتشابهات ويوضح دلالتها ويزيل عنها غبار الأوهام (و) منه (اخر متشابهات) على ما اشرنا اليه من اساليب الكلام البليغ ووجوه محاسنه في المحاوره وما تقتضيه الحكمة (فأما الذين في قلوبهم زيغ) اي استعجبوا العمى على الهدى واختاروا الضلال بأهوائهم وحرفوا قلوبهم وأمالوها عن نهج الحق والاذعان به واشعروها الزيغ والانحراف التعميس (فيتبعون) بأهوائهم ونزغات ضلالهم ، ونزعات اضلالهم (ما تشابه) بالنحو الذي اشرنا اليه (منه) اي من الكتاب المجيد فيبدلون مراده ويفالطون في دلالة قرائنه ، ويصرفونه عن موارد تنزيله تفاضيا عن واضحاته قرائنه وبيانات دلائلها ويتشبهون بالمتشابه (ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) اي طلبا لأن يجدوا سبيلا الى التلاعب

وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ

في تأويلهم له بحسب أهوائهم . وصرفه عن مؤدى تنزيله وطلبه لأن يفتنوا الناس بذلك (وما يعلم تأويله) أي تأويل القرآن كله (إلا الله والراسخون في العلم) لا هؤلاء الذين لم تثبت لهم في العلم قدم «بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون» فلم يسلكوا إلا دحض الجمل بزيف الأهواء وللناس في هذا المتشابه الذي عنته الآية خلاف كبير وإن خلط بعضهم في محل النزاع فمن الناس من يقف في الآية على لفظ الجلالة ويستأنف قوله تعالى «والراسخون في العلم» بأن يكون الراسخون مبتدأ وخبره «يقولون آمنا» فيخرج الراسخين في العلم عن فضيلة العلم بالتأويل ويحطهم عن رتبة استحقاقها ونوء بها القرآن الكريم في هذا السياق المشرق إذ وصفهم في طرده بالرسوخ في العلم . ومن الناس من قال بعطف «الراسخون» على لفظ الجلالة . وأن الله جلت آلاؤه فتح للراسخين في العلم باب العلم بالتأويل بلطفه وكرمه بهذه الرتبة بتعليمه . وهذا الخلاف مما لا يكفي فيه بالمصادرات ، ولا لعل وليت . بل لا بد فيه من إيراد الدلائل الرافعة لتشابه موارد الواو في عطف المفرد أو الجملة أو الاستئناف . وغاية ما يحتاج به للقول الأول هو ما جمع رواياته في الدر المنثور . منها عن ابن عباس قال تأويله يوم القيامة لا يعلمه إلا الله . وعنه أيضا في بيان وجوه القرآن وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير تعرفه العرب بلغتها ، وتفسير لا يعلم تأويله إلا الله ومن ادعى علمه فهو كاذب . وفي رواية أخرى وتفسير تفسره العلماء ومتشابه لا يعلم تأويله إلا الله ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب ومن طريق طلوس عن ابن عباس أيضا كان يقرأها وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون في العلم آمنا . وعن الأعمش قال في قراءة عبد الله وفي حقيقة تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا . وذكر في الدر المنثور رواية هذا القول أيضا عن رأي عائشة وإبي الشعثاء وعروة وعمرو بن عبد العزيز ومالك وذكر أيضا أحاديث تحذر من المجادلة في كتاب الله واتباع المتشابه منها ما أخرجه عبد الرزاق وسعيد وعبد بن حميد والجوامع الستة وغيرهم عن عائشة عن رسول الله (ص) انه قرأ الآيات وقال : فاذا رأيتهم يجادلون فيه فهم الذين عناهم الله فأحذروهم . وفي لفظ البخاري فاذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأحذروهم . وجمع ابن جرير بين المبارتين — ويرد هذا الاحتجاج بعد غض النظر عن الأسانيد وما فيها هو ان يوم القيامة الذي في حديث ابن عباس

خارج عن محل الخلاف وسوق الآية وموضوعها من التأويل . بل ان محل الخلاف هو ما عناه بقوله وتفسير تعلمه العلماء ، اوتفسره . وقوله في حديث آخر ظهره التلاوة وبطنه التأويل فجالسوا به العلماء وجانبوا به السفهاء . وأما ما روي من القراءة فيرده تواتر غيرها واجماع المسلمين على عدم الاعتناء بها . وأما الآراء التي ذكرنا روايتها فهو اجتهاد في محل النزاع بلا دليل واما التحذير ممن يجادل ويتبع المتشابه فإنما هو تحذير من الضالين المضلين الذين وصفتهم الآية الكريمة لا الراسخين في العلم . هذا واما القول الثاني فحجته دلالة العقل والنقل الصحيح من الفرقين وسياق القرآن الكريم ، أما دلالة العقل فإن المتشابه الذي اشرنا اليه والى وجوده تشابه والذي يتبعه ويطلبه الزائغون عن الحق ابتغاء الفتنة في امر الدين ونظام الملة واحكام الشريعة هو في القرآن كثير جدا . وبما لا يصح في العقل انه مع هذه الكثرة يحرم الله من تأويله والعلم به رسوله الهادي الكريم وامناءه على الوحي ، وعلماء الأمة . فيكون القسم الكبير من القرآن الكريم لا فائدة في تنزيهه للبشر مطلقا حتى الرسول الأكرم ولا اثر له إلا صدى الفاظه وسواد حروفه . واما الحديث من طريقنا في تفسير القمي في الصحيح عن الباقر (ع) قال : ان رسول الله (ص) افضل الراسخين في العلم قد علم جميع ما نزل في القرآن من التنزيل والتأويل وما كان الله لينزل عليه شيئا لم يعلمه تأويله واوصيائه من بعده يعلمونه كله وعن العياشي مثله . وفي الكافي عن احدهما عليهم السلام مثله . وفي الكافي في الصحيح عن الصادق (ع) نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله . ونحوه عن تفسير العياشي . وفي نهج البلاغة وغيره قول امير المؤمنين علي (ع) ولقد جئتهم بالكتاب مشتملا على التنزيل والتأويل : ومن طرق اهل السنة ما في الدر المنثور اخرج ابن جرير وابن المنذر وابن الانباري من طريق مجاهد عن ابن عباس قوله انا من يعرف تأويله . واخرج احمد والطبراني وابو نعيم في الحلية عن ابن عباس ان رسول الله قال : اللهم اعط ابن عباس الحكمة وعلمه التأويل واخرج الحاكم في مستدركه وابن ابي شيبة اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل . واخرج الحاكم ايضا اللهم علمه تأويل القرآن . واخرج ابن ماجه وابن سعد والطبراني اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب . فانظر اقلا الى كنز العمال ومختصره في كتاب الفضائل . ولو كان علم التأويل منحصر بالله ولم يعلمه رسوله والراسخين في العلم لما دعا به رسول الله (ص) لابن عباس . وما هو معنى الدعاء بما لا يرجى وقوعه . واخرج الحاكم في الصحيح على شرط البخاري ومسلم كما هي عادته في المستدرك عن معقل بن

يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ * (٦) رَبَّنَا
لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا

يسار عن رسول الله (ص) اعملوا بكتاب الله فما اشبه عليكم فاسألوا عنه اهل العلم يخبرونكم .
الحديث . والذي يشبه عليهم هو المتشابه . واخرج احمد وابو يعلى في مسنديهما والبيهقي في
شعبه والحاكم في مستدركه وابو نعيم في الحلية وسعيد بن منصور في سننه وابن السكن عن
الأخضر الانصاري . والديلمى عن ابي ذر جميعا عن رسول الله (ص) ان عليا (ع) يقاتل على
تأويل القرآن كما قاتل هو (ص) على تنزيله . ومفاد الحديث ان امير المؤمنين (ع) كان عالما
بتأويل القرآن على حقيقته فهو يقاتل دفاعا عنه وتثبيتا لحقائقه في الدين واساسياته كما قاتل رسول
الله (ص) دفاعا عن تنزيله : واما دلالة سياق القرآن في تمجيد الراسخين في العلم بهذا التمجيد
الساى والصفة الفاتكة انما يناسب عطفهم في مقام العلم بالتأويل ورسوخهم فيه ومجدهم في الايمان
بموثداه على بصيرة من امرهم واما قولهم آمنا فلو اريد به الايمان بنزول لفظه من دون علم بمعناه
ولا عمل به لكان المناسب له وصفهم بتصلبهم في الايمان والتسليم لرسول الله في التنزيل اذن
فقوله تعالى (يقولون آمنا به) حال اى يعلمون تأويله حال كونهم يقولون آمنا اى بما عرفوه من
موثداه فان الكثير منه هو اساسيات دينية قد اقتضت الحكمة ابهامها حال التنزيل بالاطلاق
او العموم او الكناية او غير ذلك مع بيان تأويلها وخصوصية المراد بقرائن الحال او السنة كما وقع
مثله في آية الزكاة إذا اهل مقدارها ووقت اخذها ومورد وجوبها الى سنة ترويض للناس في
امرها وصعوبتها عليهم . وسبب ان شاء الله لذلك موارد (كل) من المحكم والمتشابه والتنزيل
والتأويل (من عند ربنا) وولي امرنا الحكيم في بيانه لنا وهدانا الى الحق (وما يذَّكَّرُ) من ارشاد
القرآن الكريم وهذه الآيات الشريفة إلا اولو الالباب ٦ ربنا) اى يا ربنا ومالك امرنا ومن بيده
توفيقنا وخذلانا . ومناسبة السياق تقتضي ان يكون ذلك دعاء من الراسخين في العلم في
التوفيق للثبات على الهدى بما علمهم الله من التأويل (لاترغ قلوبنا) اى لا تخذلنا وتسلب
عنا بسوء اعمالنا لطفك وتوفيقك فنزيع قلوبنا وتنحرف عن الحق والاستقامة فنبتغي الفتنة
بالتلاعب بتأويل القرآن (بعد إذ هديتنا) بلطفك الى معرفة الحق ، والنكته في نسبة الإزاعة
إلى الله هي النكته في نسبة الاضلال اليه جل شأنه . وهي التنويه بالتوفيقه من الأثر المحيى

وَهَبْ أَنَا مِنْ كَدُّكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ * (٧) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ
لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ * (٨) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ
عَنَّهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا

وما لخذلانه من الوبال المهلك كما ذكرنا فيما قبل الأخير من شواهد المقام الثاني من المقدمة في
نسبة الإضلال وأوضحنا أمره تفسير الآية السادسة من سورة البقرة (وهب لنا من لدنك
رحمة) باللفظ والتوفيق (انك انت الوهاب ٧ ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه) وهو
يوم القيامة والحشر من القبور للجزاء . كيف يكون فيه ريب وانت اخبرت به في كتابك الكريم
بالصراحة المتكررة المؤكدة والحجة القاطعة (ان الله لا يخلف الميعاد) وعدل من الضمير الى
الظاهر لأن لفظ الجلالة فيه اشارة الى الإلهية وكألها وقدها فكأنه احتجاج على عدم الخلف
للميعاد بمعنى أن الإله يحل عن ذلك فلنا اليقين والثقة التامة بما وعد من المعاد والجزاء .
(٨) إن الذين كفروا) وماتوا على كفرهم (لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من) عذاب
(الله) كما في التبيان ، ومجمع البيان في تفسير الآية الثانية عشرة بعد المائة وفي الجلالين في تفسير
الآيتين او بلائه او انتقامه او غضبه او مطلق ما يخاف منه فتكون «من» للابتداء كقولك
اغثت عنك في الحرب اموالها من الميمنة (شيئا) من الغناء فيكون في مقام المفعول المطلق لتغني
ويحتمل أن يكون مفعولا به لتغني اي لن تغني شيئا من عذاب الله ولن تجزيه فتكون «من»
للتبويض : ذكرت الأموال والاولاد لأنها من اهم ما يعتمد عليه الانسان الجاهل لما يخافه
من النوائب وهي التي يبيع لها آخرته ودينه . والغنى بالقصر وبالمدة ككلام عدم الحاجة واغنى
فلان قام بالحاجة وكفى عن غيره واليه يرجع قول التبيان . الاختصاص بما ينفي الحاجة . وكثر
استعماله فيما كان الكافي او المكافي مما لا يعقل كاستعماله في دفع ما لا يراد والتخليص منه كقوله :
هَذَا قَالَ قَدْنِي قَالَ بِاللَّهِ حَلْفَةً لتغني عني ذا انائك اجمعا

اي ما في انائك وقول عثمان للرسول بصحيفة امير المؤمنين علي (ع) اغناها عني . ولاجل
ما ذكرناه صار اللغويون يجولون حول هذا المعنى ففسروا الاغناء بالنفع او كفاية المؤنة ، او
الاجزاء ، او الصرف ، او الكف . وكثيرا ما يترك المفعول للاغناء والمتعلقات به لعدم الحاجة
الى ذلك في مهم المقام كقول طرفة في معلقته

٢٦٠ آل عمران : ان تغني عنهم من الله والكشاف والمغني وتفسير المنار ١٠٢٩ الاخبار الغيبي بغلوبة الكافرين

وَأُولَٰئِكَ هُمُ وَقُودُ النَّارِ * (٩) كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ * (١٠) قُلِ الَّذِينَ كَفَرُوا
سَيُغْلَبُونَ وَيُنْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيُسْـَٔلُ الْمَاهِدُ *

ولا تجعليني كامرئ ليس هم كهي ولا يغني غنائي ومشهدي
وقد يترك المفعول وتذكر المتعلقات المقصودة كما تقول ذبحت بالسكين ودفعت عنك بنفسي
واغثيت في الحرب من هجائها او من أبطالها أو من ميمتها مثلاً فتكون «من» في هذا المثال
كالآية الابتداء كما عن المبرد وبعض . وذلك لتضمن اغناء المحذور معنى التخليص منه . وقال
في الكشاف والمغني ان «من» في الآية بمعنى «بدل» اي ان اموالهم واولادهم لا تغني عنهم
بدل رحمة الله اقول وهذا التفسير لا يستقيم مع ابقاء الاغناء على معناه وكيف تكون رحمة الله
مغنية عن الكافرين بمعنى اغتناء المحاذير واكتفائها واجتزائها بالرحمة بخلاف الأموال والأولاد
فإنهم لا يكون كذلك بدل الرحمة . اللهم الا ان يدعى استعمال لفظ الاغناء هنا بمعنى النفع
لكنه مجاز او صح لكان محتاجا الى القرينة المفقودة هاهنا فإن معنى النفع غير معنى الاغناء .
يقول في مثل هذا المقام اغثيت عنه ولا تقول نفعت عنه مضافا الى ان قوله تعالى لا تغني عنهم
مانع عن استعمال لفظ الاغناء بمعنى النفع لأن المتعلقات والحروف الجارة انما هي باعتبار المعاني
لا باعتبار الألفاظ . اذا عرفت هذا قل ما شئت في تفسير صاحب المنار حيث قال وانما
معنى «من» هنا البدلية اي ان اموالهم واولادهم لن تكون لهم بدلا من الله تغنيهم عنه . واقول
لماذا نسي هذا المفسر ان تنزيل الآية الكريمة انما هو لن تغني عنهم لا لن تغنيهم . وابن «من»
من البدلية ومثل ذلك ما حكى عن ابي عبيدة من ان معنى «من» في الآية معنى «عند»
(واولئك) اي الذين كفروا (هم وقود النار) وسواة لهم وسحقا (٩ كذاب آل فرعون) الدأب
مصدر دأب يدأب اذا اعتاد الشيء وتماذى عليه اي حال هؤلاء المذكورين ودأبهم كذاب
آل فرعون اي قومه (والذين من قبلهم) من الأمم (كذبوا بآياتنا) هذا تفسير لدأبهم اي
كذاب المذكورين في التكذيب (فاخذهم الله) استولى عليهم بالعقاب (بذنوبهم) اي بسببها
(والله شديد العقاب) ١٠ قل للذين كفروا سغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد) المهاد ما
يمده الانسان لاستراحتة وعبر عن جهنم بالمهاد نهكا بهم وبسوء اختيارهم وعاقبتهم ، في تفسير

(١١) قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتِي أَنْتَقَتَا فِتْنَةً تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ فِي طَائِفَتِهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ *

القمي ان هؤلاء بنو القينقاع من اليهود لما تقصوا بعد وقعة بدر عهدهم مع رسول الله (ص) ففزعهم وخوفهم بما فعل الله بالمشركين فافتخروا برجالهم فانزل الله الآية وغلبوا واخرجوا من ديارهم واموالهم الى الجلاء صاغرين خاسئين ، وفي الدر المنثور اخرجه ابن اسحاق وابن جرير والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس . وذكر في التبيان قولاً بأنه اخبار اليهود بان عبدة الاوثان ومنهم قريش سيغلبون وهو على هذه القراءة وهي خلاف المتواتر المتعارف ونقل في الكشف غير ذلك والاول اقرب الى الصواب (١١ قد كان لكم) هذه الآية ايضا مما امر الله به رسوله ان يقوله لهم (آية) ودلالة وموعظة (في فتنين) فرقتين من الناس (الفتن) في الحرب (فتنة) منها (تقاتل في سبيل الله و) فتنة (اخرى) منها (كافرة) يظهر من القمي انها فتنة المسلمين والمشركين في وقعة بدر . وهي رواية الدر المنثور وابن جرير عن ابن عباس وذلك هو المناسب لخطاب بني القينقاع (هرونهم مثلهم رأي العين) المعروف أن المسلمين في بدر كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً . والمشهور في الرواية أن المشركين كانوا نحو التسعمائة وخمسين . فيكون المعنى ان المسلمين كانوا يرون جمع قريش مثلهم بحسب رؤية العين للجمع وصورة التجند لا بحسب الاحراز للعدد ومعرفة الكمية . اراهم الله اياهم مثلهم لئلا يستقلوهم ويتساهلوا في حربهم استقلالاً واستضعافاً لهم واراهم اياهم بدون عددهم في المقدار لئلا تهولهم كثرتهم فيحجموا عن منازعتهم ويتخاذلوا في لقائهم كما قال الله تعالى في سورة الانفال «واذ يريكمهم اذ التقيتم في اعينكم قليلاً وبقليلكم في اعينهم ليقتضي الله امر ان كان مفعولاً» وقيل في معناها ان المشركين بعد أن اشتبكت الحرب خذلهم الله فصاروا يرون المسلمين مثلهم وان كانوا نحو ثلثهم . والاول بلحاظ الآيتين اظهر واقرب (والله يؤيد بنصره من يشاء) الأيد القوة والتأييد التقوية وقد ايد الله المسلمين بذلك النصر الباهر (إن في ذلك لآية) وموعظة (لأولي الأبصار) يجوز أن يكون البصر هنا بمعنى البصيرة كما ذكره اللغويون ، ويجوز أن يراد به حس العين فإن اراءه الشيء بالآية رادة الآية لية على غير العادة آية وعبرة لأولي الأبصار العارفين بعادة البصر . أو أن ذلك النصر بما عليه المسلمون

(١٢) زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُمَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ

من القلة وضعف العدة وما عليه المشركون من قوة العدة وكثرة العديد عبء لمن رأسه ذلك (١٢ زين للناس) بحسب النوع بالنسبة لجميع المذكورات (حب الشهوات) اي المشتريات كما يقال فلان طلبتي وهذا سوئي وحاجتي و « من » بيانية ولو كان لفظ الشهوات على حقيقته لعديه وربط بما بعده باللام (من النساء والبنين والقناطر المنطرة من الذهب والفضة) في التبيان في القنطار وقيل هو مل مسك ثور ذهباً وهو المروي عن ابي جعفر (ع) يعني الباقر (ع) وفي مجمع البيان وابي عبد الله يعني الصادق (ع) . وفي الدر المنثور اخرجه عبد بن حميد وابن ابي حاتم والبيهقي عن ابي سعيد الخدري . قلت وذلك احد الاحتمالات التي ذكرت في كتب اللغة . واورد في الدر المنثور عن رسول الله روايات متعددة متعارضة انه الف ومائتان اوقية وفي رواية انه الف اوقية . وفي اخرى الف دينار وفي اخرى الف ومائتا دينار ، وينبغي ان تكون الرواية عن الباقر والصادق وابي سعيد في مورد السؤال عن قنطار الذهب اوسقط منها قولهم او فضة . والمنطرة المجموعة قناطر كقولهم الوف مؤلفة (والخيل المسومة) اي المرسلة لأن ترعى سائمة لكثرتها (والانعام) وهي الابل والبقر والغنم باصنافها (والحرث) وهو المغروس والمزروع . ولم يذكر في هذه ما هو محرم العنوان ليكون تزيين الله له اشد في المناقاة لقدس الله من الأمر بالفحشاء والمذكر الذي تعبد الله وله المجد بتقديس جلاله وتنزهه عنه . فلا مانع من أن يكون الله تبارك اسمه هو المزين لحب المشتريات المذكورة من طريق حلها كما تكلفت ببيانه الشريعة المقدسة وحددته بمحدوده ، زين حبها لنوع البشر تمهيداً لحسن اجتماعهم وبقاء نوعهم وانتظام اقتصادهم ، وتشابكهم في عموم المنافع ، وانتظام التبادل فيها ، زين حب النساء والبنين لكي يسهل على الأزواج تحملهم لعشرة النساء ونفقاتهن وتنصن نوعاً في الاخلاق والاستقامة فينتظم بذلك التحمل امر التوالد والناسل . وزين حب البنين لكي يطلب البشر التناسل ويقوموا بالمسقات المعروفة في نفقتهم وتربيتهم وحسن الإدارة لهم في تربيتهم والنظر الى اصلاح امورهم وعواقبهم . وزين حب الاموال المذكورة لينهض الناس الى العمل والعمران فتتوفر نعم الله على عباده وينالوا به البذة والتنعيم على حسب حبهم لمشترياتهم ويعرفوا منها اغوذجا لنعيم

ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَآبِ * (١٣) قُلْ أَرَأَيْتُمْ يُبْخِرُ
مِنْ ذِكْكُمْ لِلَّذِينَ آمَنُوا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ

الآخرة الدائم فيدفعهم الشوق اليه الى الاعمال الصالحة فلا يستولي على الناس او يغالطهم
العجز بالتصوف البارد ، وقد تكاثرت الاحاديث في ان الزهد في الدنيا هو الورع عن محارم الله
وقد صرح امير المؤمنين علي (ع) بانه يتعاطى التقشف في معيشته لانه رئيس المسلمين والمنظور
اليه في الاقتداء فينسل بجاله (ع) من الح الفقر عليه ومسته البأساء . وفي سورة الاعراف
« ٢٩ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكوا واشربوا ولا تسرفوا ان الله لا يحب
المُسرفين ٣٠ قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في
الحياة الدنيا » يتنعمون بها بحسب ايمانهم الصادق على الحدود المشروعة والجارية على المصالح والصالح
« خالصة » من تبعات العقاب والنعكس « يوم القيامة » كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » وما هذا
الزينة الا للحكمة التي خلق الله بها الانسان شهوة وقوى يتنعم بها في الحياة الدنيا بما احله الله وجعل في
الخلل كفاية في الحاجة وبلغة في التمتع وحدد حدوده بنهي العقل والشريعة عن الفحشاء والمنكر
والبغي وما فيه المفسدة للشخص والنوع ونظامه ووعظ في ذلك وانذر وتوعد وحذر وارسل في
ذلك الرسل وانزل الكتب وشرع الشرايع واستحفظ على اقامتها الآئمة ، واستخدم لها علماء
الامة نعم ان الذي يزينه الشيطان ليس هو القسم الذي يبقى به نوع الانسان ، وشرف
المران ، ويقوم به نظام الاجتماع . بل هو خصوص المحرمات وما فيه فساد النظام (ذلك)
اي ما ذكر من المشتبهات (متاع الحياة الدنيا) الفانية (والله عنده حسن المآب) والمرجع وهو
المآب الذي لا فناء فيه ولا عناء ولا تكدير في نعيمه فهو الحسن المطلق (١٣ قل) يا رسول
الله للناس (أنبئكم بخير من ذلكم) مما هو (للذين اتقوا) الله ورغبوا في رضاه وطلبوا ما عنده
وما اعد لهم (عند ربهم) هي (جنات تجري من تحتها الانهار) اي مساقى اشجارها لا بنحو
تكون به كلها من قسم المستنقعات ولا يخفى ما في وصف القرآن من البهجة الفائقة الممتازة
(خالدين فيها) اي في الجنات لا فناء لهم ولا لنعيمها كما يغني متاع الحياة الدنيا واهلها ولا
اخراج لهم منها (وازواج مطهرة) بما يرغب العقلاء فيه من طهارة الازواج في الخلق والاخلاق

وَرَضَوَانُ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * (١٤) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ
لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * (١٥) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَائِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ
وَالْمُسْتَفْزِرِينَ بِالْأَسْحَارِ * (١٦) شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو
الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ

وفي ذلك النعيم الهنيء (ورضوان من الله) وهو الغاية القصوى لأولي الأبواب في النعيم
(والله بصير بالعباد) وما يعملون وما يستحقونه من الجزاء (١٤ الذين) في هذا بيان لصفات
الذين اتقوا . وما اكرمها واحسنها من صفات (يقولون ربنا اننا آمننا) اي يؤمنون ويعترفون
لله بايمانهم ويعملونه وسيلة الى الله في الدعاء لنجاتهم وغفران ذنوبهم (فاغفرنا ذنوبنا وقنا عذاب
النار ١٥ الصابرين) عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى نوائب الدهر تسلياً لأمر الله ورضى
بقضائه (والصادقين) واكرم بها صفة واحسن (والقائتين) الدائبين في العبادة (والمنفقين)
كما امرهم الله وندبهم اليه (والمستفزين بالاسحار) السحر هو الوقت الذي قبل طلوع الفجر
وهو احسن الاوقات نوعاً لحضور القلب في العبادة والاقبال على المناجاة والدعاء ، وابعدها
عن مداخلة الرياء (شهد الله) اصل الشهادة من الشهود والحضور والمعاينة ثم شاعت فيما ينشأ
عن ذلك ونحوه من الاعلام بالامر والشيء لاثباته ومنه المقام فيقال شهد بكذا (انه) اي بانه
(لا إله الا هو) وشهادة الله اعلامه بآلهيته ووحدانيته بالدلالات الجلية والحجج القاطعة ومن ذلك
خلقه للعالم ودلائل الحكمة ، وقوانين النظام الباهر فيه ودوام انتظامه على ذلك (و) شهد بذلك
ايضاً (الملائكة وأولو العلم) وهم الذين لم يعمهم الجهل الى النظر اقلاً الى نظام العالم ودوام انتظامه
فشهدوا بذلك عن علم وبصيرة وحجة قيمة يرشدون بها الجاهل ويقاومون بها المعاند (قائماً بالقسط)
في التبيان وروي في تفسيرنا ان في الآية تقدماً وتأخيراً تقديره شهد الله انه لا إله الا هو قائماً بالقسط
والملائكة الآية اي على انه حال من الضمير «هو» انتهى وفيه ان مثل هذا الارسال لا ينهض باثبات
شيء فضلاً عن مصادمته بالتواتر من القراءة والمصاحف ، وفي الكشف جواز كونه حالاً من
الضمير ايضاً على القراءة المتعارفة ، اقول والانصب بكرامة القرآن الكريم في سياقه واسلوبه المجيد
ان يكون حالاً من لفظ الجلالة فإنه هو الذي له عنوان الكلام ووجهه الذي يقرب له البعيد من
جملته ويوصل به المنفصل دون ضائره فكل ما صلح ان يرتبط به من حال او غيره جره عنوان

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٧) إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

الكلام ووجهه اليه ولا يرتبط بغيره الا بالقربة كما هو الشأن في كل كلام له حظ من البلاغة والاستقامة . وفسروا القسط بالعدل . والظاهر ارادة التقارب في المعنى لا الترادف والاتحاد في المفهوم . فان الاستعمال وما ورد في القرآن الكريم ينافيان ذلك لانه يقال عادل ولا يقال قاسط الا للجائر ونحوه . بل يقال لما يجعلونه بمعنى العادل مقسط وان اقسط يعدى بالي كما في قوله تعالى في سورة الممتحنة « ٨ الا ان تبروهم وتقسطوا اليهم » والعدل لا يعدى بالي واطن ذلك منهم كتفسير الظلم بالجور مع ان الجور لا يتعدى الا بعل . والظلم يتعدى بنفسه فانهم يفسرون اللفظ بما يقاربه في المعنى حيث لا يجدون له مرادفاً . ومن الظاهر في التبادر ان الجور ابلغ في العدوان من الظلم . وقد استفاض في حديث الفريقين في المهدي (ع) يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، وفي سورة الحجرات « ٩ فاصلحوا بينها بالعدل واقسطوا » والظاهر من ذلك هو التأسيس لا التأكيد . وقال الله تعالى في سورة المائدة « ١١ شهداء بالقسط » فالقسط انسب بالشهادة من العدل والقائم بالشيء هو محققه ومجربه ومديه اي شهد الله وهو المجري للقسط والحق ومديه في الشهادة وغيرها . فما اعظمها وما اكبر شأنها من شهادة (لا اله الا هو) وهذا تأكيد للمشهود به بعد الاخبار به كما تقول اشهد بكذا وهو كذلك (العزیز) في آلهيته ووحدانته (الحكيم) في اعماله (١٧) ان الدين عند الله الاسلام قد مر تفسير الاسلام في الآية الثانية والعشرين بعد المائة ، وتفسير الدين في التاسعة والثمانين بعد المائة من سورة البقرة . وان دين الاسلام هو دين الفطرة الذي تجلت فيه ادلة العقل والنظر في ملكوت العالم ودعوة الانبياء والرسل وصراحة الكتب الالهية المشهود لها بدلالة المعجزات . وقد بقي ما يكفي في ذلك فيما حرف من التوراة والانجيل (وما اختلف الذين اوتوا الكتاب) في هذا الدين وهم بنو اسرائيل وخصوص اليهود والنصارى فتقلب الغالب من بني اسرائيل في الشرك من يوم مروا على عبدة الاوثان وذلك بعد ما اسلموا لموسى ورأوا الآيات النيرات في مصر وانشقاق البحر لهم وعبورهم فيه على الارض اليابسة فقالوا لموسى اجعل لنا الهام كما لهم آلهة (١) ويوم عبدوا العجل واستمروا على القلب في الشرك في اجهالهم كما هو

٢٦٦ آل عمران : ١٨ اختلاف الذين أتوا الكتاب في الإسلام دين الفطرة وولمة إبراهيم ١٨ في الإسلام

إِلَّا مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * (١٨) فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُ

معروف في تاريخهم وكتبهم وذهب الكثير من النصارى الى تثليث الالهة وتأليه المسيح وابطال الشريعة بالرأي حتى استوعبهم ذلك اخيرا «١» (الامن بعد ما جاءهم العلم) بالتوحيد والدين الصحيح من دلالة العقل والفطرة والمعجزات الباهرات ، والآيات البينات وصراحة كتبهم . كما بقي شيء من ذلك فيما حرفوه . ولكن حدث الاختلاف فيهم (بغيا بينهم) من الكافرين على الموحدين . او بغيا حاصل بينهم على الحق وتمردا على ما يعلمون ، واستمر ذلك البغي فيهم حتى جحدوا رسالة رسول الله وقرآنه وما فيه من معارف الحق وشريعته بعد ما دل على ذلك المعجز وكتبهم في البشري برسول الله وقرآنه (ومن يكفر بآيات الله) ويجحد دلالتها البينة (فإن الله) محاسبهم ومعاقبهم ومجازيهم على كفرهم يوم القيامة وهو (سريع الحساب) «انهم يرونه بعيدا ونراه قريباً» «٢» كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها «٣» «(١٨ فإن حاجوك) وجادلوك يا رسول الله في التوحيد وما جئت به . (فقل) لهم في الحجة الدامغة لهم انكم قد وافقتمونا في بعض اقوالكم وما عندكم من الكتب في توحيد الله في الآلهية والقدس والكمال . كما هو الحق والحقيقة وهل عن ذلك من محمد «وماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون» «٤» «إني (اسلمت) ووكلت وخليت (وجهي لله) لا اصده بضلال الاهواء عن الله وتوحيده ، وطاعته ودين الحق (ومن اتبعني) على الحق الواضح ايضا أسلم وجهه لله . وجاز عطف الموصول على الضمير المرفوع المتصل في «اسلمت» لوجود الفاصل (وقل) يا رسول الله بعد هذا النحو من الاحتجاج (للذين أتوا الكتاب) من اليهود والنصارى (والأُمِّيِّين) أهل أم القرى وهي مكة . أو العرب لأنهم بحسب النوع والغالب لا يقرأون ولا يكتبون بل هم على ما ولدتهم أمهاتهم من الجهل بذلك . فإن هؤلاء الأُمِّيِّين معترفون ايضا بالله وإلهيته وقده وكاله (أسلمتم) ودخلتم

«١» وقد أشرنا إلى شيء من ذلك من صراحة كتبهم في المقدمة الخامسة من كتاب الهدى

في الجزء الأول صفحة ١٩ - ٣٤ «٢» سورة المعارج ٦ «٣» النازعات ٤٦ «٤» يونس ٣٣

فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ *
(١٩) إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ
الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * (٢٠) أُولَئِكَ
الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ * (٢١) أَلَمْ
تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ

في سلم الله فلا تحاربونه ولا تحادونه بالشرك والتعد على آياته ورسوله وقرآنه (فإن أسلموا فقد
اهتدوا) وذلك هو الفوز العظيم (وإن تولوا) عن الإسلام وحادوا الله ورسوله فلم يس
عليك من حسابهم من شيء وليس عليك أن لا يتولوا (فإنما عليك البلاغ) والدعوة الى الله
ودين الحق (والله بصير بالعباد) يعلم ما يكون منك ومنهم ويوفق من هو اهل للتوفيق
(١٩) ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق (بيان لأن قتل النبيين لا يكون
إلا بغير الحق) (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط) وهو الحق والمعروف وقبل العدل (من
الناس) من العباد الصالحين من غير النبيين (فبشرهم) يعني القاتلين الكافرين (بعذاب) في
الآخرة (اليم) وعبر بالتبشير للسخرية بهم والتوبيخ لهم . ودخلت الفاء على بشرهم لأن
الخبر هنا بمنزلة الجزاء المتفرع على الكفر وقتل النبيين كما في قوله تعالى « السارق والسارقة
فاقطعوا أيديهما » (٢٠) أولئك الذين) لأن ما ذكر من كفرهم وقتلهم للأنبياء والصالحين
(حبطت اعمالهم) التي فيها حسن كالأحسان الى الفقير والعاني ونحو ذلك فلا أثر لها في
استحقاق الجزاء والخفيف عنهم بل سقطت (في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين)
ينصرونهم على الله وينجونهم من عذابه (٢١) ألم تر) أي ألم يصل علمك (الى) حال (الذين
أوتوا نصيبا) أي حظا وبعض الشيء (من الكتاب) لا يبعد أن يكون المراد هنا التوراة
والانجيل أي من جنس الكتاب وان روي ان مورد النزول هم بعض اليهود . وعبر بالنصيب
من الكتاب باعتبار ان التوراة والانجيل قد حرقا وبدا في أكثرهما ولم يبق منهما على ما أنزل
إلا البعض وهو النصيب الذي بقي من التوراة لليهود والنصارى المعاصرين لرسول الله ومن
الانجيل الذي بقي للنصارى منهم . فقد بقي من التوراة إيمان ابراهيم وتوحيده وتاريخه المبين
انه كان قبل اليهودية والنصرانية واقاويلها في الدين والتوحيد . وبقي فيها البشرى لبني اسرائيل

يُدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ *

بأن الله يرسل نبيا من اخوتهم أي من ولد اسماعيل لامتهم ويجعل كلامه في فمه كما في الفقرة الخامسة عشرة الى العشرين من الفصل الثامن عشر من سفر التثنية . وبقي فيها حكم القصاص في النفس والعين والسن والجروح كما في العدد الحادي والعشرين من الفصل التاسع عشر منه . وبقي في الانجيل شيء من الدعوة الى الاعتراف بأن الله هو الإله الحقيقي وحده وان عيسى رسوله كما في العدد الثالث من الفصل السابع عشر من انجيل يوحنا . وبقيت البشري برسول الله احمد «بيركاوطوس» وان حرقوه الى «بيراكايطوس» وعبروا عنه «فارقليط» و«المغري» كما في الفصل السادس عشر والسابع عشر من انجيل يوحنا . وحال هؤلاء انهم (يدعون الى كتاب الله) وهو القرآن الذي قامت عليهم الحجة بأنه كتاب الله بدلائل اعجازه وبشري كتهبهم (ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم) وهم الأكثر (وهم معرضون) عن القرآن ودلائل حجته . ومنهم من وفق للإسلام والخضوع لأحكام الله في قرآنه المجيد . ومقتضى روايتي الدر المنثور ومجمع البيان عن ابن عباس هو ان المراد من كتاب الله الذي يدعون اليه هو التوراة . وكفى بذلك موهنا للروايتين فإن التوراة كانت حينئذ محرفة بأشد التحريف كما تراها الآن فكيف يسميها القرآن « كتاب الله » روي في الدر المنثور عن ابن عباس ان رسول الله «ص» دعا اليهود الى حكم التوراة بأن ابراهيم لم يكن يهوديا ، ويوهن هذه الرواية بعد غض النظر عن سندها ان التوراة ليس فيها ان ابراهيم لم يكن يهوديا وغاية ما فيها ذكر التاريخ المضطرب ومنه ان الله أوحى اليه أن نسله أي بني اسرائيل يستعبدون ويذلون في ارض غريبة أي ارض مصر اربعمائة سنة «١» وقالت التوراة ايضا في الفصل الثاني عشر من سفر الخروج ان المدة كانت اربعمائة وثلاثين سنة هذا مع ان النسخة السامرية والنسخة السبعينية قد زادت في الاضطراب وجعلتا المدة المذكورة مدة لإقامة بني اسرائيل وآبائهم في ارض مصر وكنعان وقد تكلمنا على هذا الاضطراب في الجزء الثاني من كتاب الهدى «٢» فهل يدعوم رسول الله الى لا شيء في مثل هذا الكتاب المضطرب . وفي مجمع البيان عن ابن عباس دعاهم رسول الله

«١» كما في الفصل الخامس عشر من سفر التكوين عدد ١٣ - ١٥

«٢» صفحة ٣٤ - ٣٩

(٢٢) ذُلكَ يا أيُّها النَّاسُ قالوا لنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إلاَّ أيَّاماً مَّعدُوداتٍ وَغَرَّهمْ في دينِهِمْ ما كانوا يَفْتَرُونَ * (٢٣) فَكَيْفَ إِذا جَمَعْنَاهُمْ يَومَ لا رَيبَ فيه وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ * (٢٤) قُلِ اللَّهُمَّ مالِكُ المُلْكِ تُوَفِّي المُلْكَ مَنْ تَشاءُ

الى حكم التوراة برجم الزاني . وهذه الرواية موهونة ايضا بمضمونها فضلا عن وهنها بارسالها وبما ذكرناه في موهن الروايتين . فإن الموجود في تورائهم ان الرجم على الفتاة التي لم يجد لها زوجها بكاره وعلى العذراء المخطوبة إذا زنت وعلى الزاني بها كما في الفصل الثاني والعشرين من سفر التثنية . واما من يكون عليه الرجم في شريعة رسول الله فلم تذكر فيه التوراة الموجودة الا القتل كما في الفصل المذكور والفصل العشرين من سفر اللاويين . إذن فلا يحكم رسول الله «ص» بالرجم على خلاف شريعته ويحتج بالتوراة المحرفة ويسميتها كتاب الله (٢٢ ذلك) أي توليهم وعنادهم لما يعرفونه من الحق اغترارا منهم (بأنهم قالوا) أي بسبب انهم زعوا في اعتقادهم الفاسد بأن عذابهم على مخالفة الحق هين قصيرة مدته لا ينبغي أن يصدمهم عن المحافظة على جامعة اهورائهم وعصبيتهم القومية (لن تمسنا النار) ولا نغذب بها (إلا أياما معدودات) قليلة (وغرهم في دينهم) الذي يجب أن يدينوا به فخالفوه الى اهواء العصبية وضلالها (ما كانوا يفترون) بقولهم لن تمسنا النار إلا أياما معدودات فكفروا بدين الحق ورسول الله وكتابيه وضلوا وأضلوا (٢٣ فكيف) حالهم (إذا جمعناهم) في الحشر بعد موتهم (ليوم لا ريب فيه) وهو يوم القيامة (ووفيت كل نفس ما كسبت) أي جوزبت بجرائه وافيا أي تاما (وهم) أي اهل المحشر (لا يظلمون) بنقص الثواب او بالعقاب . يا رسول الله لا تأس من تمرد اهل الكتاب على دين الحق ومظاهرتهم للمشر كين على الكفر فإن الله يظهرهم عليهم ويعزك ويذلهم ويجعل لك السلطة على اظهار دينه (٢٤ قل اللهم) معناه يا الله وكأن الميم المشددة المفتوحة في آخر الكلمة عوض عن حرف النداء فإنها لا يجتمعان . وشذ قول الراجز « اقول يا اللهم يا الهيا » (مالك الملك) الملك بضم الميم وسكون اللام هو التسلط والسلطنة . والله مالكة ويده أمره وهو الخالق لما تكون عليه السلطنة ولن يكون سلطانا له ملك السموات والأرض (توحي الملك) والسلطنة الموقنة (من تشاء) من الناس أن تؤتبه . وإيتاء الله للملك يكون على

وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ

وجيهين «اولهما» هو الإيتاء الخاص للممتاز من عباده بالصلاح والأهلية لتكميل البشر واصلحهم في المعارف الدينية ، والأخلاق الفاضلة ، وحسن الاجتماع ، والحصول على المستقبل الصالح السميد . وهذا هو ملك الرسل والأنبياء وأئمة الحق « وثانيها » إيتائه لا بهذا النحو بل بحسب سير التقدير في العالم واقتضاء الأسباب التي قدرها الله في هذا الكون نعمة في الحياة الدنيا محددًا لذلك بمحدود الأخلاق الكريمة والواجبات العقلية والشرعية والنهي عن محرماتها كما أنعم على الانسان بالقوى ليتمتع بها في الواجب والتدب والمباح . فيستقيم على الجادة من يستقيم ويحظى من ذلك بالكمال ، وحسن الجزاء . ويضل بسوء اختياره من يضل فيخسر حظه ويستوجب ما يستوجب . ولكل من إيتاء الملك والقدرة والقوى اثر وغاية تحصل عن حسن اختبار الانسان او سؤته . ففي سورة النمل في شأن سليمان النبي في تواضعه لله الناشئ من عصمته الاختيارية قوله في مسألة عرش بلقيس « ٤٠ » فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر ام اكفر فمن شكر فأنم يشكر لنفسه ومن كفر فإني عذابي لشديد . وفي سورة يونس « ٨٨ » وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملائه زينة واموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك » الآية اي وكانت عاقبتهم ان يضلوا عن سبيلك بسوء اختبارهم . وفصل الكلام بقوله «ربنا» لا يوضح ان المراد من اللام هي العاقبة لا التعليل وفي سورة البقرة « ٣٦٠ » ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ان اتاه الله الملك » ويمامينبغي التنبيه عليه ان الشيخ في التبيان قال ان الهاء في آتاه الله الملك كناية عن المحاج لابراهيم ونسب عودها الى ابراهيم الى القبل . ثم قال في توتى الملك من تشاء ما ماخصه لا يجوز ان يعطي الله الملك الفاسق لقوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين فكأنه نظر في هذه الآية الى الوجه الاول من وجبي ايتاء الملك وفي آية البقرة الى الوجه الثاني ولعل صورة هذا التدافع نشأت من اختصار التبيان ولذا لم يقع مثله في مجمع البيان وفي تفسير البرهان عن الكافي باسناده عن عبد الاعلى وعن تفسير العياشي عن داود بن فرقد جميعا عن الصادق (ع) . رواية تنزل على نظر السائل الى الوجه الاول من ايتاء الملك الذي ينبغي ان يسير من رسول الله الى الائمة من اهل بيته وعترته احد الثقلين (وتنزع الملك ممن تشاء) ان تنزعه منه بموته

وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ۚ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *
(٢٥) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ

او بتحويله الى آخر (وتعز من تشاء) ان تجعله عزيزاً (وتذل من تشاء) ان تجعله ذليلاً بان تجعل كلا من الفريقين بحسب سير التقدير الجاري بحكمتك في نظام العالم بتسيبك للاسباب وتصيره في حالة تعذرا او اخرى تعذرا وقد تجعل كلا منهما كذلك بارادة خاصة من النصر والمعونة او الخذلان والاهانة (بيدك الخير) اقتصر على ذكر الخير لان المقام مقام تعليم بالدعاء بالخير والنصر وتعريض بالبشرى بها (انك على كل شيء قدير) ولك من مظاهر القدرة وعجائب التصرف بالكون ما يبهر العقول . فإنك (٢٥) تولج الليل في النهار) الابلج ادخال شي في شي يحتوي عليه ويستتره ومعنى ابلج الليل في النهار هو ان ما يكون في الدورة اليومية ليلاً او جزء من الليل في بعض الفصول من السنة والامكنة التي تبعد عن خط الاستواء يجعله نهارة في فصل آخر او مكان آخر . وقد قدر الله نظام العالم بحكمته الباهرة في سير الارض او الشمس على منطقة البروج وفي هذا النظام العجيب من الحكم العظيمة وآثار القدرة وعموم الرحمة والعمران ما يبهر العقول وان الليل والنهار على مدار خط الاستواء (١) متساويان ويتساويان ايضا تقريبا في جميع الارض ويوم دخولها او دخول الشمس في برج الحمل او الميزان وبتفاوتان بالزيادة والنقصان بحسب الازمان والمواقع من الارض في المدارات الشمالية والجنوبية بتفاوت منظم موزون لا محل لذكره هنا ففي المدارات الشمالية يأخذ الليل بعدا كالمطولة في النقيصة المتفاوتة على الانتظام من دخول الارض او الشمس في برج الجدي وبولج في النهار . فيأخذ النهار بالطول بعد كمال نقصه او بوجوده متزايدا بعد عدمه ويستمر على ذلك الى الدخول في برج السرطان فيشرع حينئذ بالزيادة . وفي المدارات الجنوبية يأخذ الليل بعد نهاية طوله في النقيصة ويستمر عليها وبولج ما ينقص منه في النهار على ما اشرنا اليه من الميزان والانتظام وذلك من حين الدخول في برج السرطان الى الدخول في برج الجدي فيشرع حينئذ بالزيادة (وتولج النهار في الليل) أي تدخل النهار في الميل فيأخذ النهار بالنقص في المدارات الشمالية على نهج ما ذكرناه من حين الدخول في برج السرطان الى الدخول في برج الجدي . وفي المدارات

(١) وهو الدائرة المنصفة للكرة الارضية على السواء فيما بين قطبي الجنوب والشمال

وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ
حِسَابٍ * (٢٦) لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ
يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ

الجنوبية من حين الدخول في برج الجدي الى الدخول في برج السرطان حتى يبلغ كل من الليل والنهار تحت القطبين في وقت واحد تقريبا على التبادل نحو ستة اشهر . فسبحان الحكيم القدير (وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي) قيل مثل اخراج البيضة من الطير واخراج الفرخ من البيضة . او اخراج الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان . وقبل يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن وفي مجمع البيان روى ذلك عن الباقر والصادق عليهما السلام . وفي تفسير البرهان قال ابن بابويه في حديث عن الامام العسكري قال حدثني أبي عن أبيه عن جده الصادق «ع» وذكر ذلك . وفي الدر المنثور اخرج سعيد بن منصور وابن جرير «١» وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الاسماء والصفات وابو الشيخ في العظمة عن سلمان في حديث نحو ذلك . واخرج ابن مردويه عن سلمان ايضا نحو ذلك . واخرج ابن مردويه ايضا عن ابن مسعود او عن سلمان عن النبي «ص» نحو ذلك . واخرج عبد الرزاق وابن سعد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن طريق الزهري عن عبد الله ان رسول الله «ص» في شأن خالدة المؤمنة بنت الاسود ابن عبد يغوث المشرك قال سبحان الذي يخرج الحي من الميت . واخرج ابن مسعود عن طريق أبي سلمة عن عائشة عن رسول الله «ص» نحوه (وترزق من تشاء) أن ترزقه (بغير حساب) ومراعاة لمقدار الرزق ومدآقة في العطاء كما يفعله من يخاف النقص في ملكه (٢٦) لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء (في النصرة والمودة لقراءة او محبة او صداقة او ولاء قبل الاسلام والآية نهي للمؤمنين عن أن يتخذوا الكافرين اولياء (من دون المؤمنين) و«من» لا ابتداء الغاية و«دون» للمكان الذي هو قبل المكان الذي تضاف اليه ثم شاع استعمالها في الكناية عن عدم الوصول بالشيء الى ما تضاف اليه وجعله في غيره . فالمراد لا يعدل المؤمن بولايته عن المؤمنين الى الكافرين (ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) من رضى من الله اولطف او توفيق او ولاية او جزاء او فضيلة إيمان وغير ذلك مما يحظى به العبد الضعيف المحتاج

إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقْيَةً وَبُحَذَرِكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ * (٢٧) قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

من الله ربه ومالك أموره . يقال هو من فلان في مقام ومكانة وحظوة أو إيس منه في شيء من ذلك . ويفهم من مناسبات المقام ان هذا النهي وهذا التهديد جاريان في الموالاة الصورية ويتوهم جريان النهي والتهديد فيها حتى لو كانت للدفاع عن النفس واتقاء الشر في بعض الأحيان ، فاستدرك ذلك بقوله تعالى (إلا ان تتقوا) ايها المؤمنون (منهم) أي من الكافرين (تقاة) مصدر مفعول مطلق لتتقوا كالاتقاء والتقوى والتقاء فيها للوحدة ومأخذها الوقاية بأن تقي نفسك من محذور شيء بشي آخر . كما يقال ضربه بسيفه فاتقاء بالدرقة ووقى نفسه بها من محذوره . وتاء الوحدة تفيد تحذير الاتقاء أي إلا ان تدفعوا شرهم عنكم وعن دينكم عند انتظار الفرصة في نصره وإظهاره وتتقوا منهم تقاة موقنة محدودة بأن تظهروا لهم ما يدفع شرهم من صورة الموالاة الموقنة حيث لا مندوحة لكم إلى غير ذلك ولا فائدة في نصر الدين بقتل الرجل بل ينقص بقتله رجل من رجال الإسلام وانصاره . ولا تسترسلوا في ذلك وتجاوزوا به مقدار الضرورة بحيث يرجع إلى الضعف في الدين والتساهل في امره واستظهار الكافرين فإن أمر الدين عظيم فاحذروا إذن من غضب الله وعقابه (ويحذركم الله نفسه) ليس المراد بالنفس ما يرادف الروح المرتبطة بالبدن . بل ذاته العظيمة فإنه العزيز الجبار الذي لا نصير عليه وهو استعمال شائع في اللغة والقرآن الكريم ومنه قوله تعالى «قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة» ومنه ما جاء من تعليق الظلم بالنفس كقوله «كانوا انفسهم يظلمون» ونحوه في اكثر من عشرين موردا ومنه ذكر الجهاد بالأموال والانفس نحو عشر مرات . فاحذروا الله فإنه شديد النكال اليم العذاب ولا تتساهلوا في أمر دينكم فإن الدنيا فانية وظل زائل (والى الله المصير) فيوفي كل نفس ما عملت (٢٧ قل) يا رسول الله محذرا (ان تحفروا ما في صدوركم) من نياتكم ووجوه اعمالكم (او تبدوه يعلمه الله) فاحذروا نيات النفاق وموادة من حاد الله ورسوله وكيف يخفى على الله شيء من ذلك وهو خالق نفوسكم واجسادكم والقائم عليها بالتدبير والابقاء والشهيد عليها يعلم ذلك منكم (ويعلم ما في السماوات وما في الأرض)

وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * (٢٨) يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ *

اي جميع العالم لأنه خالقه ومدبره (والله على كل شيء قدير) من العقاب والجزاء والاختصاص للمصير اليه (٢٨ يوم تجد كل نفس) قيل «يوم» معمول لقوله تعالى : «يحذر كم» واقول لا يكون «يوم» معمولاً ليحذر كم لأن يحذر لا تتعدى إلا إلى مفعولين وقد استوفاهما ولا بدلاً من أحدهما كما لا يخفى ولا ظرفاً للتحذير لأن التحذير وفائدته إنما هما في الدنيا . ولا ظرفاً للتحذير لو صح في نظائره اعراباً لأن الحذر في ذلك اليوم لا فائدة فيه ولا غاية وقيل ان «يوم» معمول لا ذكر مقدرة . ويرد عليه انه ليس من شيء يدل على ذلك . ولا يقاس على تقدير ذلك عند قوله تعالى «واذ» أي واذكر اذ . لأن السياق هناك يشير إلى ذلك . وتكرر في القرآن الكريم ذكره صريحاً في السور المكية سور مريم «١٦» واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت «وص» «٤٠» واذكر عبدنا أيوب إذ نادى «والاحقاف» «٣٠» واذكر أخا عاد إذ انذر «هذا مع ان المقام في اكمال الصلاحية والمناسبة لكون «يوم» ظرفاً للمصير . والفاصل ليس باجنبي (ما عملت) أي جزاء ما عملت و «ما» موصولة والعائد مقدر (من خير) «من» بيانية ولو كانت «ما» مصدرية لقبل من الخير (محضراً) بـ (لاتسوية) ولا بعد منال بل هو حاضر اعده الله تكريماً وتبجيلاً للمحسنين (وما عملت من سوء) أي وتجد جزاء ما عملته من سوء محضراً اهانة لها وانتقاماً حال كون ذلك الجزاء من شدة هوله وآلامه وخزيه (تود لو ان بينها وبينه أمداً بعيداً) والآمد بمعنى الغاية والمراد هنا البعد المكاني اثلاً لتروعها احواله وتقاسي آلامه ومكارهه . فإن البعد الزماني لا يجدي مع اليقين فإن كل آت قريب . وقبل ان الموصول في «ما عملت» مبتدأ وجلة تود خبره وجلة المبتدأ معطوفة على جملة تجد . والأول اظهر في افادة المعنى المذكور الذي لا معدل عنه . واقل حاجة إلى التقدير والتأويل . واما ما في الكشف ، وجمع الجوامع من ان «يوم» في اول الآية معمول لتود والضمير في «بينه» يعود إلى ذلك اليوم يوم القيامة . ففيه ان الآية اخبار عن حال كل نفس وهل يخفى ان كثيراً من النفوس الزكية إذا وجدت ما عملت من خير محضراً تود لو ان

(٢٩) قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * (٣٠) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ *

يوم القيامة عجل لها من حين موتها لكي تغوز بسعادتها (ويحذر كم الله نفسه والله رؤوف بالعباد) ومن رأفته تكراره للتحذير والانذار والارشاد إلى سبيل النجاة والسعادة وهذا إلى الصراط المستقيم (٢٩ قل) للناس يا رسول الله (ان كنتم تحبون الله) كما تزعمون فأول المصادق لهذا الحب ان تسارعوا إلى طلب رضاه ، والاهتداء بهداه ، وامثال امره ونهيه . وقد اوضحت لك الدلائل البينة والحجج القاطعة على اني رسول الله ، وباب رضاه ونور هدايه ، وترجمان امره ونهيه ، ومدرس تعاليمه ، ووسيلة تكميلكم وتطهيركم كم للقرب منه . اذن (فاتبعوني) في ارشادي لكم ، ووجود تقريركم من الله ونيل السعادة الأبدية . فاني الكتاب الناطق « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » صلى الله عليه وآله وسلم وقد أمر الله بطاعته ونوه بفضلهما في القرآن الكريم في اكثر من عشرين موردا . واخرج ابو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم في مستدركه وعلى شرط البخاري ومسلم وعن ابن حبان في ابواب السنة والعلم ونحو ذلك بأسانيدهم عن ابي رافع عن رسول الله (ص) قال لا الفين احدكم متكئا على اريكته يأتيه الأمر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ندرى ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه . وفي رواية الحاكم من طريق الليث والا فلا . واخرجه أحمد في مسنده بعبارة أخرى . واخرج احمد في مسنده وابو داود والترمذي في الأبواب المذكورة بأسانيدهم عن ابي المقدم عن النبي (ص) نحو هذا المضمون . كما اخرج احمد وابن ماجه والحاكم عن ابي المقدم ايضا عنه (ص) نحوه . وكذا ابو داود في تعشير اهل الذمة عن الرباض عنه (ص) . وكذا ابن ماجه عن ابي هريرة عنه (ص) . وهذه الأحاديث الموصوفة بالصحة والمستفيضة عن اربعة من الصحابة متفقة المضمون في اتباع رسول الله (ص) في امره ونهيه . وانه ليس لأحد ان يرد ذلك ويقول في ذلك حسبنا كتاب الله (يحيبكم الله) أي ان اتبعتموني يحيبكم الله . وكفى بذلك فضلا وفوزا وسعادة (ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ٣٠ قل اطيعوا الله والرسول) وهذا تأكيد لما سبق (فإن تولوا) عن ذلك (فإن الله لا يحب الكافرين) وذلك هو الخسران المبين

(٣١) إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ *

(٣١ ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) الطاء في اصطفى بدل من تاء الافتعال في مثل اختار اي اختاره صافيا من الخليط والاخلط . فقد يكون الصفاء من حيث الاندماج والاختلاط بالغير والمساواة له فيصطفى بالرسالة كقوله تعالى في شأن موسى في سورة الاعراف « ١٤١ اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وكلامي » او للملك ونصرة الدين كما في سورة البقرة في شأن طالوت « ٢٤٨ ان الله اصطفاه عليكم » او على سائر الأمم الوثنية باعتبار الانتساب إلى التوحيد وبند الاوثان كما في سورة فاطر « ٢٩ ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فهم ظالم لنفسه » او من الاختلاط بعنف آخر كما في سورة الصافات « ١٥٣ اصطفى البنات على البنين » او من حيث التخليص عن الشركاء وتمييزه عن المشترك من جنسه كاصطفاء الرسول من الفنائم ما يختار أو من حيث التخليص من الشرك وسفاهة الاهواء كما في سورة البقرة « ١٢٦ ان الله اصطفى لكم الدين » او باعتبار التقدم في اختيار الايمان والدعوة اليه كما في سورة البقرة في شأن ابراهيم « ١٢٤ ولقد اصطفيناه في الدنيا » وكما في سورة ص في شأنه وشأن اسحق ويعقوب « ٤٧ وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار » فجهة الاصطفاء والصفاء تعزف من مقام الكلام وقرائنه ولأن الله لم يذكر بين آدم ونوح في هذه الآية « شيئا » هبة الله و« ادريس » الصديق النبي عرف ان هذا الاصطفاء فوق مقام الصلاح والنبوة بل هو في أمر الدعوة العامة ، والإمامة للناس وزعامتها الكبرى . ولم يذكر ابراهيم في هذه الآية لأنه ذكر جملة الناس إماما وأن الله اصطفاه في الدنيا أي لذلك كما في سورة البقرة ١٨ و١٢٤ وفي مجمع البيان في قوله تعالى وآل ابراهيم وآل عمران قيل اراد نفس ابراهيم ونفس عمران انتهى وفيه مع غرابته في اللفظ ومخالفته لما أثور ان عمران سواء كان أبا موسى او ابا مريم ام المسيح ليس بمن له هذا المقام الخاص من الاصطفاء على العالمين . وفي الدر المنثور اخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال هم المؤمنون من آل ابراهيم وآل عمران وآل هاشم وآل محمد (ص) وأخرج ابن سعد وابن أبي حاتم عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عليهم السلام ان امير المؤمنين علياً (ع) أمر الحسن (ع) ان يخطب فخطب ونزل فقال (ع) ذرية بعضها من

بعض والله سميع عليم . وعن تفسير الثعلبي مسنداً عن الأعمش عن أبي وائل قال قرأت في مصحف ابن مسعود ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل محمد على العالمين . وفي التبيان وفي قراءة اهل البيت وآل محمد على العالمين . وقالوا ايضا ان آل ابراهيم هم آل محمد الذين هم اهلهم وكذا في مجمع البيان . وتفصيل الكلام ان الشيخ الطوسي روى في اماليه عن محمد بن ابراهيم قال سمعت جعفر بن محمد (ع) يقرأ وآل ابراهيم وآل عمران وآل محمد على العالمين . وفي تفسير القمي قال العالم نزل آل ابراهيم وآل عمران وآل محمد على العالمين . ونحوه عن تفسير العياشي عن ايوب عن الصادق (ع) . وعن أبي عمر الزبيرى عنه (ع) نحوه وايضا عن هشام بن سالم سألت ابا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحاً فقال هو آل ابراهيم وآل محمد على العالمين فوضعوا اسما مكان اسم . اقول وهذه الرواية معارضة بما يرجع عليها مما دل على ثبوت آل عمران في القرآن فلا بد من صرفها عن ظاهرها ومعارض ما تقدم رواية العياشي عن سدير عن الباقر (ع) قال ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض قال نحن منهم ونحن بقية تلك العترة . وعن ابي حمزة عن الباقر (ع) انه استشهد بالآية وقرأها على ما هو المرسوم في المصاحف وفي العيون بسنده عن الريان بن الصلت ان الرضا (ع) قرأها كذلك محتجا . وفي غيبة النعماني بسنده عن جابر الجعفي عن الباقر (ع) ان صاحب الأمر عجل الله فرجه يخرج عند ظهوره بالآية على ما هو مرسوم على انه أولى الناس بنوح وابراهيم . وعن الشيخ الطوسي بسنده عن يونس ابن حباب عن الباقر (ع) عن آبائه (ع) ان رسول الله في خطابه لأمر المؤمنين تلا الآية على النحو المذكور . وهذه الروايات اوضح سنداً من الأولى واسلم من التعارض والتدافع فيما بينها وأولى بالترجيح . ويمكن الجمع بأن آل محمد (ص) كانوا مقصودين في التنزيل من آل ابراهيم بنص الوحي على الرسول في ذلك . وربما أثبت في مصحف علي امير المؤمنين (ع) ومصحف ابن مسعود بعنوان التأويل المقصود عند التنزيل كما ذكرناه في المقدمة في اواخر الكلام على روايات فصل الخطاب . والظاهر ان موسى (ع) ورسول الله (ص) والأئمة الذين لهم الإمامة والزعامة العامة الكبرى هم القدر المتيقن في المراد من آل ابراهيم . واما اسماءهم واسماؤهم ويعقوب فلم يعلم ان مقامهم في النبوة والزعامة فوق مقام شيث (ع) وادريس اللذين أهمل من اصطفااء هذه الآية كما ان الظاهر من عمران انه عمران ابو مريم أم المسيح وانه ذكر

(٣٢) ذُرِّيَّةَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ* (٣٣) إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ

لخفاء الإشارة الى المسيح بعموم آل ابراهيم مع اقتضاء المقام للإشارة اليه بنحو جلي وبشهادة
ايضا قوله تعالى بعد هذه الآية «إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ» الى آخر قصة المسيح (٣٢) ذرية
بعضها من بعض والله سميع (لدعاء الداعين ورجاء الراجين مستجيب لهم كدعاء ابراهيم بقوله
«ومن ذريتي» (عليم) بما تقتضيه المصلحة ومواقع اللطف (٣٣) إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ (جد
المسيح . ودعوى زيادة «إِذْ» هنا من الغلط . وجعلها ظرفا لسميع عليم لا يناسب مجيئها
بعنوان الصفة الدالة على الثبوت الدائم المطلق . وجعلها مفعولا لأذكر مقدرة بعيدة في
السوق والسياق كما ذكرت هذه الأقوال في التبيان ومجمع البيان وذكر الأخير في الكشف
وجعلها ظرفا لاصطفي المذكورة لا يصح إِذْ لا تكون ظرفا لاصطفاء آدم ونوح . فالوجه جعلها
ظرفا لفعل مقدر يدل عليه الكلام . وهو سميع الدعاء أي استجابته إِذْ قَالَتِ . او اصطفي آل
عمران إِذْ قَالَتِ بمعنى انه لاحظ مظاهر الاصطفاء إِذْ قَالَتِ . والأول اقرب . وفي تفسير
القمي في الحسن كالصحيح عن الصادق (ع) ان امرأة عمران اسمها حنة . وكذا في الدر
المنثور مما أخرجه اسحاق بن بشير وابن عساكر عن ابن عباس . واخرجه الحاكم في مستدر كه
عن أبي هريرة . وفي تفسير القمي في سورة مريم وطرد الرواية عن أبي الجارود عن الباقر (ع)
ان زكريا كان رئيس الأخبار وامراته اخت مريم بنت عمران بن ماثان وبنو ماثان من
ولد سليمان بن داود . وفي الدر المنثور مما أخرجه البيهقي في سننه عن ابن مسعود وابن عباس
وناس من الصحابة ان زكريا كان افضل الذين يكتبون التوراة وكانت اخت مريم تحته . وفي
ضمن ما أخرجه ابن بشير وابن عساكر عن ابن عباس ان مريم كانت بنت امام القراء وكان
امام القراء من ولد هارون وكان زكريا رأس الأخبار وكانت خالة مريم عنده انتهى والله العالم .
وابو الجارود ضعيف ، وفي الفصل الأول من انجيل لوقا ان زكريا من الكهنة أي من ولد هارون
سدنة بيت المقدس وان زوجته أم يحيى هي نسيبة مريم أي قوابتها ومشاركتها في النسب
وان حملها بيحيى قبل حمل مريم بالمسيح بستة اشهر . والأناجيل الراجحة لم تذكر نسب مريم
ولا نسب عيسى من جبتها . بل ذكرت نسب يوسف النجار الذي يزعمون ان مريم كانت
مخطوبة له . فانجيل متى قال ويعقوب ولد يوسف . وانجيل لوقا قال ان يوسف بن هالي .

رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * (٣٣) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * (٣٥) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا

والنصارى من أجل هذا الاختلاف في كتبهم التي ينسبونها الى الوحي تكلفوا وتعمقوا بدعواهم ان «هالي» هو ابو مريم . وقد تعرضنا لهذا المقام في الجزء الاول من كتاب الهدى (١) (رب) اني نذرت لك ما في بطني محرراً) أي للمسجد بيت المقدس . وفي تفسير القمي في الحسن كالصحيح عن الصادق (ع) ان الله أوحى الى عمران اني واهب لك ذكراً مباركاً يبرئ الأكمة والأبرص ويحيي الموتى بإذني وجاعله رسولا الى بني اسرائيل فحدث بذلك امرأته حنه فلما حملت كان حملها عند نفسها غلاماً ، الرواية ونحوه عن العياشي عن جابر عن الباقر (ع) فحسبت ان المبشر به ولدها الأذن . (فتقبل مني) نذري أي اجعله واتخذة مقبولا عندك (انك انت السميع) للدعاء أي نذري وما يؤل اليه من الدعاء بسلامة الحمل وجعله ذكراً يقوم بما نذر له (العليم) بنيتي (٣٤ فلما وضعتها) انث الضمير باعتبار كون المولود أنثى (قالت رب اني وضعتها أنثى والله اعلم بما وضعت) فإنه هو الذي خلقها وصورها . وفي رواية القمي المتقدم ذكرها يقول الله والله اعلم بما وضعت (وليس الذكر) الذي كان في نبي وبشرى عمران ومقصد نذري (كالأُنثى) فإنها لا تكون رسولا ولا تقوم بما يراد من المندور المحرر (واني سميتها مريم واني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) المرجوم بالشهب او باللعن . وكأنها تشير بذلك الى مامعناه انك رب تدفع بلطفك شر الشيطان وغوايته كما جعلته رجياً فأعزها وذريتها بلطفك من شره (٣٥ فتقبلها ربها) ومولاه وجعلها واتخذها مقبولة عنده (بقبول حسن) كما سألتها أمها وفوقه (وأنبتها نباتا حسنا) النبات يكون اسم مصدر لنبت ويكون مفعولاً مطلقاً لأنبتها بدلا عن مصدره ويستعمل ايضا فيما ينبت كقوله تعالى في سورة الاعراف . وطه . وعيم « يخرج نباته بإذن ربه » « ازواجاً من نبات شتى » « لنخرج به حبا ونباتا » فيكون المعنى أنبتها حال كونها

وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ
يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ
بَغَيْرِ حِسَابٍ * (٣٦) هَذَا لَكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ
ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٧) فَذَاتَهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي
بِالْمِحْرَابِ أَنْ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ يَحْيَى مُصَدَقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ

نباتا حسنا . والمراد من كلا الوجهين حسن نشأتها وتربيتها في صلاحها وكلمها (وكفلها زكريا)
أي جعل زكريا كفيها والقائم بأمرها بحسب التقدير او يجعل القرعة ، بالا قلام له واكرم به
من كفيل صالح أمين روث (كما دخل عليها زكريا المحراب) المسجد (وجد عندها رزقا)
في رواية القمي المتقدمة يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف . ونحوه
ما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس . وفي الدر المنثور أخرج ابو يعلى عن جابر حديث الزهراء
(ع) والجفنة التي ملئت خبزا ولحما ببركة الله وعطائه ان رسول الله (ص) سألها عن ذلك فقالت
هو من عند الله فقال (ص) الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء بني اسرائيل . وروى الشيخ
في أماليه عن حذيفة بن اليمان ما يشبه ذلك (قال يا مريم أنى لك هذا) (ومن أين جاءك) قالت
هو من عند الله يرزق من يشاء بغير حساب (لا في الجريان على العادة ولا على مقدار الضرورة
(٣٦ هنالك) أي حين ما رأى زكريا المعجز بوجود فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف
في الشتاء رجا ان يرزقه الله ولدا وإن صار شيخا كبيرا وكانت امرأته عاقرا . (ودعا زكريا
ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة) الذرية النسل والولد . والطيبة الصالحة . وهذا
اجمال لما سبق نزوله في سورة مريم المكية من قوله « فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث
من آل يعقوب واجعله رب رضيا » (إنك سميع الدعاء) القادر على اجابته (فذات الملائكة)
أي نوعهم تميزا عن نداء نوع البشر وإن كان المنادي واحدا كما يقال قتلته الجن (وهو قائم
يصلي في المحراب ٣٧ ان الله يبشرك يحيى) فكان ذلك بشرى بالولد الذكر (مصدقا بكلمة
من الله) وهو المسيح رسول الله كما سيأتي إن شاء الله في الآية الثالثة والاربعين وقوله تعالى
في سورة النساء « ١٦٩ وكلمته القاها الى مريم » باعتبار أنه مخلوق بكلمة « كن » لا بالتناسل
العادي . وان التصديق برسالة المسيح من الكهنة الذين بيدهم الرئاسة الشرعية على بني اسرائيل

آل عمران : بشره بيجي وصفاته الكريمة ٣٨ استفهام زكريا ٣٩ طلب زكريا لآية وبيانها ٢٨١

وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ * (٣٨) قَالَ رَبِّ اَنۡىۤ يَكُوۡنُ لِىۤ غُلَامٌ وَّوَدَّ
بَلَّغُنِيۤ الْكَبۡرَ وَاَمۡرَانِىۡ عَاقِرٌ قَالَ كَذٰلِكَ اَللّٰهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ * (٣٩) قَالَ رَبِّ
اجۡعَلْ لِىۤ اٰیَةً قَالَ اٰیَتُكَ اَلَا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ اَيَّامٍ

قد كان من اصعب الامور على النفوس الامارة بالسوء . فالأخبار بتصديق يجيبى لرسالة
المسيح مدح كبير له ، وتمجيد له بطيبه وصلاحه وانه لا تأخذه في الحق لومة لائم ، ولا
نزعة نفس أمارة (وسيداً) السيادة الزعامة وولاية الأمر والسيد من يسود غيره (وحصورا) في
رواية القمي المتقدمة الحضور الذي لا يأتي النساء . ونحوه ما في الدر المنثور مما أخرجه عبد
الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عساكر عن ابن عباس . وابن جرير والبيهقي في سننه
عن ابن مسعود . وشرعيته ورجحانه ومدحه مختص به إذ لم تعهد شرعيته ورجحانه بنحو نوعي
في شريعة إلهية ، واما في شريعة الاسلام فقد تحقق عن الرسول الأكرم (ص) قوله النكاح
سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني (ونبيا من الصالحين) ذكر ذلك تنويها بفضل النبوة فإن
كل الأنبياء من الصالحين (٣٨ قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر) في السن . يقال
بلغه الكبر والهرم وادركه الموت تنزيلا لهما منزلة الطالب الذي لا مفر منه (وامرأتى عاقر)
لأنها لم تلد مدة عمرها . وقال زكريا ذلك مع انه دعا الله أن يرزقه الذرية والولي الوارث إما
طلبا للاطمئنان بالبشرى لأن ذلك على خلاف العادة في التناسل من مثلهما . وإما شكرا واعترافا
ب نعمته في اجابة دعائه على خلاف العادة الجارية في التناسل بمعنى اني وامرأتى في مثل هذا الحال
فمن اين يكون لي غلام لولا قدرتك ورحمتك وعنايتك الخاصة المخارقة للعادة في اجابة دعائي .
ذكر ذلك السهيد الرضي «رضي الله عنه» في حقائق التأويل (قال كذلك الله يفعل ما يشاء
٣٩ قال) زكريا طلبا لزيادة الاطمئنان بحصول ذلك في العاجل ومعرفة وقت الحمل وإن كان
موثما بصدق البشرى وقدره الله (رب اجعل لي) في الدلالة على حصول الحمل واجابة
دعائي علامة و (آية) من آياتك المخارقة للعادة (قال) الله له (آيتك) التي تطلبها هي (ان
لا تكلم الناس) ولا تقدر على تكليمهم وإن كان لسانك مطلقا في ذكر الله وتسبيحه والصلاة
له (ثلاثة ايام) بلياليها . ولذا جاء في سورة مريم ثلاث ليال سويا . ومن الشائع في العربية وغيرها في
امثال هذا المقام دخول الليل في الايام والنهار في الليالي يقال أقمت في البلد ثلاثة ايام كما يقال أقمت

إِلَّا دَمْرًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ * (٤٠) وَإِذْ قَالَتِ
 الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ *
 (٤١) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ *

فيه ثلاث ليالٍ وشواهد ذلك حتى في اللغة العبرانية وكتب العهدين كثيرة لا يسعها المقام (الإلزام) الرمز
 هو افهام المعنى بنحو من الإشارة . والاستثناء هنا منقطع (واذ كر ربك كثير أو سبّح) تسبيح الله تنزيهه
 وتقديسه . أو وصل له النوافل فقد ورد في الحديث كثير من طرق الفريقين عن الرسول (ص)
 والصحابة والأئمة (ع) تسمية صلاة النوافل بالسبحة (بالعشي) وهو من زوال الشمس الى
 الغروب أو آخر النهار (والإبكار) بكسر الهمزة من حيث طلوع الفجر الى وقت الضحى كما
 في التبيان والكشاف وغيرهما (٤٠) واذكر (إذ قالت الملائكة) أي هذا النوع وإن كان
 القائل واحد (يا مريم إن الله اصطفاك) قد ذكرنا معنى الاصطفاء وإن جهة الاصطفاء تعرف
 وتؤخذ من قرائن المقام . فالعني إذن اصطفاك بأن تقبلك وقبلك من نذر أملك في تحريرك لله
 (وطهرتك) زيادة على ذلك من الأنداس التي تلحق النساء (واصطفاك على نساء العالمين)
 وقدمك عليهن بالولادة من غير فعل . هذا غاية ما يدل عليه المقام والقرائن من وجهتي الاصطفاء
 وقد كرر ذكر الاصطفاء لأجل اختلاف الوجهة فيه . وليس في اللفظ وقرائن المقام دلالة على
 سيادتها على نساء العالمين . نعم ثبتت لها السيادة على نساء عالمها من السنة . واستفاض بل تواتر من
 حديث الفريقين عن الرسول الأكرم (ص) أن فاطمة بنته (ع) سيدة نساء العالمين ، وسيدة نساء
 أهل الجنة . ومن ذلك ما رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان
 في صحيحه وابن أبي شيبة والحاكم وأبو يعلى والروبانى والعقيلي والطبراني وابن عساکر وصاحب
 الاستيعاب وغيرهم عن حذيفة ، وإبي سعيد الخدري ، وابن عباس ، وعائشة ، وفاطمة (ع)
 عن رسول الله (ص) والأحاديث بذلك من طريق الشيعة كثيرة جدا (٤١) يا مريم ائمتي
 لربك واسجدي واركعي مع الراكعين) قد ذكر معنى القنوت في الآية العاشرة بعد المائة .
 والتاسعة والثلاثين بعد المائتين من سورة البقرة . والسجود معروف والركوع يطلق على الانحناء
 المعروف . وقد يستعمل ركع واركع واركعي في الانبات بركعات الصلاة فيقال لمن صلى
 ركع ركعات خفيفة أو ركع ركعات مطوّلة أي وكوني في زمرة المصلين الكثيري الصلاة ولا

آل عمران : القرعة على كفالة مريم ٤٣ بشرى مريم بالمسيح وتسميته بالكلمة والمسيح ٢٨٣

(٤٢) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَا لَهُمْ
أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ * (٤٣) إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ
يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بَكَلِمَةٍ إِنَّهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

ينحصر المعنى بصلاة الجماعة (٤٢ ذلك) أي قصة امرأة عمران ومريم وزكريا وبشرى الملائكة
لها (من أنباء الغيب نوحيه إليك) ومن ذلك اختصاصهم في كفالة مريم والقاء أقلامهم للقرعة
على كفالتها (وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم للقرعة لأخذ النتيجة منها وهي انه (أيهم
يكفل مريم) وما كنت لديهم إذ يختصمون) في ذلك حتى تراضوا على القرعة بالأقلام
فلست نذكر للناس ما حضرته ورأيتهم . ولا هو مدوّن في الكتب المتداولة عند أهل الكتاب
فضلا عن انك لا تقرأ كتابا ولم تمارس درسا ولا تعلموا ولم يكن في قومك وبلادك شيء من
العلم وفي هذا حجة على انه وحي من أنباء الغيب من الله . وقد روى في الدر المنثور وغيره
في القاء الأقلام وكيفية روايات لا تنهض حجة (٤٣ إذ قالت الملائكة) الظاهر ان « إذ »
هنا بدل او عطف بيان لا إذ المتقدمة في الآية الأربعين . فإن الظاهر هو ان قولي الملائكة في
الآيتين كانا عند كبر مريم في زمان واحد او زمانين متقاربين يليق اعتبارهما حيناً واحداً كالسنة
ونحوها . واما ابدالها من إذ يختصمون فبعيد جداً لأن الاختصام كان بحسب الظاهر في صغر
مريم والبشرى في كبرها عند حملها بالمسيح . واعتبار الزمانين في مثل ذلك حيناً واحداً بعيد
(يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم) سمي عيسى بالكلمة لأنه
تكون في رحم أمه من غير فعل بل بكلمة الله وهو قوله « كن » وذلك كناية عن إرادته
التكوينية بدون اسباب ومعدات فالمسيح بنشأ كلمة من عند الله . ولأن المراد بالكلمة هو
الذكر جي بالضمير في « اسمه » مذكرا باعتبار المعنى . والمسيح لقب لعيسى وابن مريم نسبة
له ولكن يصح في التوسع أن يقال اسمه المسيح عيسى بن مريم . ولعل تسميته بالمسيح مأخوذة
من العادة الاسرائيلية في الزعيم الروحاني يسحه للزعامة الروحانية من هو قبله من الزعماء فصار
ذلك لقباً للزعيم الروحاني فكان المسح وسام الروحانية كالتبويب للملك . ونص على نسبته لأمه
ليبان ان نسبته في الولادة منحصرة بأمه رداً على من يسميه ابن الله . ولعل من ذلك
ما انفقت عليه الأنجيل في حكايتها عن كلام المسيح انه يعبر عن نفسه بابن الانسان ليكون

وَجِيهًا فِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * (٤٤) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٥) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * (٤٦) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَاتُّورِيَّةَ وَالْإِنْجِيلَ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ

ذلك رداً على من يزعم انه ابن الله بحسب الولادة (وجيهاً) أي ذا جاهٍ (في الدنيا) مستجاب الدعوة مختاراً للرسالة قدوة للمؤمنين متبوعاً للصالحين مظهر المعجزات والكرامات (والآخرة ومن المقربين ٤٤ ويكلم الناس) بالأمور الإلهية وما ينفعهم حال كونه (في المهد) وجملة يكلم حاله معطوفة على «وجيها» كجملة ومن المقربين، ومن كلامه في المهد ما ذكر من أول الآية الحادية والثلاثين إلى آخر الرابعة والثلاثين من سورة مريم المكية (و) يكلم الناس بالأمور الإلهية وتبليغ الرسالة حال كونه (كهلاً) وفي ذلك بشرى لمريم بأنه (ع) يبلغ زمان الكهولة وإشارة إلى انه لا يبقى بين الناس إلى زمان الشيخوخة. والمعروف انه (ع) ارسل إلى الناس وهو ابن ثلاثين ورفع إلى السماء بعد ثلاث سنين (ومن الصالحين ٤٥ قالت رب أنى) ومن أين (يكون لي ولد) (و) الحال اني (لم يمسنني بشر) لعل مرجع سؤالها إلى ان ولادتها هل تكون على جاري العادة بالتزويج. ومن هو زوجها الذي ولد منه لأن الولادة على غير العادة أمر غريب عجيب (قال كذلك الله) أي الله كذلك برزقك على خلاف العادة المقدرة وإن لم يمسنك بشر فإنه (يخلق ما يشاء) كيف شاء انه (إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) قد مضى الكلام في هذا في الآية الحادية عشرة بعد المائة من سورة البقرة (٤٦ ويعلمه الكتاب) الواو عاطفة وجملة يعلمه للحال معطوفة في نسق الأحوال على وجيهاً. والمراد بالكتاب اما مصدر كتب أي الكتابة بيده واما كتاب غير النوراة والانجيل او نوع الكتب وذكر النوراة والانجيل لأهميتهما من باب عطف الخاص على العام (والحكمة والنوراة) وهي في الأصل اسم للكتاب الذي أنزل على موسى (ع) وهو في العبرانية اسم للشريعة. نعم جرى الاصطلاح اخيراً على ان كتب اليهود التي تسمى بالعهد القديم تسمى بالنوراة. والظاهر انه اصطلاح لا اعتداده في هذا المقام (والانجيل) وهو الكتاب الواحد الذي أنزل عليه (ع). ويقال ان معناه في اليونانية القديمة «التعليم» (و) حال كونه (رسولاً) من الله (إلى بني اسرائيل) باعتبار ابتدائه بهم في

أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ *

الدعوة (اني قد جئتكم) لما كانت دعوة الرسالة تؤيد بالحجة عليها كان ذكر المعجز يجعل الكلام كالصريح بما معناه حال كونه يقول لهم حجتي اني جئتكم . وقد ذكرنا (١) ان الحذف لما يدل عليه الكلام بسياقه باب من ابواب البلاغة عند العرب (بآية من ربكم) المراد نوع الآيات وما يكون حجة على الرسالة وإن كان ماجاء به آيات متعددة (اني) المصدر المنسبك من «ان» وجلتها بدل من آية او خبر لضمير محذوف يعود على آية والتقدير هي اني (اخلق) وأصور (لكم من الطين كهية الطير) وليس في ذلك آية فإن تصوير الطين مقدور للبشر (فأنفخ فيه فيكون طيرا) حقيقيا (بإذن الله) وخلق له طيرا والحجة باظهار الله لهذا المعجز على يد المسيح وفي التبيان ومجمع البيان في التفسير انه صنع من الطين كهية الخفاش ونفخ فيه فصار طائرا . ورواه في الدر المنثور مما أخرجه ابن جرير عن ابن جريج وابو الشيخ عن ابن عباس ولا ينهض شيء من ذلك حجة (وأبرئ الأكمة) وهو الذي يولد أعمى او مطلق الأعمى (والأبرص) وهو معروف (وأحيي الموتى بإذن الله) وفعله وإنما نسب الأبراء والاحياء اليه لأنه السبب ببركته ودعائه في ظهور هذا المعجز من الله على يده . وفي جمع الموتى دلالة على تعدد صدور الاحياء من الله بسببه . وفي الصافي في الكافي والعياشي عن ابي عبد الله (ع) وذكر احياء عيسى لصديقه . ورواه ايضا في الدر المنثور والقصة تشبه أن تكون قصة « اليعازر » المذكورة في انجيل يوحنا (وأنبئكم) من الغيب (بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم) مما لا يدري به غيركم (إن في ذلك لآية لكم) كافية في ارشادكم بدلالاتها القاطعة الى الايمان بأنني رسول الله (إن كنتم مؤمنين) بالله وانه بلطفه يرسل رسله لهداية عباده الى الصلاح ودعوتهم الى السعادة . وانه جل شأنه يمتنع على قدسه اظهار المعجز على يد الكاذب . او ان كانت لكم ملكة الايمان بما تقوم به الحجة وتشهد له الآيات . لا ممن استحوذ عليهم الشيطان وأضلهم

(٤٧) وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ أَنْتَوْرِيَّةٍ وَلَا حِلَّ لَكُمْ بِعَظْمِ الَّذِي هُجِرَ عَلَيْهِمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * إِنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * (٤٨) فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * (٤٩) رَبَّنَا آتِنَا

الهُدَى كما قال الله في سورة الأنعام « ١١١ ولو اننا نزلنا بهم الملائكة وكناهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا — ١٢٤ وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أؤتي رسول الله (٤٧ ومصدقا) أي وجئكم حال كوني مصدقا (لما بين يدي) أي لما تقدمني (من التوراة) « من » بيانية (ولا حل) عطف على مصدقا (لكم بعض الذي حرم عليكم) في التوراة مما زال عنه مقنضى التحريم . ولعل منه ما في قوله تعالى في سورة النساء « ١٥٨ فظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم » (وجئكم بآية من ربكم) كرر ذكر الآية تأكيداً في الحجة وتمهيداً لقوله (فاتقوا الله) وتحذروا من غضبه وعقابه بما يقبكم من ذلك كطاعته والإيمان بآياته وشهادتها لرسوله (وأطيعوا) فإني ادعوكم إلى الله وإلى سبيل سعادته في الدنيا والآخرة (إن الله ربي وربكم) وإلهنا جميعا وخالقنا ومدبر أمورنا وإليه مرجعنا وإني وإياكم عباد لا إله إلا هو (فاعبدوه) واخضعوا له خضوع العبد لإلهه . ومن عبادته أن لا تشركوا به شيئا (هذا) أي تقوى الله وعبادته وطاعة الرسول في دعوته إلى الله وتوحيده ودين الحق (صراط مستقيم) لا يهتدي من ضل عنه (٤٨ فلما أحس عيسى منهم الكفر) بآيات الله ورسالته (قال من أنصاري إلى الله) أي في الدعوة إليه بالإيمان به وبآياته وما أرسل به رسوله (قال الحواريون) في العمود مسندا عن الرضا (ع) أنهم سموا حواريين لأنهم كانوا مخلصين في أنفسهم ومخلصين لغيرهم من أوساخ الذنوب بالوعظ والتذكير (نحن أنصار الله) في الدعوة إلى دينه والجهاد في سبيل الحق (آمنا بالله) ولا نكفر ككفرهم (وأشهد بأننا مسلمون) داخلون في سلم الله لا نحاده ولا نخالف أوامره ونواهيه ولا نعانده فيما أمر به من الدعوة إلى سبيله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ثم التفتوا إلى التشرف بخطاب الله والاعتراف له بنعمة الإيمان والدعاء بدوام توفيقهم لذلك فقالوا (٤٩ ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول) عيسى فيما جاء به من عندك (فاكثبنا) بتوفيقك وثبتيتك (مع الشاهدين)

يَا أَتْرَلْتِ وَأَتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * (٥٠) وَمَكْرُؤًا وَمَكْرَ اللَّهِ
وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ *

بالحق الدائبين على ذلك . ثم التفت القرآن الى حال الذين أحس عيسى منهم الكفر بقوله تعالى
(٥٠) ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) بعض الغويين فسر المكر بالخدعة . وفي البيان
« والمكر وان كان قبيحا فإنما اضافه الله الى نفسه لمزاوجة الكلام كما قال فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا عليه . والثاني ليس باعتداء وإنما هو جزاء » ونحوه في مجمع البيان . وكأنهم نظروا في
ذلك الى ان الكثير من استعمال الناس للفظ المكر هو فيما يساوق استعمالهم للفظ الخدعة من
الانسان لا يصلح الضرر المحرم الى غيره وبذلك يكون قبيحا . ولكن استعمال القرآن الكريم
وبعض الموارد يرشد الى ان المكر هو اعمال خفية على الغير في معاملته على غفلة منه عنها . وقد
جاء في القرآن الكريم منسوباً الى الله بدون مزاوجة كقوله تعالى في سورة الاعراف « ٩٧ فأمّنوا
مكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون » وقال الله هنا وفي سورة الأنفال « ٣٠ والله
خير الماكرين » فأطلق لفظ الماكر عليه جل شأنه وعلى غيره يعني الظالمين بلفظ واحد ولا يجوز
استعمال اللفظ الواحد في المعنى الحقيقي والمعنى المجازي معاً . وعموم المجاز يأباه المقام . وقد
ورد في الدعاء في خطاب الله « ولا تتمكر بي في حيلتك » بدون مزاوجة . وفي نهاية اللغة « وفي
حديث الدعاء اللهم امكر لي ولا تتمكر بي » . وأما ما أسنده ابن بابويه عن الرضا (ع) من قوله
ان الله لا يمكر ولكنه يجازي على المكر فإن في سنده جهالة وإهمال ويمكن أن يريد نفي المكر
بالمعنى الذي يساوق الخدعة لا يصلح الضرر القبيح كما ذكرناه . والا فإن عرض الرواية
على ما ذكرناه من القرآن كما أمرنا به اهل البيت يوجب الوثوق بعدم صدورها عنهم عليهم
السلام . هذا ولعل المراد من مكرهم ما يذكرون من انهم قالوا للمكهم ان عيسى يطلب الملك لنفسه
فواقمهم على صلبه وقتله . والمراد من مكر الله هو اللقاء شبه المسيح على غيره ورفعته الى السماء .
وفي تفسير القمي مسنداً عن الباقر (ع) ان المسيح قال لأصحابه أيكم يلقي عليه شبهي فيقتل
ويصلب ويكون معي في درجتي فقال شاب أنا يا روح الله فقال فأنت هوذا . ونحوه في رواية
الدرالمشور مما أخرجه عبد بن حميد والنسائي وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس . وروى
عن وهب بن منبه مما أخرجه عنه عبد بن حميد وابن جرير ان الذي التقى عليه شبه المسيح

(٥١) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَتْوَفِكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * (٥٢) فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذُّهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ *

وصلب هو الذي كان من اصحابه واخذ من اليهود ثلاثين درهما فدلم على المسيح ليقتلوه . ونحوه في التفسير الذي أبطلنا نسبته للإمام العسكري (ع) . كما حكي نحو ذلك في انجيل برنابا وانه يهوذا الاسخريوطي . والله العالم . ولعل السر في هذا التشبيه هو انه لو غيب عنهم المسيح ورفع إلى السماء في الخفاء لا تهموا اهله والمؤمنون به بأخفائه فعههم البلاء وكثر فيهم القتل والتنكيل وفضيحة النساء طلبا لاظهاره . ولو رفع إلى السماء ظاهرا برأى من الناس لاستحكت شبهة ألوهيته وسرت حتى إلى بعض المؤمنين والله خير الماكرين فإن مكروهه وتدبيره الخفي لا يكون إلا جاريًا على الحكمة لا يفوته اللطف بالعباد (٥١) (اذ) ظرف لمكرر الله (قال الله يا عيسى اني متوفيك) أي آخذك من بين الناس ومن عالم الأرض وقد مضى الكلام على ذلك في الفصل الرابع من المقدمة (ورافعك إلي) قال جل شأنه الي وهو لا يحويه مكان ولا يخلو منه مكان تكريما للمسيح وتفخيا لغاية الرفع من الأرض التي فيها الكافرون والفساق الى السماء المحضنة لتسبيح الله وتقديسه فكفى عن ذلك برفعه إلى الله (ومطهرك من الذين كفروا) اي من رجس قريهم والابتلاء بمجاورتهم (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا) اما النصارى فليسوا بمن اتبع المسيح كيف وقد أشركوا بالله وأهلوا المسيح ، وثلثوا الآلهة ولم يبقوا لهم شريعة وأن اناجيلهم وكتبهم لتقول ان المسيح لم يبطل شريعة التوراة بل هم من بعده ابطالوها . وأن الذين اتبعوه على دين الحق ملة ابراهيم انما هم المؤمنون الموحدون حق التوحيد من قومه ومن بعدهم المسلمون بدعوة رسول الله . وعبر بالماضي باعتبار المؤمنين من قومه فإن جنس الذين اتبعوه قد مضى له التحقق باعتبار بعضه فهم فوق الذين كفروا مستمرين على ذلك (الي يوم القيامة ثم إلي مرجعكم) بالحشر جميعاً (فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) من التوحيد والايمان وشريعة الحق (٥٢) فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين) كما ابتلوا بذلك البلاء العظيم من القتل العام والذلة الشاملة في

(٥٣) وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورُهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الظَّالِمِينَ * (٥٤) ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ * (٥٥) إِنَّ
مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ *
(٥٦) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * (٥٧) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ
بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ

حادثة طيطوس وبقوا بعد ذلك للقتل والجزية وذلة المحكومة . (٥٣) واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فيوفيهم) الله وفيه النفات من التكلم في مقام الارهاب بسطوته الى الغيبة في مقام ثقة المؤمنين
بالجزاء (أجورهم) وذلك اشرف الغايات (والله لا يحب الظالمين ٥٤ ذلك نتلوه عليك)
بالوحي يا رسول الله (من الآيات والذكر) أي القرآن (الحكيم) . ولما ذكر الله ولادة المسيح
من مريم من غير فعل على خلاف العادة . وقد أثار الضلال من ذلك شبهتين بين الناس احدهما
تهمة اليهود لمريم والثانية زعم النصارى انه ابن الله . فلذلك احتج على الفريقين بما يعرفونه
ويعترفون به من خلقه آدم فماذا يقول اليهود في آدم . وماذا يقول النصارى فيه فقال جل وعلا
(٥٥ ان مثل عيسى) في تصرف القدرة الإلهية بولادته بما هو بشر على خلاف العادة (عند
الله كمثل آدم خلقه) وصوره (من تراب ثم قال له كن) بشرا حيا (فيكون) لم يقل جل شأنه
« فكان » لأن الماضي لا يدل على لزوم ترتيب الكون على ان يقال « كن » بل هو يعم
الترتيب اتفاقا بل هذا هو الظاهر والقدر المتيقن منه فجيء بالمضارع ليدل على الملازمة وانه جلت
قدرته إذا قال لشيء كن فإنه يكون لا محالة (٥٦ الحق من ربك) أي الاخبار بأحوال
المسيح هو الحق من ربك (فلا تكن) ايها السامع (من الممترين) الشاكين . او يكون الخطاب
لرسول الله (ص) على النحو الذي ذكرناه في الآية الثانية والاربعين بعد المائة من سورة البقرة
(٥٧ فمن حاجك فيه) أي في عيسى زاعما انه إله وابن الله متشبها بولادته من غير فعل .
والمحاجة تبادل الاحتجاج . والحجة أعم من البرهان الصحيح والجدل الفاسد كما اشرنا اليه في
سورة البقرة ١٤٤ (من بعد ما جاءك من العلم) المعقول والمحسوس والوحي به من ان الله
جل شأنه واحد لا يكون ثلاثة ولا شريك له في الإلهية ولا هلد . وان البشر الجسماني المتحيز
المتغير الذي يجوع ويتألم ويبكي ويمجن ويحتاج لا يعقل ان يكون إلهاً . وان خلق الله للحيوان

قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ

والانسان لا يتوقف على التولد من ذكر وأنثى كما هو المعروف في الفار والدجاج وتتم العبرة بخلق آدم (قل) لهم قطعاً للمعاذير وحسباً لصرارهم على النفي والضلal بعد ما جئت به من الحق والحجة القاطعة بما جاءك من العلم هلم الى المباهلة والدعاء بأن يلعن الله الكاذبين في دعاويهم ويبطش بهم ويهلكهم ويخزيهم (تعالوا ندع) أنا وأنتم لهذه المباهلة وعاقبتها المخوفة أهم من يحافظ الانسان على سلامته وحفظ شرفه وصونه ومقامه في الحياة (ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم) والمقصود اهم من ينسب الى الشخص من النساء في مقام الاهلية والرابطة العرضية اللازمة كالأم والأخت والبنت دون الزوجة التي تدنو بكلمة التزويج وتبعد بكلمة الطلاق (وأنفسنا) أي وندع أنفسنا ولا بد من أن يكون الداعي غير المدعو والمراد هو الشخص الذي يرى داعيه ان وجوده في الأثر والمزايا والفضيلة والغاية بمنزلة وجوده في ذلك أو اقرب الناس الى مقام وجوده وما يطلبه من غايبة وجوده وبذلك يقول هذا نفسي بتنزيل صحيح ومجاز مقبول (وأنفسكم ثم نبتهل) نحن أو نحن وهم أي ندعو باللعن (فنجعل لعنة الله) والمراد نكاله ونقابته الدنيوي (على الكاذبين) وقد اتفقت الرواية في شأن النزول ان نصارى نجران (١) وفد بعض من زعمائهم الروحانيين على رسول الله (ص) في المدينة فاحتج (ص) عليهم في أمر عيسى وانه بشر رسول من الله وليس بأوله كما يزعمون فلم ينيبوا الى الحق بدلالة الحجة النيرة فأمر الله رسوله أن يدعوهم الى المباهلة فدعاهم بمقتضى الآية الكريمة فقال بعضهم لبعض ان جاءنا بأهله وخاصته فهو على يقين من أمره فلا تباهلوه . ففدا (ص) عليهم للميعاد ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهم . وفي حديث مسلم والترمذي والحاكم وابن المنذر

(١) نجران من مخاليف اليمن من ناحية مكة . والمخلاف في لغة اليمن كالكورة والصقع في غيرها وكالاستاق في العراق . وذكرت لتنصر اهلها اسباب لا يعول على نقلها ولا تلائم الحقيقة بصحتها . وفد اساقفتهم على رسول الله (ص) فدعاهم الى المباهلة فلما صار الغد ابوا وصالحوه سنة عشرة من الهجرة وكتب لهم بذلك كتابا ويروى انه لما ولي ابو بكر امضاء ولما ولي عمر اجلاهم واشترى منهم اموالهم

والبيهقي عن سعد بن رسول الله (ص) قال اللهم ان هؤلاء أهل بيتي فأبى أولئك أن يباهلوه وعاهدوه على الجزية . وفي رواية ابن اسحق والثعلبي والكشاف والرازي وابي السعود وغيرهم في تفاسيرهم والمالكي في الفصول المهمة ان اسقف نجران قال اني لأرعى وجوها لو سألو الله ان يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تبتهلوا . وفي حديث جابر كما في مستدرک الحاكم واسباب النزول للواحدي وغيرهما «ابنائنا الحسن والحسين . ونسائنا فاطمة . وانفسنا علي بن ابي طالب» وفي صواعق ابن حجر اخرج الدارقطني ان عليا (ع) يوم الشورى احتج على اهلها فقال انشدكم بالله هل فيكم أحد اقرب إلى رسول الله (ص) في الرحم مني ومن جعله نفسه وابناءه ابناء ونساءه نساءه غيري قالوا اللهم لا . الحديث اقول والقدر المشترك في الاحاديث هو ان رسول الله (ص) دعا عليا وفاطمة والحسن والحسين (ع) ليباهل بهم نصارى نجران رواه الفريقان بأسانيدهم عن جماعة من الصحابة والتابعين وأئمة أهل البيت . ففي كتب اهل السنة اخرجه مسلم والترمذي في جامعيهما وابو نعيم في الدلائل والبيهقي في سننه وابن ابي شيبة وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم في مستدركه وابن مردويه والثعلبي في تفسيره والواحدي في اسباب النزول وابن اسحق في المغازي وموفق بن احمد وابن المغازلي والحويني والمالكي في فصوله والسيوطي في الدر المنثور وغيرهم بأسانيدهم عن سعد بن ابي وقاص وجابر وابن عباس وعليا يشكري وجد سلمة . وعن الشعبي والحسن والسدي ومقاتل والكلبي . بل ذكره جل المفهرين وقل ما يخلو من روايته كتاب تفسير . وفي كتب الشيعة اخرجه القمي في تفسيره والمفيد في اختصاصه والصدوق في العيون والشيخ في اماليه عن علي امير المؤمنين (ع) وعن ابي ذر (رض) ان عليا (ع) احتج بذلك يوم الشورى . وسعد بن ابي وقاص والحسن السبط (ع) وجد محمد بن المنكدر والصادق والكاظم والرضا والهادي عليهم السلام . فهذا الحديث مروي بالأسانيد المتعددة عن تسعة من الصحابة وخمسة من التابعين وستة من أئمة اهل البيت (ع) : ونتيجة الآية الكريمة والحديث القطعي هي ان الله عز وجل امر رسوله بأن يسمي علي نفسه ليبين للناس انه ثانيه من امته في الفضيلة والغاية الكريمة والولاية العامة والزعامة الكبرى والقيام بأمر الأمة والدين وسبب امته والامامة التي هي دعوة ابراهيم في قوله «ومن ذريتي» . وهل ترى غير الواجد لهذه المزايا يأمر الله رسوله بأن يسميه نفسه . ألا ترى انه لا يصح لأحد يعرف كيف يتكلم ان يقول

عن شخص آخر انه نفسي إلا إذا كان ذلك الشخص في نظر القائل ثانياً في مزاياه والوجه المطلوب منه وثقته في ذلك . ولعمري الحق ان هذا أمر جلي . ولقد تكرر ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله بيان هذا المعنى المنجلي من قوله «وانفسنا» كما أمره الله وشرحه بعبارات متناسبة في الايضاح واقامة الحجة فهي «نور على نور» كقوله (ص) لعلني (ع) انت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي وقوله (ص) في ذلك المشهد العظيم في غدير خم مخاطباً للمسلمين «ايها الناس ألت أولى بالمؤمنين من انفسهم» فلما قالوا اللهم بلى قال علي النسق أخذاً بضبع علي (ع) «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» وغير ذلك مما يضيق عنه هذا المقام . وهو مدون في كتب الفريقين كالشمس راد الضحى . هذا وان ابن تيمية في كتاب منهاج السنة قد اعترف بصحة الحديث الدال على ان نفس رسول الله (ص) في الآية هو علي (ع) ولكن حاول ان يمنع ما اشرنا الى وجهه الوضاح من الدلالة على امتياز امير المؤمنين بالفضيلة ومقام الإمامة في الأمة والزعامة الكبرى فقال ما ملخصه ان المراد بالأنفس في الآية هو من ينصل بالقرابة والقومية واستشهد لذلك بقوله تعالى واقتلوا انفسكم . لا تخرجون انفسكم من دياركم . تقتلون انفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم . فقل له ان اضافة النفس قد تقع باعتبار نوع من الرابطة كاقرباة والجامعة القومية . فيقال أنفسكم وانفسهم كما يقال رجالكم ورجالهم وانفس البلدة والمملكة . ولكن هل يخفى ان النفس إذا جعلت مقابلة للأقرباء بل اقرب الأقرباء كما في الآية وفي قوله تعالى في سورة التحريم «٦ قوا انفسكم وأهلكم ناراً» وفي سورتي الزمر ١٧ والشورى ٤٣ «الذين خسروا انفسهم وأهلهم» فلا تكون النفس مستعملة إلا علي وجه الحقيقة في نفس الإنسان الذي اضيفت اليه كما في آيات التحريم والزمر والشورى . او على وجه المجاز والاستعارة لمن ينزل بما اشرنا اليه من وجوه الشبه بحسب كل انسان بمنزلة نفس الانسان الخاصة به كما في هذه الآية لما ذكرناه من الدعوة والرواية الصحيحة المستفيضة المتفق عليها . ومن الظرائف ان ابن تيمية فطن إلى انه لو كان التعبير بالنفس ناظراً إلى القرابة لدعي العباس عم الرسول واولاده وامثالهم من بني هاشم فانهم كانوا مسلمين مهاجرين في المدينة لأب وقد نجران جاء في السنة العاشرة أو التاسعة من الهجرة ولا أجل ما فطن له قال في التخلص منه لأن العباس لم يكن من السابقين ولا كان له اختصاص بالرسول كعلي واما بنو عمه فلم يكن فيهم مثل علي انتهى فانظر إلى اضطراب هذا الرجل فإنه

بعد الاطّباب في المغالطة والغفلة عن مقابلة النفس باقرب الأقرباء رجع إلى الاعتراف بأن المقام مقام امتياز في الفضل الديني وكرامة المقام الأرفع بحيث يناسب ان يأمر الله رسوله بأن يعبر عن علي لأجل ذلك بأنه نفسه . ولا يخفى ان هذا ليدل على اقصى ما تسمعه الاستعارة ووجه المجاز في التفوق بالكمال والولاية العامة بعدما يختص بالرسالة تفوقاً يلزمه الإمامة بعد رسول الله (ص)

وما عشت أراك الدهر عجباً فإن الشيخ محمد عبده مع تظاهره ورغبته بأن يعرف بحرية الضمير والنزعة . ونزاهة البحث كأنه التفت الى حقيقة النتيجة من الآية الكريمة والحديث وفطن الى ما يرد على شيخه ابن تيمية فيما قاله فأراد ان يسد باباً فتحه الله ورسوله على مصراعيه فقال في درسه على ما ذكره صاحب المنار في تفسيره . ان الروايات متفقة على ان النبي (ص) اختار للعبادة علياً وفاطمة وولديها ويحملون كلمة نساءنا على فاطمة وكلمة انفسنا على علي فقط ومصادر هذه الروايات الشيعة ومقصدهم منها معروف وقد اجتهدوا في ترويحها ما استطاعوا حتى راجت على كثير من اهل السنة ولكن واضعها لم يحسنوا تطبيقها على الآية فإن كلمة «نساءنا» لا يقولها العربي ويريد بها بنته لا سيما إذا كان له ازواج وابد من ذلك ان يراد بكلمة «وانفسنا» علي (ع) اقول لماذا لا يقول العربي نساءنا نظراً إلى الجنس ومجانسة الجمع بالجمع في اللفظ وهو يريد بها بنته لأن ذلك أقرب إلى الحشمة من التصريح بابنته أو لغير ذلك من وجوه الكلام وهل يقول ان النساء لا تطلق إلا على الأزواج . إذن فماذا يقول بقول القرآن الكريم فإن كن نساء فوق اثنتين . والنساء نصيب . ويستحيون نساءكم . او اخواتهن او نساكنهن . ولا نساكنهن . وكثير من مثل ذلك ولا حاجة إلى الاستشهاد بشعر العرب . ومما اشرنا اليه من وجوه الكلام هو بيان ان فاطمة (ع) هي الممتازة الوحيدة من ناحية الرسول من عنوان نساء الاهلين في فضيلتها واهميتها ولياقتها لهذا المقام وقد صح واستفاض عن رسول الله (ص) ان فاطمة سيدة العالمين كما اشرنا اليه في تفسير الآية الأربعين . وكذا الكلام في التعبير بانفسنا واردة علي (ع) وحده وقد صح واستفاض عن رسول الله (ص) قوله لعلي (ع) انت مني وانا منك كما رواه البخاري ومسلم عن البراء والحاكم عن علي (ع) والترمذي والحاكم عن عمران بن حصيف . واحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه عن حبشي بن جنادة . واحمد والحاكم عن بريده وابي رافع وابن ابي شيبه وابن جرير عن بريدة . وانه (ص) جعل

(٥٨) إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ أَعَزُّ الْكَافِرِينَ

عليه كنفه كما رواه أحمد عن عبد الله بن حنطب من قوله (ص) لو فد ثقيف . وما أخرجه ابن النجار من أن ابن العاص سأل النبي (ص) عن حبه ليلي (ع) فقال إن هذا يسألني عن النفس . وفي اللثالي المصنوعة عن ابن النجار أيضا عنه بسند آخر قال (ص) علي نفسي فمن رأيته يقول في نفسه شيئا . وعن أبي عمر الزاهد في كتاب اليواقيت عنه أيضا لسند آخر فقال (ص) ما ظننت أحدا يسأل عن نفسه . لكن إذا ذكرنا هذه الروايات وأمثالها قيل إن مصادرها الشيعة ومقصدهم منها معروف إلى آخر الكلام المتقدم ويحكم الله وهو خير الحاكمين . . . وقد جاء الجمع وإرادة الواحد منه في القرآن الكريم . أفلا يكفي من ذلك قوله تعالى في سورة الشعراء « كذبت قوم نوح المرسلين إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون إني لكم رسول أمين » ونحوه « كذبت عاد المرسلين إذ قال لهم أخوهم هود . إلى آخره . كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح . إلى آخره . كذبت قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم لوط . إلى آخره . كذبت أصحاب الأيكة المرسلين إذ قال لهم شعيب . إلى آخره . والمراد من المرسلين في كل من الآيات هو واحد

ومن أين لنا أن يروى أحاديث المباهلة وأمثالها في فضل علي وأهل البيت مسندة إلى عصرنا عن أمثال عمران بن حطان ، ولمازة بن زياد ، وعبد الله بن شقيق ، ونعيم بن هند وجريز بن عثمان ، وأزهر بن عبد الله ، وإبراهيم السعدي ، وأمثالهم ممن شهد علماء رجالهم بنصهم العدواة لأهل البيت (ع) وإن تساهل في أمر أحدهم بعض كابن حجر في التقريب قال فيه « يرمي بالئصب » — وليت شعري ماذا أبقى هذا الشيخ من الشأن لحديثهم وجوامعهم ومحدثيهم وتفسيرهم ومفسريهم إذا كان يروج على عامتهم مثل ما زعمه من الوضع (٥٧) إن هذا) وهو ما ذكر من ولادة عيسى وخلق الله له واعترافه بأن معجزاته إنما هي بأذن الله وإن الله ربه ورب الناس . وأمره بعبادة الله . وغير ذلك مما يدل على أن عيسى بشر مخلوق لله وأمره بيده وطوع قدرته (هو القصص الحق) والذي يعترف النصارى به وتذكره كتبهم التي ينسبونها إلى الوحي (وما من إلَه إلا الله) وابن المسيح عيسى من الإلهية وقد جرى عليه من الاضطهاد ما جرى . ولم يزل يفرغ بالدعاء والخضوع والتضرع إلى الله (وإن الله هو

(٥٩) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ (٦٠) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ

العزیز الحکیم) فی اِلهیته وتقديره وتدبيره . وكل من عداه ذلیل فی مخلوقيته وحاجته فكيف يكون غير الله اِلهًا معه (٥٨ فَإِنْ تَوَلَّوْا) عن نصديك واتباع الحق (فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ) أي فأنهم مفسدون يريدون اغواء الناس واضلالهم افسادًا فی الارض والله عليم بهم يميزهم جزاءهم (٥٩ قل) يا رسول الله (يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم) أي مستوية بيننا وبينكم فی تلاوتنا جميعا لها فيما هو من كتب الوحي او ينسب الى الوحي كما يوجد فی توراتكم واناجيلكم وسائر كتبكم التي تسبونها الى الوحي من توحيد الله وانه هو الاله والرب المدبر الخلق وحده لا شريك له . ومن جملة ذلك فی توراتكم عن قول الله « تعلم ان يهوه (١) هو الاله ليس آخر سواء — ان يهوه هو الاله فی السماء من فوق وعلى الارض من اسفل لیسر، سواء (٢) » « انا انا هو واهس اِله معي (٣) » ونحوه فی التوحيد ونفي الشريك فی المزمور الثامن عشر ٣١ وفي كتاب اشعيا ٤٤ : ٦ و ٨ . وفي سفر التثنية من التوراة ٤ : ٦ وفي انجيل مرقس ١٢ : ٢٩ يهوه اِلهنا يهوه واحد . وفي انجيل يوحنا ١٧ : ٣ وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك انك انت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي ارسلته — وهذه الكلمة هي (أن) لا نخضع خضوع العبد لاله من حيث انه اِله كما هو معنى العبادة (ولا نعبد الا الله) وحده (ولا نشرك به) فی العبادة ونسبة الالهية (شيئًا) ولا نقول لشي غير الله انه اِله (ولا يتخذ بعضنا) معاصر البشر (بعضا اربابا من دون الله) فان الله اذا قال انا هو الرب والرب واحد . فإن قولكم ان البشر رب كما قلتم فی عيسى يرجع الى جحد ربوبية الله ويكون جعلًا للبشر الحادث والخاضع للآلام وحاجة البشرية وكوارثها ربا من دون الله . او يكون المعنى اربابا فی المرتبة النازلة عن مرتبة الله كما هو رأي الوثنيين فی شركائهم بأي عنوان كان من التزلات الموهومة . ولا مانع من ان يخاطب اليهود والنصارى بأمر مشترك بينهم وفي

(١) يهوه فی العبرانية اسم علم لله جل اسمه كما تصرح به التوراة فی سفر الخروج ١٥ : ٣

٣٠٦ (٢) سفر التثنية ٤ : ٣٩ و (٣) التثنية ٣٢ : ٣٩

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَهُوَ كُفْرٌ وَلَئِنَّكُمْ كُفَرْتُمْ كُفَرْتُمْ وَلَئِنْ تَوَلَّوْا فَهُوَ كُفْرٌ وَلَئِنْ تَوَلَّوْا فَهُوَ كُفْرٌ وَلَئِنْ تَوَلَّوْا فَهُوَ كُفْرٌ

الاثناء يذكر ما يخص النصارى . أو ان ذلك شامل لليهود باعتبار قولهم عزيز ابن الله تعالى الله عما يشركون يضاهئون قول الذين كفروا من قبل . كما في سورة التوبة . والظاهر ان المراد يضاهئون قول البراهمة والبوذيين وغيرهم في نسبة الابن الى الله باعتبار التنزل في الآلهية . وربما يكون اتحاد الأرباب هنا على حد قوله تعالى في سورة التوبة « ٣١ اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله » فني الكافي والمحاسن عن أبي بصير عن ابي عبد الله الصادق (ع) انهم أحلوا لهم حراما وحرّموا عليهم حلالا فبدوهم من حيث لا يشعرون . وعن المحاسن ايضا عن الصادق (ع) نحوه . ونحوه ما أخرجه الترمذي وجماعة ذكرهم في الدر المنثور في سورة التوبة عن عدي بن حاتم عن رسول الله (ص) . وعن جماعة ايضا عن حذيفة وعن المحاسن وايضا بسند فيه ارسال عن الباقر (ع) ما صلوا لهم ولا صاموا ولكن أطاعوهم في معصية الله . وفي الدر المنثور ايضا اخرج ابو الشيخ والبيهقي عن حذيفة وذكر نحوه . وعن العياشي بروايته عن الصادق والباقر (ع) نحو ما ذكرناه عنهما (ع) . وفي مجمع البيان عن تفسير الثعلبي باسناده عن عدي بن حاتم في آية التوبة قلت أي لرسول الله انا لسنا نعبدكم فقال (ص) أليس يحرمون ما أحله الله فتحرمونه ويحلون ما حرمه الله فتستحلونه قلت بلى قال (ص) فذلك عبادتهم . وقيل « كلمة سواء » أي عادلة وما ذكرناه ابلغ في الدعوة واطهر في الحجة . لاستظهارها بالالزام بما في كتبهم واشارتها الى ان الاستواء في هذه الكلمة يشير الى انها من أساسيات كتبهم وأوليات العقل ولباب المعقول ، وبينات البداهة (فإن تولوا) بسوء اختيارهم وغيرهم ولم يقبلوا على هذه الدعوة الوحيدة في الكرامة (فقولوا) لم أنت يا رسول الله والمسلمون (اشهدوا) واعلموا بما تشهدونه من حالنا في التوحيد واشهدوا علينا تثبيتا لا عرافنا بالحق وانا على بصيرة من أمرنا (بأننا مسلمون) لله لا نخادع بالشرك ولا نتخذ غيره ربا (٦٠ يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم) ويزعم اليهود انه يهودي ويزعم النصارى انه نصراني ، وتشبهون في حجبتكم الداحضة بمجرد الدعاوي المستحيلة . والحال ان غاية التثبيتات لليهودية ترجعونها الى رسالة موسى ونزول التوراة عليه . وغاية التثبيتات للنصرانية ترجعونها الى رسالة المسيح ونزول الانجيل فضلا عن ان الرائج من اليهودية والنصرانية إنما هو من البدع التي حدثت بعد موسى

وَمَا أَنزَلْنَا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٣) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجِبْتُمْ فِيهَا أَنْفُسَكُمْ بِهِزْلُمْ فَلِمَ تَحَاجُّونَ فِيهَا لَيْسَ أَنْفُسَكُمْ بِهِزْلُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٦٤) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٥) إِنْ أَوَّلَى النَّاسُ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٦٦) وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ

والتوراة والمسيح والإنجيل . وأين ذلك من ابراهيم (وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده) بقرون عديدة (أفلا تعقلون) كيف تتكلمون وكيف تدعون (٦١ هـ أنتم هؤلا) بعينكم أي لا أوجه الخطاب والتوبيخ اليكم باعتبار ما فعله اسلافكم بل أنتم بأنفسكم (حاجبتم فيما لكم به علم) أي أخذتم في محاجتكم أموراً معلومة فصرتم تغالطون فيها وتتشبثون بها وذلك كرسالة موسى والتوراة فصرتم تلصقون بها مزاعمكم الفاسدة . وكولادة عيسى من غير فحل وبعض معجزاته فصارت النصارى تزعم من ذلك ان عيسى المولود من مريم إله مع الله (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) بل هو من المستحيلات بلا مغالطة فيه بالنسبة الواهي بأمر معلوم (والله يعلم) حالكم والحقيقة واضحة (وأنتم لا تعلمون ٦٢ ما كان ابراهيم يهوديا) يقول في الآله (الوهيم) بصيغة الجمع كما ملأوا منه توراتهم الرائجة . وكما كتبوا في كتاب ارميا ٢٣ : ٣٦ الوهيم حيثهم يوه صباوت الوهينو « أي الآلهة الاحياء رب الجنود آلهتنا . ولا يقول بفئات توراتهم في الجرعة على جلال الله . كما في نهى آدم عن الشجرة وحكاية برج بابل ومصارعة يعقوب وغير ذلك مما ذكر بعضه في الجزء الأول من « المدرسة السيارة » (ولا نصرانيا) يثلث الآلهة ويؤله البشر وينسخ الشريعة بالكلية بمجرد الاستحسان (ولكن كان حنيفا) موحدنا بحقيقة التوحيد (مسلما) أي داخلا في سلم الله في توحيده وحقيقة عرفانه وطاعته (وما كان من المشركين ٦٣ إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه) على حنيفته وإسلامه وملته في الدين من الأنبياء والموحدين الصالحين من الناس (و) على الخصوص (هذا النبي والذين آمنوا) معه فإن هذا للنبي من اكبر الداعين الى الاسلام ملة ابراهيم على حقيقتها (والله ولي المؤمنين ٦٤ ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم) ودت بمعنى غمت . ولو يضلونكم تفسير لها . والاستقبال

وَمَا بُضِئْ رَنَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * (٦٧) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ
بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * (٦٨) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ
وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * (٦٩) وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا
بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ *
(٧٠) وَلَا تَوْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ

إنما هو بالنسبة للتمني لا الخطاب (وما يضلون إلا أنفسهم) إذ يزيد على ضلالها بضلالها في
محاولة اضلال المؤمن الموحد على بصيرة من أمره (وما يشعرون ٦٧ يا أهل الكتاب لم تكفرون
بآيات الله وأنتم تشهدون) بأنها من الله بحسب ما تملونه من كتب وحكم من التوراة والانجيل
وغيرها في البشري بها وبالرسول الذي يأتي بها بحيث يتعين مما تلاوه ارادة هذه الآيات بخصوصها
أو المراد وأنتم تشهدون وتعينون ما يدل على انها من الله (٦٨ يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق
بالباطل) أي تجعلون الباطل لباسا على الحق تغطونه به محاولة لحجبه ومخادعة في أمره لتوهوا
أمركم (وتكتُمون الحق وأنتم تعلمون) به (٦٩ وقالت طائفة من أهل الكتاب) الظاهر
انهم من اليهود قالوا لبعض قومهم تعلما لهم بمخادعة المؤمنين في محاولة اضلالهم عن الحق
(آمنوا) أي تظاهروا بالايان الصوري (بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار) أي في
أوائله (واكفروا) أي وصارحهم بالكفر والارتداد (آخره) فاعل المسلمين من هذه المخادعة
يحسبون ان كفركم به وارتدادكم في يومكم كان عن بصيرة وعلم منكم بانكشف خطأكم
في ايمانكم به وجه النهار و (لعلمهم يرجعون) بهذه الخديعة عن ايمانهم ويرتدون عن دينهم ،
روى القمي في تفسيره عن أبي الجارود عن الباقر (ع) في هذا المقام رواية ضعيفة بأبي الجارود
بعيدة الانطباق على الآية . وقالت تلك الطائفة ايضا لقومهم في اغوائهم واغوائهم بالدوام على
الضلال وكتان الحق (٧٠ ولا تؤمنوا) أي ولا تبدوا ايمانكم بما في كتب وحكم من ان
الله يوثق النبوة والوحي نبيا مثل موسى بنحو يتعين منه نبي المسلمين ولا تعترفوا بذلك (إلا
لمن تبع دينكم) وكان منكم فإنه يخفيه كما نخفيه (قل) لهم يا رسول الله اتحسبون ان الهدى
الى الحق منوط في حصوله وعدمه باعترافكم بما في توراتكم وكتبكم واظهاركم الايمان كلا
بل (ان الهدى هدى الله) يهدي من يشاء بلطفه ممن لم يتعصب على الحق الى سواء السبيل

أَنْ يُؤْتِيَ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * (٧١) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ * (٧٢) وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِيَدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ

وجملة « قل ان الهدى » ، معترضة في اثناء كلامهم في الاغواء جيبى بها للتعجيل في تقديمهم وتسفيه رأيهم في غوايتهم (ان يؤتى) اي ولا تؤمنوا الغير من اتبع دينكم بان يؤتى (احد) من غيركم (مثل ما اوتيتهم) باعتبار انبيائكم وكتبكم من النبوة والرسالة والكتاب والشرعية ويكون على وفق ما طلبتموه من موسى فاخبركم بان يقيم نبيا من اخوتكم بني اسما عيل كموسى ويجعل كلامه في فيه (او) تؤمنوا لهم بانهم (يحاجوكم عند ربكم) بما اخبركم به في شأن رسول الله وقرآنه كلام الله وان لم عليكم الحجة عند الله بما تعرفونه من الحق (١) او ان المعنى قل ان الهدى هدى الله بان يؤتى احد الى آخره فتكون جملة ان يؤتى متعلقة بما امر الله رسوله ان يقوله لم وعلى هذا يكون قوله تعالى قل ان الفضل تكرر الامر بالقول بدون توسط كلام اجنبي يقتضيه والظاهر هو الوجه الاول . وقد نقل في التبيان ومجمع البيان وجهان آخران لا اعتداد بهما (قل) يارسول الله في تسفيه رأيهم فيما قالوه وتواصوا (ان الفضل) ومنه الرسالة والشرعية والتوفيق لاجابة الدعوة اليهما ونصرة الدعوة واعلاء كلمتها وظهور الهدى وفلج الحجة وشوكة دين الحق وانتظام جامعته (بيد الله يؤتبه من يشاء والله واسع) في فضله ولطفه ورحمته وقدرته (عليم) بمن هو اهل للرسالة وايتاء الفضل (٧١ يختص برحمته) بالفضل والهدى (من يشاء) اختصاصه بذلك من عباده لاهليته لذلك (والله ذو الفضل العظيم ٧٠) ومن اهل الكتاب من ان تأمنه ببنطار) مر تفسير القنطار في الآية الثانية عشرة (يؤده اليك) تمسكا بحكم العقل والفطرة بقبح الخيانة في الأمانة فإن قبولها عهد بحفظها وردّها وقد نهت شريعة الحق عن الخيانة فيها (ومنهم من ان تأمنه بدينار) وهو مثقال شرعي من الذهب يساوي نحو نصف ليرة عثمانية (لا يؤده اليك الا مادمت عليه قائما) في المطالبة والحجة والقوة (ذلك) اي خيانتهم للأمانة (بانهم) في مراعى ضلالهم (قالوا ليس علينا في الاميين سبيل) في الاثم وحرمة اموالهم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا فِي الْأُمْنَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٢) بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * (٧٣) إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ

قيل ان المراد من الاميين نوع العرب باعتبار ان الغالب منهم لا يقرأون ولا يكتبون . ويحتمل ان يراد منهم من عدى بني اسرائيل فانهم ينسبونهم الى الأمة والامة . ويحتمل ان يريدوا اتباع رسول الله الامي . ولعلهم يغالطون لنفي السبيل بما في توراتهم من انها نهتهم عن الانتقام والحقد على ابناء شعبهم . وعن السعي والوشاية بين ابناء شعبهم . وعن شهادة الزور على قريبهم . فيزعمون من ذلك ان غير الاسرائيلي مهدور الحرمة في الاحكام الاجتماعية العقلية ومن ذلك اداء الأمانة (ويقولون) في نفي السبيل وخيانة الأمانة (على الله الكذب وهم يعلمون) انه كذب منهم . فانهم مع حكم العقل يقرأون مما بقي في شريعة الحق في توراتهم ان الأمانة يجب ردها مطلقا . وان جحد الأمانة والوديمة خطيئة وذنب . وانهم منهبون عن السرقة والكذب والغدر من دون حصر لهذه الاحكام بالاسرائيلي . كما في الفصل السادس والناسع عشر من سفر اللاويين (٧٢ بلى) عليهم في الاميين سبيل وهم مسؤولون عن الأمانة والوفاء بعهدها . وما أحسن الوفاء بالعهد (من أوفى بعهده) في كتب اللغة أوفى بمعنى وفى . أقول والمستعمل في القرآن الكريم هو أوفى . وأوفى . وأوفى . وأوفوا والموفون ، وكأها من أوفى والظاهر ان الضمير في عهده يعود الى الموصول « من » وقبل يرجع الى لفظ الجلالة من قوله تعالى ويقولون على الله الكذب . وهو بعيد مع ان قبول الأمانة لا يتضمن عهدا مع الله وإنما يتضمن عهدا مع صاحبها . وان نفس الوفاء بالعهد محبوب لله ولكن ما كل من أوفى بعهده محبوب لله ، بل من أوفى (واتقى) الله أي اتقى غضبه وعقابه بالأعمال الصالحة وطاعته في أوامره ونواهيه وكانت له التقوى ملكة ومذهبا (فإن الله يحب المتقين) الذين ديدنهم المحاذرة من ان يعرض الله بوجهه الكريم عنهم والعياذ بالله (٧٣ ان الذين يشترون بعهدهم مع الله (وأيمانهم ثمنا) يتعلقوا بالثمن كما يتعلق بالمبيع . والثمن في الحقيقة احد المبيعين والعوضين (قليلا) مهبا كان مما تحملهم اهو او هم لأجله على الخس ونقض العهد (أو لك لا خلاق) أي لا نصيب ولا حظ (لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله) لعله كناية عن مقتله لهم

وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا هُمْ يُعَذِّبُ أَلَيْهِمْ (٧٤) وَإِنْ مِنْهُمْ أَفَرِيقًا يَلْعُونُ أَلَسْتُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * (٧٥) مَا كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي

وسخطه عليهم (ولا ينظر اليهم يوم القيامة) أي لا يعطف عليهم برحمته (ولا يزكّيهم) بالمغفرة (ولهم عذاب اليم ٧٤ وان منهم) أي من أهل الكتاب (لفرقاً يلعون ألسنتهم بالكتاب) زيادة على ما نابه من التحريف أي يقتلون السنتهم ويحرفونها في قراءتهم إلى ما ليس فيه (للنحسبوه من الكتاب وما هو من) نوع (الكتاب) مطلقاً بل هو زيادة وتحريف جديد منهم (ويقولون) في غلوائهم في الضلال والكذب على الله فيما لووا إليه السنتهم بالكذب منهم (هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) أنه كذب منهم وافتراء على الله (٧٥) ما كان لبشر أن يرسله الله هادياً لعباده إلى الحق) و (يؤتيه الله الكتاب والحكم) في مجمع البیان أي العلم وفي الكشف الحكمة . ولكن كل منها بعيد عن اللفظ . فالظاهر أنه سيطرة الرسالة والدعوة والارشاد (والنبوّة) في بيان الحقائق (ثم) بعد هذا كله (يقول) ذلك المبشر الرسول (للناس كونوا عباداً لي) وما يدل عليه هذه الآية أمور ثلاثة — الأول — ان البشر المتكون في الرحم تدريجاً جاداً بلا روح . ثم تتعلق به الروح . ثم يولد ضعيفاً فقيراً في جميع أحواله لا علم له . ثم يتدرج في المعرفة والخروج من الجهل ومشابهة البهائم شيئاً فشيئاً . ويعيش على فقره وضعفه في جميع أمورهِ يتألم ويجهو ، ويعطش ويحزن ويخاف ويضطهد . هذا كيف يعقل وكيف يتوهم المتوهم أن يكون إلهاً واجب الوجود خالقاً — الثاني — أنه وإن اتفق لبعض البشر الناقصين أن يطنى بفساده ونقصه ويدعي الإلهية ويدعو الناس إلى عبادته . ولكن ليس من السائغ والممكن في المعقول أن يكون البشر الموصوف في الآية يدعو الناس إلى عبادته ويدعي الربوبية والإلهية . فإن الله هو الحكيم العليم بما يكون من عباده . فكيف وهو القدوس يخالف حكمته وعلمه ويؤتي الكتاب والحكم والنبوّة لمن يعلم أنه يدعو إلى الشرك تعالى عن ذلك — الثالث — الإخبار بأن ذلك لم يقع ولا يقع لأنه من المستحيل على جلال الله . فتكون الآية

مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ

الكرامة دالة ببرهانها الواضح على بطلان دعوته من ادعى الالهية والربوبية للبشر . وبطلان الدعوة إلى عبادة البشر ورداً وتوبيخاً على ذلك . وهذا كله بعمومه شامل للنصارى ويكون رداً وتكذيباً لهم فيما ينسبونه إلى المسيح في انجيل يوحنا ١٠: ٣٣-٣٦ من انه ادعى الالهية واستشهد بالعدد السادس من المزمور الثاني والثالثين . وما ينسبونه أيضاً في اناجيل متى ٢٢ : ٤١-٤٦ ومرقس ١٣ (٣٥-٣٨ ولوقا ٢٠: ٤١-٤٥ من انه ادعى الربوبية محتجاً بقول داود في اول المزمور العاشر بعد المائة « قال الرب لربي » مع ان في الاستشهاد تحريفاً معنوياً ظاهراً وفي الاحتجاج الثاني تحريف لفظي لما في المزامير العبرانية فإن ترجمته الصحيحة « قال الله لسيدي » وماذا تنفع المزامير إذا ذكرت مستحيلاً في المعقول لا ينطلي على العارف بالله وقد ذكرنا من ذلك شيئاً في الجزء الأول من كتاب « الهدى » صفحة ١١٥ و١١٦ و١٩٨ والجزء الأول من « المدرسة السيرة » صفحة ٧٣ من الطبعة الثانية . وتكون الآية أيضاً توبيخاً لهم على تناقضهم في قولهم ان المسيح بشر آناه الله الكتاب والحكمة والنبوة ونعمد أي اغتسل على يد يحيى بن زكريا غسل التوبة ونزل عليه الروح بشكل حمامة كما تصرح بهذا كله اناجيلهم . وقولهم انه « وحاشاه » ادعى الالهية والربوبية . ومعنى ذلك دعوة الناس لأن يكونوا عباداً له (من دون الله) فإن دعوة البشر إلى عبادته جحد في الحقيقة لمقام الالهية وتحول لواجب الله من العبادة له إلى غيره من البشر (ولكن) البشر المنوه بفضيلته في الآية يقول للناس (كونوا ربانيين) في النهاية الرباني منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون للمبالغة . وفي التبيان والقاموس والنهاية كما يقال دم مجراني منسوب إلى البحر وهو قمر الرحم أو البحر المعروف لسعته . وكما يقال رقباني لعظيم الرقبة كما في التبيان والقاموس ولحياني لعظيم المحبة ولعله إلى هذا يرجع تفسير الربانيين بالعلماء الفقهاء أو الحكماء الاتقياء والحكماء العلماء . وفسرت هذه الكلمة أيضاً بمديري امر الناس في الولاية بالاصلاح كربان السفينة أخذاً من الربان الذي يرب امر الناس بتدبيره له واصلاحه اياه . ويدفع هذا الأخير أولاً ان مقتضاه ان يقال ربانيين بلانسية « وثانياً » ان الرسول لا يقول لكل الناس كونوا مدبرين لأن امر الناس في الولاية بالاصلاح بل ان مقام الولاية بالاصلاح والتدبير انما يكون لأحد مخصوصين من الناس وسوف الآية

يَا كُتِّمُوا تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَيَا كُتِّمُوا تَدْرُسُونَ * (٧٦) وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * (٧٧) وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ

لا يناسب التخصيص . والتفسير المتقدم لم ينظر فيها الى اللفظ وانما اخذت من مخايل معناه فالرباني هو المتعلق في احواله ومعارفه واعماله بالانتساب الى الله مولاه رب العالمين فيما يحبه ويرضاه وهذا هو الجامع لدعوة الرسول للناس واصلاحها (بما كُتِّم) اي بمقتضى ما كُتِّم (تعلمون الكتاب وبما كُتِّم تدرسون) في الدين وتعاليم الوحي (٧٦ ولا يأمركم) عطف على يقول للناس المنفي بفاد « ما كان » (ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا من دون الله) فإنه كفر بالله (أيأمركم) وكيف يأمركم (بالكفر) ويدعوكم اليه (بعد اذ أنتم مسلمون) داخلون في سلم الله بالايمان به وتوحيده . وهو رسول الله العليم الحكيم والداعي الى الله فكيف يصدر منه ما يحيله العقل على رسل الله وانبيائه (٧٧ واذا) واذا ذكر في الكتاب . او تكون « اذا » ظرفا لقوله تعالى فيما بعد « قال أقررتم » (اخذ الله ميثاق النبيين) في الآية وجهان وروايتان — احدهما — ان يكون الميثاق للنبيين على قومهم كما تقول اذا عاهدت الله اني قد جمعت على عهد الله وميثاقه . ويكون الميثاق للنبيين باعتبار تبليغه لأمرهم وتوثيقه عليهم وان كان الله آخذه بوحيه وامره للنبيين بأخذه على قومهم . ففي التبيان روى عن ابي عبد الله يعني الصادق (ع) انه قال (ع) تقديره واذا أخذ الله ميثاق امم النبيين بتصديق نبيها والعمل بما جاء به وانهم خالفوه فيما بعد وما وفوا به وتركوا كثيرا من شريعته وحرفوا كثيرا منها وكذا في مجمع البيان . وفي تفسير صاحب المنار عن الصادق (ع) هو على حد قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقت النساء فالخطاب للنبي والمراد امته عامة . ثم ذكر عن شيخه محمد عبده نسبة ذلك الى الصادق . اقول ولم أجد الرواية في العاجل مسندة . نعم في تفسير البرهان عن العياشي عن حبيب السجستاني عن الباقر (ع) ما يرجع الى نحو ما ذكر في التبيان روايته . وفي الدر المنثور اخرج ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان اصحاب عبد الله (يعني ابن مسعود) يقرأون واذا أخذ الله ميثاق الذين اتوا الكتاب ونحن نقرأ ميثاق النبيين فقال ابن عباس انما اخذ الله ميثاق النبيين على قومهم . واخرج ابن

لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحَكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ آتَوْا مِنْ رَبِّهِ

جرير عن علي امير المؤمنين (ع) في قوله تعالى قال فاشهدوا يقول فاشهدوا علي اممكم بذلك وأنا معكم من الشاهدين . وعلى هذا يكون الخطاب فيما بعد للأمة « وثانيها » اخذ الميثاق من النبيين ويكون الخطاب فيما بعد لهم كما هو موذى تفسير القمي وروايته عن الصادق (ع) . ونحوها رواية البرهان عن سعد بن عبد الله عن الصادق «ع» وعن صاحب كتاب الواحد عن الباقر «ع» . ورواية ابن جرير عن علي «ع» ايضا . ورواية ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس ايضا . وعليه يكون الخطاب فيما بعد للنبيين والترجيح بعد تدافع الروايات والنظر الى سوق الآية الكريمة انما هو للوجه الأول . والميثاق هو العهد الموثق . وهو كالنذر والقسم في دخول اللام على جوابه تقول عاهدت الله لئن كان كذا لأفعلن كذا . ونذرت أو لله علي اوحلفت أو أقسمت أو والله لئن كان كذا لأفعلن كذا . واللام الأولى كالثانية في كونها لتلقي القسم ونحوه بالجواب يوئى بها مع الشرط تشيئا لدخول الشرط في حيز القسم والعهد وتقوية لتلقيها بالجواب لأن الشرط قيد الجواب ومن متعلقاته كقوله تعالى في سورة التوبة « ٧٦ » ومنهم من عاهد الله لئن آتانا الله من فضله لنصدقن » . كما جرى ذلك في القرآن الكريم في العهد والقسم الظاهرين والمقدرين ومن ذلك أقسموا بالله في نحو خمسين موردا . وبشبه دخول هذه الأولى على الشرط لتقوية الربط دخول همزة الاستفهام الازكاري على الشرط مع ان المستنكر عند الكفار بالبعث انما هو جواب الشرط كما في سورة الاسراء « ٥٢ » إذا كنا عظاما ورفاتا إنا لمبعوثون خلقا جديداً » ونحوه الآية المائة وغير ذلك . وقد يكتفى باللام الأولى عن الثانية كقوله تعالى في سورة الحشر « ١٢ » لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم » فإنها لام القسم وما يدل على ذلك قوله تعالى « ولئن نصروهم ليولن الأدبار » كما يكتفى بدخول همزة الاستفهام على الشرط مع ان المستنكر هو جوابه كقوله تعالى في سورة مريم « ٦٧ » يقول الإنسان إذا ما مات لسوف أخرج حياً » . وقد يكتفى باللام الثانية كقوله تعالى في سورة المائدة « ٧٧ » وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا » هذا وان الذي اخذ به الميثاق هو قوله تعالى (لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جائكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) والصحيح ان اللام الأولى هي التي تدخل على اداة

وَلْتَنْصِرْهُ

الشرط لتلقي الميثاق و « ما » شرطية نحو قوله تعالى في سورة الاعراف « ١٧ لمن تبعك منهم لا ملأئ جهنم منكم اجمعين » أي كما آتيتكم يا امم النبيين من كتاب يبشر بالنبوة اللاحقة وحكمة تعرفون بها حكمته ارسل الرسول ودلائل صدقه وحسرتم بذلك على بصيرة من الرسالة اللاحقة ثم جاءكم بعد هذا رسول دلت الدلائل على صدقه في دعواه الرسالة من الله وهو مصدق لما معكم من البشرى اي يكون مصداقها الذي تصدق به باعتبار انطباقها التام عليه ووضوح الدلالة على رسالته . او مصدقا لما معكم من معارف الاية والتوحيد ونبوة الانبياء الكرام . فلا تمتنع رسالته كما هو الغالب في دعاة الضلال إذ يخالفون دين الحق فيما يرجع إلى الاية والتوحيد والمعاد . والميثاق في الآية هو قوله تعالى « لتؤمنن به ولتنصرنه » أي ذلك الرسول . هذا : وقيل ان اللام في « لما » للابتداء و « ما » موصولة لا اداة شرط وهو مبتدأ وخبره لتؤمنن به ويدفعه — اولاً — ان الميثاق كالتقسيم مما يعتنى بربطه بالجواب وتلقيه بروابط القسم فلا ينقض هذا الغرض بلام الابتداء التي لها الصدر في الكلام ولا يجمع بين المتنافرين وهما ربط العهد وتانيه مع قطعه بلام الابتداء — وثانياً — ان الايمان بما اوتوه من كتاب وحكمة يجب من اول ما يجيئهم به نبيهم إذ ذك فلا معنى لترتبه بشم على مجيء رسول آخر . وكذا الكلام في « لتنصرنه » ان اعيد ضميره على ما اوتوا من كتاب وحكمة — وثالثاً — لا يصح افراد الضمير في الخبر الا اذا كان المراد بالكتاب والحكمة شي واحد وهو بعيد والا فاللازم تنية الضمير — ورابعاً — اذا جعلنا « لتؤمنن » خبراً لقوله تعالى « ما آتيتكم » وكذا « لتنصرنه » فما هي اللام فيها فإنها حينئذ لا تصلح ان تكون رابطة لجواب العهد والميثاق ولا من حلقة لأن المرحلة مختصة بخبر « ان » و — خامساً — لو قيل ان مساق الآية هو الذي آتيتكم من كتاب وحكمة لتؤمنن به ثم ان جاءكم رسول لتنصرنه فتكون جملة جاءكم وما بعدها فرد آخر من جنس الميثاق المأخوذ لقلنا — اولاً — من أين لنا بالشرط في « ثم ان جاءكم » وليس هناك على قولكم شرطاً معطوفاً عليه — وثانياً — ان القرآن الكريم يجمل عن مثل مانفرضون من الكلام المعقد والمتداخل الأجزاء تداخلاً يهون دونه قول الشاعر :

وما مثله في الناس الا مملكا ابو امه حي ابوه يقاربه

قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * (٧٨) فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * (٧٩) أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبِغُونَ وَلَهُ أَسْمَاءُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا

فلا مناص عما ذكرناه من التفسير ويكون عموم الخطاب باعتبار من يدرك دعوة الرسول الثاني من الأمم وهكذا . وان رسول الله محمد خاتم النبيين (ص) هو اظهر افراد الرسل في هذا الميثاق لتكرر البشرى به في كتبهم بشرى تشرف على الصراحة في تعيينه بأقرب ما يفهمه البشر الجاهل بالغيب في تعيين من يأتي في المستقبل . ولظهور الدليل على رسالته وكتابه وبقائه في جميع الأزمان وهو القرآن الكريم ودلائل الرسالة فيه كما اشرنا اليه في الفصل الأول من المقدمة . ومن نصره (ص) نصر من هو نفسه ووصيه في امته ومن هو منه بمنزلة هارون من موسى وصاحب عهد الغدير ووصية الثقلين وغير ذلك علي عليه السلام ، وعلى هذا الوجه ينزل بعض ما جاء في ذلك من الروايات (قال) أي الله جل اسمه النبيين (أقررت) بذلك بين الأمم في تبليغكم اياه لهم (واخذتم) على أممكم (على ذلكم اصري) اي عهدي وميثاقي (قالوا) أي النبيون (أقرونا) بذلك بين امنا وباعتبار ان قولهم هذا جواب الاستفهام التقريري ينحل إلى قولهم أيضا وأخذنا عليهم على ذلك عهدك واصرك (قال) الله للنبيين (فاشهدوا) على اممكم بهذا الميثاق (وانا معكم من الشاهدين ٧٨ فمن تولى بعد ذلك) من الأمم عن هذا الميثاق واعرض عنه و كفر بمن يأتي من الرسل وخصوص خاتمهم البينة حججه والساطع برهانه والعام الباقي معجزه (فأولئك) المتولون (هم الفاسقون) الخارجون عن حجاب الايمان والطاعة (٧٩ أفغير دين الله يبعون) بتولهم عن عهد الله ودين الحق الايمان بالله ورسوله وكتابه وبمحادثهم لله بهذا التولي وخروجهم عن طاعته وهذا الاستفهام انكار عليهم وتسفيه لهم والحجة قوله تعالى (وله اسلم) اي والحال انه جل شأنه دخل في سلمه وانقاد اليه (من) في السماوات والأرض (من الملائكة والانس والجن) طوعاً وكرها (بفتح الكاف قيل انه من الكراهية أي طائعين وكارهين . وقيل من الاكراه أي طائعين ومكرهين . كظاهر قوله تعالى في سورة النساء « ٢٣ لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها » أي اكراها . والثاني هو المناسب في الآية للمقابلة بالطوع وهو مقتضى الروايات المذكورة في تفسير البرهان والدر المنثور عن

وَالِإِيَّاهُ تُرْجَعُونَ * (٨٠) قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ

الصادق (ع) والكاظم وابن عباس وما ذكر في مجمع البيان انه المروي عن ابي عبد الله (ع) والمراد من الكره ما كان في الابتداء فإن غالب الذين اسلموا كرها داموا على الاسلام على طوع ورغبة . وعطف الكره بالواو التي هي للجمع إنما هو باعتبار المجموع وإن اختص قسم بالطوع وقسم بالكره والأمر فيه ظاهر . لكن مع تفسير الاسلام بالاعتراف بالالهية والتوحيد والتدين بدين الحق يكون ذكر من في الأرض إنما هو باعتبار البعض وهو من دان بالاسلام فإن الكثير ممن في الأرض في كل زمان لم يسلم . وحينئذ قد يخفى وجه الحجة على الإنكار بقوله تعالى « وله اسلم » فالظاهر ان الاسلام في الآية بمعنى يعم الانقياد لله في معرفته ودينه وتكوينه وقضائه . وحينئذ لا ينفك عن مصداق ذلك من في السماوات والأرض بل جميع المخلوقات من وجهه او وجوه . والمراد من الاسلام كرها هو ما لا تكون ارادة المسلم ورغبته علة كالانقياد للتكوين والقضاء والمعرفة التي تبعث اليها الفطرة على حين غفلة من ضلال الهوى فإنك ترى الإنسان حتى المادي المعطل إذا أصابته نائبة تنقطع فيها وسائله ان نفسه تفرع في الخلاص من تلك النائبة إلى من يراه قادرا على دفعها عنه بقدرته القاهرة رغما على الأسباب العادية . وهذا هو الأمر القادر وهو الله جل شأنه . وكالدخول في دين الاسلام بالاكراه في اول الأمر . ويكون الحاصل ان الله الأمر الذي انقاد له كل شيء ومن ذلك الملائكة والانس والجن (واليه يرجعون) في يوم القيامة بعد ان لا يبقى إلا هو . هذا الأمر هل يصح لهم ان يبتغوا غير دينه . وعلى هذا يكون ما أشرنا اليه من الروايات الواردة في تفسير الآية وارادة باعتبار بعض المصاديق من الاسلام (٨٠ قل) يا رسول الله انت ومن يجب عليه اتباعك لا نبغي غير دين الله بل (آمنا بالله) الذي لا إله الا هو وبدينه دين الحق كما انزل في كتبه المقدسة على رسله (وما انزل علينا) ببركة الوحي اليك وبركة رسالتك (وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط) وهم قبائل بني اسرائيل المتسبين الى اولاد يعقوب فيمكن ان يكون المراد بالانزال عليهم باعتبار الانزال على انبيائهم ونحو قوله تعالى في الآية « انزل علينا » و٦٥ « بالذي انزل على الذين آمنوا » وفي سورة البقرة « ٨٥ بما

وَمَا أَوْتِي مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * (٨١) وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ * (٨٢) كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * (٨٣) أَوَلَيْكَ جَزَاءُ أَنْ كَذَبْتَهُمْ أَتَمَنَّا اللَّهُ وَالْمَلَائِكَةَ وَالنَّاسَ أَجْمَعِينَ * (٨٤) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ * (٨٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ *

انزل علينا « ومعنى « على » في على ابراهيم وعلى الأسباط واحد وانما الاختلاف بالاعتبار . ويمكن ان يراد بالأسباط أنبيائهم كوسى ومن بعده (وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم) من كتاب وحكمة وكرامة ومعجزة (لانفرق بين احد منهم) في الايمان ولا تصرفنا الالهواء والعصبية القومية عن الايمان ببعضهم (ونحن له) أي الله (مسلمون) في جميع ذلك (٨١ ومن يبتغ غير الاسلام) الله (ديناً) ومن اظهر مصاديقه الانقياد لما جاء به رسول الله خاتم النبيين (فلن يقبل منه) غير الاسلام وكيف يقبل منه الضلال (وهو في الآخرة من الخاسرين ٨٢ كيف يهدي الله) ويوصل الى الحق بلطفه وتوفيقه (قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا) معطوف على معنى الفعل في « ايمانهم » أي بعد أن آمنوا وشهدوا (ان الرسول حق وجاءتهم البينات) الواضحات الدلالة على رسالته وحقيقة الايمان فإن هو لا قد أخرجوا أنفسهم بتمردهم على الله عن أهليتهم للطفه وإبصاهم الى الهدى بتوفيقه (والله) جلت حكمته (لا يهدي) ولا يوصل بتوفيقه (القوم الظالمين) المتوردن بظلمهم بل (٨٣ أو لك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله) أي طردهم عن رحمته (والملائكة) بالدعاء عليهم بالعنة (و) كذا لعنة (الناس أجمعين) وفي هذا إذن للناس بلعنهم وطلب لذلك (٨٤ خالدين فيها) أي في اللعنة وطردهم الله لهم عن رحمته (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) كناية عن انهم لا تنالهم الرحمة أو لا يملكون يوم القيامة عن العذاب (٨٥ إلا الذين تابوا) في الدنيا (من بعد ذلك وأصلحوا) أعمالهم أي عمالوا الصالحات (فإن الله غفور رحيم) أي فإن الله يغفر لهم ذنوبهم ويرحمهم بالرضا والثواب لأنه غفور رحيم وأقيمت العلة في التفريع مقام المعاول للتأكيد ولبيان ان هذه المغفرة ليست مما يرجى اتفاقه بل

(٨٦) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ* (٨٧) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ

هي لازمة في رحمة الله ولطفه لأنه غفور رحيم لكل من هو أهل للخفرة والرحمة قبل ان الآيات نزلت في الحارث بن سويد رجل من الأنصار ارتد وتاب وتاب الله عليه . وفي مجمع البيان وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) . اقول ولم أجد الرواية مسندة . والروايات في الدر المنثور في هذا المقام متدافعة (٨٦ ان الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا ان تقبل توبتهم) وقال جل شأنه في سورة النساء « ٢١ إنما التوبة على الله » أي بمقتضى حكمته ولطفه في الدعوة الى الصلاح وقطع مادة الفساد ورحمته بعباده « للذين يعملون سوءا بجهالة ثم يتوبون من قريب » من عمرهم لا في آخره عند الموت الذي يروونه بعيداً « فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليا » بأن توبتهم عن هتداء وندم حقيقي . لا لانقطاع آمالم من الحياة وشهواتها واهوائها عند معاينة الموت وانكشاف الحقائق « حكيم » في قبول التوبة « ٢٢ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت » وعان ماعين فانتطعت عنه لذلك دواعي الهوى ونزعات النفس الأمارة الى الضلال « قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار » وقال جل اسمه في سورة يونس في شأن فرعون « ٩٠ حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت انه لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين ٩١ » « الآن » يا فرعون حينما انتقطعت عنك آمال الطغيان التي سوات لك ادعاءك للربوبية فمضيت وأفسدت وكفرت بآيات الله « وقد عصيت من قبل » : والظاهر اجماع المسلمين على قبول التوبة الصادقة قبل حضور الموت وحينما تكون دواعي الهوى ونزعات النفس الأمارة تبعثه على القبح ويصدها عقله وتوبته وخوفه من الله وتقواه . فتكون واردة في توبة الذين كفروا بعد إيمانهم عند معاينة الموت أو ماتوا وهم كفار ، وفي يوم القيامة يحاولون التوبة . وربما يرشد الى ذلك العدول عن قوله تعالى لا تقبل توبتهم الى قوله « ان تقبل توبتهم » الذي هو نص على النفي في المستقبل مع ان قبول التوبة مقارن لها . فيكون في ذلك اشارة الى ان توبتهم المستقبلية المتأخرة عن حياتهم العادية وآمالهم فيها لن تقبل منهم (وأولئك هم الضالون) مدة حياتهم قبل معاينة الموت بل وعندها (٨٧ ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم مل الأرض ذهاباً)

رَبُّكَ الْأَرْضَ ذَهَابًا وَلَوْ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ
(٨٨) لَنْ تَتَّالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ
(٨٩) 'كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَآئِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ
إِسْرَآئِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنْزَلَ التَّوْرَةُ

(الجزء الرابع)

دخلت الفاء في الخبر لخروج المبتدأ باعتبار صلته مخرج الشرط. وذكر ملا الأرض ذهباً لانه غاية ما يعظم في عين الإنسان نوعاً من المال والبذل والوسيلة للخلاص فلا ينفعه ذلك لو تصدق به ونحو ذلك لأن أعمال الكافر حابطة لا يستحق بها الجزاء ممن كفر به (ولو افتدى به) وقدمه بعنوان الفداء وهذا غاية ما يدخل في تصور نوع الإنسان من التهويل والتخويف «ولعذاب الآخرة أشد» (أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين) على الله. يا أيها المؤمنون (٨٨ لن تناولوا البر) ويكون انفاقكم براً برضاء الله بأن تنفقوا الشيء الزهيد الذي لا ترضونه بل (حتى تنفقوا مما تحبون) وترغبون بما ليته فإن قصدكم التقرب إلى الله إيماناً يظهر بئذكم لوجهه الكريم ما لا تستحقرونه (وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم) لا يخفى عليه شيء منه ولا من نيائكم في انفاقه وهو مجازيكم عليه ويضاعف لكم الجزاء كما وعدكم بذلك في القرآن الكريم فلا تخشوا أن يفوتكم من انفاقكم واخلاصكم في النية شيء (٨٩ كل الطعام) أي أصول المطعومات (كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل) أي يعقوب (على نفسه من قبل) متعلق بجرم وقيل بتعلقه بقوله تعالى «حلالاً» ويدفعه لزوم الفصل باجني وهو جملة «إلا ما حرم» المشعرة بتمام ما قبلها فيلزم التعميد والإيهام. نعم يفهم من قوله تعالى «كان حلالاً» انه من قبل أن تحرمه التوراة بتنزيلها (أن تنزل التوراة) على موسى. وللتنبية على تفسير الآية ثلاث مقدمات — الأولى — قال علي بن إبراهيم القمي في تفسيره هذا الكلام حكاية عن اليهود ولفظه لفظ الخبر. أي انه كلام اليهود ومن دعاوهم الكاذبة. وهو في الآية في مقام الاستفهام الإنكاري وحذفت منه أداة الإنكار لدلالة قوله تعالى فأتوا بالتوراة. فمن افترى على الله الكذب. كما حذفت أداة الاستفهام لدلالة المقام عليها في قوله تعالى في سورة البقرة ٧٤ «قل اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهداً» وقوله تعالى في سورة الشعراء ٢١ «وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل» على الصحيح من تفسير ذلك بإنكار موسى على فرعون ولو كان هذا

قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَإِن كُنتُمْ صَادِقِينَ *

الكلام اخباراً من الله لما ناسبه تكذيب الله لهم — الثانية — قيل في تفسير ذلك ان يعقوب حرم على نفسه العروق ولحم الجمل فقالت اليهود ان لحم الجمل محرم في التوراة أي انها تذكر ان اسرائيل حرمه على نفسه — الثالثة — ان تحريف التوراة الحقيقية كان قبل رسول الله بقرون منطاوله منذ انقطع أثرها بارتدادات بني اسرائيل وتتابع البلايا عليهم فادعى وجودها «حلقياً» الكاهن في زمان «يوشيا» الملك وذكروا تجديد كتابتها من عزرا بعد سبي بابل . كما اشرنا الى ذلك في المقدمة الخامسة من كتاب الهدى (١) فراجع . كما ذكرنا بعض الشهادات بتحريفها من كتابي «اشعيا» و «ارميا» وهما من كتب وحبهم (٢) فالتوراة في عهد رسول الله (ص) هي نفس التوراة الموجودة في عصورنا فإنها كانت اذ ذاك منتشرة بين الاسرائيليين والسامريين والنصارى في الشرق والغرب والحبشة وغيرهم باغات متعددة ومنها اليونانية السبعينية والحبشية ولا يوجد بينها إلا اختلاف طفيف فالتوراة الرائجة في عصورنا هي المحرفة التي جادلهم القرآن بها وقال «فأتوا بالتوراة فاتلوها» اذن فمعنى الآية ان بعض اهل الكتاب قالوا كل اصول المطعومات كانت حلالاً لبني اسرائيل قبل أن تحرم التوراة ما حرمته منها ثم استثنوا من ذلك ما زعموا ان اسرائيل حرمه على نفسه من قبل أن تنزل التوراة فنزلت التوراة بتحريمه . وهذا كله كذب واقتراء حتى ان توراتهم تكذبهم فيه وتذكر ان المحرمات من الحيوانات البرية والمائية والطيور إنما هي رجس فأنها نههم عن أن يأكلوا كل رجس كما في العدد الثالث من الفصل الرابع عشر من سفر التثنية ثم نصت في الفصل المذكور على المحرمات كما نصت عليها في الفصل الحادي عشر من سفر اللاويين . اذن فكيف يكون الرجس حلالاً شرعياً قبل التوراة . وايضاً لم تذكر التوراة ان اسرائيل حرم على نفسه شيئاً . بل إنما تذكر ان اسرائيل ضرب على حق فخذة على عرق النساء لذلك لا يأكل بنو اسرائيل عرق النساء الى هذا اليوم . فتوراتهم تقول ان ذلك تشريع منهم لا من اسرائيل كما في الفصل الثاني والثلاثين من سفر التكوين . يا رسول الله ان هؤلاء لا يتبهون عن الكذب اذن فجادلهم بتوراتهم و(قل) لهم في اظهار كذبهم (فاتوا بالتوراة فاتلوها) في هذه الموارد (ان كنتم صادقين) فإن

(١) في الجزء الأول من صفحة ١٩ إلى ٣٠ (٢) في الجزء الأول من الهدى صفحة

قيل ان اليهود يقولون بامتناع النسخ فكيف يدعون الحل الشرعي قبل التوراة « قلنا » المعروف ان اليهود يزعمون ان الشرع في التوراة منع من نسخ احكامها لانها أبدية وهذا يناقض ادعاءهم هذا فيما قبل . وقد ذكرنا زعمهم وبطلانه في الجزء الأول من كتاب الهدى صفحة ٢٨٨-٢٩١ ولو كان اليهود كبعض النصارى يزعمون امتناع النسخ عقلاوانه لا شريعة قبل التوراة لكانت دعواهم هذه باعتبار الحل العادي وعدم الحرمة الشرعية . وقد ذكرنا هذا الزعم وبطلانه في الجزء الأول من كتاب الهدى صفحة ٢٣٥-٢٣٩ و ٢٤١-٢٤٣ وقيل في تفسير هذه الآية وجوها أخر مرجعها الى أن الآية اخبار من الله بأن المطعومات كانت حلالاً لبني اسرائيل وذكروا لذلك وجوها « منها » ما في الكشف من ان الآية رد عليهم في دعواهم ان كل الذي حرم عليهم قد كان محرماً على نوح و ابراهيم ليتخلصوا بهذه الدعوة الكاذبة بما ذكره القرآن انه بظلم من الذين هادوا حرمت عليهم طيبات احلت لهم . كما في سورة النساء ١٥٨ وببغيتهم كما في سورة الانعام ١٤٧ : ويرد على هذا الوجه انه ليس في الآية ما يشير اليه . وليس في التوراة ما يدل على ان الذي حرم عليهم كان حلالاً قبل ذلك ومن الطيبات بل العدد الثالث من الفصل الرابع عشر من سفر التثنية يبين ان المحرمات عليهم رجس ففيه لا تأكلوا كل رجس ثم شرع ذكر المحرمات التي ذكرت في الفصل الحادي عشر من سفر اللاويين . واما الاية والشحم وزيادة الكبدة والكليتين فقد ذكرت التوراة انها توقد على المذبح طعام وقود للرب وان كل الشحم للرب . وفي كل مساكنهم لا يأكلون شيئاً من الشحم والدم كما في الثالث من سفر اللاويين فليس في تورائهم ما يكذبهم فيما ذكر لهم من الدعوى ولا ما يدل على انهم حرمت عليهم بظلمهم طيبات احلت لهم « ومنها » ما في تفسير الرازي وغيره ان اليهود ينكرون وقوع النسخ في الشريعة ويزعمون ان الذي هو الآن حرام كان حراماً ابداً وان الذي حرمه اسرائيل كان حراماً من لدن زمان آدم (ع) فطلب رسول الله (ص) ان يحضروا التوراة لأنها ناطقة بأن بعض انواع الطعام انما حرم بسبب ان اسرائيل حرمه على نفسه انتهى ملخصاً : ويرد على هذا الوجه أيضاً انه ليس في الآية ما يشير إلى ورودها في مسألة النسخ ولا يلتفت من مخالفتها إلى النسخ اصلاً فنزيلها على ذلك يلحق بالمعيات مع انه ليس في التوراة ان الذي حرم عليهم كان حلالاً أو ان ما حرمه اسرائيل على نفسه هو محرم عليهم كما ذكرنا فلا يظهر كذبهم في زعمهم من التوراة . فالوجهان مشتركان في انه ليس لما ذكر فيها عن

- (٩٠) فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ
 (٩١) قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا أَمْرَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ *
 (٩٢) إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا

بني اسرائيل قول او كلام صريح او مدلول عليه باحدى الدلالات لكي يمتحنوا فيه بالاثيان بالتوراة وتلاوتها ليظهر كذبهم فيه او صدقهم (٩٠) فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون ٩١ قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ٩٢ ان اول بيت وضع للناس شعاراً لدين الحق ومشعرا لعبادة الله وتوحيده هو الكعبة . كما يخرج لذلك من بعد الطوفان بالتاريخ المتسلسل بين الأجيال وان بيت المقدس مما هو معروف . وفي الدر المنثور اخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق الشعبي عن علي (ع) قال كانت البيوت قبله ولكنه اول بيت وضع لعبادة الله . وفي المستدرک للحاكم بسنده عن خالد بن عرعة عن علي (ع) نحو هذا المضمون . وروى ابن شهر آشوب ايضا نحوه . واخرج ابن أبي شيبة واحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم وابن جرير والبيهقي عن ابي ذر قلت يا رسول الله أي مسجد وضع اول قال المسجد الحرام قلت ثم أي قال (ص) المسجد الأقصى . وروى في الكافي مسنداً عن الباقر وعن الصادق عليهما السلام ان الارض دحيت من تحت موضع البيت ونحوه عن العياشي عن محمد بن مسلم عن الباقر (ع) . وفي الدر المنثور اخرج البيهقي في الشعب عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) اول بقعة وضعت في الارض موضع البيت . واخرج ابن جرير وابن المنذر والبيهقي في الشعب واخرج ابن المنذر عن ابي هريرة وذكر نحوه (الذي ببكة) في البرهان عن ابن بابويه في العلل في الصحيح عن الصادق (ع) قال موضع البيت «بكة» والقرية مكة . ونحوه عن العياشي عن الصادق (ع) ولعل موضع البيت يشمل المسجد . وعن العياشي عن الباقر (ع) بكعة موضع البيت ومكة الحرم . وفي الدر المنثور ذكر جماعة أخرجوا عن ابي مالك الغفاري بكعة موضع البيت ومكة ما سوى ذلك . وعن ابن عباس مكة من الفج الى التنعيم وبكة من البيت الى البطحاء . و«بكة» مأخوذة من البك وهو الزحم والمدافعة . وروى ان هذا وجه تسميتها كما في الكافي عن الصادق (ع) وعن علل الصدوق بأسانيد صحيحة عن الباقر (ع) والصادق (ع) نحوه (مباركا) حال . ومظاهر البركة في البيت من الوجهة

٣١٤ آل عمران : آيات البيت ، مقام ابراهيم وصاحب النار والطنطاوي : من دخله كان آمناً

وَهَدَىٰ لِلْإِيمَانِ * (٩٣) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا

الدنيوية والوجهة الدينية اظهر من أن تخفى او تجحد . فإنه في ارض ليس فيها مادة ثروة ولا تجارة ولا زراعة ولا صناعة وترى مجاوريه فيها يبلغون عشرات الألوف وهم منذ القرون المتطاولة في الجاهلية والاسلام في سعة من العيش وتمتع في النعم والعز والأمن فيما بين العرب الوحشين الأشداء العتاة ويغد اليها الألوف العديدة من الحجاج فلا يضيق عليهم العيش . ويذبح في الموسم من كل سنة من اغنام ضواحيها ما يزيد على مائة الف فلا يظهر فيها النقص . واما من الوجهة الدينية فإنه المبارك (وهدى للعالمين) هدى حال بمعنى هادٍ ولزيد هداة قيل هدى كما يقال زيد عدل . ومن بركة هداة ان العرب التفت باسما عيل وتلفت منه دين ابراهيم وشريعة الختان وعبادة الله بالحج والطواف وان مازج ذلك فيما بعد شي من ضلال الوثنية بل بقي في حرمة شيء من الحقوق الاجتماعية والمدنية مدة الجاهلية على رغم ما في محيطه من وحشية الاعراب وضلالهم . وكفى ببركة هداة ان صارت مكة مولدا ومظهرا لخاتم الأنبياء وصفوة الرسل ومهبطا للوحي ومبدأ للدعوة الصالحة الى دين الحق دين الفطرة والشريعة المقدسة ونظام الاجتماع والصالح ومشرقا لأنوار القرآن الكريم (فيه آيات بينات) بدلائلها الجليلة على منزلته السامية في الشرف وكرامته عند الله (مقام ابراهيم) وهو وما يذكر بعده بدل تفصيلي من الآيات المذكورة . فإن مقام ابراهيم من آيات البيت الباهرة الخالدة وهو الصخرة التي قام عليها ابراهيم الخليل فأثرت فيها قدماء الشرفقات تأثيراً بيناً كما تؤثر في الطين الرطب وهذه الصخرة وذلك الأثر محفوظا الى الآن على رغم القرون المتطاولة وتتابع الحوادث وتقلب الأحوال وفي ذلك ايضا آية كبيرة . وقد تقدم شيء من الكلام على المقام في الآية التاسعة عشر بعد المائة من سورة البقرة (١) (ومن دخله كان آمناً) أي من دخل بلده

(١) هذا ولصاحب النار في الجزء الرابع من تفسيره صفحة ١٣ كلام لم يسمح فيه بأن يكون الأثر في الصخرة أثر لقدمي ابراهيم في الصخر على خلاف العادة بل نسب ذلك الى اعتقاد العرب وشعر أبي طالب في لاميته المعروفة

وموطأ ابراهيم في الصخر وطنة على قدميه حافياً غير ناعل

والمعروف سباعا ووادة هو « رطينة » بالواو كما في النسخ المعتمدة ومنها المكتوبة على نسخة كتبها عفيف بن أسعد في المحرم سنة ثمانين وثلاثمائة من نسخة كتبها الشيخ ابو الفتح عثمان بن جني -

وحرمة المعروف . والجملة من اقسام البدل التفصيلي من الآيات معطوفة على مقام ابراهيم أي وآمن من دخل فيه . ولعل «من» جيء بها لتغليب من يعقل على ما لا يعقل . وفي الآيات ظاهرة . فإن العرب على فوضويتهم ووحشيتهم وتهورهم في العدوان والنخوة الجاهلية وغلظتهم في ذلك بحيث لا يمنهم من ذلك ولا يردعهم شريعة ولا وازع رוחي ولا سيطرة ولا استقامة اخلاق قد كانوا خاضعين لاحترام من دخل الحرم منقادة نفوسهم لذلك في القرون العديدة في تلاطم امواج الجاهلية . فضلاً عن الاسلام . وليس ذلك من طبع التربة والهواء ولا بنحو الجبر السالب للاختيار . بل لأن العناية الإلهية ألهمت الناس اكراماً للبيت الحرام أن يحترموا الحرم ومن فيه . نعم وقع التمرد من جيش يزيد والحجاج ولعل الحكمة في ذلك ان يعرف الناس ان هذا الاحترام ليس من قسر الطبيعة والالغاء وإنما هو توفيق من الله شمل المشركين ولم يشمل من تمرد على الله وحاده وعاداه . وفي الصحيح او الحسن كالصحيح عن الحلبي عن الصادق (ع) قال سألت عن قول الله ومن دخله كان آمناً قال (ع) إذا حدث العبد جنابة في غير الحرم ثم فر إلى الحرم لم ينسب لأحد أن يأخذه من الحرم ولكن يمنع من السوق ولا يبيع ولا يطعم ولا يسقى ولا يكلم فإذا فعل ذلك يوشك أن يخرج فيأخذ وإذا جنى في الحرم جنابة أقيم

— وعارضه بها وقرأها عليه كما هو مكتوب فيها برواية أبي هفان المهزومي للقصيدة عن عمه خالد بن حرب عن عبد الله بن العباس بن الحسين بن عبيد الله بن العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام وبدل «وطنة» بقوله «رطبة» ليستنتج من ذلك ان الصخرة كانت عندما وطأ عليها طينة رطبة لم تتحجر ثم تحجرت . مع ان الشعر المذكور لو كان على ما ذكره لما دل على انها كانت رطبة لم تتحجر بل الظاهر منه انه وطأ الصخرة حال كونها رطبة عند الوطء وهي صخرة إذ صارت كذلك كرامة لابراهيم وتحليداً لذكره بالمعجز كما ينحوه ابو طالب في شعره . فإن «رطبة» بمقتضى تبديله لوصفت وصح التأنيث فيها إنما هي حال من الصخر ووصف له لا حال من طين قبل استحجاره المحتاج إلى ألوف من السنين . ويا للعجب كيف لم يلتفت إلى ان الحال من «الصخر» لا يصح تأنيثه والطنطاري مع وضعه المشاهد في تفسيره لم يزد هنا على قوله «أي الحجر الذي كان يقوم عليه عند بناء البيت» فلماذا لم يبين محل «مقام ابراهيم» في الآية من الاعراب وبأي وجه صار بدلاً مبيناً لقوله تعالى ((فيه آيات بينات)) أفلم يسمع من التاريخ والحديث وشعر أبي طالب المشهور بآية الأثر لقدمي ابراهيم في الصخرة التي هي مقام ابراهيم . أم صرنا

ككتاركة بيضها بالراء وملحفة ييض أخرى جناحا

وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ اِلَيْهِ سَبِيْلًا

عليه الحد لأنه لم يرفع للحرم حرمةً : ونحوها معتبرة حفص . ورواية علي بن ابي حمزة عنه (ع) في السارق والجاني ونحوها صحيحة معاوية بن عمار عنه (ع) في القاتل . وفيها ولا بأوي : وفي الدر المنثور ان جماعة اخرجوا من طرق سعيد وطاوس ومجاهد وعكرمة وعطاء عن ابن عباس في الآية مثل ذلك . ولا ينافي ذلك ما روي من طرق الفريقين من انه أمن من سخط الله . أو في الآخرة . أو من النار . فإن ذلك يكون بياناً لبعض المصاديق المندرجة في عموم الأمن . وبمقتضى الروايات المتقدمة قل علماء الإمامية من دون خلاف يعرف . وابو حنيفة وصاحبه وزفر واللواتي وافقوا الإمامية في قصاص النفس واحتجوا بالآية ويرد عليهم ان الأمن فيها مطلق فإذا قدم على دليل القصاص قدم على سائر أدلة القصاص والحدود لذلك الوجه حتى لو حملنا الخبر في الآية على الأمر مع ان الآية لا تحمل على ذلك ولا يتوقف عليه . بل الآية تدل على جعل الأمن بنحو وضعي عام . وجعله من الله من حيث الشريعة هو اظهر الافراد وأولاهها فإن الذهن لا يذعن بأن الله تبارك اسمه يعبد البيت بأن من آياته ان الناس يحترمونه بألهام . وتوفيق منه وهو جل شأنه لا يشرع احترامه في حقوقهم وحقوقه نعم ان الجاني في الحرم قد هتك حرمة فيؤخذ بجنايته في ذلك لقوله تعالى في سورة البقرة ١٨٧ ولا تقتلواهم عند المسجد الحرام حتى يقتلواكم فيه ١٩٠ والحرمات قصاص . . وايضا ان طعام العرب نوعاً مما يصطادونه من احناش الأرض وحيواناتها ولهم في الصيد ولع وعادة ومع ذلك يحترمون صيد الحرم ومكة . ومن المستفيض نقله ان الحيوانات لا يقتل بعضها بعضها فيه . ولا تصطاد الكلاب والسباع فيه : ومن آيات البيت ما استفاض نقله من ان الطير لا يملو عليه في طيرانه بل يحيد عنه يمينا او شمالا (والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) قوله تعالى « والله على الناس » الآية جملة مستأنفة فلا يندرج في جملة الآيات الينيات للبيت . والحج بالكسرو عن سبويه انه مصدر وقيل اسم مصدر ومعناه في اللغة القصد بالسفر وغلب على القصد بالسفر الى مكة لنسك الحج المعروف او نقل الى نفس المناسك المخصوصة . ومن استطاع بدل من الناس . والتقيد هنا بالاستطاعة يعرف منه انها غير الاستطاعة العقلية التي هي شرط في كل تكليف . إذن فهي الاستطاعة العرفية . وذكر في الدر المنثور عن جماعة كثيرين منهم الشافعي والترمذي

وَمَنْ كَفَرَ

وابن ماجة والحاكم قد اخرجوا بأسانيد متعددة عن علي (ع) وابن مسعود وجابر وعائشة وأنس وابن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص ابن النبي (ص) سئل عن السبيل في الآية فقال الزاد والراحلة . ومثله عن عمر وابن عباس . وفي رواية عن ابن عباس ان يصح بدن العبد ويكون له ثمن زاد وراحلة من غير ان يحجف به . وقد خالف في ذلك مالك فيمن يقدر على المشي ويمكنه الاكتساب في مسيره ولو بالسؤال . والمروي من طرق الإمامية عن الباقر والصادق والرضا عليهم السلام كما أحصاه في الوسائل في تفسير الاستطاعة في الآية بحسب السؤال وما يقتضيه المقام من البيان . بأن يكون له ما يحجج به ومن عرض عليه فاستحسب فهو ممن يستطيع . وبأن من كان صحيحا في بدنه مخلى في سر به له زاد وراحلة فهو ممن يستطيع . وبالزاد والراحلة مع الصحة وبالصحة في بدنه والقدرة في ماله . وبالقوة في البدن والبسار في المال . هذا والظاهر عدم الخلاف عندنا في ان من الاستطاعة أن يكون له ما يمول به عياله في طعامهم وكسوتهم واسكانهم وما يحتاجون اليه في معيشتهم الى رجوعه . وفي التبيان وهو « أي السبيل » عندنا وجود الزاد والراحلة ونفقة من تلزمه نفقته والرجوع الى كفاية عند العود اما من مال او ضياع او عقار أو حرفة مع الصحة والسلامة انتهى والظاهر دخول ذلك في الاستطاعة العرفية . وروى المفيد في المقنعة عن ابي الربيع الشامي عن الصادق (ع) في الآية فقال ما يقول الناس فقبل الزاد والراحلة فقال سئل ابو جعفر (ع) عن هذا فقال هلك الناس اذن لئن كان من له زاد وراحلة لا يملك غيرها او مقدار ذلك مما يقوت به عياله ويستغني به عن الناس فقد وجب عليه أن يحجج بذلك ثم يرجع فيسأل الناس بكفه لقد هلك اذن فقيل له فما السبيل عندك قال (ع) السعة في المال وهو ان يكون معه ما يحجج ببعضه ويبقى بعض يقوت به نفسه وعياله . ورواه في الكافي والتهذيب والفتية والعلل بنحو من ذلك والرواية معتبرة في نفسها خصوصا اذا كان ابن محبوب من اصحاب الاجماع ومعتزدة بعمل الشيخين وجماعة من القدماء بها . وروى الصدوق في الخصال بأسناد عن الأعمش عن الصادق (ع) قال : وحج البيت واجب على من استطاع اليه سبيلا وهو الزاد والراحلة مع صحة البدن وان يكون للانسان ما يخلفه على عياله وما يرجع اليه بعد حجه : فما ذكر في التبيان هو الأقوى والظاهر من الاستطاعة . وتام الكلام في الحج موكول الى كتب الفقه كما أوكل القرآن امره الى السنة (ومن كفر) لا يخفى ان مفاد الآية هو

فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ * (٩٤) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ
 اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ * (٩٥) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنِ
 سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ

التوبيخ لمن يترك الحج مع استطاعته والمسلمون من المؤمنين بل هم اظهر الافراد في هذا التوبيخ
 فيكون الكفر كناية عن شدة العصيان بترك الحج وتغليظا على تاركه في تضديعهم لهذه
 الفريضة العظيمة الاثر في الدين والا سلام وان المسلم المضيع للحج ليس بكافر حقيقة ولا تجري
 عليه احكام الكافر حتى بعد موته بل تجري عليه احكام المسلم باجماع المسلمين . وفي التهذيب
 في الصحيح عن معاوية بن عمار عن الصادق (ع) في حديث ومن كفر يعني من ترك . وفي
 الفقيه عن الصادق عن آبائه عليهم السلام في وصية النبي (ص) لابي (ع) كفر بالله العظيم من
 هذه الامة عشرة وعده تسعة من اصحاب الكبائر كالنمام والزاني والعاهر من وجد سعة فمات
 ولم يحج . وروى ذريع المحاربي في الصحيح كما في الكافي والمقنعة والتهذيب والمحاسن والفقيه
 وعقاب الأعمال والمعتبر عن الصادق (ع) ان من استطاع ولم يحج حتى مات فلبست يهوديا
 او نصرانيا . وفي رواية الشيخ ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا . ومثلا رواية الدر المنثور مما
 أخرجه سعيد بن منصور واحد في كتاب الايمان وابو يعلى والبيهقي عن ابي امامة عن رسول
 الله (ص) ، وما أخرجه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب وابن مردويه عن
 علي امير المؤمنين (ع) عن رسول الله (ص) . وما أخرجه سعيد بن منصور وابن أبي شيبة من
 قول عمر بن الخطاب . وان عبارة الرواية « فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا » لتدل
 بسوقها على انها لتغليظ في سوء العاقبة وخسران التارك إذ فاته ما للحج من الفضل والالطف على
 العباد بتعريضهم لثواب هذه الطاعة واقامة هذه الشاغل الدينية التي يعود نفعها الى الناس لفقرهم
 وحاجتهم الى ذلك ومن عصى وترك عاد الضرر والخسران عليه (فإن الله غني عن العالمين)
 بأجمعهم لا تزيد في ما كره طاعة المطيعين ولا تنقص منه معصية العصاة (٩٤ قل يا أهل الكتاب
 لم تكفرون بآيات الله) ومن جعلها ماجاء به رسول الله وقرآنه المجيد وما في البيت الحرام من
 الآيات البينات (والله شهيد على ما تعملون) لا يغيب عنه شيء ولا تخفى عليه خافية (٩٥ قل
 يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن) روى الواحد في أسباب النزول

تَبْغُونَهَا عَوْجًا

والسيوطي في الدر المنثور عن زيد بن اسلم ان الآية نزلت في شاس بن قيس اليهودي لما أمر يهوديا أن يجلس مع الأوس والخزرج ويهيج الأضغان فيما بينهم ويدكرهم الحروب التي دارت فمما بينهم من يوم بقات وما قبله : ويدفع ذلك مع وهن السند ان ذلك ليس صدأً عن سبيل الله وإنما يناسبه التوبيخ على القاح الفتنة وتهيج الشر بين الناس . فالآية للكرامة على رسلها في توبيخ اهل الكتاب على دأبهم في التصدي لاضلال الناس وصددهم عن الإسلام بأنواع الوسائل . والسبيل كالطريق يذكر ويؤنث والأكثر في القرآن تذكيره . وجاء مؤنثا في سورة يوسف « ١٠٨ قل هذي سبيلي » وفي هذه الآية (تبغونها) أي السبيل قال في التبيان ومعناه تطلبون لها عوجاً . ونحوه في الكشف . وحكاة الرازي في تفسيره عن ابن الأنباري وانه مثل وهبتك درهما أي وهبت لك . وصدتك ظلياً أي صدت لك وأنشد :

فتولى غلامهم ثم نادى اظلياً اصيدكم أم حماراً

وفي النهاية في الحديث ابغني احجاراً استطيب بها يقال ابغني كذا بهمة الوصل أي اطلب لي وابغوني حديدة استطيب بها . وفي لسان العرب قال واقد بن الغطريف كما في ديوان الحماسة وغيره :

لئن لبن المعزى بماء مويسل بغاني داءً إنني لسقيم

وقال الأعشى :

حتى إذا ذرّ قرن الشمس صبّحها ذوال نبران بغني قومه المِتَمّا

أي يغني لصحبه الزاد . وفي الصحاح « لينفيه خيراً وليس بفاعل » أي لينفي له (عوجاً) مفعول لتبغونها ومثله في سور الاعراف ٨٤ و٤٣ وهود ٢٢ وابراهيم ٣ وفي مجمع للبيان في سورة الاعراف ويجوز ان يكون منصوباً على المصدر نحو رجع القهقرى واشتمل المصنف . ويدفعه ان المروج ليس من معنى يبغون ولا يدانه فلا يكون مثل هذين المثالين . والمصدر لا ينصب على المصدرية إلا بما مل من لفظه او معناه . وذكر الرازي وجهاً آخر وهو ان يكون عوجاً في موضع الحال والمعنى تبغونها ضالين يعني حال كونكم معوجين . ويدفعه ان لا قرينة ولا حاجة الى تأويل عوجاً بموجين مضافاً الى ان الآية معناها الانكار على اضلالهم لا ضلالهم وقد

وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * (٩٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ * (٩٧) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ

فسرها بأنهم كانوا يمتثلون لإلقاء الشبه بأنواع الحيل فلا موقع للتفسير بكونهم يطلبون سبيل الله حال كونهم ضالين والآية تقول يصدئون عن سبيل الله فانظر فيها الى آخرها وتدبرها: وفي النهاية العوج بالكسر فيما ليس بمبرئي كالرأي والقول . وفي المصباح العوج بالكسر في المعاني واستشهد بكلام أبي زيد . وفي مجمع البيان في سورة الأعراف ٨٤ العوج بالكسر في الدين وكل ما لا يرى . أقول وكان القائل بذلك لم يقرء قوله تعالى في سورة طه « ١٠٥ ويسألونك عن الجبال قل ينسفها ربي نسفا ١٠٦ فيذرهما قاعا صافصفا لا ترى فيها عوجا ولا امنا » والمعنى يطلبون يا أهل الكتاب بصدكم عن سبيل الله بتزويركم ومخادعتكم وتحريفكم وكتبتكم لما في كتبكم أن تجعلوا سبيل الله عوجاء يطلبون لها العوج وهي الصراط المستقيم بينة الحجج نيرة الأعلام واضحة الدلالة ساطعة البرهان (وأنتم شهداء) على بشرى كتبكم برسول الله وقرآنه ودينه . أو أنتم شاهدون لدلالة المعجز والآيات البينات على رسول الله ووحى قرآنه وحقيقة دينه القيم (وما الله بغافل عما تعملون) من الصد عن سبيل الله ومحاوله الاضلال والله لا يفوته شيء وهو شديد الانتقام (٩٦ يا ايها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب) باعتبار إيتاء الكتاب الحقيقي لأسلافهم قبل تحريفه . والفريق هم المتصدون للاضلال والاعواء والصد عن سبيل الله وتنقادوا لاضلالهم بالاتباع الأعمى (يردوكم) باغوائهم واضلالهم (بعد إيمانكم كافرين ٩٧ وكيف تكفرون) وقد غمرتكم الألفاف ووضحت لكم الحجج (وأنتم تلى عليكم آيات الله) وفيها الهدى والرشاد (وفيكم رسوله) وهو نور الهدى والصلاح ومنار الحجة وإمام الاصلاح . وباب الله ووسيلته لخلق (ومن يعتصم بالله) العصمة هو المنع والحفظ مما يحذر . والعاصم هو الحافظ المانع بتسبيبه أو فعله . والمعتصم هو الملجئ الى العاصم واللائذ به ليمنمه ويحفظه مما لا ذ والتجأ حذراً منه . وتختلف وجوه الحذر ومحققاته باعتبار شأن المعتصم به ووجه الحذر . فالاعتصام بالله في هذا المقام هو التجاء العبد

فَقَدْ هَدَيْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ (٩٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ

وانقطاعه اليه ليمنعه ويحفظه بهداه وتوفيقه من محاذير الضلال واتباع الهوى والنفس الأمارة وموبقات المعاصي والأخلاق الذميمة ، ومهالك غضب الله ، وحرمان لطفه وتوفيقه ورضاه والمحقق لهذا الاعتصام بعد مخالفة الهوى والنفس الأمارة هو اتباع دلالة العقل والفطرة وما جاءت به رسل الله في معرفته مع النظر في آياته واتباع مدلولها والإيمان برسائه وكتبه . وفي حال الخطأ هو الإيمان بخاتم النبيين وقرآنه واتباعهما فيما جاء به وبلغه رسول الله حق الاتباع ومن جرى على هذا الاعتصام (فقد هدي الى صراط مستقيم) وان هذا الاعتصام لصراط مستقيم يؤهل العبد الى توفيق الله له لسلوك الصراط المستقيم (٩٨ يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله) أي اتقوا غضبه وما يخاف منه بطاعتكم له (حق تقاته) جاء في سورة البقرة ١١٥ يتلونه حق تلاوته . والأأنعام ٩١ والحج ٧٣ والزمر ٦٧ ما قدروا الله حق قدره . والحج ٧٧ جاهدوا في الله حق جهاده . والحديد ٢٧ فما رعوها حق رعايتها . فالمعنى ما يحق ويليق بجلاله من تقاته ويكون نصب « حق » على النية عن المفعول المطلق المضاف اليه لأنه من صفاته . وفي تفسير البرهان عن معاني الاخبار ومحاسن البرقي في الصحيح عن الصادق (ع) يطاع فلا يعصى ، وبذكر فلا ينسى ، وبشكر فلا يكفر ، ونحوه عن ابن شهر آشوب عن تفسير وكيع عن علي (ع) وفي الدر المنثور ذكر جماعة اخرجوه منهم الحاكم وصححه عن ابن مسعود . واخرجه الحاكم ايضا وصححه عن ابن مسعود قال قال رسول الله (ص) ان يطاع فلا يعصى وبذكر فلا ينسى ، ومن المعلوم ان الله لا يكلف العبد في مفردات التكليف بما لا يقدر عليه ولا يجمع عليه منها ما هو فوق ما يقدر عليه ولا يستطيع الاتيان بجميعه . اذن فحق تقاة العبد لله أن يتقيه في جميع ما ألزمه به أو كما ذكرت الروايات المتقدمة . وان التكليف الذي هو لطف بالعباد لتكميلهم لا يتنازل عن هذا المقدار والالزام لا يتساهل فيه . نعم قد يقتضي اللطف والتيسير أو عدم القدرة والاستطاعة من اول الأمر أن لا يكلف ببعض الأفعال أو التروك وإن كانت من سنخ الواجبات . وعليه لا يكون الارتكاب لها بما ينبغي أن يتقى الله ويخاف من أجله . وعن قتادة والسدي والربيع ان قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته منسوخ بقوله تعالى في سورة التغابن ١٦ « فاتقوا الله ما استطعتم » كما ذكر روايته في الدر المنثور عن قتادة والربيع . وذكر

وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ * (٩٩) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا

ايضا من اخرج رواية ذلك عن ابن عباس وابن مسعود . كما ذكر من اخرج عن ابن عباس انها لم تنسخ . وفي النبيان في النسخ قوله وهو المروي عنها . وفي مجمع البيان وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وعن أبي عبد الله (ع) . أقول ولم أجد الرواية عن الباقر (ع) نعم عن العياشي عن أبي بصير عن أبي عبد الله (ع) انها منسوخة بقوله تعالى واتقوا الله ما استطعتم . والعياشي لم يذكر الوسطة بينه وبين أبي بصير . والمعروف عن العياشي انه يعتمد على الضعفاء وعلى كل حال لا بد من طرح الرواية او تأويل النسخ فيها بنزول المفسر الذي يرفع ما يترجمه البعض بالنظر السطحي من ان حق الثقة المكاف به ما فوق الاستطاعة . والعجب من الشيخ حيث أشار في تبيانه الى الرواية في مقام النسخ وهو العارف بحقيقة النسخ واشترط القدرة والاستطاعة في التكليف وتنزيل الاستطاعة في آية التغابن على الاستطاعة العرفية مع انه مخالف لسوق الآية يوجب التهاون بأمر التقوى (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) يمكن أن يراد بالإسلام هنا حق الثقة وهو الدخول في سلم الله بالطاعة وعدم المحادة له بالمعصية دائما . وهو أمر يمكن أن لا يتصف به المؤمن بالله والرسول ويوم القيامة فالمراد من الآية دوام الانصاف بهذه الصفة الكريمة حتى الموت وان لا يموتوا إلا وهذه صفتهم الدائمة وسجيتهم المستمرة ومن ذلك طاعة الرسول ومن أمر الرسول بطاعته وموالاته والنمسك به كما اشارت اليه رواية البرهان عن العياشي عن الحسين ابن خاندن عن الكاظم (ع) . ويمكن أن يكون المراد من الإسلام ما يخالف الكفر ويساوق الايمان في المعنى فيكون المراد هو الاتصاف بهذه الصفة حتى الموت . والأول اظهر بحسب السوق والأمر بالتقوى حق الثقة . والثاني أنسب بالمعنى المتداول للإسلام ويمكن توجيه التناسب فيه بكون المعنى لازموا التقوى حق الثقة ليندحر عنكم الشيطان ولا تعصوا الله فيطمع فيكم الشيطان ويصرفكم عن الايمان ولو عند الموت . وفي هذا التخريج نوع تكلف (٩٩ واعتصموا) من السقوط (بحبل الله جميعا) أي حال كونكم مجتمعين على الاعتصام بحبل الله وما جعله الله سببا عاصما من سقوط الضلال ووباله . وقد دلنا رسول الله (ص) على ما هو من مصاديق هذا السبب والحبل الذي لا يضل من تمسك به بقوله (ص) في حديث الثقلين « ما إن تمسكتن بهما لن تضلوا — كتاب الله وعزتي اهل بيتي » واستعير لفظ الحبل في

وَلَا تَفْرُقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * (١٠٠) وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

الآية للإشارة الى ان عدم الاعتصام به يوجب السقوط في مهواة الضلال والهلكة (ولا تفرقوا) عن حب الله والاعتصام به (واذكروا نعمة الله عليكم) أي ولتكن نعمة الله المذكورة على ذكركم دائما فإن لكم فيها موعظة وعبرة تدعوكم الى الاجتماع على الاعتصام بحبل الله وتزجركم عن التفرق عنه . وذلك (إذ كنتم) في جاهليتكم (أعداء) بحسب قبائلكم بل والكثير من آحادكم (فألف) الله بركة الاسلام والرسول (بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته) عليكم بهذا التآليف (اخوانا) كمادة الاخوان الاشقاء في كونكم يسدا واحدة بقلوب مؤتلفة (وكنتم) في شركم وعدوانكم واعمالكم الجاهلية (على شفا حفرة من النار) أي طرف الحفرة وحافتها مشرفين على السقوط فيها ما بينكم وبينه إلا الموت وهو قريب منكم (فأنقذكم) وانجأكم (منها) في الكافي عن الصادق (ع) فأنقذكم منها بمحمد (ص) ونحوه عن العياشي عن الصادق (ع) ايضا ونحوه ما في الدر المنثور عن الطستي عن ابن عباس وهو تفسير جلي (كذلك يبين الله لكم آياته) ومنها التآليف بين قلوبكم بعد تلك العداوات الشديدة والأحقاد المتوغلّة في قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ومنها انقاذكم من تلك الضلالات المشرقة بكم على الخلود في درك الجحيم يبينها لكم (لعلمكم) تنبهون و) تهتدون . . ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر (اللام للأمر و« منكم » للتبويض فالوجوب كفائي منوط بحصول الغرض كما في التبيان . والحكم في الآية كسائر التكاليف اطف عام لجميع الناس وإن كان الخطاب متوجها الى المسلمين لأنهم حينئذ هم المصفون الى خطاب الوحي والمتلقون لشرائعه بترحيب الايمان . وفي التبيان وقبل « من » لتخصيص المخاطبين من بين سائر الأجناس مثلاً في قوله تعالى واجتنبوا الرجس من الأوثان . اقول يعني ان « من » تفيد هنا ما يسمى في الاصطلاح بالتجريد نحو رأيت منك أسداً وليكن لي منك صديق ، و كقول الزعيم لأصحابه لينهض منكم جيش وليتظم منكم صفوف إذا أراد نوضهم وانتظامهم بأجمعهم أي كونوا جميعاً

أمة يدعون الآية « ويدفعه أولا » ان هذا خلاف الظاهر والتداول من لفظ « من » وليس في المقام قرينة تصرفها من التبعية اليه وبما يشهد للتبعية او يدل عليه معتبرة مسعدة بن صدقة المروية في الكافي والحاصل والتهديب وفيها ان الصادق (ع) استشهد للتبعية بالآية - وثانيا - ان هذا المعنى يصرف وجه الكلام عن الأمر لبعض المسلمين بالمعروف ونهيهم عن المنكر مع حاجتهم الى اللطف بهذا الإصلاح . بل يكون وجهه هو أمرهم ونهيهم لغيرهم . وهذا مما ياباه عموم لطف الآية ومجد إصلاحها وكرامة شريعتها . فالظاهر إذن من لفظ « من » وسوق الآية هو التبعية . ولذكر الأمة جنتان - الأولى - بيان ان هذا المقام توصلي يراد منه حصول الغرض بمن يحصله وليس بتعدي واجب على كل احد على كل حال بل قد يسقط الوجوب عن كثير من الناس لعدم تأثيرهم او غير ذلك مما ذكر في شروطه - الثانية - الاشارة الى ان هذا المقام يحتاج غالبا في تأثيره الى التعاضد والتعاون واذا ترك المتصدية وحده اوشك أن تحول وحدته دون نهوضه ودون التأثير فيجب تحصيل الأثر بالمعونة والاجتماع « والخير » معروف وهو ما هدى اليه العقل السليم أو دل على فضيلته الشرع . وقد تكفل الدين الحنيف والشرع الشريف ، والقرآن الكريم بالدلالة على كل خير كالإسلام والإيمان والمعارف الدينية . وكرامة الطاعة واتباع الحق والعدل والتزين بالأخلاق الفاضلة ، واسباب التكميل والتهديب وترويض النفس والسعادة ، وفضيلة العلم ، ونظام الاجتماع ، والمدينة ، والصالح والإصلاح ، وانك إذا تبعت القرآن الكريم والسنة الشريفة تجدد الدعوة الى ذلك والأمر بها جارية على أحسن نهج وأعم وأنفع ، وأوضحه وأوفق بالحكمة . و« المعروف » هو ما يعرف العقلاء والمتشرعة برجحانه في حسنه من دلالة العقل او الشرع ، و« المنكر » ما أنكره واستبشعه العقلاء والمتشرعة لدلالة العقل أو الشرع على رداءته . وفي الكافي والتهديب مسنداً عن الباقر (ع) في حديث ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصالحاء فريضته عظيمة بها تقام الفرائض وتؤمن المذاهب وتحل المكاسب وترد المظالم وتعمر الأرض ويتنصف من الأعداء ويستقيم الأمر بالحديث . وقد شدد الإنذار في السنة والتكبير على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وهدد بعقاب الدنيا وباله قبل الآخرة . فمن ذلك ما روي في الكافي وعقاب الأعمال والتهديب مسنداً عن الرضا (ع) كان رسول الله (ص) يقول إذا أمتي تواكلت الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر فليأذنوا بوقاع من الله (١) وذكر في كنز العمال من اخرج نحو معناه عن حذيفة وابي بكره وجريز عن رسول الله (ص) وعن الرضا (ع) ايضا لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر او ليستعملن الله عليكم شراركم (٢) فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم (٣) وذكر في كنز العمال من اخرج هذا المعنى ونحوه عن ابن مسعود وحذيفة وابي هريرة وعائشة عن رسول الله (ص). وقد جمع في الوسائل وكنز العمال في باب الأمر بالمعروف جملة من الأحاديث فلتراجع . وفي المقام مسائل — الأولى — انه وان كان المظاهر بحسب اللغة كون الدعوة والأمر والنهي ما كان باللسان . ولكن المعلوم من مغزى الآية وفحواها ووجه اصلاحها وقرائنها من الشريعة هو ان المراد ما يكون باعثا على الانقياد لفعل المعروف ورادعا عن المنكر من القول والفعل والوسائل المحصلة لذلك حتى الاجلاء لكن بعض الوسائل للفعلية تحتاج الى الاذن من ولي الأمر سلطان الوقت او من ينوب منابه — الثانية — ذهب للشيخ في التبيان والحلي في السرائر وحكي عن المرتضى والحلي والقاضي والطوسي في التجريد والعلامة وكثير من غيرهم ونقلت حكاية الشيخ له عن جماعة انها يجبان على الكفاية بمعنى انها يجبان على كل مكاف لم يفقد شرط الوجوب لكنهما يسقطان بقيام من به الكفاية او نهوضه لها مع المراعاة بمحصل الغرض . وهذا هو المفهوم من المقام وامثاله مما يكون التكليف فيه لغرض يتعلق بغير المكاف . وهو الظاهر من الآية ورواية مسعدة المشار اليها . وفي نهاية الشيخ والوسيلة وحكي عن بعض المتأخرين انها من فروض الأعيان وذكر في المختلف احتجاج الشيخ له بالآية وبعض الروايات الواردة في الباب « ويدفعه » ان الآية ظاهرة في فرض الكفاية والروايات لا تنافي ذلك . هذا واذا احتاج الواجب الى تعاون جماعة وجب على كل مكلف به أن يبا نفسه للانضمام الى من يعاونه بل ويدعو الى ذلك — الثالث — يشترط في وجوبها جواز التأثير .

(١) وقاع كوقائع جمع واقعة وهي النازلة الشديدة . ويحتمل أن تكون مصدر واقم بمعنى

حارب كحارب بمعنى المحاربة

(٢) أي لا يحول بلفظه دون استيلائه عليكم بل يخذلكم ويترك أسرهم لمجرى الأسباب العادية والمقادير فكفى عن ذلك بالاستعمال للطفه بجلت آلاؤه من الأثر في صد الأسباب عن مجاريها (٣) سموا خيارا بظاهر الحال فإنهم عصاة بتضييعهم لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر ولذا لا يستجاب دعاؤهم

وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * (١٠١) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ
بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٢) يَوْمَ تَبْيَضُّ
وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ

وحكي على ذلك الاجاع بل يدل عليه العلم بأن وجوبها إنما هو لتحصيل الانتار والانتهاه .
وعلى ذلك لا يجبان إلا أن يحوز اصرار المأمور على ترك المعروف والمنهي على فعل المنكر . بل
ربما يصادف ذلك اهانة التائب وهي مفسدة . ومع الشك فالأصل عدم الوجوب خصوصاً مع
احتمال المفسدة المذكورة ولزوم الاحتراز عن الإهانة للغير إلا بحق ومن أجل ذلك يتوقف
الأمر والمنهي على معرفة المعروف او المنكر فإن كان الجهل من حيث الشرع وجب التعلم
بوجوب تعلم الأحكام الشرعية وإن كان من حيث الاشتباه الخارجي فالأصل البراءة مع
لزوم الاحتراز عن اهانة الغير إلا بحق — الرابعة — أن لا تكون فيها مفسدة من نحو
ما تقدم أو ضرر يرجع الحذر منه على مصلحتها بحسب المورد الخاص . والتفصيل موكول الى
كتب الفقه (وأولئك) الواو للاستئناف والمشار اليهم هم الذين يدعون الى الخير وبأمرون
بالعروف وينهون عن المنكر على النحو المطلوب (هم المفلحون ١٠١ ولا تكونوا كالذين تفرقوا)
عما يجب فيه الاجتماع مما فيه الصلاح والفلاح (واختلفوا) بحسب اهوائهم (من بعد ما جاءتهم
البيّنات) الواضحات من أدلة الحق فتولوا عنها بضلال اهوائهم (وأولئك لهم عذاب عظيم)
والواو يحتمل أن تكون للاستئناف ويحتمل أن تكون عاطفة على أولئك هم المفلحون . وفي
العطف مناسبة المقابلة والتقسيم في النظم (١٠٢ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) في التبيان
ما ملخصه ان العامل في «يوم» عظيم — ويجوز أن نعمل فيه الجملة في معنى يذبون يوم . وتبعه
على كلامه بحروفه في مجمع البيان . وفي الكشف نصب « أي يوم على الظرفية » بالظرف وهو
« لهم » او باضمار « اذكر » أي على انه مفعول لا ظرف وتبعه على ذلك الرازي في تفسيره .
ولكن ارتباط الآيات في النظم وذكر ابيضاض الوجوه واسودادها على ترتيب الفلاح والعذاب
في الآيتين المتقدمتين يناسبها ان يكون « يوم » ظرفاً لفلاح المفلحين وعاقبة المتفرقين .
وقبل ان ابيضاض الوجوه كناية عن رونق بشرها واسودادها كناية عن حالة خزيها نحو قوله
تعالى في سورة النحل « ٦٠ وإذا لبسوا احدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم » وهذا

فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٣) وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَيُحْيِي رَحْمَةُ اللَّهِ لَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٤) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلَّهِ لَمِينَ (١٠٥) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (١٠٦) كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

القول كما في مجمع البيان عدول عن حقيقة اللفظ بلا ضرورة . بل يكون البياض بحقيقته وسنا نوره سياء تكريم وبشرى للصالحين المقربين ويكون السواد باظلامه وتشويهه وسم خزي ونكال لا أولئك البعداء (فأما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) في التبيان ومجمع البيان والكشاف وتفسير الرازي ان جواب «اما» محذوف تقديره فيقال لهم اكفرتم . اقول ويقرب عندي أن يكون الجواب من نحو فهم في عذاب أليم ونقمة من غضب الله كما يدل عليه قوله تعالى فذوقوا العذاب ويناسبه قوله تعالى في الآية الاخرى « فني رحمة الله هم فيها خالدون » ومن نحو هذا الحذف في القرآن الكريم كثير وفائدته النهويل بالجواب ليقدره السامع بكل نحو يشعر به المقام من الهول . وهو باب واسع في البلاغة قد ذكرنا شيئاً من شواهد في الآية الثامنة والعشرين من سورة البقرة . ثم خطبوا بنحو الالتفات في التوبيخ والتفريع بقوله تعالى « اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بسبب ما كنتم تكفرون (١٠٣) واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون » وكفى بذلك في رفعة النعيم وسعادته (١٠٤) أي ما قدمناه من آيات المواعظ والحجج والارشاد والنعيم والعقاب (آيات الله نتلوها عليك بالحق) الثابت من مضامينها ومنه الوعيد والعقاب فإنه على الحق والعدل واستحقاق المجرم لارتكابه ما ارشده الله الى تركه أو تركه لما ارشده الله الى فعله بأنواع الارشاد والترغيب والتنفير . فإن الله يريد للانسان صلاحه وسعادته بالاستقامة والطهارة الاختيارية (وما الله يريد ظلماً للعالمين . ١٠٥) والله ما في السماوات وما في الارض والى الله ترجع الامور) لأنه إله العالم ومديره وخالقه وكل ما عده محتاج اليه في ذاته وأموره فكل أمر من شئون العالم يرجع اليه . وكرر اسم الجلالة للإيماء الى وجه رجوع الامور اليه لما في اسمه المقدس من معنى الإلهية والسلطان العام (١٠٦) كنتم خير أمة (الأمة الجماعة ويقال

أَخْرَجَتْ لِأَسْرٍ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

للمسلمين أمة محمد (ص) باعتبار انهم جاءته الذين آمنوا به (أخرجت الناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) وللإسلام في الآية مقامان — الأول — ان المترائي من الآية ان « كان » ناقصة تدل على ان مضمون خبرها قد كان في الزمان الماضي وانقضى وانقطع . ومن أجل ذلك ذكر في الدر المنثور عشرة أكثرهم من اهل الصحة عندهم منهم الحاكم في مستدر كه اخرجوا عن ابن عباس في ذلك انه قال : هم الذين هاجروا مع رسول الله الى المدينة . واخرج بعضهم عن عمر قال تكون لأولنا ولا تكون لآخرنا . وعن عمر ايضا لو شاء الله لقال أنتم فكنا كلنا ولكن قال كنتم في خاصة اصحاب محمد (ص) ومن صنع مثل صنيعهم كانوا خير أمة اخرجت للناس . وفي حقائق التنزيل وروى عن الحسن « أي البصري » ان ذلك اشارة الى الصحابة دون من بعدهم ممن تغيرت حاله ، واختلفت اوصافه . وفيه ايضاروي عن الحسن انه كان يقول هكذا والله كانوا مرة وبعض المسلمين كان يقول أعوذ بالله ان أكون كذنباً (١) اقول وهذا كله ينظر الى مفاد كان الناقصة ولكن لم يعط معناها حقه فانها لو كانت في الآية ناقصة لكانت دالة على انقطاع الصفة التي في خبرها وتبدلها وباعتبار كون الخطاب فيها للمسلمين تكون من أشد التوبيخ والتفريع بسوء العاقبة لمن كان موجوداً من المسلمين حين نزول الآية وخطابها وقد كان البارز منهم حينئذ جل الكبار من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار . فكيف يخاطب القرآن هؤلاء الأكابر وغيرهم من الأمة في وقت النزول بما يؤذي الى انهم منسلخون حينئذ من صفات الآية قد انقطعت عنهم بعد ما كانوا حائزين لكرامتها . ولا

(١) يضرب المثل لمن تبدات حاله وصار يفتخر بما مضى وفقده من صفاته ويسمونه كذنباً كذا من أعجزه الهرم فصار يفتخر بأحواله في شبابه ويقول كنت كذا وكنت كذا . وقد مر عليك قول لبيد بن ربيعة :

« قالت غداة انتجينا عند جارتها أنت الذي كنت لولا الشيب والكبر »
وانشدوا :

« فأصبحت كذنباً واصبحت طالماً وشر خصال المرء كنت وطالماً »
أي أقول عند الهرم والعجز كنت كذا وكذا وطالماً كان كذا وطالماً فعلت كذا وكذا . وقد نصب طالماً ورفع على اشتقاقه على سبيل الحكاية اسما من « طالماً »

يقاس المقام بقوله تعالى وكان الله سميعا عليما واشباهه فإن «كان» في هذه الموارد للإشارة إلى أنه كذلك منذ الأزل ومن المعلوم أن صفاته الأزلية أبدية أيضا لا يعتريها انقطاع وانقضاء وهذا المعلوم البديهي يصرف «كان» عن مفادها بخلاف هذه الآية ولا أقل من أنه لا يساق للمدح والتمجيد ما يعطي بظاهره الذم والتقريع (١) فالوجه أن تكون «كان» في الآية تامة كقوله تعالى وإن كان ذو عسرة فنظرة . مأخوذة من الكون المطاوع للتكوين مثل قوله تعالى «كن فيكون» . وخير أمة حال من الضمير وجملة أخرجت صفة للأمة بمعنى أظهرت للناس وأخرجت من العدم أو الخفاء «المقام الثاني» أن كثيرا من الموجودين حال نزول الآية لم يثبتوا على واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وإن الأحوال المذكورة في مقتل عثمان وشؤنه وحربي البصرة وصفين تجعل شطرا وأفيا من كبار المهاجرين والأنصار على غير صفات الآية وإن اعتذر عنهم بالخطأ في الاجتهاد . وقد استفاض عن رسول الله صلى الله عليه وآله أو تواتر أن اقواما من أصحابه في يوم القيامة يحال بينهم وبين رسول الله وورود الخوض وينادي بهم إلى النار فيقول رسول الله أصحابي فيقال أنهم ارتدوا على أعقابهم القهقري وفي حديث أبي هريرة فلا أرى يخلص منهم إلا مثل همل النعم كما رواه بالأسانيد المتعددة والمعاني المتقاربة أحمد في مسنده والبخاري ومسلم وابن ماجه في جوامعهم والحاكم في مستدركه

(١) وحكى السيد في حقائق التأويل عن الذين أرادوا التخلص مما ذكرنا لزومه لمفاد كان الناقصة اقوالا متفرقة . فمن بعض أن كان زائدة واستشهد بقول الشاعر «على كان المسومة الجياد» وقول الآخر «وجيران لنا كانوا كرام» : وعن بعض أن «كان» بمعنى صار . واستشهد بقوله : «قطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها» أي صارت وقال السيد والصحيح في رواية هذا البيت «قد صارت فراخا بيوضها» أقول وما أغرب حمل الآية الكريمة وكرامة القرآن على هذين الوجهين الشاذين الواهين : وعن بعض أن المعنى وكنتم إذ كنتم خير أمة نحر ما كنتم مذ كنتم إلا نبيا رئيسا . أقول ومع هذا التحذق البارد رجع هذا القائل إلى كان التامة : وعن بعض أن المعنى كنتم في اللوح المحفوظ أو في كتب الأنبياء المتقدمة . أقول ومع هذا التحكم والتخصر في تقدير الظرف لا ينفك عن محذور كان الناقصة فهل خرجوا عن هذه الصفة من اللوح المحفوظ وكتب الأنبياء : وعن بعض أنه يقال لهم ذلك يوم القيامة ولا يضر انقطاع الصفة حينئذ أي وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم خالدين ، ويقال لهم حينئذ كنتم خير أمة . الآية . وقال السيد في هذا الوجه فضل تعسف واستكراه أقول ومن ذا الذي يرضاه لكرامة القرآن ومجده

وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكُنَّا خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ *
(١٠٧) لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُواكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ *

والطبراني وغيرهم رووه مسندا عن اثني عشر من الصحابة ورواه البخاري في باب الحوض بأسانيده عن سبعة منهم . هذا وأما إذا قلنا ان المراد من الأئمة في الآية أمة رسول الله الى يوم القيامة وجرى الخطاب لهم باعتبار الموجودين منهم فما اوسع الخرق في الأئمة خصوصاً إذا نظرنا الى اهام زياد ويزيد والحجاج وآل مروان وامثالهم . والى هذا المقام الثاني ينظر ماروي عن ابن عباس وعمر والحسن البصري وإن لم يصادف بعضه محزه . وفي تفسير القمي في الحسن كالصحيح او الصحيح عن الصادق (ع) في مقام الانكار خير أمة تقتلون امير المؤمنين (ع) والحسن والحسين . الحديث . إذن فلا مناص من أن يكون الخطاب لجماعة مخصوصين ملازمين لواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والايمان بالله حق الايمان . وفي الدر المنثور اخرج ابن ابي حاتم عن ابي جعفر يعني الباقر (ع) انهم اهل بيت النبي (ص) . وعن تفسير العياشي عن أبي عمر الزيري عن الصادق (ع) في الآية يعني الأئمة التي وجبت لها دعوة ابراهيم « أي قوله تعالى إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين » فهم الأئمة التي بعث الله فيها ومنها واليها وهم الأئمة الوسطى وهم خير أمة اخرجت للناس . وفي رواية العياشي عن الصادق (ع) هم آل محمد (ص) . وعن أبي بصير عن الصادق (ع) إنما أنزلت هذه الآية على محمد فيه وفي الأوصياء من بعده . وفي بعض الروايات انها نزلت خير أئمة : والمراد ان هذا المعنى مراد في التنزيل وإن كان اللفظ أمة كما تقدم مثله في المقدمة في الكلام على روايات فصل الخطاب ويشهد له هنا رواية الزيري (ولو آمن اهل الكتاب) بالله وبآياته ورسوله وقرآنه (لكان خيراً لهم) يفوزون بسعادته نعم (منهم) الأناس (المؤمنون) ولكن (أكثرهم الفاسقون) والخارجون بكفرهم من الحجاب وهؤلاء (١٠٧) لن يضروكم إلا اذى) باللسان والتهيج عليكم والتجمع لحربكم فلا يضرونكم في ظهور دينكم وجامعتكم وشوكتكم الا سلامية وانتصاركم وفي هذا بشرى عظيمة غيبية قد تحقق مصداقها على أعز الوجوه (وإن يقاتلواكم يولوكم الأدبار ثم لا يتصرون) كما وقع ذلك كله مدة وجود المخاطبين

(١٠٨) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَلٍّ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِقَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بَأْنَهُمْ كَانُوا يُكْفَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * (١٠٩) لَيْسُوا سَوَاءً

من المسلمين الى الاستيلاء على الشام وما بعد (١٠٨ ضربت عليهم الذلة) في قرون عديدة (١) لما يذكر في آخر الآية من سوء اعمالهم (أينما تقفوا) وادركوا وظفر بهم فلا منعة لهم من الذلة (إلا) أن يعتصموا (بحبل من الله) بأن يقطعوا ويلتجؤا اليه باخلاص فيغيثهم (وحل من الناس) بأن يدخلوا في عهدهم وذمتهم او رعايتهم وحمايتهم . وسمي ذلك بالحبل لمنعته لهم من السقوط في هاوية الذل (وباءوا) بمعنى رجعوا ونحوه (بغضب من الله) لسوء اعمالهم (وضربت عليهم المسكنة) في القاموس من معاني المسكين الضعيف الذليل . وفي المصباح عن ابن الاعرابي الذليل المقهور وفي النهاية مما يدور على المسكين والمسكنة من المعاني الخضوع والذلة . اقول والظاهر هنا ان معنى المسكنة ما تدور حوله هذه المعاني وهو لازم لليهود لانكسار شوكتهم القومية والسياسية وانحلال جامعتهم في ذلك مما بلغ بعض الأفراد منهم في الثروة والنخوة الجزئية الصورية الموقته (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله) بتتابع ارتدادهم . وكفرهم بما أوتي المسيح منها (ويقتلون الأنبياء بغير حق) القيد للتوضيح والتسجيل لقبيح افعالهم فإن قتل الأنبياء كله بغير حق (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) حدود الله . وكررت الإشارة تأكيداً لبيان الجهات التي يستحقون بها النكال العاجل والانتقام . هذا شأن النوع من أهل الكتاب في اجيالهم وما كلهم كذلك فإنهم (١٠٩ ليسوا سواء) وعلى وتيرة واحدة في الضلال

(١) كما يذكر التاريخ من كتب العهد القديم وتاريخ يوسيفوس وغيره ما تقادروا عليه من تتابع الارتداد والكفر من بعد سليمان وقتل الأنبياء . وسوء الأعمال في الشرك وما جرى عليهم من آثار الحروب من ملوك آشور ومصر وبابل وطيّطوس . وبقيت الآثار على ذلك . والقوم أبناء القوم فقد خلقوهم بالكفر بآيات الله المسيح فقالوا الأقاويل وفعلوا الأفاعيل حتى اتبعوا ذلك بالكفر بآيات الله لرسوله خاتم النبيين ومنها بشرى كتبهم به وبقراءته فجهدوا في الكفر والغنى جهدهم حتى ذاقوا وبال أمرهم

مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * (١١٠) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * (١١١) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ

والنبي بأجمعهم بل (من أهل الكتاب أمة) وجاعة (قائمة) للعبادة او كناية عن الاستقامة في الإيمان والطاعة والعناية بوظائف العبادة (يتلون آيات الله آناء الليل) آناء جمع قيل ان مفردة «أنى» بفتح الهمزة او كسرهما وسكون النون او «أنو» بالواو أي في ساعات الليل واولقاته (وهم يسجدون) في التبيان ان الواو ليست للحال بل لمطف جملة «هم يسجدون» على جملة «يتلون» اقول اظن الداعي لهذا التفسير حمله الآية على من اسلم من اهل الكتاب وان الذي يتلونه هو آيات القرآن وليس في سجود المسلمين تلاوة . لكن فيه = اولاً = عدم ظهور الفائدة والمنشأ في العدول الى الجملة الاسمية والاتيان بالضمير فإن الحصر لا محل له . وافادة الدوام تحصل من الفعل المضارع = وثانياً = لم يصح ان الآية نزلت في ابن سلام وامثاله ممن اسلم من اهل الكتاب بل لم يُعهد من هؤلاء اتصافهم بالصفات المذكورة في الآية والتي بعدها . بحيث يستحقون الثنويه بها مع ان الآية السابقة وخصوص قوله تعالى «ويقتلون الانبياء» تدل على ان السياق هو في احوال اهل الكتاب من الأوائل فالمناسب أن يراد المؤمنون منهم لبيان فضلهم واخراجهم من تلك المذمة العامة . فالتلوا لهم هي آيات كتبهم الحقيقية ولم يعلم انه يمتنع في شريعته ان يتلوا في سجودهم . بل يمكن على الوجهين ان يتجه كون الواو حالية بأن يكون المراد يتلون فيما بين سجودهم المتتابع في القيام للعبادة كما يقال يتكلمون وهم يشربون ويحدثون بنعمة الله عليهم ويخاطبون بالموعظة والحث على العبادة وهم يصاوب أي فيما بين صلواتهم المتتابعة (١١٠ يؤمنون بالله) صفة ثانية لأمة (واليوم الآخر) يوم المعاد ويعملون على حقيقة الإيمان به (ويأمرُونَ بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات) بتقواهم وحبهم للخير وطلبهم لرضا الله بلا توان ولا حاجة الى البعث والالقاء . وما اوضح كلمة «يسارعون» في الدلالة على اختيار الانسان في افعاله . وسوق الآية وتمجيدها بدل على ان هذه الصفات صفات ثابتة لهم ناشئة عن ملكات راسخة (وأولئك من الصالحين ١١١) وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) بل ينوه بفضلهم فيه ويوفيههم الله جزاءه (والله عليم بالمتقين) مهما

خَيْرٍ قَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * (١١٢) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَّ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * (١١٣) مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ

أسروا اعمالهم الصالحة وتقواهم . وقد اقتضت مناسبة المقام والمقابلة توبيخ الكافرين على كفرهم وسوء اعمالهم وبيان خسراتهم وخيبتهم وسوء عاقبتهم فقال عز وجل (١١٢ ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) وقد مر تفسير الآية في الآية الثامنة وزيد عليها هنا بيان الخلود في النار وان دلت عليه بالاشارة في قوله تعالى وأولئك هم وقود النار . وان قيل ان هؤلاء الكافرين ربما ينفقون من اموالهم شيئا في صلة الرحم ونفع المحتاجين من الفقراء والمساكين وغير ذلك فلماذا لا تغني عنهم اموالهم فلقد ازاح الله علة هذه الشبهة بقوله (١١٣ مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا وتضييعهم له فيها بكفرهم وان قصدوا وجها يزعمون انه وجه الله ولكنه ليس بوجه الله الذي كفروا بآياته واشركوا به ووصفوه بما يجلي عنه من الصفات) كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته (هذا من التشبيه المركب ليتبين منه حال كفرهم مع انفاقهم في احباطه بما جنوه على انفسهم ولذا صدر المثل ببيان المتلف للحرث ليروع الكافرين بعنوانه في صدر المثل . والصبر بكسر الصاد هو البرد الشديد او شدة البرد كما نص عليه جل المغوين والمفسرين وذكر في الدر المنثور جماعه اخرجه عن ابن عباس من طرق متعددة . وروى الطسقي ان ابن عباس استشهد له بقول النابغة الذبياني :

لا يبردون إذا ما الأرض جلاها صر الشتاء من الإحمال كالإدم
وأشدد في الكشف قول الشاعر :

لا تعدلن اتاوين تضربهم نكباء صر بأصحاب المحلات
والحرث هو المزروع في الأرض . والأنسب في فهم قوله تعالى ظلموا انفسهم انهم ظلموها بزرعه في غير أوان زرعه بحسب الفصول او في غير بلاد زرعه من الأرض (وما ظلمهم الله) باحباط عملهم بكفرهم (ولكن انفسهم يظلمون) باختيارهم الكفر الملقى لهم في هلكة

(١١٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ *

العذاب وخسة الوبال واجباط العمل . (١١٤) يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة (البطانة خاصة الانسان والذي يستبطن أمره ويطلع على سره) (من دونكم) أي من دون أمتكم وقومكم المؤمنين . وما احسن التعبير عنهم في هذا المقام بهذا الضمير لبيان ان اخوانكم المؤمنين في اتحاد كلمتكم في الايمان واتحادكم في نصره بمنزلة انفسكم فكيف تعدلون الى غيرهم بالاختصاص الذي تطلعونهم به على بواطن أموركم وحریم اسراركم في دفاع الكافرين . وكفى بهذا التعبير بيانا لكون المنهي عن اتخاذهم بطانة هم من غير المؤمنين والاية الآتية تدل على انهم المنافقون الذين إذا لقوهم يقولون آمنا و«من» للابتداء متعلقة بقوله تعالى «لا تتخذوا» او بصفة البطانة والاول اظهر . لا للتبعيض أو التبيين كما في التبيان ومجمع البيان وعلمي تفسير الرازي وكذا قول تفسيري الجلالين والمنار «من غيركم» فإن يلزم على ذلك ان يقال ممن دونكم . وقد اوضح جلت آلاؤه للمؤمنين وجه النهي عن اتخاذ هؤلاء بطانة بأنهم (لا يألونكم خبالا) خبالا مفعول ثان والجملة صفة توضيحية لازمة لهذه البطانة لا تقييدية . وفسروا « لا يألونكم » يقصرون وهذا لا يناسب تعديها الى مفعول واحد فضلا عن المفعولين كما هو الكثير المسموع من استعمالها فيلزم جعلها بمعنى لا ينقصونكم كقوله في سورة براءة « ثم لم ينقصوكم شيئا » . والخبال فساد الرأي او مطلق الفساد أي يوفونكم الفساد او فساد الرأي بدسائسهم (ودثوا ما عنت) عنت أصابه العنت مثل مات ومرض . ومما ذكره اللغويون في العنت فيما يناسب المقام هو الضرر والهلاك . والمشقة . ولقاء الشدة . والهلاك ولعل معناه واحد ينطبق بنحو واحد على هذه المعاني أي ودثوا ما أصابكم من العنت . والظاهر ان جملة ودثوا صفة أخرى للبطانة ولو كانت مستأنفة ل قيل قد ودثوا مثل قوله تعالى (قد بدت البغضاء) بغضاؤهم لكم (من افواههم) وفلتات كلماتهم (وما تخفي صدورهم) مما يسرونه من البغضاء لكم (اكبر) مما يبدر من السنتهم فهل يصح بعد ذلك للمؤمن المدافع عن دين الاسلام والناهض لاعداء دعوة الحق ان يتخذ هؤلاء بطانة من دون المؤمنين (قدينا لكم الآيات) والدلالات على شأنهم (ان كنتم تعقلون)

(١١٥) هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتَوْتَمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ *

البيان ومرعى الإشارة وواجب العمل على البيان والحذر من أن لا تتخذوا منهم ولا من امثالهم بطانة (١١٥ هـ أنتم أولاء تحبونهم) « أنتم » مبتدا والظاهر ان « أولاء » نداء يفيد هنا فائدة الاختصاص تأكيداً للومهم في مقام التحريض على التباعد عن أولئك وامثالهم (ولا يحبونكم) الظاهر ان الجملة حالية والعامل فيها « تحبونهم » ويجوز ان تكون خبراً ثانياً بالعطف (وتؤمنون بالكتاب) القرآن ولبعض المفسرين في تفسير الكتاب تكلفات (كله) وقد نهيتهم فيه قبل هذا عن الركون الى الذين ظلموا كما في سورة هود المكية وفيه ان الله لا يحب المعتدين كما في سورتي البقرة والاعراف المكية . والظالمين كما في سورة الشورى المكية . والمفسدين كما في سورة القصص المكية . والخائنين كما في سورة الانفال . والكافرين كما في سورة الروم . فهل يسوغ ويحسن منكم ايها المؤمنون بالكتاب كله ان تحبوا من لا يحبه الله لأجل شره (١) والظاهر ان الجملة معطوفة على الخبر أي هـ أنتم تحبونهم وتؤمنون بالكتاب كله وكيف تجمعون بين الأمرين وقد سمعتم من الكتاب انه ينهاكم عن الركون الى الذين ظلموا ويوعز لكم ان لا تحبوا هؤلاء وامثالهم فإن الله لا يحبهم . وفي الكشف ان الجملة حالية . ويرد عليه وجود الواو وهي لا تدخل على الحالية من المضارع المثبت . وتقدير الضمير لتكون اسمية لا داعي له (وإذا لاقوكم قالوا) بنفاقهم ومخادعتهم (آمنا) بما آمنتم به ونحن معكم ومنكم (وإذا خلوا) ولم يكن معهم احد منكم (عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) من أجل إيمانكم وعلو كاهنكم بظهور الإسلام . وعض الأنامل يكون عند شدة الغيظ بحيث لا يتألك المتعاط عن ان يعرض أنامله ويؤلمها كما قال ابو طالب « يعضون غيظا خلفنا بالأنامل » والحارث بن ظالم المري « يعضون من غيظ رؤوس الأباهم » والأنامل اطراف الأصابع . والأباهم جمع ابهام (قل) لهم يا رسول الله (موتوا بغيظكم) فإن الله معل كرامة الحق وسلطان الإسلام وخاذلكم (إن

(١) وان الجهل بترتيب النزول ضيع علينا كثيرا مما نزل قبل هذه الآية في التحذير من موالاة امثال هؤلاء فضلا عن اتخاذهم بطانة . ولعل من ذلك . في سورة الممتحنة والمجادلة والنساء وغيرها

(١١٦) اِنْ تَمَسَّكْتُمْ حَسَنَةً تَسُوْهُمْ وَاِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرُحْ بِهَا وَاِنْ تُصِيبْكُمْ وَآوَتْتُمْوَالَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا اِنَّ اللّٰهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ*

الله عليم بذات الصدور) لا يخفى عليه نفاقكم . وذات الصدور كناية عن الخصلة او السريرة او الحالة او العلة المتعلقة بالصدور من نفاق او ايمان ونحو ذلك . على حد قولهم ذات الصدر وذات الرئة وذات الجنب . وعلى ذلك جاء قوله تعالى « ١٤٨ وليتلي الله ما في صدوركم ويمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور » فلا يتان مثل قوله تعالى في سورة النمل « ٧٦ وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون » ونحوه الآية التاسعة والستين من سورة القصص . والتعبير بذات الصدور وما تكن صدورهم إنما هو باعتبار ان الصدر وعاء للقلب الذي هو مرجع لهذه الأمور كما يدل عليه قوله تعالى ويمحص ما في قلوبكم . كما تقول علم بخبايا الدار أي بما في صناديقها ونحو ذلك . وبما ذكرناه تعرف ما في المصباح المنير من قوله « المعنى عليم بنفس الصدور » وعلى ما ذكرناه من معنى ذات الصدور فسروا قول الشاعر « لتغني غني ذا انائك اجما » بإضافة « ذا » إلى الإناء أي ما يتعلق بإنائك مما فيه من لبن او غيره . وعليه ايضا ما في المصباح المنير انه أنشده ابن فارس في متخير الألفاظ

ونعم ابن عم القوم في ذات ماله إذا كان بعض القوم في ماله كلبا
اي فيما يرتبط ويتعلق به وقال النابغة

مجلتهم ذات الآله ودينهم قويم فما يرجون غير العواقب

المجلة الكتاب اي كتابهم هو ما يرتبط ويتعلق بالآله ووجه

(١١٦ ان تمسككم) حادثة (حسنة) من حوادث الدنيا تنالون منها خيرا ولو بمسئستها كناية عن قلة نفعها لكم (تسوهم) لحسدهم وبغضهم لكم ولدين الحق (واِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ) بمعنى تصيبكم فادحة اصابة لا بمجرد المسيس (يفرحوا بها) ولا تأخذهم لذلك رقة الجوار او القراة والاتصال بالقبيلة (وأن تصبروا) على ما يحمد الصبر عليه من طاعة الله ونصر دينه وجهاد عدوه وعداؤه هو لا ، واذا هم (وتتقوا) الله في اوامره ونواهيه (لا يضركم كيدهم شيئا) بضم الراء وتشديدها لأن مثل هذا المدغم لا يظهر عليه الجزم بالسكون إلا بفك ادغامه نحو « ان تمسككم » وفي هذا وعد للمؤمنين بحماية الله لجامعتهم من ضرر المنافقين (ان الله بما يعملون محيط) فيحييكم من اعمالهم

(١١٧) وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * (١١٨) إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا

التي يكيدونكم بها . والقراءة المتداولة في المصاحف وبين المسلمين حتى القراء السبعة « يعملون » بالياء المثناة من تحت ولم تذكر بالياء المثناة من فوق إلا عن الحسن وإبي حاتم ومع ذلك قال في الكشاف « بما تعملون من الصبر والتقرى محيط » (١١٧ وإذ) في التبيان والمجمع والكشاف ان العامل في « إذ ، اذكر » (غدوت) في النهاية الغدو هو اول النهار غدا يغدو غدواً . وفي المصباح غدا بمعنى انطلق . والمراد بمجموع السير الواقع في اول النهار وصدره (من اهلك) ومحل اقامتك . وفي المجمع انه الخروج الى احد (١) عن ابن عباس وهو المروي عن أبي جعفر يعني الباقر (ع) . وفي الدر المنثور ذكر من اخرج ذلك عن ابن عباس ومن اخرجه عن عبد الرحمن بن عوف . وهذه الآية والتي بعدها بمزاياها وخصوصياتها تعيينان ذلك (تبوء المؤمنون مقاعد للقتال) تبوء المكان بمعنى استقر فيه . وبوآه المقعد أقره فيه . وجملة « تبوء » حال من « غدوت » لأن مجموع السير والبعد عن الأهل في اول النهار وصدره كان من مقارناته واحواله التبوء للقتال بأن جعل رسول الله (ص) مقاعد للقتال في سفح أحد وجعله في ظهورهم . وجعل في الشعب عبد الله بن جبير مع خمسين من الرماة لئلا يدهمهم المشركون من ناحيته . وأمر الرماة أن لا يبرحوا من مكانهم مها تطورت الحرب وعواقبها (والله سميع) لما قيل في ذلك الغدو في أمر الحرب من كلام المنافقين وكلام الرسول والمؤمنين (عليهم) بالنيات وما جرى من الأعمال في تلك الحرب ومقدماتها (١١٨ إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا) الفشل هو الجبن وضعف القلب . وفي الدر المنثور ذكر جماعة منهم مسلم والبخاري اخرجوا عن جابر ان الطائفتين هم بنو سلمة وبنو حارثة من الأنصار واخرجه ابن جرير عن ابن عباس وارسله في مجمع البيان عن الباقر والصادق (ع) . وفي تفسير القمي نزلت في عبد الله بن أبي وقوم من اصحابه اتبعوا رأيه في القعود عن نصرة رسول الله (ص) . ويدفعه ان الآية تقول همت ان تفشلا ومن المعلوم ان عبد الله واصحابه قد فشلوا وقعدوا وناقضوا كما يأتي حالهم من الآية

(١) احد بضم الألف والحاء جبل على نحو ميل من المدينة في شاليها على طريق العراق

وَاللَّهُ وَآيُهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * (١١٩) وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ
وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ *

الستين بعد المائة حتى الثانية والستين من السورة (١) وقد قال الله تعالى في الطائفتين (وا لله وليها) وفي ذلك دلالة على ان الله عصمها عما همتا به . وقد ذكر في الآيات المشار اليها من ذم الله لعبد الله واصحابه ومقته لم شيئا كثيراً وانهم للكفر يومئذ اقرب منهم للإيمان وقوله تعالى « اذ همت » بدل من « اذ غدوت » (وعلى الله فليتكول المؤمنون) فإنه وليهم وناصرهم ولا يهنوا عن نصر الدين بنفاق البعض وخذلانه . كيف (١١٩) ولقد نصركم الله ببدر) ذلك النصر الباهر على اعدائكم ذوي العدد المناهز للآلاف والعدة الكاملة من الخيل والنعم والسيوف والدروع (وأنتم اذلة) بقلة عددكم إذ كان جميع جيشكم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً وبوهن عدتكم « والمأثور ان معظم سلاحهم جريد النخل وليس معهم من الخيل إلا فرسان . وابلهم اباغر معدودة يتعاقب عليها بعضهم وبعضهم مشاة ولم يخرجوا باهبة حرب ولا عزة محارب (فاتقوا الله) في نصر دينه والتوكل عليه وعدم التخاذل بنفاق المنافق (لعلكم تشكرون) أي لغاية ان تشكروا الله على ما يمنحكم من عظام النعم والنصر الباهر « إن تنصروا الله ينصركم »

(١) قال الطنطاوي في تفسيره ٢ ج ص ١٤٣ س ٢٠ (عليم) بنياتكم وما يصيكمم بتر ككم مراكز القتال لما انهزم عبد الله بن ابي سلول فهت بنو سلمة من الخرج وبنو حارثة من الاوس وهما كانا جناحي العسكر انتهى ومن معلوم التاريخ ان المسلمين ما تركوا مراكز القتال لانهزام عبد الله بن ابي سلول بل لم يكن عبد الله واصحابه معهم فجاهدوا وغلبوا المشركين وهزموهم فتركوا مراكزهم لانكبابهم على الغنائم من رحال المشركين او كما يزعم هو في الصفحة المذكورة لاتباعهم مدبري المشركين وانظر صفحة ١٥٣ - ومن المعلوم ايضا ان ابن سلول لم ينهزم هو واصحابه بل رجعوا من بعض الطريق قبل ان يصل النبي (ص) واصحابه إلى احد وقبل ان ينظم عسكره ومعسكره ويؤم المؤمنون مقاعد للقتال او يكون لعسكره ترتيب وجناحان . فابن ابي سلول واصحابه من القاعدین عن الجهاد والتوجه إلى ميدان الحرب لا من المنهزمين . ومن المعلوم من سياق القرآن الكريم واتفاق التفسير كما ذكره هذا المفسر ايضا صفحة ١٥٦ ان ابن ابي سلول واصحابه هم الذين حكى الله قولهم بقوله تعالى في الآية ال ١٦٠ لو نعلم قتالا لاتبعناكم - ١٦٢ الذين قالوا الاخوانهم وقعدوا : فهم القاعدون الذين لم يتبعوا الجيش للقتال لامن المنهزمين

(١٢٠) إِذْ تَقُولُ الْمُوْمِنِينَ اَلَنْ يَكْفِيَكَمُ اَنْ يُبَدِّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ اَلْفٍ مِّنَ الْمَلٰٓئِكَةِ مُنَزَّلِيْنَ * (١٢١) بَلٰٓى اِنْ تَصْبِرُوْا وَتَتَّقُوا وَيٰٓأَتُوْكُمْ مِّنْ فَوْرِهِمْ هٰذَا يُبَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ اَلْفٍ مِّنَ الْمَلٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِيْنَ * (١٢٢) وَمَا جَعَلَهُ اللّٰهُ

(١٢٠) إِذْ تَقُولُ) قال في التبيان التقدير اذ كر اذ ، وفي الكشف ظرف لنصركم اقول وهو اولى واظهر (للمؤمنين ان يكفيكم) في الثبات والاطمئنان بالنصر (ان يدكم ربكم) وولي أمركم القادرو يبعث لكم مدداً لنصركم (بثلاثة آلاف من الملائكة منزليين ١٢١ ايلي) رد لمضمون النفي في جملة « ان يكفيكم » (ان تصبروا) وثبتوا (وتتقوا) الله فيما تلزم فيه التقوي ومنه الثبات لنصر دين الحق (ويأتوكم) أي الأعداء المشركون من قريش العادون بعد ما نجت قافلته بانيانهم لحربكم (من فورهم هذا) قال في التبيان ومجمع البيان من وجههم هذا ورواه في الدر المنثور عن الحسن وعكرمة والربيع وقتادة والسدي ولم أجد لهذا المعنى أثراً في النهاية والمصباح ولم اعده في اللغة نعم في القاموس أتوا من فورهم أي من وجههم وقبل أن يسكنوا . وروى في الدر المنثور عن عكرمة ومجاهد وأبي صالح والضحاك « من غضبهم » مأخوذ من الفوران وفورة الغضب وهو غريب واغرب منه ما عن الضحاك من قوله من وجههم وغضبهم وعن ابن عباس من سفرهم هذا . وهو غريب . ومن فسرهُ بالغضب قال ان الآية نزلت في غزوة أحد والمراد غضبهم من يوم بدر اقول والمناسب لو صح في اللغة ان يقال من فورهم ذلك مع ان ظاهر الآية ومناسبة اللتين قبلها وبعدها وروايات الكافي والعياشي بأسانيدهما عن الباقر والصادق عليهما السلام انها نزلت في شأن غزوة بدر . وفي الكشف جعله من الفوز ضد التراخي أي من وقتهم هذا القريب . وهذا هو المعروف والمناسب والمتبادر من هذا اللفظ (يدكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) من السياء وهي العلامة . ولعل المراد انهم اتخذوا سياء البشر ولم يبقوا على صورتهم الأصلية لكن في صحيحة الكافي عن ابي الحسن (ع) وروايته عن الباقر (ع) في تفسير المسومين قال « العائم » ونحو ما في الدر المنثور مما أخرجه ابن اسحاق والطبراني عن ابن عباس (١٢٢) وما جعله الله) أي الامداد بالملائكة لأن نصره للمسلمين متوقف على الملائكة . كلا . بل لأن أولئك المسلمين ما عدا الخواص بشر ضعفاء يبشر بينهم لا يستحكم استبشارهم واطمئنانهم الا بالمحسوسات الجارية على العادات ككثرة العدد

إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * (١٢٣) لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتُمُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ * (١٢٤) أَلَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ *

وشوكة المدد فشاء الله برحمته أن يجاري بشريتهم بما تتحقق لهم به البشرى والاطمئنان في حربهم بل والاطمئنان بأنهم على الحق اليقين وان الله معهم فما جعله (إلا بشرى لكم) ايها المسلمون المجاهدون (ولتطمئن قلوبكم به) أي بسبب الامداد المذكور (وما النصر إلا من عند الله العزيز) في أمره (الحكيم) في اعماله ونصره وتطيب قلوب المؤمنين وليس النصر من الملائكة ولا من غيرهم (١٢٣ ليقطع) تعليل للنصر لا لقوله تعالى فيما سبق «نصركم الله بيدر» كما ذكر في التبيان ومجمع البيان قوله وذكره في الكشف اول التفسيرين فإنه لا يلائم التريد والتقسيم في قوله تعالى «ليقطع او يكبت» بل الذي يناسبه هو النصر المطلق الذي يقطع به (طرفا) أي بعضا (من الذين كفروا) ويهلككم كما في يوم بدر وخير ونحوهما (او يكبتهم) كما في يوم الأحزاب وامثاله. في المصباح كبتة اهانه وأذله وكبتة لوجه صرعه. وفي النهاية أذله وصرفه وصرعه وخيبه. وفي القاموس صرعه واخرأه وصرفه وكسره وردء العدو بغيبه وأذله. وعن الخليل الكبت صرع الشيء على وجهه وحقيقة الكبت شدة الوهي الذي يقع في القلب وربما صرع الانسان لوجهه للخور الذي يدخله. وفي التبيان الكبت الخزي ونسب ما عن الخليل الى القيل. وفي الكشف يخزهم ويفظهم بالهزيمة اقول والمراد من الكبت في الآية معنى تحوم حوله هذه المعاني التي يأخذونها مما تسنح لهم من مناسبة المقام او موارد الاستعمال ولعله نحو مجاز مما ذكر عن الخليل (فينقلبوا خائبين) الخيبة معروفة وفسرت بالانقطاع عما امل وهو انصب مما ذكر لها من التفسير ٤ (١٢٤ ليس لك) يا رسول الله (من الأمر) في شؤون الخلق من حيث الاتصال الى الهدى والتوبة والتعذيب ونحو ذلك (شيء) مما يرجع الى قدرة الله ولا داخل تحت قدرتك فإنك بشر مخلوق وانما الأمر في ذلك لله (او يتوب عليهم) بنصب يتوب أي إذا تابوا واصلحوا (او يعذبهم) بالنصب أيضاً إذا لم يتوبوا فيتوب عليهم (فإنهم ظالمون) اختار في الكشف ان نصب يتوب ويعذبهم بالعطف على «ليقطع» وجملة ليس لك من الأمر معترضة ونسب غيره الى القيل. وذكره قبله في التبيان اول الوجهين

(١٢٥) وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ .

وفي مجمع البيان احد الوجهين . وبدفعه زيادة على . ومن اعتراض الجملة ان التوبة والعذاب لا مناسبة لكونها غاية للنصر لكي يقال بمطفها على « ليقطع . او يكبت » ونقل في الكشف قولاً حاصله ان يتوب ويعذبهم منصوبان بان مضمرة بعد او . والمصدر في محل الجر بالمطف بأو على الأمر أي ليس لك من الأمر . او التوبة عليهم او عذابهم شيء . او في محل الرفع بالمطف على شيء أي ليس لك من الأمر شيء . او التوبة عليهم او تعذيبهم . وفي التبيان ومجمع البيان ذكرنا وجهاً آخر نسبة الكشف الى القيل وهو ان او بمعنى إلا . وذلك كقول زياد الأعجم « وكنت إذا غمزت قناة قوم كسرت كعوبها او تستقيها »

بمعنى ليس لك من الأمر شيء إلا توبة الله عليهم وعذابهم فيكون أمرك تابعا لأمر الله لرضاك بتدبيره كما في التبيان ومجمع البيان واقول ان الأمر في توبة الله عليهم او تعذيبه لهم إنما هو لله وحده فلا يصح استثناء موثباته للرسول بالاستثناء المتصل ولا يجدي في ذلك التفرع بقولها فيكون أمرك تابعا لأمر الله مع انه لا دلالة على هذا التفرع . فالوجه ان تكون « او » الأولى بمعنى « الا » التي هي للاستدراك مثل « لكن » المخففة كما في الاستثناء المنقطع الرافعة لما يتوهم من الكلام السابق عليها فان سباق قوله تعالى « ليس لك من الأمر شيء » بعد ذكر الذين كفروا في الآية السابقة قد يتوهم منه انه لا يقع شيء مما يروجوه الرسول من صلاحهم واسلامهم فجرى الاستدراك بما يؤدي إلا ان رجاء الرسول لا يقطع بالنفي المتقدم بل يتوب الله على من يتوب وينيب الى الاسلام ويعذب الذن لا يتوبون لأنهم ظالمون بكفرهم وسوء اعمالهم . وروي في الدر المنثور في نزول الآية روايات لا تكاد أن تنطبق . منها عن احمد والبخاري والترمذي والنسائي وغيرهم عن ابن عمر ان رسول الله قال يوم أحد اللهم العن ابا سفيان وذكر ثلاثة معه فنزلت الآية . وبدفعه ان الدعاء بالعن ليس من الأمر المنفي عن رسول الله بل دعاء جعله الله لرسوله ولسائر المؤمنين بقوله تعالى ادعوني استجب لكم . وقد لعن الله الظالمين والكافرين . وكذا الكلام فيما أخرجه البخاري ومسلم وجماعة عن ابي هريرة ان النبي قنت بعد الركوع ودعا بنجاة اشخاص ولعن بعضا فنزلت الآية . مضافا الى ان الآية لا تناسب الدعوة بالنجاة مع ان هاتين الروايتين وامثالها متنافية بالعارض في سبب النزول (١٢٥) والله ما في السماوات وما في الارض (والأمر بيده) يغفر لمن يشاء) كقوله تعالى في سورة طه

وَيَعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * (١٢٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * (١٢٧) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ * (١٢٨) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * (١٢٩) وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * (١٣٠) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ آمَوَاهُمْ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَافِظِينَ

المكية ٨٤ وفي لغفار لمن تلب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى (ويعذب من يشاء) من لم يحسن توبته (والله غفور رحيم) لمن تاب واناب (١٢٦ يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة) هذا بيان لنحو من جهات المفسدة فيه وذلك انه بحسب طبعه وجوره يستهلك اموال المديون ويكون ما يأخذه منه اضعافا مضاعفة بالنسبة لما استدانه فايا كم وباب هذا الجور (واتقوا الله) فان التقوى هي التي يقوم بها النظام ويستقيم الاجتماع (لعلكم تفلحون) أي لغاية ان تفلحوا (١٢٧ واتقوا النار) جهنم (التي أعدت للكافرين) وما أخس مقامها واعظم عذابها بهذا الاعدام المشوم وما أخس المسلم الذي يلقي نفسه بسوء اعماله واكله الربا في هذه النار (١٢٨ واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) أي لغاية ان ترحموا إذا ثبتتم على الطاعة الكاملة (١٢٩ وسارعوا) بصالح اعمالكم وحسن توبتكم ولا تسوفوا فيفوتكم حظكم (إلى مغفرة) لكم (من ربكم) وولي اموركم (وجنة عرضها) أي مقدار عرضها (السماوات والأرض) ولا بد من ان يكون طولها أكثر من ذلك بحسب ما شاء الله . وان اوهاهم الهيئة القديمة في افلاكها ومحدد الجهات لتثير هاهنا سوألا ولكن من يعرف قدرة الله وسعة ملكوته لا تعترض هذه الأوهام ايمانه . وذكرت سعة الجنة ليطمئن الإنسان بأن له ما تشتهيه نفسه من المحل الواسع وامل هذا التقدير للعرض جار على ما يناله تصور نوع الناس من التمثيل بالموجود في الخارج . وهذه الجنة (أعدت للمتقين) لله وكانت التقوى لهم ملكة ثابتة . واليك شيئا من صفاتهم الكريمة (١٣٠ الذين ينفقون) لوجه الله (في السراء والضراء) في الدر المنشور عن ابن عباس في حالتي اليسر والعسر . وفي التبيان وقيل في حال السرور والاغتنام أي لا يقطعهم شيء من ذلك عن الاتفاق فيدخل فيه اليسر والعسر انتهى وينبغي ان يراد اسباب الاغتنام نوعا من انواع الضراء وهذا اقرب وادخل بعمومه في المدح (والكافين الغيظ) كظم غيظه حبسه

الْفَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * (١٣١) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا
فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ

ورده بالصبر عن هيجان آثاره من الكلام أو الانتقام . وكظم البعير امسك عن الجرة . قيل
واصله كظم القربة أي شد رأسها عند ملئها أقول كان المراد كظم مائها عن أن يطفح وكظم
البعير ما في كرشه عن أن يخرج للاجترار (والعافين عن الناس) والعفو اقرب للتقوى . وإن
كظم الفَيْظَ والعفو عن الناس من محاسن الأخلاق وآثار الفضيلة التي تعين على السلم
والهدو وحسن الاجتماع وراحة البشر في الجملة . وصفات هذه الآية من أهم موارد الاحسان
(والله يحب المحسنين) وكفى بذلك فخرا وفوزاً (١٣١ والذين) قبل انها معجورة بالعطف
على المتقين و « أو لك » في الآية الآتية إشارة إلى الجميع وذكرت المغفرة لأن كل من عدا
المعصوم محتاج اليها . وقيل الذين مبتدأ وجملة أو لك خبره والقول انسب ببيان الجزاء
للمتقين وبقوله تعالى فنعم اجر العاملين فان الاستغفار وإن كان عملاً صالحاً لكنه يسد أن يترك
التنويه بأعمال المتقين ويقتصر في التنويه على استغفار أو لك المستغفرين هذا وإذا قيل ان
خصوص ما ذكر من اتفاق فعل الفاحشة وظلم النفس مع ذكر الله واستغفاره وعدم الاصرار
لا ينافي كونهم من المتقين قبل ذلك وبعد ذكر الله والاستغفار وإن تضععت فيهم ملكة
التقوى عند الذنب فعليه تكون كلمة « الذين » معطوفة على « العافين » في طرد صفات المتقين
وفيه نوع اشكال والله العالم (إذا فعلوا فاحشة) في النهاية الفاحشة كل ما اشتد قبحه من الذنوب
والمعاصي وكثيراً ما ترد بمعنى الزنا . وفي المصباح فحش مثل قبح وكل شيء تجاوز الحد فهو
فاحش ومنه غبن فاحش . وفي القاموس الفاحشة الزنا وكل ما يشتد قبحه من الذنوب أقول
وأظن ان ارادة الزنا من الفاحشة في بعض الموارد إنما باعتبار كونه من الافراد الظاهرة في
الفحشاء فالأظهر في الآية استعمال الفاحشة في مطلق المحصية الفاحشة في قبحها (أو ظلموا
أنفسهم) بما دون ذلك من الذنوب (ذكروا الله) قيل ذكروا وعبدوا الله . والأقرب ان يكون
المراد انهم بعد ان اغفلهم الشيطان والنفس الأمارة حين الذنب وأنساهم ما يجب له من الطاعة
وعدم المخالفة ذكروا الله وماله من الجلال وانه ربهم العظيم ومالك أمرهم ومرجع خوفهم
ورجائهم وتنبهوا الى زللهم (فاستغفروا) الله (لذنوبهم) فيكون السر في ذلك تمييزهم عن

وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُبْصِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * (١٣٢) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * (١٣٣) قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ *

كان الله على ذكرهم حين المعصية ففعلوها محادة له وعناداً فإن هؤلاء بعيدون - والعياذ بالله - عن التوبة والاستغفار (ومن يغفر الذنوب إلا الله) وهل يلجأ العارف بالله لغفران ذنبه إلا الى الله ولئن استشفع الى الله بمن جعلت له الشفاعة فإن ذلك مما يؤكّد الفزع والاتجاء الى الله . ولعل في هذا الانكار اشارة الى من يطلب المغفرة من الأوثان او من القسوس ويعتمد على غفرانهم كما هو المتعارف عند فرقة « الكاثوليك » من النصارى حتى في هذه الأزمنة . ومن يغفر الذنوب إلا الله (ولم يصروا على ما فعلوا) من ذنوبهم ولم يقيموا عليها تقاديبا على المعصية (وهم يعلمون) الجلّة حالية أي لم يصروا حال كونهم عالمين بأن فعلهم معصية فإن هذا هو الاصرار الموبق واما من أصر على ما يجهل كونه معصية فليس بمصر على معصية (١٣٢) أُولَٰئِكَ جزائهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) والمخصوص بالمدح في « نعم » هي المغفرة والجنات المذكورة باعتبار ان ذكر الله واستغفاره عمل صالح جلبت الآلاء الله والطافه (١٣٣) قد خلت (ومضت) (من قبلكم) يا ايها الناس أو يا ايها الذين آمنوا (سنن) منها سنن المؤمنين المصدقين للأنبياء والمجاهدين في سبيل الله والجارين على ما ارشدوا اليه من العمل الصالح والاستعداد لسعادة الآخرة وطلب ما عند الله ففعلوا الدنيا دار رحلة وتزود ، ومع ذلك قد تنعموا فيها بالرضا بما قسم الله بأحسن من نعيم غيرهم المكدر المنقص بالحرص وطموح الشهوات وجحاح النفس في الطمع . ومنها سنن الكافرين المكذبين مع قيام الحجة عليهم ووضوح اليينات لهم كل ذلك لانها كهم بالضلال والشهوات وقصر نظرهم على الدنيا (فسيروا في الأرض) لزيادة الاعتبار والتبصر (فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) للرسول وآيات الله إذ قطعت الدنيا آمالهم وكدرت عيشهم وتركت ديارهم للخراب او لسكنى الأعداء ونعيمهم للبوار وجمعهم للشنات . فانظروا الى آثار عاد وثمود وقوم لوط . بل وانظروا الى الملوك المكذبين للأنبياء من بني اسرائيل واتباعهم من

(١٣٤) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ * (١٣٥) وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا
وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ

تلك الأمم الطاغية كيف قد صارت عاقبتهم الفناء والشتات والجللاء من الديار وذلة الأسر والقتل ولم يبق في ديارهم إلا الاسم (١٣٤ هذا) الظاهر ان الآيات من قوله تعالى « واذ غدوت » الى هنا سابقة على هذه الآية في نسق التنزيل فتكون الاشارة راجعة الى مضامين تلك الآيات الكريمة وما احتوت عليه من المطالب العالية . او الى مضمون الآية السابقة . ولاجل الشك من بعضهم في ترتيب النزول قال ان الاشارة الى القرآن اقول وهو بعيد . اذ لو كانت الاشارة الى القرآن لقل هذا القرآن ونحو ذلك كما قيل في امثال ذلك (بيان للناس) حتى من لا يهتدي ولا يهتبط (وهدى) موصلا الى الحق (وموعظة) تدعو الى الاعتاض (للمتقين) لله فان البيان يؤثر فيهم الاهتداء والاعتاض (١٣٥ ولا تهنوا) ايها المسلمون بسبب ما اصابكم في يوم احد . وفي كتب اللغة الوهن الضعف . لكن المترائي من موارد الاستعمال انه نحو خاص من الضعف . وفي القاموس وتبعه صاحب المنار انه ضعف في العمل . فان اراد ضعف العامل في عمله بأن يكون الوهن صفة للعامل فقد نسيا قوله تعالى ان او هن البيوت لبيت العنكبوت وان اراد ضعف العمل او ضعف المعمول بأن يكون الوهن صفة للعمل او للمعمول من حيث انه معمول فقد غفلا عن هذه الآية وعن قوله تعالى « فما وهنوا » كما سيأتي قريبا ان شاء الله . والمراد لا يظهر عليكم اثر الضعف والخور (ولا تحزنوا) مما اصابكم (وانتم الأعلون) وفي هذه الجملة وجوه « اولها » في التبيان ومجمع البيان والكشاف انها حالية فتكون كالاحتجاج عليهم في النهي عن الوهن والحزن بمعنى انكم رأيتم نصر الله لكم وعلوكم على عدوكم فقد كنتم نخورون المشركين فهزمتهم وأنتم فيهم القتل في أول الحرب . ومع انكم طعمتم في الغنيمة واخليتم مراكزكم في الحرب وشعبكم الذي يحمي ظهوركم وانهزمت تلك الهزيمة من الله وانعم عليكم برسوله وثبات الصادقين في جهادهم فراجعتم وانخذل المشركون واحجموا عن قتالكم فانكم الأعلون في هذا الحرب وخاتمها مما اصابكم بما كسبت ايديكم « ثانيها » احتمل في التبيان والمجمع ان تكون جملة « وانتم الأعلون » ابتدائية أي لا تهنوا ولا تحزنوا ان كنتم مؤمنين وانتم الأعلون فتكون

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * (١٣٦) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ
وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوُهَا بَيْنَ النَّاسِ

متضمنة للبشرى بالعلو المطلق حتى في المستقبل « ثالثها » ان يراد انتم الاعلون مطلقا بحسب ما ذكر في الوجه الأول وبحسب علمكم بما وعد الله رسوله وبشراه لكم بعلو أمر الدين وبوار المشركين فيصح عليه كون الجملة حالية • ويكون قوله تعالى (ان كتتم مؤمنين) قيـدا للتصديق بالبشرى أو للبشرى وعلى الوجهين الأولين تكون مبينة ان انتهاءهم عن الوهن والخرن تابع لايمانهم بالله • ويجوز ايضا على الوجه الأول ان تكون قيـدا لاإذعانهم وايمانهم بأن ما ذكر فيه من علومهم في اول الحرب وخاتمتها كان من نصر الله لهم • والاظهر هو الوجه الثالث (١٣٦ ان يمسسكم قرح) لعل التعبير بالمس لتهوين ما أصابهم ببيان انه مس لانكابة والقرح بفتح القاف فسرّه في التبيان ومجمع البيان والكشاف بالجرح وعن مجاهد جراح وقتل • ويجوز ان يكون واحد القروح كناية عما أصابهم وهو الأظهر (فقد مس القوم) المشركين (قرح مثله) قيل ان ذلك اشارة الى ما أصاب المشركين يوم بدر وهو المروي عن الحسن البصري • ولكن الأظهر والمناسب للمقام واسلوبه وتسليته وتشجيعه ان يراد ما أصاب المشركين يوم احد فقد قتل منهم يومئذ خلق كثير من شجعانهم واهل نجدتهم فقد عد في التاريخ عشرة وعشرة وفلانا وفلانا بحيث لا يقل عن شهداء المسلمين بكثير • وأما قوله تعالى في الآية التاسعة والخمسين بعد المائة « قد اصبتم مثلها » فيمكن ان يراد به القتل والأسرى من المشركين في يوم بدر ويمكن ان يراد به قتلى المشركين في بدر واحد ولكن هون على المشركين يوم احد انهم ادر كوا فيه شيئا من ثار بدر ولم يصدموا بصدمة • وشدد على المسلمين ما لقوه انه على خلاف ما يرجونه من نصر الله لهم ولدين الحق وانهم اذنبوا بفرارهم فنالهم بعض الخذلان ولذلك صارت حربهم بانثيالهم على اطماع الغنائم وفرارهم حربا عادية لم تستمر معها روح النصر الأول فجرت على سنة الحروب المبتنية غلبتها على الاقدام والفرار والكثرة والقلة وما يعرض من الاحوال الحربية والتقدير الإلهي المنوط بالأسباب العادية في عالم التكوين من مداولة الأيام بحسب التدبير لأسبابها • وعلى هذا وجه قال الله جل اسمه (وتلك الأيام نداولها بين الناس) بمقتضى التدبير على الأسباب • والأيام عطف بيان « لتلك » اي ايام الحرب او ايام الدنيا •

آل عمران : ١٣٦ وليعلم الله ١٣٧ وليمحص ١٣٨ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله ٣٤٧

وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ *
(١٣٧) وَلَيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمَحَقَ الْكَافِرِينَ * (١٣٨) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ
تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَآ أَمَّا يَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ *

ونداولها خبر . وجرى ما جرى على مقتضى أحوال الناس من نفاق عبد الله بن أبي واصحابه ورجوعهم من الجيش ومن مخالفة من خالف كالكثير من اصحاب عبد الله بن جبير ومن فرار من فر وكان ما كان من جري الأمور على اسبابها لاجراء الأمور على مقاديرها (وليعلم الله الذين آمنوا) أي ولتكون العاقبة ان يتحقق في الخارج ايمان الذين آمنوا واتبعوا الرسول إلى الحرب وجاهدوا ويعلمهم الله في الأزل بعلمه التابع ويقارن ذلك في استمراره عملهم في الايمان والجهاد (ويتخذ منكم شهداء) اي ولتكن العاقبة ان يفوز بعضكم بالشهادة . وفي التعبير بقوله تعالى « ويتخذ » تكريم عظيم للشهداء إذا كان استشهادهم باتخاذهم لهم واختياره لهم الحسنی (والله لا يحب الظالمين) ولكنكم فررتم وخلقتم فتسلط عليكم الظالمون بحسب مجرى الاسباب والمقادير واحوال الحرب (١٣٧ وليمحص الله الذين آمنوا) أي ولتكن العاقبة ايضا تمحيص المؤمنين من غيرهم . والتمحيص التخليص اما من شين الخليط بتميز المؤمن بایمانه من غيره . واما بتخليص المؤمن من الذنوب والاطهار الأول (ويمحق الكافرين) بنقصهم شيئا فشيئا حتى يضمحلوا (١٣٨ أم حسبتم) أم منقطعة في مقام الاستفهام الانكاري (ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) جملة « ولما يعلم » حال من « تدخلوا » وكلمة « لما » تفيد النفي المستمر إلى زمان الخطاب او متعلق الحال لما هو في مقام الوقوع . اي حسبتم ان تدخلوا الجنة حال عدم علم الله التابع من الأزل إلى اوان دخول الجنة بجهاد المجاهدين . وحاصل المعنى أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يجاهد المجاهدين منكم فذكر علم الله لأنه لازم للوقوع وفي ذلك اشارة وقوع الجهاد وحصول المجاهدين والصابرين (وليعلم الصابرين) بنصب يعلم بان مضرة والواو بمعنى مع أي يعلم الذين جاهدوا مع علمه بالصابرين . كما يقال لا تأكل السمك وتشرب اللبن بنصب تشرب أي لا تأكله مع شربك اللبن ويكون العلم بالصابرين قيذا لاثر العلم بالمجاهدين وحاصله ان دخولكم الجنة منوط بجهاد المجاهدين مع صبر الصابرين الثابتين مدة الجهاد في مركز الحرب واحتدام لظاها . فلا تظنوا انكم تدخلون الجنة

لولا هذين العاديين الذين قام بهما الدين وانتظمت جامعة الاسلام والهدى وبصبر الصابرين في ذلك وصادق جهادهم وثباتهم حفظت في ذلك اليوم شوكة الاسلام فيسر رجوعكم إلى الرسول الاكرم بالكرة وتوبتكم من الفرار من الزحف فتأهلتم لدخول الجنة ببركة الاسلام وصالح الأعمال . هذا والمحصل من واقعة أحد بحسب التاريخ والحديث ان عليا (ع) قتل طلحة من بني عبد الدار صاحب لواء المشركين واكثر الحديث والتاريخ وأصححه انه عليه السلام قتل تسعة تعاقبوا على حمل لواء المشركين من بني عبد الدار وعاشرهم صواب مولاهم واشتدت الحرب فانهمز المشركون فاثال المسلمون على الغنيمة وطمع فيها اكثر اصحاب عبدالله ابن جبير ولم يصغوا إلى نهي عبد الله عن مبارحة الشعب ولم يحفظوا وصية رسول الله (ص) وامره بذلك فلم يبق مع عبد الله إلا عشرة فما دون فاغتنم ذلك خالد بن الوليد وهجم عليهم بخيل المشركين فقتلهم ودم المسلمون من ورائهم وهم فارون بالغنائم ففر المسلمون بهزيمة مهولة والذي اتفق التاريخ على انه ثبت في ذلك في حومة الحرب والدفاع عن رسول الله هو أمير المؤمنين علي واختلف في غيره وربما تذكر لبعضهم اعمال بعد ان فاء المسلمون إلى رسول الله من فرارهم فيحسب انه كان من الثابتين الذين لم يفروا . روى الطبراني في الكبير كما في كنز العمال ومنتخبه مسندا عن ابي رافع لما اقبلت على علي يوم احد اصحاب الألوثة قال جبرائيل يا رسول الله ان هذه لمي المواساة فقال النبي (ص) انه مني وانا منه فقال جبرائيل وانا منك يا رسول الله ، وروى ابن جرير في تاريخه مسندا برجال الصحة عندهم عن محمد ابن عبيد الله بن ابي رافع عن ابيه عن جده لما قتل علي اصحاب الألوثة ابصر رسول الله جماعة من مشركي قريش فقال لعلي احمل عليهم فحمل عليهم ففرق جمعهم وقتل عمرو الجمحي ثم ابصر رسول الله جماعة من مشركي قريش فقال لعلي احمل عليهم فحمل عليهم ففرق جماعتهم وقتل شيبه بن مالك فقال جبرائيل يا رسول الله ان هذه لمواساة فقال رسول الله (ص) « انه مني وانا منه » فقال جبرائيل وانا منك قال فسمعوا صوتا « لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي » . وذكر نحوه ابن الأثير في تاريخه إلا انه لم يذكر المقتولين في الحلتين . وفي اللثام المصنوعة عن ابن عدي مسندا برجال الصحة عندهم عن محمد المذكور عن ابيه عن جده قال كانت راية رسول الله (ص) يوم احد مع علي (ع) وراية المشركين مع طلحة بن ابي طلحة فذكر خبرا طويلا وفيه وحمل راية المشركين سبعة ويقتلهم علي (ع) فقال جبرائيل يا محمد هذه المواساة

فقال النبي (ص) انا منه وهو مني ثم سمعنا صائحا في السماء يقول « لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي » (١) . وعن ابن المغازلي الشافعي في المناقب مسندا عن ابي رافع نادى ملك من السماء يوم احد لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي . وروى ابن عدي مسندا عن ابن عباس قال صاح صائح يوم احد لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى إلا علي . لكن قال

(١) ثم ذكر عن ابن عدي قوله عبيد رافضي يحدث بالموضوعات . أقول ولعل ذلك وهم من الناسخ او الطابع وان الذي ذكره ابن عدي ورواه بالرفض هو محمد بن عبيد الله فإن عبيد الله من رجال الجوامع الست والظاهر اتفاقهم على انه ثقة . ومحمد روى عنه الترمذي وابن ماجه في جاءهيهما وذكره ابن حبان في الثقة . لكن عن البخاري واي حاتم انه منكر الحديث . أقول وذنبه الذي لا يغفره بعض هو تشيعه وروايته للفضائل ويكشف عن ذلك قول ابن عدي هو في عدد شيعه اهل الكوفة ويروي من الفضائل اشياء لا يتابع عليها أقول وهذا هو السبب في عده منكر الحديث وذاهبا . ومن ذلك ان الذهبي غز عليه بأنه روى عن ابيه عن جده قول رسول الله (ص) لعلي (ع) اول من يدخل الجنة أنا وانت والحسن والحسين وذريتنا خلفنا وشيعتنا عن ايماننا وشمائلنا . وقد ذكرنا في صفحة ٤٥ عن ابن عدي انه يعد ما عليه اهل الكوفة من التشيع ميلا عن الحق . ولا يخفى ان التشيع في الاصطلاح واستعمال اصحاب الرجال من اهل السنة هو غير ما يسمونه رفضا بل هو عبارة عن مجانية معاوية واتباعه وولاة علي واهل البيت عليهم السلام ومودتهم أخذا بقوله تعالى « قل لا اسئلكم عليه اجرا إلا المودة في القربى » لكن هذا التشيع عند بعض ذنب لا يغفر . ففي ميزان الذهبي في ترجمة عبد الله بن ابراهيم الأنصاري عن ابي بكر القطيعي قوله فيه انه متماسك لكنه من شيوخ الشيعة لارعوا . وفي ترجمة يحيى بن عبد الحميد الحناني انه وثقه ابن معين وغيره وان ابن عدي ارتضاه ولكنه شيعي بغض : وقد سرى هذا الداء للذهبي من العصور السابقة ففي اللتالي عن ابن معين انه قال في ابي الصلت الهروي انه ثقة صدوق إلا انه يتشيع . وان العباس بن محمد الدوري وصالح بن محمد بن حبيب وعبد الحاق بن منصور وغيرهم اعترضوا على يحيى بن معين في توثيقه لأن الصلت بأن أبا الصلت يروي حديثا نامدينة العلم وعلي بابها « فقال لهم يحيى قد رواه الفيدي ايضا . فانظر إلى ما تغافل في الصدور من رواية هذا الحديث تفتح باب الطعن على رواية ويكون بسببه منكر الحديث . وفي تهذيب التهذيب في ترجمة علي بن غراب عن ابن معين لم يكن به بأس ولكنه كان يتشيع . وعن الخطيب اظنه طعن عليه لأجل مذهبه لأنه كان يتشيع

ابن عدي ان في سنده يحيى بن سلمة بن كهيل وهو متروك (١) . وقال ابن ابي الحديد في أواخر الجزء الثالث من شرحه للنهج روى ابو عمر الزاهد ومحمد بن حبيب في اماليه قال لما فرغ معظم اصحاب النبي (ص) يوم احد كثرت عليه كتائب المشركين وذكر نحو ما ذكره ابن جرير وزاد ان عليا (ع) قتل من الكتبية الأولى عشرة وزاد في قول جبرائيل لقد عجت الملائكة من مواساة هذا الفتى . وان رسول الله (ص) سئل عن المنادي فقال (ص) هذا جبرائيل . ثم قال ابن ابي الحديد وقد روى هذا الخبر جماعة من المحدثين وهو من الأخبار المشهورة ووقفت عليه في بعض نسخ مغازي ابن اسحق ورأيت بعضها خاليا عنه وسئلت شيخي عبد الوهاب بن سكينه عن هذا الخبر فقال خبر صحيح فقلت فما بال الصحاح لم تشمل عليه فقال اوكلما كان صحيحا تشتمل عليه كتب الصحاح فلکم اهل جامعوا الصحاح من الاخبار الصحيحة وعن السمعاني في كتاب فضائل الصحابة بسنده عن الباقر (ع) وذكر نحو هذا النداء . وعن ابن المغازلي انه روى بسنده عن الباقر (ع) انه نودي بهذا النداء يوم بدر وروى ابن عدي بسنده عن الباقر (ع) نادى مناد من السماء يوم بدر يقال له رضوان « لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى إلا علي » (٢) . وعن سبط الجوزي انه نودي في يوم خيبر وصححه لا سيف الا ذو

(١) في التقريب متروك وكان شيعيا أقول هو من رجال الترمذي وروى عنه احمد في مسنده حبة العربي وقواه الحاكم واخرج عنه في المستدرک واخذ عنه جماعة وذكره ابن حبان في الثقة وقال ان في حديث ابنه عنه مناكير انتهى وما ادعى كونه متروكا إلا من يأخذ على ظنه التشيع ويشغل عليه حديثه في الفضائل . وقد غمز عليه الذهبي بذلك في ميزانه بأنه روى بسنده عن ثوبان عن رسول الله (ص) قوله : « النظر إلى علي عبادة » وقال العجلي كان يغلو في التشيع . أقول والله العبرة بأن عمران بن حطان وامثاله من الخوارج المبغضين لأئمة المؤمنين (ع) يحتاج بحديثهم في الجوامع . والذين يصفونهم بالنصب يصفونهم بأنهم ثقات ويسمون بعضهم أئمة . وان عمر بن سعد قاتل الحسين (ع) وتاركه بالعراء بلا دفن ونأب رحله وسألي عياله يقول الذهبي في ميزانه فيه انه في نفسه غير متهم وعن العجلي روى عنه الناس تابعي ثقة وهو الذي قتل الحسين . وفي التقريب صدوق لكن مقتله الناس لكونه كان اميرا على الجيش الذي قتلوا الحسين . فانظر إلى نسبة القتل إلى الجيش مع ان عمر هو الأمر والمثابر وفاعل الأفاعيل

(٢) وقال ابن عدي ان في سنده عمار الثوري ابن اخت سفيان وهو متروك . أقول هو من رجال مسلم والترمذي وابن ماجة وقد وثقه جماعة وفي ميزان الذهبي هو من الابدال ثبت حجة .

(١٣٩) وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ

الفقار ولا فتى إلا علي وانه رواه احمد في الفضائل وذكر ايضا انه مما روي به النداء ايضا يوم بدر اقول ولا تنافي بين هذه الروايات إذ يمكن صدور هذا النداء في بدر واحد وخير فإن أمير المؤمنين (ع) قد امتاز في تلك الأيام بالمواقف العظيمة . فإن الحديث عن أبي رافع مختلف في لفظه افلا بعد هذا من الاضطراب الموهن للرواية قلت ان الاختلاف انما هو بالنقيصة وهذا ليس من الاضطراب بل تحمل النقيصة على النسيان أو دواع أخر وقد ابتلي الحديث بالاختلاف الذي هو أشد من هذا فإن جل ما تكرر من الحديث في مسند احمد والجوامع الست وغيرها او كاه لا ينفك عن مثل هذا الاختلاف وما هو أكثر منه وأكثر فانظر إلى كتب الحديث واعتبر « ظريفة » قال الطنطاوي في صفحة ١٤٣ من الجزء الثاني من تفسيره « فانهم المسلمون وبقي رسول الله (ص) في جماعة من اصحابه كأبي بكر وعلي والعباس وطلحة وسعد » قلت ربما روى ما يترأى منه ان أبا بكر من الثابتين ولكن المعروف في الحديث والتاريخ انه ليس بمن دام ثباته في أول الحرب إلى آخرها وفي صحيح ابن حبان مسندا عن عائشة قالت قال ابو بكر لما كان يوم احد انصرف الناس كلهم عن رسول الله فكنت أول من فاء إليه دعه هذا ولكن قل الطنطاوي اين كان العباس يوم احد والعباس لم يدخل في جامعة المسلمين ويأتي المدينة إلا بعد فتح مكة وأي عباس هذا ولقد تخيلت ان كلمة « والعباس » من غلط المطبعة فنظرت إلى جدول التصحيح فرأيت صحح من الصفحة المذكورة غلطين لفظيتين دون المعنى الكبير نعم ذكر في صفحة ١٥٤ ان الذين ثبتوا يومئذ مع النبي (ص) من المهاجرين سبعة لم يذكر منهم العباس « فظن خيرا » وان كان له في تاريخ الشرق غرائب واحوالا . (١٣٩) ولقد كنتم تمنون (تمنون) فحذفت إحدى التائين ومثله شائع كثير في العربية والتمني معروف (الموت من قبل ان تلقوه) في تفسير القمي وفي رواية ابي الجارود عن الباقر (ع) ان المؤمنين لما اخبرهم بالذي فعل بشهائهم يوم بدر ومنازلهم في الجنة رغبوا في ذلك وقالوا اللهم ارنانا قتالا نستشهد فيه فأراهم الله اياه يوم احد فلم يشبوا إلا من شاء الله منهم . وفي الدر المنثور اخرج

وفي التالي كلا بل هو ثبت ثقة . من الابدال . وفي التقريب صدوق يخطي اقول ولعل نسبه إلى الخطأ جاءته من روايته لهذا الحديث وامثاله

فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * (١٤٠) وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ * (١٤١) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ

ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس وذكر نحو من ذلك . ولئن لم تنهض الروايات حجة في ذلك فالآية ناطقة بما هو نحوه . ومقامها يقتضي ان يكون المراد من الموت المتمنى هي الشهادة (فقد رأيتموه) قيل رأيتم اسبابه من الحرب والقتال اقول وان الشهادة والقتل وبقاء الأبدان بلا ارواح امر مرئي ولا مانع من ان يراد ذلك مع انه اظهر واولى . والرواية هي الاحساس بالباصرة (وانتم تنظرون) والنظر غير الرواية المنعدية إلى مفعولها بل هو اعمال الباصرة لأجل الرواية ويكفي في بيان المغايرة انه لا يتعدى إلا بكلمة «إلى» كما عليه اللغة واستعمال القرآن الكريم أي رأيتموه لا صدفة وانتم تعملون باصرتكم لأجل روية الحال والقتال والشهادة وموت الشهداء . ولا ضير في تمني الشهادة بعد العلم العادي بأن الدفاع في نصره الدين لا بد فيه من ان ينال بعض المسلمين سعادة الشهادة وحياتها الأبدية خصوصاً بعدما يروى من ان النبي (ص) اخبرهم بأنهم يستشهد بعدد اسرى بدر وابن هذا من تمني تسلط الشرك ونقص عدد المسلمين كما يذكر في الاشكال الواهي (١٤٠ وما محمد) صلى الله عليه وآله وسلم (إلا رسول) من البشر المقدر عليه الموت ببلوغ اجله (قد خلت) ومضت وسلفت (من قبله الرسل) دعاهم الله فأجابوا وهو مثلهم امره بيد الله يدعوه إلى دار السعادة والزلفى فيجيب (أفإن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم) ناكسين عن الطاعة او الدين . والاستفهام للانكار عليهم . وقد روى البخاري في باب الحوض وغيره في غيره ولعله من الحديث المعلوم بين الفريقين ان رسول الله (ص) اخبر بانقلاب ناس من اصحابه (ومن ينقلب) عن الطاعة او الدين (على عقبه فلن يضر الله شيئا) وإنما يهلك نفسه فإن الله غني عن العالمين (وسيجزي الله الشاكرين) لنعمته عليهم بالإيمان والشرعية اذ عرفوا ما لهذه النعمة من القدر العظيم فثبتوا عليها (١٤١ و) لا تحسبوا ان الموت يأتيكم مصادفة واتفاقاً من عروض العوارض بلا تقدير من الله فتوهوا انه ينجيكم منه الحذر والفرار والعود عن الجهاد بل (ما كان) ولم يثبت بل ولا يثبت (لنفس ان تموت إلا بإذن الله) ومشيتته وتقديره (كتاباً) في التبيان والمجمع

إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّوجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ
ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ * (١٤٢) وَكَأَيْنَ مِنْ نَبِيٍّ
قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ

والكشفاف انه مصدر منصوب بفعل من لفظه أي كتب ذلك كتابا أقول ويجوز ان لم يكن
الظاهر ان يكون بمعنى المكتوب وهو حال مفسرة من الاذن (موجللا) اي كتبت فيه الآجال
بجدودها (ومن يرد) من الله بعمله (ثواب الدنيا) والجزاء فيها (نؤته منها) أي من الدنيا
(ومن يرد ثواب الآخرة) وما اعده الله لطالبيها (نؤته منها) بحسب عمله واخلاصه (وسنجزى
الشاكرين) لله على نعمه واعظمها توفيقهم لطاعته وطلب ما عنده . هذا هو الظاهر من الآية
وذكر في التبيان ومجمع البيان اقوالاً لا حجة عليها ولا بها (١٤٢ وكأين) الظاهر من المغني
وشرح الكافية للشيخ الرضي اتفاق النحويين وامثالهم على انها مركبة من كاف التشبيه
و «أي» الموصولة ورسمت النون للمحافظة على النونين في الأصل وانها صارت بعد التركيب
اسما يفيد معنى «كم» الخيرية والتكثير وان خالفتها من وجوه وان محلها الابتداء وما بعد تمييزها
خبرها وعلى ذلك جرى مجمع البيان بل وظاهر التبيان وأما الكشف فلم يتعرض في تفسيره لشيء
من ذلك أقول ان لم يجدوا منها في موارد استعمالها معنى كاف التشبيه ومعنى «أي» فن أين
جاؤوا بحدث تركيبها واصلها وصيرورتها بالتركيب اسما فإن العرب لا يتحدثون ولا يتحدثون
بمثل ذلك وإنما يستعملون ما في لغتهم بقتضى غريزتهم العربية وعلى رسالهم بدون تحليل .
واذا كانوا يتحدثون منها معنى جزئيا فلماذا يقولون انها صارت اسما ولماذا لا يجرون على مقتضى
جزئها . وقد جاءت في القرآن الكريم سبع مرات كما في الآية وسور يوسف ١٠٥ والحج ٤٤
و ٤٧ والعنكبوت ٦٠ ومحمد (ص) ١٤ والطلاق ٨ قال حسان

كأين قد اصاب غداة ذاك من ابيض ماجد من سر عمرو

وقد تسهل هزتها وتكون على وزن فاعل كقول زهير في معلقته :

وكأئن ترى من صامت لك معجب زيادته او نقصه في التكلم

(من نبي) تمييز وبيان (قاتل) خبر (معه ربيون كثير) «ربيون» فاعل لقاتل وفي

الكشفاف ومجمع البيان جواز ان يكون الفاعل ضمير يعود للنبي و «معه ربيون» جملة حالية

فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ

لِقَاتِلٍ وَيَدْفَعُ ذَلِكَ أَنْ الْجُمْلَةُ الْأَسْمِيَّةُ تَحْتَاجُ فِي كَوْنِهَا حَالًا إِلَى رَبِّطِهَا بِالْوَاوِ أَوْ بِهَا مَعَ الضَّمِيرِ .
وَأَمَّا الْأَكْتِفَاءُ بِالضَّمِيرِ وَحْدَهُ فَهُوَ مِنَ الضَّعِيفِ الَّذِي يَجَلُّ عَنْهُ قَدْرُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ . وَالزَّمْخَشَرِيُّ
يَصْرَحُ بِالضَّعْفِ فِي نَحْوِهِ . أَمَّا الرِّبُّونُ فَفِي الْكَشَافِ أَنَّ الرَّبِّيَّ كَالرَّبَّانِيِّ هُوَ الْمُنْسُوبُ إِلَى الرَّبِّ
وَكَسَرَتْ الرَّاءُ مِنْ تَغْيِيرِ النَّسَبِ . يَعْنِي أَنَّ النِّسْبَةَ تَكُونُ مَعَهَا تَغْيِيرَاتٌ كَثِيرَةٌ فِي بِنَاءِ الْكَلِمَةِ
حَتَّى فِي أَوَّلِهَا كَمَا يُقَالُ فِي الْمُنْسُوبِ إِلَى الدَّهْرِ دُهُرِيٌّ بِضَمِّ الدَّالِّ وَبَصْرِيٌّ بِكَسْرِ الْبَاءِ وَتَوَافَقَهُ
أَحَدُ الرُّوَاهِتَيْنِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ . وَقَدْ اخْتَلَفَتْ الرُّوَاةُ فِي تَفْسِيرِ الرَّبِّيِّ فِي الدَّرِ الْمَشْهُورِ عَنْ
ابْنِ عَبَّاسٍ عُلَمَاءٌ كَثِيرٌ وَعَنْهُ إِضْطِجَاعُ . وَالْجُمُوعُ الْكَثِيرَةُ . وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ الْوَفَّ . وَفِي
التَّبْيَانِ الرَّبِّيُّ عَشْرَةُ آلَافٍ وَهُوَ الْمُرَوِّى عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ يَعْنِي الْبَاقِرَ (ع) وَلَمْ أَجِدْ الرُّوَاةَ وَكَأَنَّهَا
مِنْ رَوَاةِ أَبِي الْجَارُودِ فِي تَفْسِيرِهِ وَهُوَ ضَعِيفٌ . وَعَنْ الْعِيَّاشِيِّ عَنْ مَنْصُورِ بْنِ الصَّبِيقْلِ عَنْ
الصَّادِقِ (ع) الْوَفَّ الْأَلُوفُ . وَمَنْصُورٌ مَجْهُولُ الْحَالِ وَرَوَاةُ الْعِيَّاشِيِّ عَنْهُ مَرْسَلَةٌ . وَفِي
تَفْسِيرِ الْقَمِيِّ الرِّبُّونُ الْجُمُوعُ الْكَثِيرَةُ وَالرَّبُّوةُ الْوَاحِدَةُ عَشْرَةُ آلَافٍ . وَفِي الْقَامُوسِ الرَّبُّوةُ بِالْكَسْرِ
عَشْرَةُ آلَافٍ وَالرَّبِّيُّ وَاحِدُ الرِّبِّيِّينَ وَهُمْ أَلُوفٌ مِنَ النَّاسِ . وَعَلَيْهِ فَنَسَبَةُ الرَّبِّيِّ إِلَى الرَّبُّوةِ يَحْتَاجُ
إِلَى تَصْرِفٍ زَائِدٍ بَقَلْبِ الْوَاوِ يَاءٌ ثُمَّ حُذِفَ الْبَاءُ مَعَ أَنَّ ظَاهِرَ الْآيَةِ تَوْبِيخُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ (ص)
فِي أَحَدٍ لِأَجْلِ وَهْنِهِمْ بِفِرَارِهِمْ وَعَدَمِ صَبْرِهِمْ فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ رَبِّهِمْ وَحِمَاةِ الدِّينِ مَعَ أَنَّ أَصْحَابَ
النَّبِيِّينَ قَالُوا مَعَهُمْ فَمَا عَرَاهُمْ ذَلِكَ فَإِذَا كَانَ أَصْحَابُ كُلِّ نَبِيٍّ يَنْسُبُونَ إِلَى الرَّبُّوةِ وَالْجُمُوعِ
الْكَثِيرَةِ وَعَشْرَاتِ الْأَلُوفِ لَمْ يَأْخُذْ التَّوْبِيخُ مَوْقِعَهُ مِنَ الْحُجَّةِ لِأَنَّ الْجُمُوعَ الْكَثِيرَةَ وَالْعَشْرَاتِ
مِنَ الْأَلُوفِ فَمَا زَادَ إِلَى الْوَفِّ الْأَلُوفُ يَعْنُونَ بِحَسَبِ الْعَادَةِ بِكَثْرَةِ جُمُوعِهِمْ وَعَدَدِ الْوَفِّهِمْ
مُضَافًا إِلَى كَوْنِ وَصْفِهِمْ بِالْكَثِيرِينَ لَا فَائِدَةَ فِيهِ وَبِهَذَا تَزْدَادُ الرُّوَاةُ ضَعْفًا وَاسْتِجَابًا بِاللَّاطِرِ
اللَّهِمَّ إِلَّا أَنْ يُقَالَ إِنَّهُمْ يَنْسُبُونَ إِلَى الرَّبُّوةِ وَعَشْرَاتِ الْأَلُوفِ فَمَا زَادَ بِاعْتِبَارِ تَكَرُّرِ الْمَعَارِكِ
الْكَثِيرَةِ مَعَ ذَلِكَ النَّبِيِّ وَتَنَاقُوبِ الْمَجَاهِدِينَ وَفِي جَمِيعِهَا يَثْبُتُونَ . وَفِيهِ بَعْدُ . وَعَلَيْهِ يَكُونُ الْمَعْنَى
وَكَمْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ فِي جِهَادِهِ كَثِيرُونَ فَثَبَّتُوا وَصَبَرُوا عَلَى مَا أَصَابَهُمْ فَمَا لَكُمْ لَمْ تَصْبِرُوا وَلَمْ
يَثْبُتْ مِنْكُمْ إِلَّا اثْنَانِ وَنَحْوُ ذَلِكَ . وَعَلَى قَوْلِ الْكَشَافِ إِيَّاهِ الْمُنْتَـسَبُونَ إِلَى الرَّبِّ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ
رَبِّهِمْ لِمَاذَا فَرَرْتُمْ وَلَمْ تَصْبِرُوا كَمَا صَبَرَ الْكَثِيرُونَ مِنَ الْمُنْتَـسَبِينَ بِالْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ إِلَى رَبِّهِمْ
الَّذِينَ جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ رَبِّهِمْ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ (فَمَا وَهَنُوا لِمَا) أَيِ لَأَجْلِ مَا (أَصَابَهُمْ) مِنْ شِدَائِدِ

آل عمران: ١٤٣ وما كان قولهم ١٤٤ فأتاهم الله ثواب الدنيا ١٤٥ يأيها الذين آمنوا ٣٥٥

فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * (١٤٣) وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * (١٤٤) فَأَتَيْهِمُ اللَّهُ تَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * (١٤٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُغْرُوا بِرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ *

الحرب والجهاد (في سبيل الله وما ضعفوا) وهذا يدل على ان معنى الوهن اما ما هو قريب في المعنى من الضعف او هو قسم خاص منه فإن محض التأكيد بالمترادين بعهد فيمكن ان يراد فما اختل نظام اجتماعهم ولم يعرض لهم الملح وخمود العزائم وما ضعفت ابدانهم لكونهم استسلموا للربع والخوف وروعة الحرب (وما استكانوا) الاستكانة الذل والخضوع . ويحتمل ان يكون ذلك تعريضاً بما يروى من ان بعضاً هموا بأن يوسطوا عبد الله بن سلول ليطالب لهم الأمان من قريش . بل ان الربيون صبروا صبر الكرام في حروبهم (والله يحب الصابرين) وكفاهم بذلك فضلاً وفخراً (١٤٣ وما كان قولهم) في شدائد الحروب وامثالها (إلا ان قالوا ربنا) اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا (قول المستصغر لعمله الخائف من هفوات الزلل والطالب من الله التسديد والمغفرة لما سلف (وثبت اقدامنا) في الجهاد في سبيلك وطاعتك قول الصابر الموطن نفسه على الثبات والطالب من الله التوفيق والتسديد (وانصرنا) في جهادنا (على القوم الكافرين ١٤٤ فأتاهم الله) جزاء بما عملوا (ثواب الدنيا) من النصر والفتح وسائر النعم (وحسن ثواب الآخرة) وفي ذكر الحسن بيان لعظمة ثوابهم في الآخرة وان كان كله حسن واي حسن جزاء لا إحسانهم (والله يحب المحسنين ١٤٥ يأيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا) بالطاعة العامة أو في أمر الجهاد والدين . وقيل ان الآية نزلت في عبد الله بن ابي سلول الذي رجع من جيش النبي (ص) عن حرب احد بثلاثمائة من اصحابه وصار يخذل المسلمين عن رسول الله . وفي الكشف ومجمع البيان وتفسير البرهان مرسلان عن علي (ع) نزلت في قول المنافقين أي للمسلمين عند الهزيمة ارجعوا إلى اخوانكم وادخلوا في دينهم وعليه يكون مورد النزول من احد المصاديق والآية على عمومها (يردوكم) عن دين الحق والايمان والجهاد إلى الورا والضلال (على اعقابكم فتنقلبوا) يردوكم إلى الضلال (خاسرين) وكفى بذلك هلكة

(١٤٦) بَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ * (١٤٧) سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ يَأْشُرُ كُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوِيَهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوًى الظَّالِمِينَ * (١٤٨) وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّوهُم بِأُذُنِهِ

فلا تطيعوهم (١٤٦ بل الله مولاكم) وولي أمركم وهو لكم وناصركم (وهو خير الناصرين ١٤٧ سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب) قد استفاض الحديث بأن المشركين رجعو من حرب أحد إلى مكة مرعوبين والآية عامة فقد كانت رسول الله (ص) منصوراً برعب أعدائه منه كما يشهد به الحديث والتاريخ واحوال المشركين وحروبهم للمسلمين (بما اشرعوا) أي بسبب اشرارهم (بالله مالم ينزل به) في إلهيته واستحقاقه للاشتراك مع الله في الإلهية (سلطاناً) وحجة من عنده فإن كل هؤلاء المشركين قد اسسوا شرهم على الاعتراف بالله وإلهيته وماله من كمال الإلهية . ولكنهم يزعمون في الشركاء انهم آلهة صغار بحسب ماصوره لهم ضلالهم من الولادة من الله او تنزلات الإلهية ونحو ذلك فتقوم الحجة على المشركين بأن الله جل شأنه كيف يهمل شأن الإله المتولد منه أو الذي هو من تنزلاته ولا ينزل سلطانا على إلهيته ومقامه فيها واستحقاقه العبادة كما يزعمون فإنه جلت آلاؤه لم يترك نبيا بعثه بدون اقامة الحجة على نبوته لئلا يضعف مقامه وتضعف الفائدة من نبوته فكيف يضعف الفائدة ويبطل الحكمة فلا يقيم حجة ولا ينزل سلطانا بإلهية من تواد منه أو صار من تنزلاته . دع عنك هذا التقدير ولكن من اين لهم الحجة على إلهية شركائهم وهل نزل الله بذلك سلطانا يحتجون به فإن مرجع ذلك إلى الله لا إلى اوهام الضلال . وهذه حجة الزامية على المشركين زيادة على الحجج العقلية على وحدة الإله وبطلان الشرك وان كل ما يشركونه مع الله ملزوم بلوازم المخلوقية والحدوث وامتناع إلهيته (ومأويهم النار وبئس مآوى الظالمين) المأوى هو المحل الذي يعد ويوثق ليستراح ويحتمي به . والمثوى هو المحل الذي يطول المكث فيه . وجرى التعبير بالمأوى تبكيتاً بسوء عاقبتهم . وان النار مشواهم ومحل مكثهم وبئس المآوى المعد للظالمين (١٤٨) ولقد صدقكم الله وعده) لكم بالنصر وظهر لكم مصداقه (إذ تحسبونهم بأذنه) أي تقتلونهم بنصر الله ومشيتته . وفي النبيان الحس هو القتل على وجه الاستئصال . وفي النهاية حسوهم بالسيف حساً استأصلوهم قتلاً . وفي الكشف تقناوهم قتلاً ذريعاً . وعلى هذا يدور كلام

حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا أَرْسِلْكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ
مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ

اللفويين في كتبهم . قال عتبة الليثي : -

نحسبهم بالبيض حسا كأننا نفلق منهم بالجماحم حظلا

والحسيس القليل . قال صلاتة بن عمرو كما في لسان العرب وغيره

نفسى لهم عند انكسار القنا وقد تردوا كل قرن حسيس

وقد كان في قتل المسلمين للمشركين في اول الحرب يوم احد قتل استئصال فقد استأصلوا حملة اللواء بني عبد الدار وسرى القتل الذريع في المشركين حتى انهزموا واكب المسلمون على رحالهم للغنائم وكان ذلك القتل والانزاع باذن الله ونصره على خلاف الموازنة الحربية ومصادمة القوة بالقوة وكثرة عدد المشركين وعدتهم فقد كانوا نحواربعة امثال المسلمين المجاهدين . وفي التبيان اذ تحسبونهم يوم بدر حتى اذا فشلتم يوم احد . وفي مجمع البيان اكثر المفسرين على ان المراد بالجميع يوم احد ونقل ما ذكره التبيان عن ابي علي الجبائي . وما ذكرناه مقتضى سوق القرآن فهو الظاهر وعليه روايتا ابن عباس في الدر المنثور وان كان فيما صححوه منها ظهوره في حضور ابن عباس يوم احد وهو خلاف المعروف من التاريخ من ان ابن عباس لم يكن حينئذ مهاجراً بل لم تعرف هجرته الا بعد فتح مكة (حتى اذا فشلتم) أي ظهر مصداق وعد الله لكم بالنصر وصرتم تقتلونهم قتلا ذريعا ودام ذلك حتى اذا فشلتم انقطع ذلك بسبب فشلكم وما جرى منكم . وفسر الفشل بالجلب اي جبنهم حينما كر عليهم المشركون بعد فرارهم . وعلى هذا يكون العطف بعد ذكر الفشل على خلاف الترتيب وهو سائغ مع الواو (وتنازعتم في الأمر) ومن ذلك ما وقع من الرماة اصحاب ابن جبير في الشعب حيث رغب اكثرهم في الغنيمة وخالفوا امر الرسول وارقوا الثابتين الاصرين لهم بالثبات في صركزم (وعصيتهم) بالذهاب من الشعب الى الغنيمة وفراركم عن رسول الله (من بعد ما اراكم) الله (ما تحبون) من النصر وقتلكم لهم وهزيمتهم (١٤٩ منكم من يريد الدنيا) فأثر الغنيمة على طاعة الرسول أو أثر الحياة الدنيا بالفرار على الجهاد في سبيل الله (ومنكم من يريد الآخرة فثبت وجاهد جهاد الصابرين) ثم صرفكم عنهم) عطف على صدقكم الله اي صرفكم

لِيَتَّيِبَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ * (١٥٠) اذ تصعدون
وَلَا تَلُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بَغْمٍ لِكَيْلَا

بما اقتضاء التقدير في احوال الحرب والتخاذل فيها فوكاكم إلى انفسكم (لييتيكم) اللام للغاية
أي ومن غايات ما جرى ان يمتحنكم وتظهر اعمالكم فيرفع الله درجات الصابرين (ولقد عفا
عنكم) أي عن مخالف ولم يصبر وهذا العفو من فضل الله ببركة ايمانكم (والله ذو فضل على
المؤمنين ١٥٠ اذ تصعدون) «اذ» ظرف لصرفكم والمراد فرارهم و«تصعدون» بضم التاء
من «اصعد» بمعنى دخل واخذ في الصعود إلى الجبال مثل «انجد • واتهم» او دخل في
الصعود في الأرض أي السير فيها قال حسان : «يبارين الأعنة مصعدات» وقال الآخر
«هوأي مع الركب اليانين مصعد» ولا تلتفتون في فراركم واصعادكم (ولا تلون) ابدانكم
(على احد) سواء كان داعياً منكم للثبات أو مستجيراً بأحدكم او عدوا محارباً (والرسول
يدعوكم) إلى نصره وجهاد المشركين • قبل وكان دعاءه صلى الله عليه وآله إلى عباد الله
ارجعوا انا رسول الله (في اخراكم) أخرى القوم الجماعة التي هي آخرهم والظاهر ان الجار
والمجرور منطلق ييدعوكم كما يقال نادى في الناس • وهذا يقضي بأن أوائلهم قد امتعت
بالفرار وبعدت فيكون الدعاء والنداء في اخراهم • ويجوز ان يكون حالا من الفاعل في
«يدعوكم» أي حال كونه في الجماعة التي هي اخراكم من ناحية العدو والقتال والمراد منها الثابتين
(فأتائبكم) الله وهو عطف على صرفكم أي جزاكم • والثواب الجزاء على الطاعة والمعصية وان
كثر استعماله في الطاعة (غما بغم) في التبيان غما على غم وقبل مع غم • وفي تفسير القمي والدر
المنثور في تفسير غما بغم ببيان السبب للغم روايات لا تنهض حجة للتمويل عليها خصوصاً مع
التعارض في روايات الدر المنثور • وفي الكشف غما بسبب غم أذقتموه رسول الله بعصيانكم
انتهى ولا حجة على ما قال وقال بعد ذلك ما حاصله يجوز ان يكون فاعل اتائبكم هو رسول الله
(ص) أي كما اغتمتم لما اصابه غمه ما نزل بكم وآساكم بغمه لتسليتكم لكي لا تحزنوا الآية
انتهى وهو اجنبي عن سوق الآيات وحال الواقعة • والغم معروف وان فسر بالحزن لكن
الاستعمال والتبادر يشهدان بأنه عبارة عن حالة معروفة تعرض على الانسان عند المصائب والحزن
يضيق بها صدره وهي اقرب إلى معنى الكرب من الحزن (لكيلا تحزنوا على ما فاتكم) من

تَحْزَنُوا عَلَى مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * (١٥١) ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نِعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخَفِّونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى

الظفر بعدوكم وانتصاركم عليه (وما اصابكم) من اثم المعصية لله والمخالفة لرسوله والهزيمة ووبالها الدنيوي من الانكسار والوهن والخوف والرعب من كرة العدو عليكم وعلى بلادكم واهليكم هذا هو الظاهر من السياق أي واثابكم غما بغم والغاية من تراكم الغموم عليكم ان تذهلوا عن الحزن المذكور (والله خبير بما تعملون) لا تخفى عليه من اعمالكم ووجوهها خافية (١٥١) ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم (أي يشغلهم ويغفلهم عن الخوف فتساوي حالتهم حالة الآمن كقوله تعالى في سورة الأنفال في ذكر وقعة بدر ١١ « اذ يغشاكم الناس امنة منه » وهذا نحو من اللطف بهذه الطائفة الذي عراهم في جملة غمومهم غم المعصية بالفرار خوفا من الله وندما على الذنب (وطائفة) أخرى منكم وهم الذين لم يكونوا أهلا لهذا اللطف بل هم مرتكسون في همومهم وغمومهم (قد اهتمهم انفسهم) في امر الحياة الدنيا وقد يشعرون بالنصر « طائفة » مبتدأ وجملة قد اهتمهم خبر (يظنون بالله غير الحق) في وعده لرسوله بالنصر وان يظهروا على الدين كله (ظن الجاهلية) والجملة خبر ثان (يقولون) حال من ضمير « يظنون » او خبر ثالث (هل لنا من الأمر من شيء) أي من النصر وان لم يكن خطابا لرسول الله بل فيما بينهم فيحتمل ان يريدوا من الأمر الحق ويكون استفهامهم انكاريا كما يومي اليه ما يأتي (قل) لهم يا رسول الله في جواب سؤالهم منك أو محاورتهم فيما بينهم (ان الأمر كله لله) وبيده ازمة الأمور (يخفون في انفسهم) عليك (ما لا يبذون لك يقولون) في انفسهم او فيما بينهم في محاورتهم (لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا قل) يا رسول الله للناس في بيان الحقيقة ما يكون جوابا لما اخبرتك به مما يخفيه عليك هؤلاء ان امر القتل تابع للتقدير والقضاء ليفوز الشهداء بسعادة الشهادة وبهلك المنافق والمشرک . (ولو كنتم) يا ايها الناس (في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) في الشهادة او الهلاك على حكم قضاء

مَصَاجِعِهِمْ وَيَبْتَليَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَيُلْخِصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
بذَاتِ الصُّدُورِ * (١٥٢) ان الذين تولوا منكم يومَ التقي الجمعان إنما استزلهم
الشيطانُ ببعضِ ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفورٌ حلِيمٌ * (١٥٣) يا ايها
الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كَفَرُوا وَقَالُوا لَوِ الْاِخْوَانُ مِنْهُمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ
أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي
قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّبُ وَيُيَمِّتُ

الله . ومن غايات ذلك ان يفوز السعيد بسعادته وبشقى الشقي بهوانه (وليبتلي الله ما في صدوركم) ويظهر مكنونها من الطاعة والنفاق . والتعليل بلام الغاية معطوف على غاية مقدرة كما ذكرناه ونحوه مما يدل عليه السياق (وليمحص ما في قلوبكم) ويخلص ما في قلب المؤمن المجاهد الصابر من النيات الصالحة والايمان الثابت ويميز ذلك عما في قلوب غير الصابرين وقلوب المنافقين والكافرين (والله عليم بذات الصدور) وما فيها ولكن الابتلاء والتحصيص لظهور ذلك في الخارج بعروض المحركات (١٥٢ ان الذين تولوا منكم) منهزمين (يوم التقي الجمعان) في احد (إنما استزلهم الشيطان) ووقعهم بالذلة (ببعض ما كسبوا) اي بسبب اتقياهم اليه بما كسبوه من الذنوب التي سهلت له استزلالهم بمثل هذا الذنب الكبير (ولقد عفا الله عنهم) بسبب توبتهم وبركة الرسول الأكرم (ان الله غفور) لمن يحسن التوبة (حلیم) فلم يماجلهم بالمقوبة (١٥٣ يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) بالله فينسبون حوادث الكون الى صدفة اسبابها العادية دون تصرف الله في العالم وجريان الأمور بمشيئته وتقديره وقضائه (وقالوا لايخوانهم) الذين من قبيلهم وقومهم أي في شأن اخوانهم (إذا ضربوا في الأرض) سفرا عاديا (أو كانوا غزى) ومات بعضهم أو قتل . والنزاع جمع غاز كشهد وعود جمع شاهد وعائد . وجيء بكلمة « إذا » لأن هذا القول منهم كلي وظرفه كلي بالنسبة للسفر وللغزو وليس الظرف وقتا شخصا لكي يقال « إذ » (لو كانوا عندنا) ولم يسافروا ولم يهزوا (ماماتوا وما قتلوا) يمتقدون ذلك بكفرهم وسوء رأيهم ويقولونه (ليحمل الله) اي ومن غايات ذلك ان يحمل بتقديره (ذلك) الاعتقاد وذلك القول (حسرة في قلوبهم) اي بسبب حسرة إذ يأسفون ويقولون في اسفهم وحسراتهم لما ذاتر كناههم يسافرون . لما ذاتر كناههم يهزون (والله يخيي ويميت)

آل عمران : ١٥٤ ولئن قتلتم في سبيل الله ١٥٥ ولئن متم ١٥٦ فبا رحمة عدم زيادة ما ٣٦١

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * (١٥٤) وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَكُمُ الْغَفْرَةُ
مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ * (١٥٥) وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ
تُحْشَرُونَ * (١٥٦) فِيمَا رَحْمَةٍ

بيده أمر الحياة والموت لا كما يزعمون بكفرهم . فكم من حاضر وهو في صحة ودعة قد آتاه الله
وكم من مسافر وغاز يقاسي الشدائد والأهوال ويرده الله سالماً (والله بما تعملون) يا أيها الذين
آمنوا أو يا أيها الناس (بصير) لا يخفى عليه شيء منها ولا من وجوها فانقوا الله في أعمالكم
ومنها اقوالكم (١٥٤ ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم) لكان لكم الجزاء العظيم ووقع اجركم
على الله ومن اجركم المغفرة والرحمة ومن ذا الذي لا يحتاج اليهما و (المغفرة) من مصاديق
المغفرة من الله (ورحمة) من مصاديق الرحمة (خير مما يجمعون) من حطام الدنيا (١٥٥ ولئن
متم أو قتلتم) يا أيها الناس (لا إلى الله تحشرون) وعدا مؤكداً بلا مقياس ولا تفوتونه بل
يجازيكم بأعمالكم ان خيراً فخير وان شراً فشر . او ولئن متم أو قتلتم في سبيل الله لا إلى الله
تحشرون وعليه تقدمون فيوفيكم اجروركم (١٥٦ فبما رحمة) قال في التبيان ان « ما » زائدة
جاءت مؤكدة للكلام وزاد في مجمع البيان باجاء المفسرين . ودعواه الاجماع في غير محلها
فقد حكى في التبيان عن الحسين بن علي المغربي ان « ما » بمعنى « أي » أي بأي رحمة . وحكاها
ابن هشام عن جماعة وان اورد عليه ما لا يرد وفي حواشي المغني للشمي عن ابي البقاع الاخفش
وغيره وحكى نقله ايضا عن ابن كيسان . وقال السيد الرضي في حقائق التأويل ولا في العباس
المبرد مذهب انا اذهب اليه وهو انه ليس شيء من الحروف جاء في القرآن الا لمعنى مفيد وقال
الرضي ايضا ان « ما » معناها تفخيم قدر الرحمة التي لان بها لهم . ومرجه الى ما قاله الحسين
واليه يرجع اختيار الرازي ان المعنى فبأي رحمة . والمقصود أي المفيدة للتفخيم كما تقول أي
رجل هذا . وكثير ممن ذكرنا متقدمون على مجمع البيان وهم اساطين الفن وصيارفة اللغة
والمرجع في امثال ذلك . وقال الرازي في تفسيره قال المحققون دخول اللفظ المهمل الوضع في
كلام احكم الحاكمين غير جائز : وقال عترة في معلقته

يا شاة ما قنص ان حلت له حرمت علي وليتها لم تحرم

فان معنى « ما » معنى « اي » التعجبية لغرض التفخيم وكرامة قنصها بكرامتها ظاهر من

مِنَ اللَّهِ إِنَّتَ أَهْمٌ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٧) إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٥٨) وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغْلُ

الشعر وقال الفند الزماني: أيا طعنة ما شيخ كبير يفن بال

إلى ان قال : تفتيت بها الذك ره الشككة امثالي

فإن قوله تفتيت بها يدل على ان « ما » للتعجب بنعظيم أمر الشيخ في طعنه وقال الفرزدق :

ناديت انك ان نجوت فبعدا ياس وقد نظرت اليك شعوب

أي بعد أي ياس شديد . هذا والذين رأيناهم يقولون بزيادة « ما » في الآية يقولون انها زيدت للتأكيد . أفلا قاتل يقول لهم على أي وجه يكون التأكيد ولماذا يؤكّد . نعم يجدون لها معنى لا تنطبق عليه قواعدهم القاصرة المستحدثة فيلتجئون إلى تسميته بالتأكيد (من الله) عليهم بل على سائر البشر (لنت لهم) وصرت تحتلهم وتطف عليهم في اختلاف آرائهم وأحوالهم ومما يصدر منهم ما لا يرتضى لكي ينضموا اليك ويهندوا بهداك فيقام عمود الدين وتتظم جماعة الإسلام وتنقمع شوكة الكفر والضلال (ولو كنت فظا غليظ القلب) فسرّه في التبيان والكشاف بالجافي قاسي القلب وهو نحو من انحاء ما ذكره اللغويون (لانفضوا من حولك) وتفرقوا عنك ولكنك على خلق عظيم وبالمؤمنين رؤوف رحيم (فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر) الذي يعرض أي واستصلحهم واستمل قلوبهم بالمشاورة . لا لأنهم يفيدونه سداداً او علماً بالصالح . كيف وان الله مسدده وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى (فإذا عزمت) على ما اراك الله بنور النبوة وسددك فيه (فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين) عليه (١٥٧) ان ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم (ويكلكم إلى انفسكم) فمن ذا الذي ينصركم من بعده (شبه جل شأنه في خذلانه لهم باستحقاقهم الخذلان بمن اعرض عنهم وجاوزهم) وعلى الله فليتوكل المؤمنون (واليه يكون التجائهم) (١٥٨) وما كان لنبي ان يغفل (بفتح الباء والغلول هو الخيانة في الغنيمة . والمعني لا يقع الغلول من الانبياء وما وقع هذا من احدهم

وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * (١٥٩) أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كُنْ بَاءً يَسْخَطُ مِنَ اللَّهِ وَأَوَاهُ جَهَنَّمَ وَرِئْسَ الْمَصِيرُ *

لأنهم معصومون وامناء الله . واورد في الدر المنثور روايات عن ابن عباس وفي تفسير البرهان عن الصدوق بسند فيه جهالة عن الصادق (ع) ان الآية نزلت في شأن قطيفة حمراء فقدت من الغنيمة يوم بدر فقال بعض الناس أخذها رسول الله «ص» . وفي الرواية عن الصادق «ع» فأظهر الله رسوله على القطيفة ونزلت هذه الآية . وفي الروايات عن ابن عباس تعارض (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) ويفضحه الله به من اول حشره (ثم توفى كل نفس ما كسبت) أي توفى جزاء ما كسبت عندما يكون الحساب والجزاء فيوفى جزاء ما كسب من الغلول وغيره كما توفى كل نفس جزاء ما كسبت ان خيرا فخير وان شراً فشر تجزاه وافيا أي تاماً ما لم يتب المذنب في الدنيا ويتوب الله عليه فيكون كمن لا ذنب له (وهم لا يظلمون) بجزاء المسيء بغير ما كسب ولا ينقص جزاء المحسن (١٥٩ أفمن اتبع) في اعماله وأقواله وتروكه ودينه وانقياده بالطاعة والافتداء والاهتداء والاتباع لمن جعل الله ولي امره وفي معاملته مع الناس ومداخلته في امورهم الخاصة وما يعود إلى الهيئة الاجتماعية (رضوان الله) بأن نظر في كل أمر من هذه إلى رضا الله فيه بحسب ما يدل عليه دين الحق وشريعة الله . ونور الحق المبرأ من الاهواء . ورشاد الفطرة وحاسب نفسه فيه وجعل رضوان الله مقصوده الأصلي ومتبوعه الوحيد الذي يسير به في نهج الحق والصراط المستقيم والسعادة العظمى . قال من رأينا كلامه من المغويين والمفسرين الرضوان كالرضا مصدر رضي : لكن الظاهر من موارد الاستعمال كونه اسم مصدر وان معناه أوفر من معنى الرضا . وهل يكون المتبع لرضوان الله على ما ذكر (كن باء) أي رجع بسوء اعماله ومعاصيه ونكوصه عن النهج القويم (يسخط من الله) وصار بذلك عضواً فاسداً وبيئاً في المجتمع البشري (وأواه جهنم وريئس المصير) ولعمري الحق ان هذا التعليم الفائق على ايجازه ليضمن اتباعه وسلوك نهجه فضيلة الصلاح وفوز السعادة الفردية والاجتماعية وان كل تخلق بالأخلاق الحسنة لا تقوم حياته بروح الانباع لرضوان الله انما هو كصورة المرآة وظل زائل ، وسراب خادع ، ولئن راقى صورته المموهة فإنما هو للهيئة الاجتماعية كالسم في

(١٦٠) هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرُ مَا يَعْمَلُونَ * (١٦١) لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ

الدم : وحكى في التبيان ومجمع البيان والدر المنثور حمل الآية على موارد خاصة ولا مستند لذلك في مخالفة ظاهر الآية في العموم الا أقوال سعيدين جبير والضحاك وابن جريح ومجاهد وفي تفسير البرهان عن الكافي بسند فيه ضعف وعن العياشي مرسلان عن عمار عن الصادق «ع» ان الذين اتبعوا رضوان الله هم الأئمة عليهم السلام . والرواية لا تنهض حجة على الحصر . نعم هم صلوات الله عليهم في هذه الأئمة اظهر الأفراد وأعلامهم درجة (١٦٠) هم درجات عند الله (في التبيان والمجمع تقدير الآية هم ذووا درجات . المؤمنون ذووا درجات رفيعة والكفار ذووا درجات خسيصة وفي الكشف نسب هذا إلى القيل « وقال قبله ولم يبين مرجع الضمير أي هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات » : يعني انهم شبهوا في تفاوتهم بالدرجات فآخبر عنهم بها على نحو الاستعارة كما يقال زيد اسد بالنظر إلى الشجاعة وهو باب من ابواب البلاغة وأولى من التقدير وأظهر والرازي في تفسيره جعل عود الضمير على خصوص من اتبع رضوان الله أولى واستدل لذلك بوجوه أربعة لا تنهض حجة نعم في رواية عمار المشار اليها ما يقتضي ذلك بوجه آخر لو كانت حجة (والله بصير بما يعملون ١٦١ اقدم الله على المؤمنين) وانعم عليهم بالنعمة العظيمة (اذ بعث فيهم) ليهتدى بهم بحسب الحكمة في الدعوة العامة لجميع البشر (رسولاً من أنفسهم) اضافة الأنفس اليهم باعتبار العربية والقومية والنشأة معهم بحيث يكونون مطلعين على احواله ووجوه كاله وملكانه الفائقة في الصدق والأمانة ونحو ذلك مما يقتضي ركون النفس اليه ويدعو إلى تصديقه والاقبال على الإيمان به . ويعرفون بكونه منهم لسانه ومحاوراته وينقادون اليه ولا تمنعهم نخوة العربية وعصية القومية من ان ينقادوا اليه لو كان من غير العرب . فكان من عظيم اللطف بالعرب والمنة عليهم ان سهل عليهم طريق الإيمان برسول الله بجملة منهم فرفع بذلك ما يقتضيه جهلهم ونخوة القومية والعربية من المعائر . ومن منه جلت آلاؤه ان جعل الدليل على الرسالة ومعجزها بلقيتهم كما ذكرنا ذلك في المقدمة في حكمة كون المعجز للعرب هو القرآن الكريم . فصار الرسول «ص» « يتلو عليهم آياته » آيات الله من القرآن فيفهمون معانيها واشاراتها ببلون ترجمة تعصر عليهم (ويزكيهم ويعلمهم) بتلاوته

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * (١٦٢) أَوْ أَلَمْ
أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ بِمِثْلِهَا قَالْتُمْ هَذَا الَّذِي قُلْنَا هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ
اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * (١٦٣) وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ
اللَّهِ وَيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * (١٦٤) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا

وتبليغه وخطبه ومواظبه وبيانه (الكتاب والحكمة وان كانوا) الواو للحال و « ان » المكسورة
مخففة من المثقلة تفيد التأكيد والتحقيق لأنهم (من قبل) أي من قبل ان يبعث فيهم
ويؤمنوا به (لفي ضلال مبين) من حيث المعارف والشرعية والاخلاق والصلاح والعدل
والمدينة : يا ايها المسلمون من اصحاب احد بحسب نوعكم (١٦٢ اولما) خالفتم امر الرسول
واخليتم مراكزكم للجهاد وانهمكنتم بالغنيمة وفررتم ذلك الفرار و (اصابكم مصيبة) لم تكن
اصابتكم في اول جهادكم وثباتكم مع عاقبة المشركين المحاربين لكم بل (قد اصابتم) من المشركين
(مثلها) فقد قتل منهم في بدر واحد مثلي ما قتل منكم في يوم أحد . او ان مصيبة المشركين
في يوم بدر بقتلاهم واسراهم مثلاً مصيبتكم في يوم أحد (قلتم) جواب لما (أني هذا) الذي
اصابنا ومن اين جاءنا تقولون ذلك استيحاشاً واستمظاناً (قل) يا رسول الله في جوابهم (هو
من عند انفسكم) إذ خالفتم الرسول واسرعتهم إلى الغنيمة . او إذ خالفتم الرسول كما رواه
في الدر المنثور عن ابن عباس . او اذ طعتم في وقعة بدر بفداء الأسرى وانذركم رسول
الله بأنه يقتل منكم بعددهم فرضيتكم كما في الدر المنثور انه اخبره ابن ابي شيبه والترمذي
وحسنه وابن جرير وابن مردويه عن علي امير المؤمنين عليه السلام وفي مجمع البيان وهو
المروي عن الباقر «ع» . ان الله قادر على ان ينصركم كنصر بدر واعزم منه كما رأيتم مظهر
النصر في اول الحرب يوم احد (ان الله على كل شيء قدير ١٦٣ وما اصابكم يوم التقى
الجمعان) من قتل وجراح (فباذن الله) وتقديره للحرب والجهاد في سبيله لينال الشهادة من
فاز بها (و) فيه غايه اخرى وهي تمييز الطيب بجهاده من الخيث بنفاقه ورجوعه من الجيش
(ليعلم) ايثبت علمه الأزلي التابع ويقارن في استمراره وجود العلوم (المؤمنين) الذين اتبعوا
رسول الله للجهاد (١٦٤ وليعلم الذين نافقوا) وهم عبد الله بن ابي سلول واتباعه (وقيل لهم تعالوا
قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا) عن قومكم وبلادكم وحفاظتكم ان لم تكن لكم رغبة في

قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْعُوا قَاتِلُوا أَوْ نَعْلَمُ قَاتِلَا لَا تَبِعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَافِرِينَ مَثَلٌ
أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِمَا يَكْتُمُونَ * (١٦٥) الَّذِينَ قَالُوا لَا إِخْوَانَهُمْ وَقَعَدُوا كَوَ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا
قُلْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * (١٦٦) وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ
قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ * (١٦٧) فَرِحِينَ
بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ

الجهاد في سبيل الله (قالوا) في التعلل والنفاق مع ان العدو نزل بعدته وعديده بساحتهم وهو
يتغيط حنقا . والقتال معلوم بمجاري المادة واحوال العرب (لو نعلم قتالا لا تبعنكم) وكذبوا
(هم للكفر يومئذ) بنفاقهم (اقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم) من
النفاق والتحيز للكفر (والله اعلم بما يكتُمون ١٦٥ الذين) صفة للذين نافقوا (قالوا لاخوانهم)
أي في شأن اخوانهم بحسب القبيلة والقومية (وقعدوا) الجلة اما حالية باضمار « قد » على
رأي البصريين والفراء او بعدم الاضمار على رأي الكوفيين والآخرى . واما معطوفة
بالواو التي هي لمطلق الجمع أي قعدوا عن القتال ورجعوا من الجيش إلى المدينة (لو اطاعونا)
بالعمود وعدم الذهاب إلى الحرب (ما قتلوا) وقولهم هذا يرجع إلى جحودهم لكون أمر الموت
او القتل بيد الله وتقدره وقضائه بل ينسبونهم إلى اسباب يمكن دفعها والتحرز عنها . فكأنهم
لا ينظرون إلى انه كم شجاع يقدف نفسه في وطيس الحرب ولهوات الموت ثم يرجع إلى
الله باذن الله سالما . وكم من صحيح وادع في الله قد طرقة الموت باذن الله في مأمنه (قل)
يا رسول الله لهم في رد زعمهم ان الموت مما يستدفع ويتحرز منه (فادروا) وادفعوا (عن
انفسكم الموت ان كنتم صادقين) في زعمكم ومغزى قولكم لو اطاعونا ما قتلوا (١٦٦ ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا) على ما ينوهم المتوهمون من بطلان ادراكهم وصيورتهم
كالجمادات . والخطاب صورته للرسول الاكرم ومنحاه تعليم الناس (بل) هم (احياء عند
ربهم) القادر الرحيم (يرزقون) ما ينعمون به في تلك الحياة السعيدة والعالم الحميد حال كونهم
(١٦٧ فرحين بما آتاهم الله من فضله) من النعيم ويعرفون احوال اهل الدنيا ويسرون بصلاحتهم
ونجاتهم به من استحقاق العقاب (ويستبشرون) عطف على فرحين (بالذين لم يلحقوا بهم من

خَلْفَهُمْ إِلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * (١٦٨) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ * (١٦٩) الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ الْمَذِينِ

خلفهم) بالموت او الشهادة اي يستبشرون بسعادتهم بصلاحهم (الا خوف عليهم) في الآخرة اي بأن لا خوف عليهم (ولا هم يحزنون) في يوم الجزاء (١٦٨ يستبشرون) حال آخر كفرحين (بنعمة من الله) عليهم في نعيمهم (وفضل و) ب (ان الله لا يضيع اجر المؤمنين) بل يوفيهم جزاءهم (١٦٩ الذين) مبتدأ (استجابوا لله والرسول) اذ دعاهم الرسول الى اتباع جيش المشركين في رجوعهم من حرب احد اربابا لم فلبوا دعوته (من بعد ما اصابهم القرح) بتلك النكبة وكثرة الجراح فتبعوهم مع رسول الله الى حمراء الأسد وهو سوق للعرب على ثمانية اميال من المدينة ورجعوا ولم يلاقوا حربا (١) (لذين احسنوا) اعمالهم في الحياة

(١) وعلى هذا اكثر ما وجدناه من حديث الفريقين كما هو المحكى عن اكثر المفسرين . والمأثور ان وقعة أحد كانت في السنة الثالثة من الهجرة في يوم الأحد السادس عشر من شوال وخرجوا باستجابتهم إلى حمراء الأسد يوم الاثنين ومكثوا فيها إلى الاربعاء ثم انقلبوا على وجهم هذا إلى المدينة وقد تكرر في الاحاديث انهم خرجوا وهم جرحى من حرب احد والوجه الثاني ما في الدر المنثور عن ابن شهاب ومجاهد وعكرمة في احدى روايتيه ان الآية نزلت في خروج رسول الله بن معه لموعدي سفيان في غزوة بدر الصغرى في السنة الرابعة . وفي التبيان روى ذلك عن ابي جعفر (ع) وفي مجمع البيان رواه ابو الجارود عن الباقر (ع) . وابو الجارود ضعيف . والذي اعتمد عليه القمي في تفسيره هو الأول وكذا الشيخ في التبيان ونسب الثاني إلى القليل . وكانت غزوة بدر الصغرى في السنة الرابعة للهجرة في شعبان في رواية الدر المنثور عن مغازي ابن عقبة ودلائل البهقي وفي تاريخ ابن جرير عن ابن اسحاق . وفي ذي القعدة رأس الحول من وقعة احد عن الواقدي .

وقد كان ابو سفيان جعل الموعد مع رسول الله يوم احد لاعادة الحرب هو بدر في العام المقبل كما عن ابن اسحاق . وعن مجاهد قال ابو سفيان موعدكم بدر حيث قتلتم اخواننا . وسميت غزوة بدر الصغرى غزوة السويق لأن ابا سفيان وجيشه خرجوا من مكة للحرب فلما سمعوا باستعداد رسول الله (ص) للقائهم في الموعد فشلوا ورجعوا من " مجنة " من ناحية مر الظهران أو مما فوق

أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ

الدنيا ودار العمل أي جعلوا أعمالهم حسنة نحو قوله تعالى من أحسن عملاً (منهم واتقوا أجر عظيم) الجملة خبر «الذين» وكم وكم ينبغي للانسان ان يتحذر ويلتزم التقوى، ويراقب عاقبته، ويحاسب نفسه في ايام عمره ويتحرى الا خلاص الله في اعماله فإن هؤلاء الذين استجابوا لله والرسول في تلك الشدة وذلك القرح لم يجز شكر الاستجابة والوعد بالاجر لجميعهم على رسله بل قسمهم مفاد الآية في تبعضها إلى الذين أحسنوا منهم واتقوا وإلى غيرهم وخص الوعد بالاجر بالقسم الأول . فيكون الثناء والاجر في حقيقة الأمر في هذه الآية والمئين بعدها إنما هو للبعض وان كانت صورته جارية على نوعهم . كما جرى مثل ذلك في الآية الأخيرة من سورة الفتح في قوله تعالى «محمد رسول الله والذين آمنوا معه أشداء على الكفار» وذكر الثناء الجميل إلى أن قال جل وعلا «وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا» قسمهم بكلمة «منهم» أيضا ذلك التقسيم المرعب وكشف بتقسيم هاتين الآيتين عن حال الاطلاق او العموم في غيرها وابان ان جريانه في نفس الأمر إنما هو على البعض لا الكل وبالكشاف وفي الكشاف ان «من» في «منهم» للتبيين مثلها في قوله تعالى في اخر سورة الفتح وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لأن الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا . وحكى ابن هشام في المغني نحوه عن ابن الانباري . ومن الغريب ممن بعد من النوابع في النحو والعربية والخبرة بكرامة القرآن الكريم في فصاحته وبلاغته وكيف يخفى عليه انه يلزم في «من» التي لبيان الجنس ان يكون ما تبينه فيه ابهام في جنسه ويكون في مجرورها بيان يرفع ذلك الابهام ويتكفل بإيضاح المراد ويصح ان يحمل على ما بينه حملاً مفيداً ببيانه . إذن فماذا في قوله تعالى «منهم» من الايضاح الجديد الرافع للابهام وما هي الفائدة في البيان في قول القائل الذين أحسنوا واتقوا هم : وحكى في تفسير المنار عن استاذ اختباره لكون «من» في الآية للتبعض لأن من المؤمنين الصادقين من لم يخرج إلى حراء الأسد يعني ان الضمير في «منهم» يعود إلى المؤمنين في آخر الآية السابقة أقول وهذا

«عصفان» على نحو مرحلتين من مكة فسماهم اهل مكة جيش السويق ويقولون لهم انما اخرجتم تشريون السويق .

(١٧٠) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ *

لا يصح إذا كانت الموصول وهو «الذين» في اول الآية مبتدأ لأن خبره وهو جملة «الذين» يبقى بلا رابط ولذا بنى التلمذ صحة ما قاله استاذہ على نصب «الذين» على المدح واقول ان النصب على المدح مبني على ان يكون الموصول وهو «الذين» صفة للمؤمنين نحو قول الخرنقي بنت عفان من بني قيس :

لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك والطيبون معاهد الأزر

وليس في هذا النصب على المدح عطف يدل على المغايرة . بل لو كان هناك عطف لما اقتضى المغايرة بل جر على نهج قوله تعالى في سورة البقرة « ١٧٢ والصابرين في البأساء » وفي سورة النساء « ١٦٠ والمقيمين الصلاة » إذن فيعود التبعض والتقسيم إلى الذين استجابوا ومن أين يعرف ؟ ان «الذين» هنا منصوب على المدح فيأمل في كلام صاحب المنار واستاذہ في هذا المقام . وليت شعري ما هذا التكلف في تفسير الآية مع اجاع الأمة على انه ليس كل الصحابة معصومين (١٧٠ الذين) بدل من «الذين» التي هي مبتدأ باعتبار البعض او من المجرورة باللام باعتبار الكل وهو الأظهر (قال لهم الناس) أي بعضهم . قيل ركب من التجار وقيل نعيم بن مسعود الأشجعي (١) وفي التبيان والمجمع وهو قول ابي جعفر وابي عبد الله اي الباقر والصادق عليهما السلام (ان الناس) اي المشركين (قد جمعوا لكم) جنسدا لحريكم (فآخشوهم فزادهم) ذلك القول (ايماناً) بالله ودين الحق ووجوب نصره والجهاد في سبيله او بوعدہ بالنصر (وقالوا حسبنا الله) ناصرا على جموعهم (ونعم الوكيل) عليهم وفي التبيان والمجمع والكشاف الذي يوكل اليه الأمر . وفي الدر المنثور اخرج ابن مردويه عن أبي رافع ان النبي (ص) وجه عليا (ع) في نفر معه في طلب ابي سفيان فلقبهم اعرابي من خزاعة

(١) قبل إسلامه وهو الذي التقى التخاذل بين بني قريضة وبين جيش الأحزاب من قريش وخطفان واتباعهم في السنة الخامسة في شوال وبعد ذلك اظهر اسلامه كما هو مأثور في تاريخ غزوة الأحزاب والحندي .

(١٧١) فَانْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهْمُ سُوءٌ وَاتَّبِعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * (١٧٢) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ

فقال ان القوم قد جمعوا لكم فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فنزلت فيهم هذه الآية أقول ويمكن ان يكون امير المؤمنين (ع) مع النفر كانوا في مقدمة الطاب أو طلبوهم من حمراء الأسد (١٧١) فانقلبوا بنعمة من الله وفضل (ع) ولا تخفى دلالة التفريع بالفاء على ان هذا الانقلاب بالنعمة والفضل كان من المسير الذي استجابوا به لله والرسول كما ذكر في الآيتين السابقتين فلا وجه ولا صحة لجمل المراد بالاستجابة هو المسير إلى حمراء الأسد والمراد من الانقلاب بالنعمة والفضل هو الرجوع من غزوة بدر الصغرى في العام الثاني كما في الرواية التي ذكر في الدر المنثور انها اخرجها النسائي وابن ابي حاتم والطبراني بسند صحيح من طريق عكرمة عن ابن عباس وجرى تفسير الكشاف على نهجها في التفريق على خلاف التفريع في الآية الكريمة (لم يمسسهم سوء) من حرب او نكبة (واتبعوا رضوان الله) في استجابتهم هذه . وهنيئاً لمن دام على الاحسان والتقوى كما شرطه الله ففاز بسعادة الاجر العظيم (والله ذو فضل عظيم) ومن فضله وفقوا لهذه الاستجابة وانقلبوا بنعمة منه وفضل (١٧٢) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ (هذا تشجيع للمؤمنين على الاقدام على الجهاد وحاصله ان الذين ارادوا ان يخافوا المشركين بقولهم ان الناس قد جمعوا لكم انما نشأ من تسويل الشيطان ودسائسه في ترويج الضلال فإنه يخوف المؤمنين اوليائه الضالين حماية منه للكفر والضلال (يخوف اوليائه) تتعدى خاف إلى مفعول واحد تقول خفت الكلب وتتعدى بالشديد إلى مفعول ثان كما تقول خوفني عمرو الكلب وقد يحذف المفعول الثاني كما تقول خوفني عمرو وقد يحذف المفعول الأول كما تقول خوف عمرو الكلب وكما في الآية فهي كما اذا قيل بخوفكم اوليائه كما يروى من قرائتي ابن عباس وابن مسعود ولكن لفظ « يخوف » في القراءة العامة أعم وأتم من الفائدة في مقام الذم لابليس وعموم تخويفه للناس اوليائه وعموم اوليائه في النهي عن خوفهم بنحو يفيد البشرى بالآمن من شرهم لا خصوص قريش (فلا تخافوهم) أي اولياء الشيطان فإن الله ناصركم كما وعدكم ليقطع طرفاً من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائفين (وخافون) فإن السعادة في خوف العبد ربه

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * (١٧٣) وَلَا يَخْزِيكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِظًّا فِي الْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * (١٧٤) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَهُمْ

ونفوا (ان كنتم مؤمنين) بالله ووعدته بالنصر وانه يجب ان يطاع في امره ونهيه وانه مالك أمر النفع والضرر ، شديد العقاب واليه يرجعون : يا رسول الله (١٧٣) ولا يعزّنك (بفتح الباء وضم الزاي يجيئ) « يعزّن » بفتح الباء والزاي للقاصر وضم الزاي للمتعدي وفي المصباح وهي لغة قريش اقول وعليها استعمال القرآن الكريم كما في هذه الآية وثمانية موارد من سائر السور وعلى هذه اللغة جاء محزون في اسم المفعول في اللغة العامة . والحزن معروف (الذين يسارعون في الكفر) ويقتمحون جامحين في وجوه ضلاله ونزغات غيه من دون تريث في اتباع الهوى ومحادة الله والتمرد عليه ولا ترو للنظر في حجج الايمان ودلائل الحق ، ولا اصفاء إلى داعي الهدى . ومن المعلوم ان هؤلاء وامثالهم قد خرجوا بتمردهم عن اهليتهم اللطف الله ورحمة الرسول فلا يحزن الرسول رحمة لهم بل يحزن لمحادتهم لله وتمردهم على الايمان به ولذا كانت تسليية الله لرسوله بقوله جل اسمه (انهم لن يضروا الله شيئا) فان الله غني عن العالمين و « شيئا » واقع موقع المصدر أي شيئا من الضرر ولوقوعه في حيز النفي بفيد العموم . ولا أجل ما ذكر من تمردهم ومسارعهم في الكفر خرجوا عن اهلية اللطف وحرّموا انفسهم خيره فلا أجل ذلك (يريد الله ان لا يجعل لهم حظا) أي نصيبا من الخير (في الآخرة) أي يريد حرمانهم وعبر بالارادة تأكيدا لبيان وقوع الحرمان بأنه ثلقت به ارادة الله وما ربك بظلام للعبيد (ولهم) فوق ذلك (عذاب عظيم) جزاء بما كانوا يكفرون (١٧٤) ان الذين اشتروا الكفر بالإيمان بعدما اتضحت حجج الحق وبراهين الايمان من الفطرة والآيات ودعوة الرسول ونور الدلالة فكان الايمان بعد ذلك كأنه في حوزتهم فرغبوا فيه وتركوه واخثاروا الكفر كما يرغب المشتري عن الثمن ويستبدل به المبيع الذي يرغب فيه . ويحتمل ان يراد منهم في هذه الآية أولئك المسارعون في الكفر فتكون الآية تأكيدا للتي قبلها في الأمر الذي يناسب الحال تأكيده . ويحتمل ان يكون المراد من يعم أولئك المسارعين ومن هو دونهم في التمرد فنفيد الآية عموما وتأكيذا في ضمنه ولعله اظهر (لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم ١٧٥) ولا تحسبن الذين كفروا انما نخلي لهم

عَذَابُ أَلِيمٌ * (١٧٥) وَلَا يَخْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّمَا نُعَلِّيْهِمْ خَيْرٌ لَّا أَنْفُسِهِمْ
إِنَّمَا نُعَلِّيْهِمْ لِيَزِدُّوا إِثْمًا وَآلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * (١٧٦) مَا كَانَ اللَّهُ

في أعمارهم ونرخي لهم في آجالهم لا نعالجهم بالعقوبة والاهلاك (خير لأنفسهم) أي لكل واحد بحسب نفسه التي هي اعز الأنفس عليه وأولاهها بطلبه الخير لها. وليجري الكلام على هذا النص فلا يوم ان الخير وازدياد الاثم برجمان إلى المجموع كما لو قيل «لهم» (إنما نعلي لهم ليزدادوا إثما) اللام في «ليزدادوا» للعاقبة مثلها في قوله تعالى في سورة القصص ٧ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا» والحصص في «إنما» إنما هو باعتبار العاقبة وان الاملاء لهم ليس في عاقبته ما داموا على الكفر خير (ولهم عذاب مهين) يرون به هوانهم بما كفروا (١٧٦ ما كان الله) في الآية بحسب الأقوال وجوه «الاول» في الدر المنثور اخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس ان الخطاب في هذه الآية للكفار وذكر احتمال ذلك في التبيان وكذا في مجمع البيان بنحو تشويش . ولم يذكره في الكشف وتفسير الرازي والمنار من اسناده فكأنهم لم يعتنوا به . ومقتضى تفسير ابي السعود ان مختار المحققين غيره . وعليه يكون المعنى يا ايها الكافرون ما كان الله بحسب لطفه بعباده ان يتركهم بلا ارسال رسول ولادعوة حق ويذر المؤمنين على ما انتم عليه من الكفر بل يقيم الحجة وينير البرهان فيؤمن الطيبون وان عائد اشقياء الضلال وطواغيت الكفر فيميز بذلك الخبيث بضلاله من الطيب الذي يختار هدى الايمان وربما يستشهد لهذا الاحتمال بقوله تعالى في الآية الثانية في طرد الخطاب «فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم» ولكن لا شهادة في ذلك اذ قد جرى امثاله في خطاب المؤمنين كما في سورة النساء ٥٨ «يا ايها الذين آمنوا - ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ١٣٥ يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله» ومحمد (ص) بعد خطاب الذين آمنوا في الآية الثانية والثلاثين ٣٥ «وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم» والأفعال في خطاب المؤمنين بخمس الفئات «ان كنتم آمنتم بالله وما انزل على عبدنا» وغير ذلك . مضافا إلى ان الظاهر في خطاب القرآن كونه خطابا للمؤمنين وحمله على غيرهم يحتاج إلى قرينة وهي مفقودة فضلا عن كون السياق في الآيات المتقدمة لخطاب المؤمنين «الوجه الثاني» ان يكون الخطاب للمؤمنين والمراد بالخبيث هم المناقون كما حكاه في التبيان والمجمع وقال به في الكشف وبعض

لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظِلَّكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مَنْ رَضِيَ مِنْ يَشَاءُ

كتب التفسير « وعليه » فإن اريد من المنافق هو من يظهر الإسلام ويبطن الكفر من حينه لم يوافق ذلك اصطلاح القرآن الكريم فإنه يجعل المنافقين قسماً مقابل المؤمنين لا قسماً منهم كما في قوله تعالى في هذه السورة ١٦٦ « وليعلم المؤمنون وليعلم الذين نافقوا » وسورة العنكبوت ١٠ « وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين » والأحزاب ٧٢ « ليعذب الله المنافقين والمنافقات ويتوب على المؤمنين » والحديد ١٣ « يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا » . « الثالث » وهو الأظهر الأقرب أن يراد بالخبث هو من تشرف حينئذ بالإيمان ثم يتمرد بكبائر المعاصي والعظائم لأنه كان ساس القيادة للهوى والشیطان فيسرع إلى موبقات الآثام والارتداد والانقلاب على الأعقاب والبغي والفساد في الأرض والمروق من الدين فينشأ خبثه عن الامتحان فيكون معنى الآية . ما كان الله وليس من شأنه الكريم وحكمته ولطفه (ليذر المؤمنين) مطلقاً وهم المتشرفون بصفة الإيمان (على ما أنتم) أيها الموجودون حين الخطاب من المؤمنين (عليه) من اشتباه الحال في الظاهر (حتى) تصدر أوامره ونواهي بلطفه وحكمته بالشريعة وأساسياتها في سعادة البشر وإكمال الدين وإتمام النعمة والنظام الصالح ويجري مقاديره بحسب الحكمة فيما يكون عاقبته الابتلاء والامتحان فتسرع النفوس الأماراة التي لم تروض إلى اختيارها خبث التمرد والجماع في الغي . ومن آثار ذلك أن (يميز الخبيث) بأسرعه في اختياره لما أشرنا إليه من موبقات الآثام : يميز بفتح الياء وكسر الميم وسكون الياء مضارع ماز بمعنى فرق وبين (من الطيب) الدائب على طاعة الله واتباع الحق ومخالفة الهوى . ويؤيد هذا الوجه ما في تفسير البرهان عن العياشي عن عجلان بن صالح عن الصادق (ع) (وما كان الله) ولا يخلق بحكمته ولطفه وجلال شأنه (ليظلمكم على الغيب) في شؤون الشريعة وما أشرنا إليه من أساسياتها وموارد الامتحان لأن ذلك مقام كبير لستم أهلاً له بل يخل ذلك بجماعتكم وشؤون الإسلام وأن الاعلام بهذا الغيب إنما يخلق بحسب الحكمة بمقام الرسول والله أعلم حيث يجعل رسالته ممن هو أهل بكامله الاختياري لها (ولكن الله يجتبي من رضى من يشاء) بحسب أهلية الرسول واقتضاء المصاحبة وحكمته جلت آلاؤه

فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ * (١٧٧) وَلَا يَحْسَبَنَّ
الَّذِينَ يَيَّخُلُونَ بِمَا أَنَا لَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ

لا بالجبر على اجتناء من لم يكن أهلاً ولا تقتضي الحكمة اجتناءه . قال في التبيان و« من » هنا
لتبيين الصفة لا للتبعض لأن الأنبياء كلهم محبتون انتهى يريد بذلك انها لتبيين جهة الاجتناء
بتبيين جنس المجتبى كما في قوله تعالى « ما يفتح الله من رحمة . ما ننسخ من آية » وكما في
قولك عندي عشرون من الدراهم اذا قصدت بالدراهم جنسها المعروض للجمع والعدد دون
ما اذا قصدت بها دراهم معينة هي اكثر من عشرين كما أوضحه الشيخ الرضي في شرح
الكافية . ولم أجد عاجلاً من صرح بالتبيين هنا في غير التبيان وإن لاح من كلام بعضهم .
وان كانت « من » للتبعض يكون الاجتناء إنما هو بما يفضل به بعض الرسل على بعض لا باصل
الرسالة ويكون المعنى والله يجتبي من بين رسله من يشاء منهم ويفضله بمقام ممتاز من علم الغيب
والكرامة ولكن هذا المعنى لا يناسب السياق ولا التفريع بقوله تعالى (فآمنوا بالله ورسله)
فيما جاؤا به عند الله لأن الله اجتنأهم لذلك (وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم ١٧٧) ولا
يحسبن الذين ييخلون فيما أوجبه الله من الانفاق (بما آناهم الله من فضله) وفي ذلك احتجاج
على الباخرين فيما فرضه الله بأن ما ييخلون به إنما هو من عطاء الله والفاضل الزائد على
حاجتهم الفعلية (هو خيراً لهم) « خيراً » مفعول ثانٍ ليحسن والمفعول هو البخل المدلول
عليه بقوله تعالى « ييخلون » أو الذي يخلوا به بما آناهم الله وعلى كل تقدير يخلوه لمقام مفعوليته
وتقديره ضمير الفصل « هو » فلا يقولوا انا حفظنا أموالنا لخيرنا ومنافعنا (بل هو شر لهم) لما في
ذلك من خسة المعصية ورذيلة الشح وسوء الظن بالله ووبال العقاب وحرمان الثواب وخسران
فضيلة الطاعة وحسن الساحة والرحمة والاعانة في المجتمع . وفسر ذلك بمنع الزكاة كما رواه في
تفسير البرهان عن الكافي في صحيحة محمد بن مسلم وعن الكافي ومجالس الشيخ في معتبرة ايوب
ابن راشد عن الصادق (ع) . وعن تفسير العياشي عن محمد بن مسلم عن الباقر (ع) وعن ابن
سنان عن الصادق عن آبائه عن رسول الله عليهم السلام وعن يوسف الطاهري عن الصادق
(ع) . ورواه في الدر المنثور مما أخرجه البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله (ص) . وأخرجه
احمد وعبد بن حميد والترمذي ، وصححه . وابن ماجه والنسائي وابن جرير وابن خزيمة وابن

سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * (١٧٨) لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ
وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ

المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن ابن مسعود عن النبي (ص) وما أخرجه جماعة
وصححه الحاكم أيضا من الحديث الآخر عن ابن مسعود عن النبي (ص) . وروى في الدر
المشور أيضا روايات أخر تفسر الآية بغير هذا المعنى ولا اعتداد بها خصوصا ما كانت في البخل
على ذي الرحم فإنها لا تناسب التشديد والانذار بقوله تعالى (سيطوقون ما بخلوا به يوم
القيامة) وفيما أشرنا إليه من أحاديث الفريقين ما معناه ان الله يجعل عقاب ذلك ثعبانا في عنقه
مطوقا به ينهش به . وما هو من نحو هذا المعنى . فلماذا يبخلون ولماذا يدخرون وهم عن قريب
فانون وتاركون لما بخلوا به (والله ميراث السماوات والأرض والله بما تعملون خبير ١٧٨ لقد
سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء) في الدر المشور عن ابن عباس من طريق
عكرمة ان القائل لذلك « فنحاص » قال ذلك لأبي بكر لما دخل بيت المدراس على اليهود .
وعن ابن عباس أيضا من طريق سعيد بن جبير ان اليهود أتوا رسول الله (ص) لما أنزل الله
« من يقرض الله قرضا حسنا » فقالوا أفقير ربنا يسأل عباده القرض . فأنزل الله الآية . وبين
الروايتين تعارض وفيها جهات أخر . وفي تفسير القمي قال « رأوا أولياء الله فقراء فقالوا لو
كان الله غنيا لا غنى لأوليائه » ولا تعرف نسبة هذا النقل الى إمام والله العالم نعم يعرف بمابعد
الآية ان القائلين من اليهود (سنكتب ما قالوا) أي سنحفظ في الثبوت ما قالوا ليلاقوا
نكال جزائه . وهذا أباغ في الوعيد من أن يقال « كتبنا ما قالوا » لأن الكتابة في الماضي
ربما تحتل العفو والتفكير (و) نكتب (قتلهم الأنبياء بغير حق) نسبة قتل الأنبياء إليهم
اما باعتبار القبيلة أي ونحفظ على قومهم الذين هم مثلهم في التمرد قتلهم الأنبياء والقوم أبناء
القوم . او باعتبار رضا هؤلاء بقتل أسلافهم للأنبياء فيحفظ عليهم إثمهم ونسب إليهم القتل
باعتبار القبيلة والأسلاف . ففي الكافي بسند عن مروي عن رجل عن الصادق (ع) ان بين
القائلين ان الله عهد إلينا « وهم الذين قالوا ان الله فقير » وبين القائلين للأنبياء خمسمائة عام
« وأظن ان هذا التقدير على سبيل المثال في الكثرة أو ان الأصل الف وخمسمائة عام »

وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ * (١٧٩) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ
لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ * (١٨٠) الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ يَعِدُ إِنَّا أَلَّا نُؤْمِنَ مِنْ
أَرْسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ

فالزهم الله القتل برضاهم بما فعلوا . ونحوه روايات العياشي عن ساعة وعن معمر وعن محمد بن
هاشم عن حدثه عن الصادق (ع) . وفي الدر المنثور ذكر من اخرج عن الشعبي مثل ذلك
وعن العلاء بن بدر انه سأل عن نسبة قتل الأنبياء اليهم وهم لم يدركوا ذلك فقال بموالاةهم
من قتل أنبياء الله (ونقول) لهؤلاء (ذوقوا عذاب الحريق ١٧٩ ذلك بما) أي بسبب ما (قدمت
أيديكم وإن الله) بفتح الهجزة وتشديد النون (ليس بظلام للعبيد) أي وبأن الله لا يظلم عباده
بعد أن اقتضت حكمته ورحمته أن يخلقه مختارين في أفعالهم بأن لا يجعل لهم رادعاً نوعياً عن
الشر من النهي والوعيد والجزاء . أو بأن الله لا يظلم من له الحق بل لا بد من أن يجعل له
ما يشفى به من عقاب الجاني أو يعوضه عنه لكن الجاني هنا ليس أهلاً للتعويض عنه . أو بأن الله
ليس بظلام يساوي بين الأنبياء وقتلتهم في السلامة يوم القيامة والنجاة (١٨٠ الذين) بدل
من « الذين » في الآية المقدمة (قالوا) كذباً وافترأ (إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن برسول)
الظاهر أن مرادهم من يدعي الرسالة لا من يعترفون برسالاته وبعقون الإيمان به على ما قالوه .
بل قالوا « برسول » مداهنة ومغالطة في الكلام (حتى يأتينا بقربان تأكله النار) ليدل ذلك
بأعجازه على صدقه في دعواه الرسالة . في تفسير القمي كان عند بني إسرائيل طست كانوا
يقربون القربان فيضعونه في الطست فيجيب نار فتقع فيه فتحرقه . وفي الدر المنثور عن ابن
عباس في حديث فإذا تقبل منه انزلت عليه نار من السماء فأكلته . وهذا وإن كان قاصراً عن
الحجية لكن ظاهر الآية يقارب الصراحة بأن أكل النار للقربان إنما هو من نحو المعجزات الخارق
للعادة لا من احراق البشر به بالنار . وفي صحيح الكافي بسنده عن الباقر (ع) في قصة ابني
آدم المذكورة في الآية الثلاثين من سورة المائدة كما عن العياشي في تفسيره قوله عليه السلام
كان القربان تأكله النار . وفي الدر المنثور اخرج ابن جرير عن ابن مسعود عن ناس من
الصحابه في حديث فنزلت النار فأكلت قربان هابيل . وخرج ابن جرير أيضاً عن ابن عباس
في حديث فجاءت النار فنزلت فأكلت الشاة : أقول وهذا غير مستحيل عقلاً وإن كان

خارقا للعادة (١) (١٨١ قل) يا رسول الله في بيان كذبهم في كلامهم من انهم يؤمنون بالرسول

(١) لكن صاحب المنار عدل عما ذكرناه من ظهور الآية المقارب للصراحة وفسرها باحكامه عن استأذه من قوله يجوز وهو الأظهر ان يكون المعنى ان يفرض « أي في شريعته » علينا تقرب قربان يحرق فقد كان في احكام الشريعة عندهم أن يحرقوا بهن قربان بالنار انتهى والتلميذ قبل ذلك في استشهاده ذكر التسعة اعداد الأول من الفصل الأول من سفر اللاويين إلى ان قال فمن هنا تعلم انهم كانوا يوقدون النار بأيديهم ويحرقون بها القربان ولكن اليهود كانوا يلقون إلى المسلمين اخبارا من خرافاتهم او مخترعاتهم ليودعوها « يعني المسلمين » في كتبهم ويزجروها بدينهم ولذا تجد في كتب قومنا من الاسرائيليات ما لا أصل له في العهد القديم ولا يزال يوجد فينا من يقدر كل ما روي عن اوائلنا في التفسير وغيره ويرفعه عن النقد والتحجيص ولا يتم تحجيص ذلك إلا لمن اطلع على كتب بني اسرائيل انتهى فلينظر من الجزء الرابع من تفسيره في الصفحة ٢٦٧ و٢٦٨ وايت شعري إذا كانت التوراة الرائجة تعلم منها الأمور ويستشهد بها كما استشهد وأن قام التحجيص يكون لمن اطلع على كتب بني اسرائيل فلماذا لم يحص آراء التجدد ويرفعها إلى النقد بما صرح به هذه التوراة وكتب العهد القديم من نزول النار من السماء او خروجها من الصخرة بالنحر المعجز الحارق للعادة فتحرق القربان وتأكله كما تذكر انه جرى هذا الحارق للعادة لموسى وهارون كما في العدد الرابع والعشرين من الفصل التاسع من سفر اللاويين . ولجدعون كما في العدد الحادي والعشرين من الفصل السادس من سفر القضاة . ولداود كما في العدد السادس والعشرين من الفصل الحادي والعشرين من سفر الأيام الأول . ولسميان كما في العدد الأول من الفصل السابع من سفر الأيام الثاني . ولايليا كما في العدد الثامن والثلاثين من الفصل الثاني عشر من سفر الملوك الأول .

ومما يلزم الالتفات اليه هو ان الآية والتي بعدها لا ينبغي من سوقهما كما يقتضيه حال هؤلاء الكاذبين المكذبين المتمردين القائلين « ان عهد الله الينا ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار » انهم يريدون بقولهم هذا ان يتعللوا ويستريحوا من دعوة الرسول بأن يعلقوا إيمانهم على أمر يعتقدون بعنادهم انه بعيد إذن فكيف يعلقونه على تشريع احراق القربان . فإنهم ان كانوا يعرفون انه رسول الله ويعاندون دعوته تعصبا لم يأمنوا ان يأتي في شريعته باحراق القربان وان كانوا يكذبونه لم يأمنوا ان يشرع بزعمهم كذبا ومصانعة لهم . وايضا ان الذي جاءهم وفرض عليهم تقرب قربان يحرق إنما هو موسى على ما تقول التوراة الرائجة ولم يقتل . والقرآن يقول ان الذين جاوزوا بقربان تأكله النار وقتلوه هم رسل متعددون فلا مساع لصرف الآية عن ظهورها

٣٧٨ آل عمران ١٨١ قد جاءكم رسل من قبلي ١٨٢ فإن كذبوك ١٨٣ كل نفس ذائقة الموت

(١٨١) قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * (١٨٢) فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءُوا
بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ * (١٨٣) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا
تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ
فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ * (١٨٤) لَتَبْلُوُنَّ

الذي يأتيهم بما قالوه ودع كذبهم بأن الله عهد اليهم ما زعموه (قد جاءكم رسل من قبلي با)
لمعجزات (البينات) الدالة على صدقهم في ادعائهم الرسالة ودعوتهم الصالحة (وبالذي قلتم)
من القربان الذي تأكله النار (فلم قتلتموهم) أي قتلتم اسلافكم والقوم ابناء القوم (ان كنتم
صادقين) في زعمكم ان الله عهد اليكم وانكم تجرون على عهد الله وتبعون البينات وعهد الله
في الايمان . هذا ولم اعرف من الحديث من هم الرسل الذين جاؤوا بقربان تأكله النار وقتلهم
بنو اسرائيل (١٨٢ فإن كذبوك) يا رسول الله مع ما جئت به من الحجج الباهرة والكتاب
المنير فهذا دأب الضالين (فقد كذب رسل من قبلك جاؤوا بالبينات) في حججهم والمعجزات
(والزبر) قيل انها الكتب المشتملة على الحكم والمواعظ (والكتاب المنير) بشرائه ومعارفه وحكمه
(١٨٣ كل نفس ذائقة الموت) وفي ذلك تسلية لرسول الله والمؤمنين فإن دنيا هؤلاء الضالين
فانية وليس عليكم من اوزارهم من شيء (وإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) الخطاب للمؤمنين
كما يتضح من الآية الآتية وفيه بشرى للمؤمنين بأن التوفية بالجزاء التام انما هي في الأجر
واما جزاء ما يتفق من السيئات فهو معرض للمسامحة والتكفير والغفران لمن يشاء الله (فمن
زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ) أي نجي عنها (وادخل الجنة) وليس الادخال في الجنة قيما زائدا إذ
لا واسطة بين الجنة والنار بل المراد انه من يزحزح عن النار يكون من اهل الجنة (فقد فاز
وما الحياة الدنيا) التي هي قبل الموت (إلا متاع الغرور) أي متاع زائل يغتر به المغترون
(لَتَبْلُوُنَّ) بلاه وابتلاه بمعنى واحد ويحيى في الخير والشر كما في سور الاعراف ١٦٧
والأنبياء ٣٤ والنمل ٣٩ والفجر ١٤ و١٦ ومعناه ان يورد عليهم في هذه الحياة الدنيا تكاليف

الواضح . وقد البأني الحال إلى ذكر هذا وامثاله فإني رأيت بعض الناس يشون في خوارق العادة
وراء النزعة العصرية فتنبث من كلماتهم بذور سيئة في منابت السوء

فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَاتَّسَمَعْنَ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * (١٨٥) وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ * (١٨٦) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا

على مقتضى المصالح وتعريضهم للسعادة ومقادير على حسب ما اقتضت الحكمة ان يقدر في هذه الدنيا الغائية من الأسباب . ويكون من غايات ذلك ان تظهر في الوجود اعمالهم في الطاعة والكمال أو في المعصية والشقاء (في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا) أي مشركي العرب (أذى كثيرا) من شر كلامهم كما هو أثر من كلام بعض اليهود وبعض المشركين وتحريضهم على حرب المسلمين (وان تصبروا وتتقوا) وتمسكتم بالطاعة لله ولم تجزعوا جزعا يبالغ الأثم والأظهر ان يراد مطلق التقوى اللازمة كطلاق الصبر فيما يرد عليهم من التكاليف والمقادير وما يسمعون من الأذى (فإن ذلك من عزم الأمور) يقال عزم الأمر بنصب الأمر على المفعولية كقوله تعالى في سورة البقرة ٢٢٧ عزموا الطلاق و ٢٣٥ ولا تعزموا عقد النكاح ، والعزم يرجع إلى عقد الضمير والجزم في العمل والظاهر انه في الآية من اضافة المصدر إلى مفعوله وان المراد ان الصبر والتقوى يحتاجان إلى حزم وبصيرة وقوة في الإرادة ورسوخ في الفضيلة وثبات في الكمال تؤدي إلى العزم والجزم والعمل (١٨٥) وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) ومن ذلك بشراه برسول الله وقرآنه كما اشرنا اليه مرارا (فنبذوه) القوه وطرحوه (وراء ظهورهم) كناية عن انهم اعرضوا عنه وتركوه ولم يعملوا به ولم يبينوه وعملوا به ما هو أشد من الكتمان (واشتروا به) واستبدلوا به (ثمنا قليلا) من حطام الدنيا أو نزعات الأهواء (فبئس ما يشترون) اياه ذلك الثمن الخسيس (١٨٦ لا تحسبن) الضلال المضلين (الذين يفرحون بما اتوا به) (ويحبون ان يحمدا بما لم يفعلوا) وهذه الصفة منهم تدل على انهم كانوا يفرحون بما أتوا به مما هو رياء أو تشريع فيزيدون على فسادة برذيلة العجب . وروى في الدر المنثور في اسباب النزول ومعنى الآية ما الله أعلم به . والمفعول الثاني ل « تحسبن » محذوف للتحويل ولأن يقدره

فَلَا تَحْسَبْنَهُمْ بِمَقَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ * (١٨٧) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * (١٨٨) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٨٩) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

السامع بما يليق بهؤلاء من ذمهم . وهذا باب من ابواب البلاغة ذكرنا شواهد صفحة ٨١ و ٨٢ ثم فرع على ما اشير اليه من خستهم في الدنيا بعاقبتهم السيئة في الآخرة بقوله تعالى (فلا تحسبنهم بمغازة من العذاب) فسر المغازة في التبيان وجمع البيان والكشاف بالمنجاة وذكر اللغويون في معاني الفوز النجاة (ولهم عذاب اليم) تأكيد في الأخبار بعذابهم والوعيد لهم (١٨٧) والله ملك السماوات والأرض (أي وما فيها من الموجودات وذلك يعم جميع العالم) (والله على كل شيء قدير ١٨٨) وفي خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبواب (الذين يلتفتون بقلوبهم وعقولهم إلى ما في ذلك من وجوه الحكم الدالة على انها من صنع الإله الحكيم الواحد القادر وقد تقدم شيء من الإشارة إلى ذلك في الصفحة ١٤٣ و ١٤٤ وفي تفسير الآية السادسة والعشرين من هذه السورة (١٨٩) الذين (صفة لأولي الأبواب) (يذكرون الله قياما) جمع قائم وهو حال (وقعودا) جمع قاعد وهو حال أيضا (و) مضطجعين (على جنوبهم) إلى الدائنين في ذكر الله في جميع أحوالهم فعن امالي المفيد وأمالي الشيخ عنه بسند جيد عن الباقر (ع) لا يزال العبد في صلاة ما كان في ذكر الله قائما او جالسا او مضطجعا ان الله يقول وتلا الآية . وفي الكافي عن الباقر أيضا قال في الآية الصحيح يصلي قائما وقعودا «أي بالقيام والقعود كالقعود بين السجدين وللتشهد والتسليم» والمريض يصلي جالسا وعلى جنوبهم المريض الذي يكون اضعف من المريض الذي يصلي جالسا انتهى والمراد من ذلك بيان بعض المصاحيق لكن في الدر المنثور مما أخرجه الفريابي وابن أبي حاتم والطبراني عن ابن مسعود في الآية إنما هذا في الصلاة إذا لم يستطع قائما فاعدا وإن لم يستطع قاعدا فلي جنبه (ويتفكرون في خلق السماوات والأرض) وما في ذلك من عجائب الصنع وأثار القدرة والحكم الباهرة معتبرين بذلك وموقنين انه من صنع الإله القادر الحكيم شاهدين ومعترفين لله

رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * (١٩٠) رَبَّنَا إِنَّكَ
مَنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * (١٩١) رَبَّنَا إِنَّنَا
سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ * (١٩٢) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا

وعابدين له بشهادتهم واعترافهم قائلين (ربنا ما خلقت هذا) المخلوق (باطلا) وانت العليم
الحكيم (سبحانك) تقديسا وتنزيها لك (فقنا عذاب النار) ولعل ذلك من أجل ما يشاهدونه
من الحكمة وآثار العظمة وعظيم النعمة على الانسان فيأخذهم الخوف من التقصير في طاعة الإله
وعبادته وشكر نعمه فيسألون منه التوفيق الذي يقيهم عذاب النار معترفين بأن في دخول النار
خزيا وفضيحة تكشف عن خبث وسوء اعمال (١٩٠ ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيتك)
في الكشاف أي أبلغت في اخزائه ونحوه في كلامهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك. ومن
سبق فلانا فقد سبق. وهو حسن. وعليه يخرج ما اخرجه ابن جرير والحاكم عن جابر
قوله «وما اخزاه الله حين احرقه بالنار وإن دون ذلك خزيا» بأن يكون المراد ما احدث
اخزاء حين احرقه بالنار بل الاخزاء بدخولها أشد أقسام الاخزاء وافظها (وما للظالمين) أي
هو لاء الذين يدخلون ويخزون واشير اليهم بهذه الصفة بيانا لأنهم ظلموا انفسهم إذ اوقعوها
بكفرهم وعصيانهم في استحقاق النار (من انصار) ومن ذا الذي ينصرهم على الله (١٩١ ربنا
اننا سمعنا مناديا ينادي للآيمان) أي سمعنا ما نادى به وهو معنى قوله (أب آمنوا بربكم)
خالقكم ومربيكم ومدبر اموركم (فآمنا) في مجمع البيان عن ابن عباس وابن مسعود المنادي
هو رسول الله (ص) وبذلك فسرہ القمي. وفي الدر المنثور عن محمد بن كعب القرظي «هو
القرآن لیس كل الناس یسمع النبی» «ص» وكأنه رأي منه فهو مردود عليه بأن المسموع ما نادى
به وهو ما يعم حكاية دعوته كقوله في سورة التوبة ٦ «حتى يسمع كلام الله» ولوا بقی المنادي
على اطلاقه لينطبق على جميع الرسل وتشمل الآيات كل ما تنطبق عليه من مؤمني الأمم
لكان انسب بسياق الآيات وربما يشهد له قوله تعالى في الآية الآتية «على رسلك» (ربنا
فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا) أي ولنكن عند أخذك لنا (مع الأبرار) وفي زميرهم
(١٩٢ ربنا وآتينا ما وعدتنا) أي وفقنا للآيمان والتقوى والعمل الصالح لنكون أهلا لما وعدتنا

عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ * (١٩٣) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ۚ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَا يَكْفُرْنَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخَانُتُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ * (١٩٤) وَلَا يَغُرُّكَ تَرْفُؤُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * (١٩٥) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ *

به ان آمننا واتقينا فإن وعد الله كما في القرآن مشروط بالموافاة على الايمان والتقوى (على رسلك) جيء بكلمة «على» للاشارة الى ان الوعد هو وحي منزل من الله على رسوله في بشري المؤمنين المتقين أي وآتانا ما انزلته على رسلك من وعادك لنا في جملة من آمن واتقى وعمل صالحا (ولا تخزننا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد) قالوا ذلك تمجيذاً لله واعتراضاً بقدسه (١٩٣ فاستجاب لهم ربهم أني) بفتح الهمزة أي بقوله اني محذوف القول لظهور الكلام وناب معنى المقول في دخول الباء عليه (لا اضيع عمل عامل) أي اجيب دعاءكم واعطيكم ما وعدتكم على شرطه فإن تقواكم وعملكم للصالحات يوهلكم للثواب وغفران الذنوب وتكفير السيئات (منكم من ذكر او انثى) «من» لبيان جنس العامل (بعضكم من بعض) أي من جنس بعض في صفة الايمان والطاعة والعمل فكيف يضيع عمل بعضكم فليعمل كل منكم للجزاء . وفي هذا حث على العمل وزاده بيانا بقوله تعالى (فالذين هاجروا) من ديارهم لما نالهم من الأذى في سبيل الايمان والنصرة لدعوة الحق (واخرجوا من ديارهم وأودوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا) جرى التنصيص على ذلك لأنه من افضل الأعمال والدلالة على انه كاه بعين الله (لا يكفرن عنهم سيئاتهم ولا دخنهم جئات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله) صرح باسم الثواب والجزاء على العمل لأنه اكل في المذاة وصرح باسم الجلالة تنويها بشرف الثواب وكرامته وعظمته (والله عنده حسن الثواب) برحمته الواسعة وقدرته التامة (١٩٤ ولا يغرك) خطاب للرسول والمعني به غيره او لغيره (تقلب الذين كفروا في البلاد) متمتعين بالصحة والامهال فإنه (١٩٥ متاع قليل) في مدته القصيرة ايام حياتهم (ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) المهد لهم بكفرهم وسوء اعمالهم (١٩٦ لكن) استدراك من سوء حال الكافرين ووعيدهم بذكر سعادة

(١٩٦) لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ * (١٩٧) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * (١٩٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ *

المتقين وبشراهم (الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها) حال كونها (نزلا) والنزل بضمين ما اعد للضيف واکرامه من قرى ومنزل وفي ذلك الکرامة العظيمة والبهجة الكبيرة إذ كانت نزلا لهم لکرامتهم (من عند الله) وبإلهام من حظوة (وما عند الله خير للأبرار ١٩٧ وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم) بنزوله على رسول الله ولازمه الايمان برسوله وقيل اليكم باعتبار ابتداء الدعوة بهم وإلا فهو منزل لكل البشر في دعوتهم إلى السعادة ودين الحق وشريعته (وما انزل اليهم) بنزوله على انبيائهم يؤمنون حال كونهم (خاشعين لله) مر ذكر الخشوع في صفحة ٩٠ (لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب) فلا تأخير في توفيتهم اجرهم يوم الجزاء (١٩٨ يا ايها الذين آمنوا اصبروا) على ما يحمد الصبر عليه وفيما يحمد فيه وان فسر فيما جمعه تفسير البرهان والدر المنثور من الأحاديث ببعض المصاديق لما أمر بالصبر عليه وفيه (وصابروا) من باب المفاعلة ومقابلة الصبر بالصبر ويفهم من المقام زيادة الصبر في مقام المقابلة (ورابطوا) الذي يتحصل من الأحاديث التي أشرنا إليها في تفسير البرهان والدر المنثور ان المراقبة هنا ليس على المعنى المترائي من المفاعلة بل هي مثل عاين وعاقر وضاعف فتكون هنا بمعنى اثبتوا وواظبوا ولازموا (واتقوا الله لعلكم تفلحون) أي لغاية ان تفلحوا . وقيل «لعلكم» لأن الفلاح غير لازم لمجرد ان تحصل هذه الأمور بل شرطه الاستمرار عليها مع الإيمان الصحيح إلى الموت وفقنا الله وجميع المؤمنين لذلك وثبتنا عليه انه ارحم الراحمين وخير المسؤولين

تم الجزء الأول من التفسير «آلاء الرحمن» والحمد لله والشكر كما هو اهل

ويتلوه الجزء الثاني إن شاء الله أوله سورة النساء

﴿ فهرست مصنفات المفسر ﴾

المطبوع منها : (١) في التفسير هذا الجزء الأول (وفي الفقه) (٢) تعليقة على مباحث البيع من مكاسب المرحوم آية الله الأنصاري (٣) بعض العقود المفصلة في حل المسائل المشككة . ومنها عقد في العلم الاجمالي وحاله مع الأصول (وفي الدين وقمع الاهواء) (٤) كتاب الهدى إلى دين المصطفى جزآن (٥) انوار الهدى (٦) نصائح الهدى (٧) الرحلة المدرسية والمدرسة السيارة ثلاثة اجزاء ، وترجمة بعضها بالفارسية ثلاثة اجزاء . ايضاً (٨) أعاجيب الأكاذيب ، وترجمته بالفارسية (٩) رسالة التوحيد والتثليث (١٠) أجوبة المسائل البغدادية (١١) الرسالة الأولى في نقد الفتوى بهدم القبور الشريفة في الحرمين (١٢) الثانية ايضاً في هذا الموضوع (١٣) البلاغ المبين في الإلهية (١٤) المصباح في بعض من أبدع الدين في القرن الثالث عشر (١٥) مختصر بالانكليزية في ان وضوء الإمامية وصلاتهم وصومهم هي بحسب أدلة الإسلام تكون على الوجه الأحوط والأقرب إلى اليقين بالبرائة من سائر اقوال المسلمين

﴿ واما كتبه التي لم تطبع إلى الآن ﴾ فهي في الفقه (١٦) الأصل العربي لهذا المترجم بالانكليزية (١٧) تعليقة بحثية علمية على الجزء الأول من العروة الوثقى (١٨) في التقيد لم يتم (١٩) في صلاة الجمعة لمن سافر بعد الزوال (٢٠) في الخيارات لم يتم (٢١) رسالة فتوائية في مسائل الرضاع على مذهب الإمامية والمذاهب الأربعة لأهل السنة (٢٢) في المتمم كرا (٢٣) في الفسالة (٢٤) في حرمة مس القرآن على المحدث (٢٥) في ذكر ما يدل على مذهب الإمامية في الأحكام الشرعية زيادة على أدلتهم القيمة وذلك مما جاء في احاديث اهل السنة . كتب منه مباحث الطهارة وكثير من مباحث الصلاة ثم انشغل عنه بما هو أهم في نظره (٢٦) في القبلة وفي مواقع البلدان في المسكونة بالنسبة إلى مكة المعظمة بحسب الاختلاف في الطول والعرض . وأوضح اثناء ذلك بعض الخطأ في الاعتماد على التقويم القديم . وعاقبه فقدان بعض الآلات عن إتمام الكتاب ببيان الانحراف لكل من البلدان عن مكة ومقداره (٢٧) في مواقيت الإحرام ومحاذاتها من الطرق إلى مكة براً وبحراً مع تشكيل الطرق المذكورة وموازن مسافتها وتعيين مواضع المحاذاة للميقات (٢٨) في منجزات المريض (٢٩) في اقراره (٣٠) في الرضاع (٣١) تعليق على كتاب الشفعة من جواهر الكلام (٣٢) في العول والتعصيب كتبه في شبابه (٣٣) في ذابح اهل الكتاب (٤٣) في حرمة حلق اللحية (٣٥) في الزام المتدين بما عليه في احكام دينه بتحرير وجمع وتفرع لم يسبق اليه ﴿ في أصول الفقه ﴾ (٣٦) رسالة في الأوامر ﴿ كتبه المتنوعة في غير الفقه ﴾ (٣٧) رسالة في شأن التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري (ع) (٣٨) داعي الإسلام وداعي النصارى

(٣٩) في الرد على جرجيس ساييل • وهاشم العربي (٤٠) في الرد على كتاب تعليم العلماء (٤١) الشهاب في الرد على كتاب حياة المسيح لبعض القاديانيين (٤٣) في الرد على كتاب ينابيع الإسلام لبعض النصارى وله رسائل كثيرة متنوعة يبلغ مجموعها مجلدا ضخما • وهي في أجوبة المسائل الواردة إليه من البلدان فيما يعود إلى أصول الدين في الإلهيات • والنبوة والمعراج • والإمامة والمهدي (ع) وما يتعلق بذلك • وفي الرد لشبهات بعض النصارى وقد كان ملتزما بأن لا يكتب اسمه في مطبوعات كتبه لبعض الأمور • وحذرا • من ان يختلسه الرياء • ونحوه التبجح • ولكن بعض الأمور الجأته بعد ذلك إلى كتابة اسمه

فهرست الجزء الأول من كتاب آلاء الرحمن في تفسير القرآن

صفحة	صفحة
٣	في المعجز ووجه شهادته
٤	حكمة تنوع المعجز وكونه للعرب هو القرآن
٥	امتياز القرآن عن غيره من المعجزات
٧	تمجيذه للعرب بطلب معارضته وعجزهم
٩	اعجازه من وجهة التاريخ وحال المهديين فيها
١١	اعجازه من وجهة الاحتجاج • وحال الاناجيل فيها
١٢	اعجازه من وجهة الاستقامة والسلامة من الاختلاف والتناقض • وحال المهديين في ذلك
١٣	اعجازه من وجهة التشريع العادل • ونظام المدنية وحال المهديين في ذلك
١٤	اعجازه من جهة الأخلاق • وحال المهديين فيها
١٥	اعجازه من وجهة علم الغيب • وحال الاناجيل فيها
١٧	في جمع القرآن في مصحف واحد
١٩	اضطراب الروايات في جمعه
٣٩	بعض ما الصق بكرامة القرآن
٤٠	حكاية الوادي والوادين
٢١	الرجم • والشيخ والشيخة فارجموها
٢٣	حكاية سوري القنوت
٢٤	حكاية دبستان المذاهب
٢٥	قول الإمامية بعدم النقيصة في القرآن
٢٦	كتاب فصل الخطاب • ونقده
٢٩	قراءة القرآن • والقراءات السبع وقراؤها وروايات السبعة أحرف
٣٠	وما جاء في بعضها من الغرائب
٣٢	في تفسيره • والافويين
٣٣	الاضطراب في معنى التوفي • وما هو التحقيق فيه
٣٦	آية تنزه بالعصبة
٣٧	مجازات القرآن • واسلوبه • وخبط المولدين في اللغة العربية
٣٨	لا اقسام • وما وقع للكشاف وغيره فيها • وما زعموه من زيادة « لا »
٣٩	لنلا يعلم • ان لا تسجد • ان لا تتبعني
٤٠	لا يرجعون • لا يأمركم

صفحة	صفحة
٤١	فلا وربك . والكشاف
٤٢	دعوى زيادة الراى
٤٣	مجازات القرآن، المارد من الاضلال المنسوب
٤٤	إلى الله . وقرائن التجوز
٤٥	فيه من المحكمات
٤٦	على العرش استوى . والظاهريون
٤٧	الذبحاني . ابو حيان . الشهرستاني
٤٨	ابن تيمية . والعرش
٤٩	حديث الثقلين . وتواتره
٥٠	رواته من الصحابة
٥١	استدراك الحاكم على البخاري ومسلم
٥٢	محمد بن سلمة . الجوزجاني . ابن عدي
٥٣	الرجوع في التفسير إلى امثال عكرمة ومجاهد
٥٤	احوالهم في كتب الرجال . وخرافة الغرائيق
٥٥	التردد في الوقف
٥٦	مركز التمثل . والقلب . والدماغ
٥٧	ما يحضرنى من الكتب
٥٨	سورة الفاتحة . تسميتها . محل نزولها
٥٩	بسميتها . الجهر بها . اعرابها
٦٠	خلق القرآن . الرحمن
٦١	الرحيم
٦٢	الحمد لله
٦٣	رب العالمين . مالك يوم الدين
٦٤	اياك نعبد واياك نستعين
٦٥	العبادة . ودسائس التحزب في معناها
٦٦	تفسير العبادة . ومحمد عبده
٦٧	حصر الاستعانة بالله
٦٨	الاستشفاع إلى الله بالمقربين
٦٩	الاستشفاع بالمقربين من الآوات
٧٠	بقاء النفس بعد الموت
٧١	الشفاعة
٧٢	اهدنا الصراط المستقيم
٧٣	سورة البقرة . والمتقين
٧٤	الموقنون بالآخرة . والمفلحون
٧٥	الحذلان . ختم الله على قلوبهم
٧٦	الجبر والاختيار
٧٧	في المنافقين
٧٨	يحادعون الله . في قلوبهم مرض
٧٩	في احوال المنافقين
٨٠	مثلهم في الإسلام كمثل الذي استوقد نارا
٨١	مثل الاسلام معهم كصيب من السماء
٨٢	تتمة المثل . يا ايها الناس اعبدا
٨٣	الامتنان بل الاحتجاج بما خلق الله للانسان
٨٤	والنهي عن جعل الانداد
٨٥	الاحتجاج على الرسالة باعجاز القرآن
٨٦	بشرى المؤمنين
٨٧	لا يستحي ان يضرب مثلا ما
٨٨	الذين ينقضون عهد الله
٨٩	كيف تكفرون بالله
٩٠	والاحتجاج بخلق ما في الأرض . والسموات
٩١	تنبيه في الحذف في العربية
٩٢	إخبار الملائكة بخلق البشر
٩٣	وسؤالهم عن الحكمة
٩٤	علم آدم الأسماء . انبأهم بأسمائهم

صفحة	صفحة
١٠٥ في الرسل بعد موسى	وما هي الأسما
١٠٦ رسول الله والقرآن ، كان اليهود يستفتنحون	٨٥ السجود لآدم . كفر ابليس
برسول الله	نهي آدم وحوا عن الأكل من الشجرة
١٠٧ بشس ما اشتروا	٨٦ اذلهما الشيطان
١٠٨ اشربوا العجل	٨٧ اهاباطهم إلى الأرض . توبة آدم
١٠٩ تمنوا الموت ، لو بعدد	الكلمات محمد (ص) علي وفاطمة والحسان (ع)
١١٠ عدوا لجبريل	٨٨ خطاب بني اسرائيل . وتذكيرهم . والوفاء
١١١ هاروت وماروت	بعهد الله
١١٣ الايمان والتقوى	٨٩ آمنوا بما انزلت مصدقا
علي (ع) امير المؤمنين	٩٠ واستمعوا بالصبر والصلاة
راعنا في العبرانية	الذي يظنون انهم ملاقوا ربهم
١١٤ ما ننسخ من آية او ننسها	٩١ واتقوا يوما لا تجزي ، تذكير بني اسرائيل
١١٦ تحذير المؤمنين من اهل الكتاب	بنجاتهم من آل فرعون
١١٧ اليهود والنصارى يذم بعضهم بعضا	٩٢ فرقنا بكم البحر ، اتخذتم العجل
١١٨ منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه	٩٣ فتوبوا . واقتلوا انفسكم
١١٩ اينما تولوا وجوهكم فثم وجه الله	٩٤ نرى الله جهرة ، ثم بشناكم ، الغمام ، المن
١٢٢ ابراهيم والكلمات . والامامة	والساوى
١٢٤ البيت مثابة وأمن	٩٥ ادخلوا هذه القرية . وقولوا حطة
١٢٥ مقام ابراهيم	الحمر والتوراة الرائجة
١٢٧ مكة حرم آمن	٩٦ اضرب بعصاك الحجر
١٢٨ دعوة ابراهيم واسماعيل بالإسلام وبيعة	لن نصبر على طعام واحد
الرسول من ذريتهما	٩٧ ضربت عليهم الذلة ، الذين هادوا والنصارى
١٢٩ اصطفاء ابراهيم . اسلامه . وصيته به	والصابئين
١٣٠ في اهل الكتاب والايمان	٩٩ الطور ، كنونا قردة
١٣١ صفة الله	١٠٠ قصة ذبح البقرة وتمردهم
١٣٢ في تحويل القبلة إلى الكعبة	١٠٢ تحريف اليهود . ونفاقهم
١٣٣ أمة وسطا	١٠٣ في اهل الكتاب

صفحة	صفحة
١٦٤ لا تأكلوا أموالكم بالباطل	١٣٤ وما جعلنا القبلة ، وانها لكبيرة
١٦٤ يسألونك عن الأهلة	١٣٥ تحويل القبلة إلى الكعبة
قاتلوا في سبيل الله	١٣٧ اهل الكتاب ، ولكل وجهة
١٦٦ الشهر الحرام بالشهر الحرام	١٣٨ فاستبقوا الخيرات . التوجه إلى الكعبة
١٦٨ اتوا الحج والعمرة لله	١٣٩ في الاستقبال ، رسولا منكم
١٧٠ حج التمتع	١٤٠ استعينوا بالصبر والصلاة ، في الصابرين
١٧٣ الهدي . بدله . ايام التشريق	١٤١ الصفا والمروة ، فمن تطوع خيرا
١٧٤ حاضري المسجد الحرام	١٤٢ يكتُمون ما انزل الله ، في التوحيد
١٧٥ الحج اشهر معلومات	١٤٣ آيات خالق السماوات والأرض . والفلك .
١٧٧ لا رفث ولا فسوق ولا جدال	والمطر والرياح
١٧٩ افضم من عرفات	١٤٥ اتخاذ الشركاء ، تبدي المضل من الضال
ثم من حيث افاض . . الناس	١٤٦ اءاني تابعيهم ، كماوا بما في الأرض
١٨١ اذكروا الله في ايام معدودات	١٤٨ تحريم الجبائث ، فمن اضطر غير باغ
١٨٢ التكبير في ايام التشريق	١٤٩ يكتُمون ما انزل الله
التعجل لانعام الحج في النفر الأول	١٥٠ ليس البر . ولكن البر من آمن بالله
١٨٣ ليفسد فيها ، العزة بالاثم	١٥١ في القصاص ومساائل
يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله	١٥٤ في القصاص حياة
امير المؤمنين ومبيته على فراش الرسول	الوصية للوالدين والأقربين
١٨٦ ادخلوا في السلم كافة	١٥٥ من خاف من موص جنفا
١٨٨ زين للذين كفروا	١٥٦ فرض الصيام على المسلمين
١٨٩ كان الناس أمة واحدة	١٥٧ من كان مريضا او على سفر
١٩١ ام حسبتم ان تدخلوا الجنة	وعلى الذين يطيقونه فدية
يسألونك ماذا ينفقون	١٥٩ لا صوم في السفر
١٩٢ كتب عليكم القتال	١٦٠ شهر رمضان . المريض والمسافر
يسألونك عن الشهر الحرام	يريد الله بكم اليسر
١٩٤ يسألونك عن الحمر والميسر	١٦٢ الرفث إلى نسائكم
١٩٥ ويسألونك اذا ينفقون	١٦٣ الفجر ، والليل وقت الافطار

صفحة	صفحة
٢٢٣ فلما فصل طالوت بالجنود	١٩٦ ويسألونك عن اليتامى
٢٢٤ احوال المؤمنين من الجنود	ولا تنكحوا المشركات
٢٢٥ داود وجالوت . دفع الله الناس بعضهم ببعض	١٩٨ ويسألونك عن المحيض
تكليم الله ارسوله	١٩٩ نسأونكم حرث لكم
٢٢٦ اختلاف أمم الأنبياء	٢٠١ ولا تجعلوا الله عرضة لإيمانكم
٢٢٧ آية الكرسي	٢٠٢ في الابل
٢٢٨ الكرسي . لا اكراه . الطاغوت	٢٠٣ عدة المطلقة . القرء . لا يكتمن
٢٣٠ الذي حاج ابراهيم . النمرود	٢٠٤ الرجوع في العدة
٢٣١ اماته مائة عام . والمنار	٢٠٥ الطلاق مرتان
٢٣٢ كيف يجيى الموتى . اربعة من الطير	٢٠٦ في الخلع
٢٣٣ انبت سبع سنابل	٢٠٧ طلاق الثلاث ، من احكام المطلقات
٢٣٤ لا تبطلوا صدقاتكم . صفوان	٢٠٨ حرمة عضل المطلقات
٢٣٥ كمثل حبة بربوة	٢٠٩ الوالدات واحكام الارضاع
٢٣٦ فاحترقت	٢١١ عدة الوفاة
انفقوا - ولا تيمموا الحديث	٢١٢ التعريض بالخطبة فيها
٢٣٧ الشيطان يعدم الفقر	٢١٣ الطلاق قبل الدخول
٢٣٨ الحكمة - ابداء الصدقات	٢١٥ حافظوا على الصلوات
٢٣٩ الانفاق - للفقراء الذين احصروا	الصلاة الوسطى
٢٤٠ لا يسألون الناس الخافا	٢١٦ صلاة الخوف
٢٤١ علي أمير المؤمنين (ع)	٢١٧ الوصية للمطلقات والمتاع
٢٤٢ في الربا	٢١٨ قال لهم موتوا ثم احياهم
٢٤٣ حرمة زاحث على التوبة منه	بعض المفسرين المصريين
٢٤٦ في امهال المعسر	٢١٩ من ذا الذي يقرض الله
٢٤٧ كتابة الدين واحكامه	٢٢٠ بنو اسرائيل . اجعل لنا ملكا
٢٥٠ الرهن واداء الأمانة	٢٢١ طالوت . آية ملكه
٢٥٠ كتان الشهادة	تاريخ الطنطاوي
٢٥٣ سورة آل عمران	٢٢٢ التابوت تحمله الملائكة

صفحة	صفحة
٢٨٤ كلامه في المهدي . سوال مريم	٢٥٤ تصوير الإنسان
٢٨٥ معجزات مريم	٢٥٥ المحكمات . ام الكتاب . المتشابهات
٢٨٦ المسيح وبنو اسرائيل . الحواريون	٢٥٦ للراسخون في العلم يعلمون التأويل
٢٨٧ ومكروا ومكر الله	٢٥٩ لن تغني عنهم من الله
حكمة التشبيه بالمسيح	٢٦٠ الكشف . المعنى . تفسير المنار
٢٨٨ اني متوفيك	٢٦١ الاشارة إلى غزوة بدر
٢٨٩ مثل عيسى عند الله	٢٦٢ من هو المزين لحب الشهوات
٢٩٠ آية المباهلة	٢٦٤ بعض صفات المتقين
٢٩١ حديث المباهلة : اهل البيت	شهد الله - واولو العلم
٢٩٢ علي (ع) نفس رسول الله (ص)	٢٩٥ ان الدين عند الله الاسلام
ابن تيمية	٢٦٦ فإن حاجوك
٢٩٣ محمد عبده وكلامه للأفريب	٢٦٨ يدعون إلى كتاب الله
٢٩٥ تعالوا إلى كلمة سواء	٢٦٩ قل اللهم مالك الملك
٢٩٦ لم تحاجون في ابراهيم	٢٧١ تولج الليل في النهار و-
٢٩٧ ما كان ابراهيم يهوديا و-	٢٧٢ تخرج الحي من الميت و-
٢٩٨ اهل الكتاب . وطائفة منهم	٢٧٣ ان تحفوا ما في صدوركم
٢٩٩ ومن اهل الكتاب	٢٧٤ يوم تجد كل نفس
٣٠٠ اوفى بعهده	٢٧٥ اتباع الرسول . والطاعة
٣٠١ النبي لا يدعي الا لله	٢٧٦ اصطفى آدم ونوحا و-
٣٠٢ الاناجيل والمسيح . الربانيين	٢٧٧ المقصود من آل ابراهيم
٣٠٣ ميثاق النبيين	٢٧٩ الحمل بمريم . ووضعها
٣٠٤ الميثاق ودخول اللام في جوابه	٢٨٠ كفالة زكريا . رزقا . الزهراء
٣٠٥ الايمان بالرسول ونصره	دعاء زكريا . بشراه يحيى
٣٠٦ وله أسلم = طوعا وكرها	٢٨١ استفهام زكريا . طلبه الآية
٣٠٧ الايمان بالله والنبيين	٢٨٢ اصطفا مريم
٣٠٨ في التوبة	فاطمة (ع) سيدة نساء العالمين
٣٠٩ الذين ماتوا وهم كفار	٢٨٣ بشرى مريم بالمسيح

صفحة	صفحة
الانفاق . كظم الضيظ	٣١٠ لن تنالوا البر . كل الطعام كان حلا
٣٤٣ العفو . ذكر والله	٣١٣ بكة والبيت الحرام
٣٤٤ ومن ينفر . قد خلت سنن	٣١٤ آيات البيت . مقام ابراهيم
٣٤٥ لا تهنوا . المنار . انتم الأعلون	٣١٥ صاحب المنار . والطنطاوي
٣٤٦ ان يمسخكم . نداولها	٣١٦ حج البيت والاستطاعة
٣٤٧ ليعلم . ليمحص . ام حسبم	٣١٨ يا اهل الكتاب لم تصدون
٣٤٨ علي وصبره ومواساة	٣١٩ تبغونها عوجا
٣٤٩ لا سيف إلا ذو القفار ولا فقى إلا علي	٣٢٠ نخذير المؤمنين من المضلين
التشيع	الاعتصام بالله
٣٥١ الطنطاوي . تمنون الموت	٣٢١ حق تقاته
٣٥٢ وما محمد (ص) . وما كان لنفس ان تموت	٣٢٢ اعتصموا بجبل الله
٣٥٣ وكأين . ربيون كثير	٣٢٣ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٣٥٤ فما وهنوا	٣٢٤ تبيض وجوه وتسود وجوه
٣٥٦ ما لم يزل . ولقد صدقكم	٣٢٧ كنتم خير امة
٣٥٧ تحسونهم إذا فشلتم	٣٣٠ لن يضركم إلا اذى
٣٥٨ تصمدون . غما بغم	٣٣١ ضربت عليهم الذلة . ليسوا سواء
٣٥٩ أمانة نعاسا	٣٣٢ امة قائمة يتلون
٣٦٠ تولوا منكم	٣٣٣ لن تغني عنهم اموالهم . والضّر
٣٦١ فبا رحمة . عدم زيادة . ما	٣٣٤ احوال المنافقين
٣٦٣ اتبع رضوان الله	٣٣٥ ذات الصدور
٣٦٤ هم درجات . رسولا من انفسهم	٣٣٦ ان تمسخكم حسنة تسوهم
٣٦٥ اصبتم مثلها	٣٣٧ واقعة احد . همت طائفتان
٣٦٦ اقوال المنافقين	٣٣٨ الطنطاوي . نصركم الله ببدر
٣٦٧ يستبشرون . الذين استجابوا	٣٣٩ من فورهم . يمددكم . مسومين
٣٦٨ للذين احسنوا منهم . الكشاف وغيره	٣٤٠ إلا بشرى . ليقطع . ليس لك
والمنار واستاذه	٣٤١ او يعذبهم . دعاء النبي (ص)
٣٦٩ جمعوا لكم . زادهم إيماننا	٣٤٢ عرضها السهوات والأرض

صفحة	صفحة
٣٧٠ فانقلبوا بنعمة ورضوان . الشيطان يخوف أولياءه .	نفس ذائقة الموت
٣٧١ لا يحزنك . اشتروا الكفر بالإيمان	٣٧٩ لتبلون . ميثاق الذين أوتوا الكتاب . لالتحسين
٣٧٢ إنا غلي لهم	الذين يفرحون
٣٧٣ ما كان الله ليذر ، حتى يميز	٣٨٠ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم
٣٧٤ فآمنوا بالله ورسوله . ولا تحسبن الذين ييخطلون	٣٨١ قولهم سمعنا مناديا للإيمان ، دعاؤهم
٣٧٥ الذين قالوا إن الله فقير ، وقتلهم الأنبياء	٣٧٢ استجابة دعائهم . الذين هاجروا . في الذين كفروا
٣٧٦ الله ليس بظلام للعبيد . قربان تأكله النار	٣٨٣ في المتقي . أهل الكتاب . اصبروا وصابروا
٣٧٧ صاحب النار وأستاده	انتهاء الجزء الأول
٣٧٨ قد جاءكم رسل من قبلي . فإن كذبوك . كل	٣٨٤ فهرست مصنفات المفسر

جدول الخطأ والصواب للجزء الأول من

تفسير « آلاء الرحمن »

صفحة سطر خطأ	صواب	صفحة سطر خطأ	صواب
٢ ٨ المشكوك	الشكوك	١٤ ١٥ حدودها	حدودها
٣ ١٩ جلالة الله	جلال الله	١٧ ٥ وتلقوه	وتلقونه
٤ ١٧ مراغم	مزاعم	١٧ ٢٦ بن أبي	وأي
٤ ٢٣ سيطرة	سيطرة	١٨ ٤ رقابة	رقابة
٥ ٧ مجده	مجده	١٩ ٤ فتقل	فتقل
٦ ٦ في	كما في	١٩ ٧ القرآن	القرآن في أيامه
٧ ٥ الدعوى	الدعوة	١٩ ٧	يأمره . وجاء فيها أنه
٧ ١٣ ٣٢	٢٢	هو الذي جمع القرآن	
٨ ١٦ مجرأته	مجرانه	١٩ ١٢ فماترى	فماذاترى
٨ ١٩ يخفى على	' يخفى هؤلاء	٢٠ ٢٣ بل واديان	بل اودية
١٢ ١٨ البشري	البشرى	٢١ ١٧ ذر	زر
١٣ ١٩ حضارة	مضارة الكتاب	٢٣ ٣ يستقره	تستقره

صواب	صفحة سطر خطأ	صواب	صفحة سطر خطأ
الرسائل	٩ ٤٣	المحدثون	٤ ٢٣
من اصول	٢٤ ٤٧	نعم	٧ ٢٣
فإن المجموع	٨ ٤٨	بضيرة	١٠ ٢٣
ليفيه والياف عضلية	٢٢ ٤٨	الدعوة	٣ ٢٥
التنغم	٢٢ ٤٨	في جميع	١١ ٢٦
تقما	٢٤ ٤٨	النعمان ان الأئمة	١٥ ٢٧
من	٩ ٤٩	الفضل	١٦ ٢٧
في التفسير	١٩ ٤٩	منذر المباد	٢٥ ٢٧
عن فهم	١١ ٥٣	ويشهد لك	٢٠ ٢٨
مستوثقين	٥ ٦١	وايو الدرداء	١٧ ٢٩
١٦٣	١٧٠ ٦١	على ما في	١٨ ٢٩
١٦٤	١٧١ ٦١	بكرة	٧ ٣١
١٦٥	١٧٢ ٦١	من قرء مالك	٢٢ ٣١
المؤمنون	٢٠ ٦٤	بالقرآن	١٨ ٣٢
التعداد	٣ ٦٥	فيه لفظه	١٢ ٣٣
العقل	٢٤ ٦٨	من معنى التوفي	١٣ ٣٣
حكمة قبجه	٢ ٦٩	إلى ان معنى	١٩ ٣٣
والتحويل	٢٤ ٧١	في وزود	٢٣ ٣٥
بلطف الله	٢٤ ٧٢	ارزن	٢١ ٣٦
او ان المراد	٧ ٧٥	كونه	٢١ ٣٧
في الاصطلاح	١٥ ٧٩	في ذلك	٢١ ٣٧
عليه المقام	١٣ ٨١	الحسي	٢٣ ٣٧
وقد جاءت بنو	٢١ ٨١	قال	٢٣ ٣٧
اسد وخافوا	٢١ ٨١	انه	١٠ ٣٨
اعضب	٦ ٨٢	من	١٨ ٣٨
بالعاقلين	٢٤ ٨٤	٣٥٤	٢١ ٣٨
اليها	٢٢ ٨٦	مضى	٨ ٤١

صفحة سطر خطأ	صواب	صفحة سطر خطأ	صواب
٨٩ ٩ ومصدقا	او صدقا	١١٢ ٢٣ معمولة	صواب معمولة
٨٩ ١٠ محرف	فإن ما معهم من	١١٣ ٥ يرونه	يريدونه
٨٩ ١٠	التوراة محرف	١١٤ ٢٢ ينسى	ينسى
٨٩ ١٢ (تكونوا)	و (تكونوا)	١١٦ ١١ العباد	العباد
٨٩ ١٦ من الكافرين	من الكاذبين	١٢٠ ١٣ الخالقيه	خالقته
٩٥ ١٦ حط الجبل	حط الحمل	١٢٠ ٢١ لاجزائه	لأجزائه
٩٧ ٩ ورعد	ودعد	١٢٤ ٣ فضليتها	فضيلتها
٩٧ ٢٣ للذين	الذين	١٢٧ ٢٠ والأقحاح	والأقحاح
١٠٠ ٨ وملخصا	وملخص	١٢٨ ١٠ والنسك	والمسك
١٠١ ١٤ بالمجازات	بالمجازاة	١٢٨ ١٣ از يريد	ان يريد
١٠٣ ١١ الذين	الذي	١٣٢ ١٢ الله ورسله	الله رسله
١٠٣ ١٤ الاختلافات	الاختلاقات	١٣٣ ليكونوا	تكونوا
١٠٤ ١٩ روى	وروى	١٣٩ ١٩ مخرج الجرم	مخرج الجرم
١٠٥ ١٨ المناقضون	الناقضون	١٤٨ ٧ في البغي	والبغي
١٠٦ ٨ إلى دعوته	لا نفهم	١٤٩ ١٠ من الكاظم	عن الكاظم
١٠٦ ٩ لأنهم	لا نفهم	١٤٩ ١٤ (فلا اثم عليه)	(فلا اثم عليه)
١٠٦ ١٧ من آمن	من يؤمن	١٥٠ ١٣ (وذوي القربى)	(ذوي القربى)
١٠٨ ٩ القرآن يكفرون	القرآن الذين يكفرون	١٥٢ ٤ من ابي	عن ابي
١٠٩ ٥ برسول او كتاب	برسول الله وكتابه	١٥٢ ١١ في جامعة	في جامعة
١٠٩ ١٣ ولم يتمنوه	ولن يتمنوه	١٥٦ ٧ الخطر	الخطر
١٠٩ ١٤ وزيادة	زيادة	١٥٦ ١٣ ولا يفهم	ولا يفهم
١٠٩ ٢٢ صورتي	سورتي	١٥٦ ١٥ فقد	وقد
١١٠ ١٤ عذر	عذر	١٦١ ٢١ يديم	ان يديم
١١٠ ١٨ كتاب	كتاب الله	١٦٣ ١٤ تماما	تاما
١١٢ ٧ أي لليهود	أي الناس	١٦٥ ١١ ثم ان يعود	ثم إلى ان يعود
من الشياطين وهاروت	من هاروت وهاروت	١٧١ ١٢ وامنهم	وآمنهم
وماروت والمتعلمين منها	من هاروت وهاروت	١٨١ ٥ هناك	هنا

صفحة سطر خطأ	صواب	صفحة سطر خطأ	صواب
١٨٣ ٧ في حجة	في حجه	١٨٣ ١٥ واتقوا الله	(واتقوا الله)
١٨٤ ٢٤ في تفسير	عن تفسير	١٨٧ ٢٤ اناو	آثار
١٨٨ ٧ الآيتين	الآيتان	١٨٨ ١٠ يرجع اليها	يرجعها اليه
١٨٦ ١٠ ضلال	ضلالا	١٩١ ٨ ١٣٦	آل عمران ١٣٦
١٩٤ ٢١ ٩٢٥	٩٥	١٩٥ ١٢ تجريهما	تجريهما
١٩٥ ١٥ شريعة	شريعة الحق	٢٠٠ ٢ بين فخذيهما	وبين فخذيهما
٢٠٠ ٢ فلتوا	(فأتوا)	٢٠٤ ٢١ الزوج	الأزواج
٢٠٦ ٧ تفرقه	نفرتة	٢٠٦ ١٠ الزواج	الازواج
٢٠٨ ٨ ضارة	ضارا	٢١٠ ٧ يجب	يجب
٢١٣ ٢١ اجتماعها	اجتماعهما	٢١٨ ١٥ في سبيل	(في سبيل)
٢٢٢ ١٢ البقره	البقر	٢٢٧ ١٣ الا يأخذنه	لا يأخذنه
٢٢٨ ١٨ عن ابي موسى	عن ابي	٢٢٨ ٢٤ مسماء	يكون مسماء
٢٢٩ ١٦ الأولي	الأولى	٢٣٢ ١٠ او هي	وهي
٢٣٢ ٢٠ و(قال)	(قال)	٢٣٢ ٢٤ مسماء	يكون مسماء
٢٣٣ ١٤ اضرب	يضرب	٢٣٤ ٩ لا لحسنه	لا لحسنه
٢٣٥ ١٢ من أنها	مع انها	٢٣٧ ٦ مشرع	شرع
٢٣٧ ٢٥ عن خالق	عن خلق	٢٣٩ ١٤ او مسمى	اوسمي
٢٤٠ ٣ إلى ما بعده	إلى بعده	٢٤١ ٦ ابن	ابن
٢٤١ ٧ بئاره	بئاره	٢٤٤ ٧ الاكما	لاكما
٢٤٦ ١٨ واختبارها	واختيارها	٢٥٠ ٨ واعلموا بما	واعملوا
٢٥٣ ٢٠ الحقيقة	الحقيقة	٢٥٤ ٢٢ الفصل	في الفصل
٢٥٥ ١٤ هي امر	هي ام	٢٥٦ ١١ لا يكتفي	لا يُكتفى
٢٥٦ ١٨ وفي حقيقة	وان حقيقة	٢٥٨ ٣ يخبرونكم	يخبروكم
٢٥٨ ١٦ اذا اهل	إذ اهل	٢٥٨ ١٩ الشريفة إلا	الشريفة (إلا)
٢٥٩ ٥ تفسير	في تفسير	٢٦٠ ١١ لا يكون	لا يكونون
٢٦٢ ١٧ تكلفت	تكفلت	٢٦٣ ٤ تلا	فلا
٢٦٤ ١٧ إلى النظر	عن النظر	٢٦٨ ٧ المعزى	المعزي
٢٦٨ ٢٤ ٣٩-٣٤	٢٩-٢٤		

٢٩٦ جدول الخطأ والصواب للجزء الاول من تفسير آلا الرحمن

صفحة سطر خطأ	صواب	صفحة سطر خطأ	صواب
٢٧٠ ١٠ اختبار	اختيار	٣٠٩ ٩ الذي يرونه	الذي كان يرونه
٢٧٠ ١٥ اختبارهم	اختيارهم	٣١٢ ٤ ذكر	في ذكر
٢٧٠ ١٦ ٣٦٠	٢٦٠	٣١٤ ١٥ محفوظا	محفوظان
٢٧١ ١٤ اكمال الطول	اكمال طوله	٣١٦ ٢٤ « وطيشه »	« وطئة »
٢٧٤ ١٢ ٣٠	٢٠	٣٢٣ ٢١ وقبل	وقبل
٢٧٥ ٨ لك	لكم	٣٢٤ ١٨ رجحانه	رجحانه
٢٧٥ ١٠ ووجود	ووجوده	٣٢٥ ٢٢ استيلائه	استيلائهم
٢٧٥ ١٣ وعلى	على	٣٢٨ ١٩ كذا من	وكذا من
٢٧٦ ١٥ شيئا	شيئا	٣٣١ ٢٢ خلقوهم	خلفوهم
٢٨٣ ١١ وكيفية	وكيفيته	٣٣٣ ٢٢ المزروع	المزروع
٢٨٦ ٧ رسول الله	رسل الله	٣٣٤ ٢٠ صفة	صفة
٢٩٢ ٢ تكرر ذلك	تكرر من	٣٣٤ ١٢ الاعداد	الاعداد
٢٩٤ ٥ لسند	بسند	٣٣٣ ١٠ والقول	والقول الأول
٢٩٧ ١٩ ويؤله	ويأله	٣٣٣ ١٩ افا هو	اذا هو
٢٩٨ ٩ تتلوه	تتلونه	٣٣٦ ٢٣ هذا وجه	هذا الوجه
٢٩٨ ١٩ واغرائهم	واغرائهم	٣٣٧ ٢٠ وقوع	إلى وقوع
٢٩٩ ٦ بان يؤتى	بان يؤتى	٣٣٨ ١ الدين	الدين
٢٩٩ ٢٤ مثل شأنهم	في شأنهم	٣٣٨ ١٠ فارون	غارون
٣٠٠ ١٠ يعلمون)	يعلمون)	٣٣٩ ٢٣ من رواية	من ان رواية
٣٠٠ ١٩ اوافى	اوفى	٣٣٩ ٢٤ رواية	راويها
٣٠٢ ١٥ تحويل	تحويل	٣٥١ ٤ فان	فان قلت
٣٠٢ ٢٢ ربانين	ربانين	٣٥١ ١٦ المنى	هذا المنوي
٣٠٤ ١٠ للأولى	الأولى	٣٥٧ ٢٤ الآخرة	الآخرة)
٣٠٤ ١٥ الاذكارى	الانكارى	٣٥٩ ١٦ يظهروا	يظهره
٣٠٥ ٢٢ شرطاً معطوفاً	شرط معطوف	٣٥٩ ٢٣ (ولو	(لو
٣٠٧ ٢٣ ونحو	نحو	٣٦٠ ١٣ بالذلة	بالزلة
٣٠٨ ١٩ بالعنة	باللعنة	٣٦٠ ٢٣ بسبب	سبب
		٣٦٢ ٧ اذك	اذك
		٣٦٢ ٢٢ استحقاقهم	استحقاقهم
		٣٦٣ ١٢ ولا ينقص	ولا ينقص
		٣٦٥ ١٠ عاقبه	عاقبه
		٣٦٦ ١٨ ان	ان كان
		٣٦٨ واتقوا	م واتقوا

هذا ولم يقصر لنا الاطلاع على الملازم الاخيرة لتصلح خطأها والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات